

DATE

Princeton University Library



32101 058324482

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

--	--

Karmi

لقسم الأول

من شرح نهج البلاغة

بحوث وآراء تتبعها الواقع والحضارة الزمنية

أو

نهج البلاغة في معارفه وفنونه

تأليف المفتقر إلى رحمة مولاها العتي محمد الكرمي

عنه

١٣٨٧

المطبعة الغيلية بقم

(RECAP)

D536

. 8

. K 37

qism 1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين و الصلاة على انبيائه

المرسلين لاسيما محمدا و اهل بيته الطاهرين :



على فى مجارى التاريخ

التاريخ ظاهرة من ظواهر الحياة العامة ، و ليس هو كاحد الفنون التى تفرض على الوجود فرضاً ، بل هو لمسائره الاجيال ضبط الاحياء بلا مشورة منهم ، و قيد الاموات بالادعوة من ذويهم ، و تعرض للحوادث ليجعلها عبرة ، و للملابسات الزمنية ليعرضها على الفكرة ، فنعم المتحدث هو عن الغاير والحاضر والحى والميت .
والتاريخ قسما قسما ، استخدم لسان الزمان فجعله هو المتحدث عنه ، و قسم استخدمه اهل اللسان ليجعلوه اداة تعبير لمقاصدهم : و القسم الاول هو التاريخ الذى لا يمتري فيه ولا يعتربه تحريف وتشويه وهو الذى ضبط الاحداث العامة و تحدث عن ابطال الرجال ومضامير الاجيال .

واما القسم الثانى ففيه الغث والسمين والدخيل والاصيل والزور الذى لا اثر له و الواقع الذى لا محيص عنه : وهذا القسم لاقيمة لاصيله ودخيله الابدع البحث والتفتيش والتحرى و التمحيص : ذلك لان خونة الدنيا و عفاريت بنى آدم لم يألوا جهداً فى استعمال هذه الحربة لك منائهم ولو كانوا اطهر من ماء السماء عرضاً و سجية ، و فرض انفسهم على الوجود بعنوان انها نفائس وان كانت فى الواقع من سقط المتاع ، فكلم تقرأ فى كتب التراجم والرجال القاباً و عناوين وهى مختلفة لاصل لها ، و كم تقف فى الهوامش على منسبين وهم عند التحقيق لباب كل من ترجم فى هذا الكتاب .
اذن فلا غرابة اذا شكك جملة من المتنورين قديماً و حديثاً فى وجود جملة من الاشياء لاننا هانحن انفسنا نرى فى كل فريق من جماعات البشر من ادرع التدليس ظاهرة والصلاقة وجهاً ومشى يغذ بلسانه و بيانه و بكل ما أوتى من حول و طول لتثبيت هدف يحاول تشبيته فلا يدر زمان الا توجد ما كنت تحسبه من الاضاليل اشد تركزاً من الحقائق تتداوله الالسنه بالذكر والاقلام بالتحريرو ساحت العيان بالتجسيم ، فكلم من حديث لاصل له ، و كم من متحدث عنه لا وجود له ، و كم من حادثه لم يحتضنها العيان ، و كم من متظاهر بالقدس هو الدجال فى دخيلة قلبه و نخيلة صدره .

و لكم حورت الميول النفسية والأغراض الشخصية و السياسات الزمنية و النزعات التعصبية حقائق ذات بال ولعبت بالرجال والاحيال جهد مقدورها فاختلقت ما ليس له وجود و انكرت الشاخص المشهود وليس بمقدور القلم ان يحيط بالقليل من ذلك في هذه العجالة فضلا عن الكثير .

لكن الذين سخروا الوجود بطولاتهم واقاموا في الوجود شهوداً على كمالاتهم في امان من تقاضى قلم النقد لهم ، و من اعظم هؤلاء الشخصية الفذة التي ضربت بجرانها على طول الوجود و عرضه ، و فرضت نفسها على الكون بدون ان تخايره او تشاوره تلك هي الشخصية القائمة بشخص امير المؤمنين على بن ابي طالب سلام الله عليه . ولا بدع اذا قلت ذلك فان شخصية هذا البطل المتأله المفضل شقت اكثف الحجب التي وضعها المأجورون لامائة شخصيات العالم وطلعت بعنقها المديد لترى الدهر و ابناء الدهر ان الحق الراهن و مهمماقاومته القوى الهدامة حتى لا يموت . و ناهيك بعلى في كل صفة من اوصاف الخير المطلق و في كل سجية من سجايا الانسان الكامل و ليس بمقدورى ان اعدد مآثره و مزاياه و احصى فضائله و جلائل اعماله : ولكنى قصدت في هذا الكتاب ان اشرح ناحية من نواحي فضله و عقله ، و اعرض للقراء ثمرة من ثمرات غرسه و نفسه الاوهى ناحية فصاحته و بلاغته في طرف قليل من علمه و عمله و عساني اوفق لما اتوخاه و الله من وراء القصد وهو المستعان .

(اللغة العربية و انتشارها من طريق الاسلام)

نحن محصلوا العلوم الدينية قبل كل شيء مسلمون ، و من طريق اعتناقنا للدين الاسلامى يجب علينا ان ننسى كل نزعة تعصبية ، و ان نعتبر الدين نقطة التلاقى بين كافة العناصر المسلمة فلا فرق عندنا بين المسلم العربى و الآخر الهندى و الثالث الاندونزى و الرابع الايرانى و الخامس الافغانى و هلم دوايك . لان الوحدة الاسلامية بهدفها الانسانى العام الفت بين هذا الشتات و جعلته العنصر الحاشد لجماعة افراد بنى آدم : واللغات كلها سواسية فى ان اصل وضعها

للافهام والتفهم بين المتخاطبين ، غايتها ان السيرا لزمنى واعتناء فريق دون فريق من الناس ببعض اللغات قدم اللغة المعنى بها وكون لها حيثية عالمية وان لم تكن لغة الناس جميعاً ولالغة الاكثرين منهم : وفي الطليعة من هاته اللغات اللغة العربية لغة القرآن والحديث النبوى وسنة الائمة المعصومين واداة رواة الاسلام و فقهاءهم و محدثيهم و مفسريهم و متكلميهم و خطباءهم و شعراءهم و ساير اهل الفضل منهم . لم يكن للغة العربية قبل الاسلام شأن عالمى لانه لم يكن للعرب فى انفسهم الا بعض الشأن من الشؤون العالمية ولان جامعة العرب قبل الاسلام لم يكن فيها عالم خريت ولا فنان شهير ولا شاعر واسع الشعور ولا خطيب خصب الخيال ولا كاتب يهتم له .

نعم كانت اللغة العربية و كان المتكلمون بها يملكون من الكنايات والاستعارات والمجازات المرسله والالفاظ المترادفة والكلمات الفصيحة الشئ الكثير وهذا المعنى بدوره هو الذى وسعها وكثر مفرداتها ، لكن القرآن الكريم لما هبط من عالم الملكوت الاعلا الى الجزيرة العربية قبل كل مكان واتخذ اللغة المزبورة اداة تعبير شقق جوانب الكلمة العربية تشقيقا ماعليه مزيد : فترك الكلمات الوحشية بالمره وانتخب من مانوسها كل لفظ رقيق واكثر من التشبيهات والتراكيب الجميلة والاستعارات المليحة والكنايات الاخاذة والمجازات القوية ، وجاء بسبك لم يكن له ند ولا نظير فى لغة اقحاح العرب و بذلك تحداهم وأفجمهم ، و اضاف على ذلك استخدامه لهذه اللغة فى سرد القصص والعبر وتاريخ الامم السالفة و انبيائهم وضرب الامثال وصوغ الادلة على احقاق الحق وابطال الباطل و بيان الشرائع والوظائف و الاخلاق الانسانية ، وتنوع ماشاء فى صياغة ذلك بشتى الاساليب والاشكال الفاتنة ، ومن هذا وذاك لايزال القرآن محل اعجاب كافة الاجيال وفحول الرجال حتى الذين يشككون انفسهم بسماويته .

ولقد اعتنى نبى الاسلام بهذه اللغة فكان فيها قطب رحى الناطقين فصاحة وبلاغة ومثانة وسلاسة و فخامة و نظرة واحدة فيما أثر عنه من صحاح الاثار تكفى للبرهنة والتدليل على ذلك .

ومنذسنى الطقولة استنّ على هذا المدرج نابغة الاسلام امير المؤمنين على عليه السلام فكان في فصاحته وبلاغته آية يملك الاسماع والابصار والقلوب اذا نطق او حاول الافصاح عن غرض مهم وهذا قرآن بلاغته نهج البلاغة من اعظم الادلة على هذه الدعوى التي لم يختلف فيها اثنان من الناس : وهكذا امتلك بنوه ازمة القول فكان الناطق منهم اذا نطق لا يدع محلاً لغيره لهيمنتهم على الحضار ونفوذهم في ارواحهم : و على هؤلاء الناطقين الا فذاذ تلمذ اهل التحصيل من المسلمين بلا فرق بين العربى منهم والفارسى والتركى الى ماشئت ان تعدد من العناصر التي تشرفت بالاسلام و ساهمت في ترويجه والخدمة له و تكفيها نظرة واحدة الى ما كان عليه حصلوا العهود القديمة من المسلمين فاننا نجد الهندي والافغانى والفارسى والتركى في مصاف العرب الاقحاح تكلماً و كتابة حتى ليخيل للسامع و الناظر فى حديثهم و كتبهم ان جميعهم عرب بلا شوب لكن الوقوف على تراجمهم هو الذى يميزهم الى عناصر تبعد عن العنصر العربى بعداً شاسعاً .

غير ان الادوار الحاضرة مع مزيد الاسف لمشيها مع العنصرية والتعصب البغيضين اخذت تمحيز لنفسها فلا تدع للغة الآخرين منفذاً فى افرادها فمن اللازم المحتم ان نحطم عن انفسنا ونحن مسلمون كافة هذه الحواجز ونلتحق باسلافنا الماضين الذين مارسوا لغة القرآن فكانوا من خير زملائها نطقاً و كتابة .

(مقدمة الورد فى البحث)

اللغة العربية مفردات وتراكيب ويراد من المفردات المواد التي يكون بها التركيب ، والبحث عن المفردات يتكفله علم اللغة ، ودراسته تكون بمزاولة الكتب اللغوية المتقنة مزاولة عن امعان و تدبر ، و اذا كان من يحاول الاستفادة رأساً من الاجانب عن اللغة وجب عليه ان يكون تحت اشراف استاذ .

و يراد من التراكيب ما تألف من المفردات ، و بما ان التأليف بينها تارة يكون غلطاً من الوجهة اللسانية و اخرى يكون صحيحاً ، و مرة يكون غثاً لعدم

مراعات المؤهلات فيه واخرى يكون سميئاً المراجعة ذلك تخصص علماء اللسان للبحث عن كل وجهة بفن خاص يتناول تلك الوجهة فقط ، فعلم النحو و الصرف يتناول التراكيب من حيث الصياغة اللفظية في مفرداتها . وصف الكلمة مع ما يجوز اولايجوزان تصفاليه وحر كات اواخرالكلم ، وعلم المعاني والبيان يتناولها من حيث السبك و مراعاة الخصوصيات و المزايا التي تشرف الكلام وتعطيه وزناً وقيمة . ونحن في در استنا هذه لسنا نحويين صرفيين خالصين و لا بيانين اختصاصيين بل نحن في ذلك اعم مما ذكر ، فكما نتعرض للنكتة النحوية و الصرفية و البيانية نتعرض للفلسفة والكلام وعلوم الاجتماع و كل مامت الى موضوعنا الذي بايدينا من جميع جوانبه .

ومقدمة يجب علينا ان نعرف سند وتاريخ (نهج البلاغة) هذه المجموعة التي قام بتأليفها وضم شواردها السيد الشريف الرضى رضى الله عنه فان كلام امير المؤمنين على عليه السلام لم يجمع بهذه الصورة قبل السيد الشريف في كتاب خاص على الظاهر ، وانما تناولته كتب الحديث والامالي والادب متشتمةً أطبق المناسبات التي عرضت للمؤلفين اما السيد الرضى فقد اعتنى بذلك عناية خاصة وهدف ان يجمع كلام امير المؤمنين في كتاب خاص مخافة ان يبقى مبعثراً في بطون عشرات الكتب : وللشريف الرضى اعتناء كثير بالفصاحة على الاخص ما كان منها في القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وما جاء من كلام عن امير المؤمنين عليه السلام وله في كل ذلك كتب خاصة حافلة بمضامينها العالية .

و ان من شيم العصر الاحادي الحاضر تشككه في كل شيء خصوصاً اذا كان مبعوثاً عن دواعى رمزية ، و خصوصاً بالنسبة الى عالم الاديان و ما وراء الطبيعة ، واحياناً يسرى شكه الى ما هو وجداني حاضر لكل حتى حساس مدرك ، فكم شكك فيما قبل زمانه واعتبر قضية آدم وحواء وهود وصالح ويعقوب و يوسف و المسيح بن مريم وما الى ذلك من الاساطير: لعزوب نفسه عن هذه القضايا ولصوقه بالمادة الجافة الحاضرة بين يديه ، لكنه لم يتشكك في اقوال الماديين وخرافاتهم التي يمر عليك

شيء منها فيما سيجيء لحسن ظنه بممارسة الالحداد و الدعاة الى الطبيعة بما جعله مؤمناً بهم على كل حال .

و من نعات التعصب البغيض هي محاولة فريق مخذول من بعض المسلمين للتشكك في نسبة نهج البلاغة الى على امير المؤمنين و ان واضع هذه المجموعة هو السيد المرتضى على قول بعضهم او السيد الرضى على قول آخرين وانه بعد وضعها نسبها لجده على عليه السلام خدمة له و ايرازاً لشخصيته : مع ان قاطبة من درس الاسلام و عرف مشاهير رجاله لا يتشككون في ان علياً من افصح العرب والمسلمين و ان صيت بلاغته و فصاحته لا يقل عن صيت شجاعته و عبادته .

و نحن اصحاراً بالحقيقة و قمعاً لنوايا السوء نستعرض هذا البحث ناقلين للشبه التي القاها المشككون والتي هي كسر اب ببيعة يحسبه الظمان ماء بل و لاسواء فان شبه القوم او هن من كل البيوت : و رادين عليها من عدة جهات .

قال محمد محيي الدين عبدالحميد - من علماء مصر - في تقديمه لنهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده : ليس من شك عند احد من ادباء العصر و لا عند احد ممن تقدمهم في ان اكثر ما تضمنه نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين عليه السلام : نعم ليس من شك عند احد في ذلك : و ليس من شك عند احد في ان ما تضمنه الكتاب جار على النهج المعروف عن امير المؤمنين موافق للاسلوب الذي يحفظه الادباء و العلماء من كلامه الموثوق بنسبته اليه : و لكن بعض المعروفين من ادباء عصرنا يميلون الى ان بعض ما في الكتاب من خطب و رسائل لم يصدر عن غير الشريف الرضى جامع الكتاب هو منشؤه و مدعى نسبته الى الامام : و هم في ذلك يترسمون خطوات بعض المتقدمين ممن قرب من عهد الرضى و من بعد عنه فقد سبق الى التشكك في شأن الكتاب و استبعاد نسبة جميع ما فيه الى الامام عليه السلام قاضي القضاة ابن خلكان و لعل ابن خلكان اول من اثار الشكوك في قلوب الباحثين بنسبته الكتاب الى الشريف الرضى تأليفاً ثم جاء من بعده الصفدى و غيره من كتاب التراجم فتابعوه على ذلك و حينئذ قوى الشك و تمكن .

و اهم ما يجده باحثوا الاداب العربية في هذا العصر من اسباب يدعمون بها

القول بان الكتاب من صنع جامعته و تأليفه ذلك الذى نوجزه لك فى الاسباب الاربعة الاتية .

(الاول) ان فى الكتاب من التعريض بصحابة رسول الله (ص) ما لا يصح ان يسلم صدوره عن مثل الامام على كما تراه فى ثنايا الكتاب من سباب معاوية وطلحة والزبير وعمر وبن العاص ومن ذهب الى تأييدهم والدفاع عن سياستهم .

(الثانى) ان فيه من السجع والتنميق اللفظى و آثار الصنعة ما لم يعهده عصر على عليه السلام ولا عرفه وانما ذلك شىء طرأ على العربية بعد العصر الجاهلى و صدر الاسلام وافتتن به ابداء العصر العباسى والشريف جاء من بعد ذلك على ما ألقوه فصنف الكتاب على نهجهم وطريقتهم .

(الثالث) ان فيه من دقة الوصف واستغراق صفات الموصوف واحكام الفكرة وبلوغ النهاية فى التدقيق كما تراه فى وصف الخفاش والطاووس و النملة و كل ذلك لم يلتفت اليه علماء الصدر الاول و انما عرف بعد تعريب كتب اليونان و الفرس و يدخل فى هذا السبب استعمال الالفاظ الاصطلاحية كالابن والكيف و كذلك استعمال الطريقة العددية نظير قوله الاستغفار على ستة معانى .

(الرابع) ان فى عبارات الكتاب ما يشتم منه ریح ادعاء صاحبه علم الغيب وهذا امر يجل عن مثله مقام على .

ثم قال ولسنا علم الله ممن يرى فى هذه الاسباب مجتمعة او منفردة دليلا او شبه دليل على ما ذهب اليه انصار هذه الفكرة ثم اجاب من عنده باجوبة تشاكل اصل الاشكال فى السقوط والانحطاط .

وقبل كل شىء يجب ان يعلم ان هذا كله من نتائج التعصب البغيض والحسد الفاضح على حد قول القائل .

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالقوم اعداء له و خصوم

والافابن خلكان اولالم يذكر شخصاً معلوماً نسب اليه التشكك فى نهج البلاغة

وانما قال فى ترجمة السيد المرتضى من تاريخه : و قد قيل انه - اى مجموع نهج

البلاغة - ليس من كلام علي بن ابي طالب و انما الذى جمعه و نسبه اليه هو الذى وضعه ، فليس بعيداً ان يكون (قوله وقد قيل) من اختلافاته هو ولم ينسبه الى نفسه تكثيراً لايجاد الشبه والشكوك وهذا بمجرد لاقيمة له :

واما ابن خلكان فى نفسه فانسان معروف بحب الصبيان ومن شواهد ذلك قوله فى غلام اشتهر فى حبه .

لؤلؤ ما كن فى رتبة ارعى لها	العهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سرى فى هواك ولذلى	خلع العذار ولو ألح مؤنبى
لكن خشيت بان تقول عواذلى	قد جن هذا الشيخ فى هذا الصبى

وقوله فيه ايضا

انا والله هالك	آيس من سلامتى
اوارى القامة التى	قد اقامت قيامتى

ومن احب التوسع فى حاله فليراجع ترجمته فى ذيل تاريخه المعروف وفيات الاعيان وفى غيره من الكتب : ومثل هذا الانسان ساقط الحيشية من وجهة الورع و التقوى ولو كان ثقة لحجزه الاحتياط عن ملاسة ما يقوده الى الضلال : فلاقيمة لقوله ولاحجة فيه .

واما ثالثاً فكون نهج البلاغة ليس من كلام علي عليه السلام وانما هو من كلام المرتضى او الرضى فشىء يكابر الضرورة من حال امير المؤمنين ومن حال من رواه عنه قبل ان يخلق الشريفان كما سيجىء .

واما رابعاً فان النفس الدافع لمضامين ما هو مبعوث فى خطب نهج البلاغة و كتبه ووصاياه و مواعظه و حكمه قاطع بالضرورة انه لم يندفع الاعن حنجرة على ذلك الديان الذى لم يتشكك فى قدسيته وجميع مؤهلات الفضيلة فيه حتى اعداؤه .

فهذا السنن الواضح من ذلك السنن وهذا الشذا الفياح من ذلك الوادى
واما الاسباب التى ذكرها محمد محيى الدين فهى على تفاهتها مردودة بان تعرض على معاوية وابن العاص وطلحة والزبير باللون الذى نجده فى نهج البلاغة يعد من الادلة

القائمة على متانة على عليه السلام وحلمه ومضغه للحوادث واهل الاحداث والبدع ولو كان غير على مكان على لجااء منه ما تنهد له الجبال .

وقد سن الله سبحانه شريعة اللعن لمن يصد عن سبيل الله ويغيها عوجاً حيث قال تعالى (الاية ٤٣ و ٤٤ من سورة الاعراف) لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً : وقال سبحانه (الاية ٢٧ من سورة الرعد) والذين يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار : وغير ذلك من الايات الكثيرة الواردة في مثل هذا المضمون : وكل هؤلاء المذكورين اخف جرائمهم الصد عن سبيل الله وشق عصا المسلمين ونقض العهد من بعد ميثاقه وقطع ما امر الله به ان يوصل والافساد في الارض واثارة الفتن والتعدى على حقوق الحاكم العادل .

واما ان فيه من آثار الصنعة كالسجع والجناس وما الى ذلك من المحسنات البديعية فهو قبل كل شيء وارد على كتاب الله وسنة نبيه فان فيهما من كافة الانواع المحسنة التي يذكرها البيانون ما يفوت حد الاستقصاء وقل ما يذكرون في ابواب المعاني والبيان والبديع مطلباً من المحسنات الا ويشفعونه بالاستشهاد عليه من الكتاب والسنة النبوية والشعر الجاهلي و صدر الاسلام فأحرر بعلي تلميذ محمد وخريج مدرسة القرآن وابن الفصحاء البلغاء ان يجيء بكلامه على آخر مقياس فهمه ومرن عليه من كلام الله وحديث النبي صلى الله عليه وآله وما طرق سمعه منذ نعومة اظفاره من نشر وشعر جيدين وما اوهبه من نبوغ ولسن وفصاحة : و بمثل هذا يقال عما فيه من دقة الوصف واستقراغ صفات الموصوف فان آيات القرآن الكريم و فقرات الحديث النبوي الشريف مملوءة بذلك :

واما ما فيه مما يشعر بعلمه عليه السلام بالمغيبات فذلك يحال به الى ما صح عن رسول الله في هذا الباب فان علياً باب مدينة علم النبي وخريجه اللصيق به وموضع سره ومحل امانته وبعدها كله فمن وراء هذه الجمل تفاصيل تقرأها فيما يلي .

اما بالنسبة الى الصحابة - فنحن وفقاً للحق لا يجوز لنا ان نعترف لكل من

ادرك النبي ﷺ مسلماً وراًه-لمجرد هذه السمة- بفضيلة : وانما نعترف بالفضل لمن آمن عن ايقان ودان للرسول باذعان وواساه فى الشدائد واخذعنه علماً عمل به - وهذا هو ميزان فضيلة الصحابي .

اما الذى ادر كه وصحبه ولم يتخلق بخلقه ولم يواسه ويهتد بهداه و لم تؤثر دعوته فى قلبه ولاعلى اعضاءه فذلك هو المجرم حقاً البعيد عن مرضاة الله و الرسول قطعاً وفى جملة من ادر كوه و رأوه كثير من هؤلاء المجرمين و لو اردنا ان نتوسع بذكرهم لضاق بنا المقام ولكننا نختصر شيئاً مما دون فى هذا الموضوع تبييناً للاستدلال على هذه الدعوى .

قال ابن حجر فى الاصابة (ج ١ ص ١٧ تحت عنوان الفصل الثالث فى بيان حال الصحابة من العدالة) اتفق اهل السنة على ان الجميع عدول ولم يخالف فى ذلك الاشدوذ من المبتدعة : ومع هذا فقد روى مسلم فى الصحيح (ج ٧ ص ٦٥ وما بعدها) تحت عنوان باب اثبات حوض نبينا وصفاته عن ابى حازم عن سهل : و ابى سعيد الخدرى : وعبدالله بن عمرو بن العاص : واسماء بنت ابى بكر : وعائشة : وام سلمة : و انس بن مالك : و اللفظ الذى نقله لانس - ان النبي ﷺ قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رايتهم ورفعوا الى اخلجوا دونى فلا قولن اى رب اصحابى اصحابى فليقلن لى انك لا تدري ما احدثوا بعدك : وفى رواية اخرى : فيقال اما شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدك يرجعون على اعقابهم : الى نظير ذلك من العبارات : وقد سردنا هذه الروايات فى ج ٤ ص ٣٨ وما بعدها من نتائج الفكر) و ذكر ابن حجر فى الاصابة و ابن عبد البر فى الاستيعاب و ابن ابى الحديد فى شرحه على النهج و الحاكم فى المستدرک و ابن كثير فى البداية و النهاية و غير هؤلاء مساوى و جرائم كثيرة لجملة من الصحابة تعرضنا لها فى (ج ٤ من ص ٣٩ الى ص ٩٠ من نتائج الفكر ايضاً).

و مع هذا هل يستكثر على على انه ذكر جملة ممن يطلق عليهم لفظ الصحابة كما عاوية و ابن العاص و ابى موسى الاشعري و من الى ذلك بسوء و انه لهذه العلة يتشكك ابن

خلكان ومن كان على رويته في نسبة ما فيه تعريض بهؤلاء من نهج البلاغة الى على ع:
- ملحوظة - لعل قائلًا يقول ما نضع بقوله تعالى (سورة التوبة الاية ١٠١) والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار و الذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم و رضوانه
واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدًا ذلك الفوز العظيم .
وبقوله تعالى (سورة الفتح الاية ٢٩) محمد رسول الله والذين معه اشداء على
الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله و رضوانا سيماهم فى
وجوههم من اثر السجود .

قلنا لادلالة فى ذلك على شمول المفادين المن بوريين لكل من ادرك النبى ص
مسلماً و رآه بل المفاد يعطى خلاف ذلك فان فى جملة من تظاهر بالاسلام و قيل له
صحابى من ثبت انه من المؤلفة قلوبهم و انه من المنافقين و انه مرتكب للمعاصى الكبار
والجرائم العظام و مثل هؤلاء خارجون بالوجدان عن كل ملاك يوجب الاحترام
فى دين الاسلام فان قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً
يبتغون فضلاً من الله و رضوانا سيماهم فى وجوههم من اثر السجود لا يشمل بطرف
خفى او جلى امثال ابى سفيان و ولده معاوية و المغيرة بن شعبة و عمرو بن العاص الذين
تظاهروا بكلمة الاسلام و اجلبوا عليه بكل ما يستطيعون من تخريب لمبانيه و تحطيم
لاتعاب محمد و ذويه .

فضلا عن ان الكثير من الحديث النبوى الشريف و الضرورى من مجارى التاريخ
و ملاحظة كتاب الله فيما تعرض له من التنديد بالفاسقين و مرتكبي المعاصى و المنحرفين
عن الجادة الموصى بها من ناحيته تعالى مما يصحح بجلاء ان المنظور - بالذات -
مع محمد ص - و - بالسابقين الاولين - امر وراء ما يلوح من هاتين الفقرتين : و ان
الوجدان الصريح من حال الافراد هو الذى يحدد موقف المصدق من انطباق
بعض العناوين عليه .

كيف يرضى الله عن الفاسقين امثال الوليد بن عقبة : وعن الخميرين السكيرين
الزناة امثال المغيرة بن شعبة و ضرار بن الازور و قدامة بن مظعون و نعيمان و خالد :

وعن الذين اراقوا دماء الاخيار الابرار بدون ادنى مجوز شرعى سوى ارضاء الشهوة ونيل مرضاة الفسقة الذين استعملوهم امثال بسر بن ارطاة وحبیب بن مسلمة الفهرى وعن الذين اصرواعلى السخرية والاستهزاء بالرسول امثال الحكم بن ابى العاص ونظير هؤلاء كثير كالخريت بن راشد الناجى وربيعه بن يزيد السلمى و سفيان بن عوف الغامدى وعمر وبن العاص .

وكيف يرضى الله عن تعمد الكذب على رسول الله وقد صح عنه ﷺ انه قال من تعمد الكذب علىي فليتبوء مقعده من النار امثال ابى هريرة الدوسى وسمرة بن جندب : وكيف يرضى الله عن من نصب العدا لآل رسول الله ﷺ و قرباه و قد جعل تعالى محبة ذوى القربى اجر رسالة النبى وفي طليعة كل هؤلاء المجرمين معاوية بن ابى سفيان العدو الالد لقربى رسول الله والقاتل للاخيار الاجلاء من صحابة و تابعين عمدأ من غير حق وصبراً بلا ادنى مجوز .

اذن فبالوجدان الذى لا تتخالجه ادنى شبهة يقطع بان من عناه من سبق المهاجرين والانصار ومن الذين مع محمد رسول الله هم الذين صحبوا محمداً وكانوا على وتيرته فى الدين والتقوى و الورع وسائر صفات الخير : و شهدت لهم التجارب بالاستقامة على حدود الله و شريعة رسول الله منذ اسلموا الى ان ماتوا : و ملاحظة برامج الدين وسيرة الصالحاء من المتدينين و كلمات النبى ﷺ وامير المؤمنين و الطريقة المثلى التى عليها اخيار المسلمين دليل قاطع على ذلك - فليلتفت الى هذه النقطة جيداً .-

واما بالنسبة الى ما فيه من السجع والتمنيق وسائر الانواع البديعية - فنقول ان كل ما يذكره المحدثون فى شتات ابواب المعانى و البيان و البديع مما يعد صنعة له وجود منتشر فى شعر ونثر الجاهليين والقدماء من المسلمين جاء الى خواطرهم بالبديهة و عفو الخاطر وليس المحدث من كل ذلك الا الاصطلاح المحض حيث اخترع المتأخرون اسم الاحتراس والتكميل و الالتفات و الارصاد و رد العجز على الصدر و المذهب الكلامى والتجريد وما الى ذلك : و دونك فاستعرض من كتب البيان اى كتاب شئت تجده يذكر قول علقمة الفحل .

طحابك قلب فى الحسن طروب
 يكلفنى ليلي وقد شط و ليها
 فى مقام الاستشهاد على صنعة اللغات و هو هنا من الخطاب الى التكلم : و
 قول الخنساء .

و ان صخرأ لتأتم الهداة به
 و كذلك قول امرء القيس ،
 كان عيون الوحش حول خباءنا
 فى مقام الاستشهاد على صنعة الايغال وهو ختم البيت بما يفيد نكتة فى بيت الخنساء
 هو قولها - فى رأسه نار - وفى بيت امرء القيس هو قوله - لم تثقب .

و كلمة القبعثرى - مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب - فى قبال قول الحجاج
 له: لاحملنك على الادهم : فى مقام الاستشهاد على حمل الكلام على خلاف المراد
 وهو من خلاف مقتضى الظاهر من فن المعانى : و قول النابغة الذبياني .

و لست بمستبق اخا لا تلمه
 على شعث اى الرجال المهذب
 فى الاستشهاد على صنعة التذليل وهو تعقيب جملة بجملة اخرى تشمل على
 معناها للتأكيد وهو هنا تعقيب لا تلمه على شعث بقوله اى الرجال المهذب فان الجمليتين
 بمعنى واحد: و قول طرفة بن العبد :

فسقى ديارك غير مفسدها
 صوب الربيع و ديمة تهيمى
 لصنعة التكميل وهو ان يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه وهو هنا
 قوله غير مفسدها . و قول امرء القيس .

كأن قلوب الطير رطباً و يابسا
 لى و كرها العناب والحشف البالى
 لصنعة التشبيه الملفوف وهو ان يؤتى اولا بالمشبهات على طريق العطف وغيره
 ثم بالمشبه به كذلك : و قول المرقش العبدى .

النشرمسك والوجوه دنانير و اطراف الاكف عنم
 لما فيه من التشبيه المفروق وهو ان يؤتى بـمشبه و مشبه به ثم بآخر و آخر . و قول

فاطمة بنت الخرشب الانمارية لمن سأله عن بنيتها - هم كالحلقة المفرغة لا يدري اين طرفها- لما فيه من التشبيه المجمل وهو ما لم يدكر وجه الشبه فيه : وقول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك .

و اذا احتبى قربوسه بعنانه
و كذلك قول كثير عزة .

اخذنا باطرف الاحاديث بينما
و كذلك قول طفيل الغنوى .

و جعلت كورى فوق ناجية
و جعلت كورى فوق ناجية
للاستعارة الغريبة و هى فى الاول قوله : واذا احتبى قربوسه : وفى الثانى و الثالث مصراعها الاخير : وقول زهير بن ابى سلمى .

لدى اسدشاكى السلاح مقذف
لما فيه من الاستعارتين التجريدية والترشيحية : وقول زهير ايضاً .

صحاً القلب عن سلمى واقصر باطله
وعرى افراس الصبا ورواحله

لاشتماله على الاستعارتين الكنائية والتخييلية : وقول ابى ذؤيب الهمداني .
و اذا المنية انشبت اظفارها
الفيت كل تميمة لاتنفع

لاشتماله على الاستعارتين المزبورتين : وقول عمرو بن معديكرب .

اذا لم تستطع شيئاً فدعه
و جاوزه الى ما تستطيع

لما فيه من صنعة الارصاد وهوان يؤتى قبل العجز بما يدل عليه: وقول زهير ايضاً .

قف بالديار التى لم يعفها القدم
بلى وغيرها الارواح والديم

لما فيه من صنعة الرجوع و هو العود الى الكلام السابق بالنقض لنكتة :

وقول المتملس .

ولا يقيم على ضيم يراد به
الا الاذلان غير الحى والوتد

هذا على الخسف مر بوط برمته
وذا يشج فلا يرثى له احد

لما فيه من صنعة التقسيم : وقول امرىء القيس .

وشوهاء تعدوي الى صارخ الوغى
بمستلثم مثل الفنيق المرحل
لما فيه من صنعة التجريد : وقول الاعشى .

ياخير من ير كب المطى ولا
يشرب كأسا بكف من بخلا
لصنعة التجريد والكناية معاً : وقول النابغة الذبياني .

حلقت فلم اترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مطلب
لئن كنت قد بلغت عنى جناية
لمبلغك الواشى اغش واكذب
ولكننى كنت امرء لى جانب
من الارض فيه مستراد ومذهب
ملوك واخوان اذا ما مدحتهم
احكمم فى اموالهم واقرب
كفعلك فى قوم اراك اصطنعتهم
فلم ترهم فى مدحهم لك اذنبوا
لما فيه من صنعة المذهب الكلامى : وقول الكميت .

احلامكم لسقام الجهل شافية
كما دماؤكم تشفى من الكلب
لما فيه من صنعة التفريع وهو ان يثبت لمتعلق امر حكم بعد اثباته لمتعلق له آخر :
وقول النابغة الذبياني .

ولاعيب فيهم غيران سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتاب
لما فيه من تأكيد المدح بما يشبه الذم : وقول الحسين بن عبد الله العرجى
بالله يا طبيبات القاع قلن لنا
ليلاى منكن ام ليلى من البشر
لما فيه من صنعة تجاهل العارف : وقول الشاعر الجاهلى .

ان يقتلوك فقد ثلثت عروشهم
بعتيبة بن الحارث بن شهاب
لما فيه من صنعة الاطراد وهو ان تأتى باسم الممدوح او غيره واسماء آباءه على
ترتيب الولادة ، وقول النعمان بن بشير الانصارى .

الم تبتدر كم يوم بدرسيوفنا
وليلك عماناب قومك نائم
للجناس المطلق : وقول حسان بن ثابت .

وكنا متى يغزى النبى قبيلة
نصل جانبيه بالقنا والقنابل
للجناس المذيل : وكذلك قول النابغة :

- لها نارجن بعد انس تحولوا
وقول عبدالله بن رواحة .
وزال بهم صرف النوى والنوائب
- تحمل الناقاة الادماء معتجراً
للجناس المقلوب : وقول النابغة الذبياني .
بالبرد كالبدرجلى نوره الظلما
- فتى تم فيه ما يسر صديقه
لصنعة المقابلة وهو ان يؤتى بمعنيين او اكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب
وقول جرير .
على ان فيه ما يسوء الاعاديا
- اذ انزل السماء بارض قوم
لصنعة الاستخدام وهو ان يراد بلفظ له معنيان احدهما ثم يراد بضميره معناه
الآخر: وقول زهير .
رعيناه و ان كانوا غضابا
- اخو ثقة لا يهلك الخمر ماله
لصنعة الاستدراك : وقول ابى صخر الهذلى .
ولكنه قد يهلك المال نائله
- اما والذى ابكى وضحك والذى
لصنعة الطباق وهى الجمع بين المعنيين المتقابلين : وقول امرىء القيس .
أما والذى ابكى وضحك والذى امره الامر
- اذا المرء لم يخزن عليه لسانه
لصنعة ارسال المثل : وقول ليلى الاخيلية .
فليس على شىء سواه بخزان
- اذا نزل الحجاج ارضاً مريضة
شفاها من الداء العضال الذى بها
تتبع اقصى دائها فشفاها
غلام اذا هز القاة سقاها
سقاها دماء المارقين وعلها
- لصنعة تشابه الاطراف وهو ان يكون آخر البيت اولاً فى البيت الذى يليه: و
قول الحماسى .
به مقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضاً
- لصنعة العكس وهو ان تقدم فى الكلام جزء تم تعكس فتقدم ما اخرت وتؤخر ما

قدمت : وقول الفرزدق :

لقد جئت قوماً لو لجأت اليهم
لا لفت فيهم معطياً او مطاعنا
طريد دم او حاملا ثقل مغرم
وراءك شزراً بالوشيح المقوم
لصنعة التفسير: الى غير ذلك مما لا يحصى الا في أسفار .

- و اما بالنسبة الى دقة الوصف و استعمال الطريقة العددية و التعبير بالابن و الكيف و نظير ذلك فهو قبل كل شيء موجود بكثرة في كتاب الله و لاجل اعطاء النموذج نذكر قوله تعالى في بيان التفاق و شرح حال المنافقين (سورة البقرة الاية ١٧ و ما بعدها) مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم و تركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون او كصيب من السماء فيه ظلمات و رعد و برق يجعلون اصا بعمى في آذانهم من الصواعق حذر الموت و الله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه و اذا اظلم عليهم قاموا .
وقوله تعالى في استغراق صفات الموصوف (سورة البقرة الاية ٦٧ - وما بعدها) واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تدبجوا بقرة قالوا اأنتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لاذلول تثير الارض و لاتسقى الحرث مسلمة لاشية فيها .

و قوله تعالى في مقام السبر و الاستقصاء للانتقال منه الى تثبيت اصل اولي (سورة البقرة الاية ١٦٤ و ما بعدها) ان في خلق السموات و الارض و اختلاف الليل و النهار و الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس و ما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها و بث فيها من كل دابة و تصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء و الارض آيات لقوم يعقلون .

وقوله تعالى في مقام التقسيم و استعمال الطريقة العددية (سورة البقرة الاية ٢٢٩)

الطلاق مرتان فأمساك بمعروف أو تسريح باحسان .

وقوله فى نظير ذلك (سورة آل عمران الآية ١٤) زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث .

وقوله فى مثل ذلك ايضاً (سورة آل عمران الآية ١٠٦) يوم تبيض وجوه و تسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون .

وقوله فى نظير مامر (سورة الانعام الآية ١٤٣) ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين - الى ان يقول - ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين : الخ .
وقوله فى طراز ما سلف (سورة الاعراف الآية ١٤١) واعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة .

وقوله تعالى فى مقام وصف واجب الوجود بطور فلسفى (سورة الانعام الآية ١٠٣) لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو المظيف الخبير .

وفى القرآن من هذا القبيل ونظيره شىء كثير غير قابل للاستقصاء فى مثل هذا الموضوع : ويوجد ايضاً فى حديث النبى ص بكثرة ففى التاج للاصول فى احاديث الرسول (ج ١ ص ١٤ و ما بعدها) عن انس بن مالك عن النبى ص قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الله تعالى وان يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار .

وعنه ص انه قال الايمان بضع وسبعون او بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله وادناها امامطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وفى الامثال واستغراغ صفات الموصوف مارواه (فى التاج ج ١ ص ٣٥ وما بعدها) عن ابى موسى عن النبى ص انه قال ان مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قومه فقال يا قوم انى رأيت الجيش بعينى وانى انا النذير العريان فالنجاء فاطعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلتهم وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم

و اجتاحتهم فذلك مثل من أطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق :وعن جابر عن النبى ص انه قال ان اصدق الحديث كتاب الله واحسن الهدى هدى محمد و شر الامور محدثاتها و كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة فى النار .

وعبئاً نحاول الاكثار من هذا ونظيره فهو اكثر من الكثير فى الحديث النبوى الشريف : هذا وليت شعرى ما ارتباط وصف الخفاش و الطاووس و النملة بالفلسفة المصطلحة وهكذا عالم الالهيات الذى هوورد السنة الانبياء والاوصياء بفلسفة اليونان والفرس وهل عرف المتكلمون والفلاسفة الاسلاميون مباحث الالهيات على محور الدين الاسلامى الامن طريق اسياده وسنته و كتابه و كلمات رؤسائه الامائل وفى طليعتهم النبى محمد والوصى على و الاطياب الاطهار من ذريته ولقد شاع علم الكلام بين المسلمين فى نفس التابعين و تابعيهم ومن تلمذ عليهم قبل ان يعرف المسلمون فلسفة اليونان وغيرها من الفلسفات الاصطلاحية وهذا كتاب الله وما اثر عن النبى ﷺ وعلى والحسين والسجاد فى صحيفته المشهورة والصادقين من العلم الكثير الذى ضبط عنهما اقوى شاهد على ذلك و كفى .

واما بالنسبة الى ما يشتم فى بعض فصوله من علم الغيب والاخبار عن مستقبل الامور - فما يبعد بعلى عن ذلك بعد صحة صدوره عن الرسول ﷺ وهو باب مدينة علمه و الخصيص به و موضع سره و افضل من تخرج عليه و الصق الناس به : و قد تواتر عن النبى ﷺ مضمون اعلميته و افضليته وعمق مكانته واعترف بذلك احرار الافاضل من الناس فقد قال ابو نعيم الاصفهاني (ج ١ ص ٦١ من حلية الاولياء) هو باب مدينة العلم والعلوم ورأس المخاطبات ومستنبط الاشارات رأية المهتدين ونور المطيعين وولى المتقين وامام العادلين اقدمهم اجابة وايماناً واقومهم قضية و ايقاناً واعظمهم حلماً و اوفرهم علماً على بن ابى طالب : وروى فى حقه - حديث : انادار الحكمة وعلى بابها : وعن النبى ﷺ انه سئل عن على فقال قسمت الحكم عشرة اجزاء فاعطى على تسعة اجزاء والناس جزء واحداً : و انه صلى الله عليه وآله قال :

يا على اخصمك بالنبوة والانوبة بعدى وتخصم الناس بسبع ولا يحاجك فيما احد من قريش انت اولهم ايماناً بالله واوفاهم بعهد الله واقومهم بامر الله واقسمهم بالسوية واعدلهم فى الرعية وابصرهم بالقضية واعظمهم عند الله مزية - وانه صلى الله عليه وسلم قال - يا على ان الله امرنى ان ادنيك واعلمك لتعى وانزلت هذه الاية وتعيها اذن واعية فانت اذن واعية لعلمى : وقال ابن عباس كنا نتحدث ان النبى صلى الله عليه وسلم عهد الى على سبعين عهداً لم يعهد الى غيره .

راجع لامثال هذه المضامين مما يعود للعلم والفضيلة واللصوق بالنبى صلى الله عليه وسلم طبقات ابن سعد (ج ٤ ص ١٥٤ وما بعدها) والاستيعاب فى ترجمة على : والمحب الطبرى فى ذخائر العقبى (ص ٧٦ - وما بعدها) : والمتقى الهندى فى منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ٣٤٥ وج ٥ ص ٣٠ وما بعدها) : والكنجى فى كفاية الطالب ص ٨٤ و ما بعدها : والنسائى فى خصائصه ص ٥٨ وما قبلها وبعدها : والفصول المهمة ص ١٦ : وتذكرة الخواص ص ٥٣ : والمستدرک للحاكم ج ١ ص ٢٥٨ و ص ٤٧٢ وج ٣ ص ١٢٢ وما بعدها وج ٤ ص ٣٨٨ وما بعدها : والاغانى لابي الفرج (ج ١ ص ٣٣٠) : والمعتصم (ج ٢ ص ٣٠١) : وينايع المودة (ج ١ ص ٦٨ وج ٢ ص ٢ و ما بعدها) واسعاف الراغبين ص ١٥٦ : و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٦٦ : و ابا الفرج ابن الجوزى فى موضوعاته ج ١ ص ١٧٠ : وتعقبنا له فى نتائج الفكر ج ٤ ص ١٦٧ و ما بعدها : والشرح الحديدى على نهج البلاغة ج ١ ص ٦ و ما بعدها : الى غير ذلك مما لا يسعنا التعرض له فعلاً . وراجع له حد الاقل ما دوناه فى مرحلة العلم والفهم والفضيلة من كتابنا نتائج الفكر (ج ٤ من ص ١٥٢ الى ص ١٨١) .

على ان امير المؤمنين عليه السلام اسند جملة من اخباره عن الغيب الى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن ذلك قوله (النهج الحديدى ج ٢ ص ١٩٣) ايها الناس لا يجر منكم شقاقى ولا يستهوينكم عصياني ولا تتراموا بالابصار عند ما تسمعونه منى فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة ان الذى اُنبتكم به عن النبى الامى ص والله ما كذب المبلغ ولا جهل السامع لكانى انظر الى ضليل قد نعق بالشام وفحص برياياته فى ضواحي كوفان - الخ - .

وقوله أيضاً (النهج الحديدى ج ٢ ص ٣٦١) فى وصف الاتراك : كانى اراهم قوماً كان وجوههم المجان المطرقة - الى ان يقول - فقال له بعض اصحابه لقد أعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلام وقال للرجل وكان كليماً يا اخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذى علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده سبحانه بقوله ان الله عنده علم الساعة الآية - حتى يقول - فهذا علم الغيب الذى لا يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيهص فعلمنيه ودعالى بأن يعيه صدرى وتضطم عليه جوانحى : الى غير ذلك .

هذا وقد قال المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ للهجرة اى قبل أن يولد الشريف الرضى بثلاثة عشر عاماً فان الشريف الرضى ولد سنة ٣٥٩ للهجرة وتوفى سنة ٤٠٦ فى كتابه مروج الذهب عند تعرضه لفصول من كلامه ع فى مقام ترجمته (ج ٢ ص ٤٣١) و الذى حفظ الناس عنه من خطبه فى سائر مقاماته اربعمأة خطبة و نيف و ثمانون خطبة يورد ها على البديهة تداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً.

وقال الشارح المعتملى فى مقدمة شرحه على النهج (ج ١ ص ٨) واما الفصاحة فهو (ع) امام الفصحاء وسيد البلغاء وعن كلامه قيل دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق و منه تعلم الناس الخطابة والكتابة : قال عبد الحميد بن يحيى حفظت سبعين خطبة من خطب الاصلع ففاضت ثم فاضت : وقال ابن نباتة حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيد الانفاق الا سعة و كثرة حفظت مائة فصل من مواعظ على بن ابي طالب : ولما قال محقق بن ابي محقق لمعاوية جئتكم من عند اعبي الناس قال له : ويحك كيف يكون اعيا الناس فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره : ويكفى هذا الكتاب الذى نحن شارحوه دلالة على انه لا يجارى فى الفصاحة ولا يجارى فى البلاغة وحسبك انه لم يدون لاحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دون له وكفاك فى هذا الباب ما يقوله ابو عثمان الجاحظ فى مدحه فى كتابه البيان والتبيين وفى غيره من كتبه - اهـ - وقال الشارح المعتملى ايضاً فى شرحه على الخطبة الشقشقية (ج ١ ص ٦٩) واما قول ابن عباس ما اسفت على كلام - الخ - فحدثنى شيخى ابو الخير مصدق بن

شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمائة قال قرأت على الشيخ ابي محمد عبدالله بن احمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة - الى ان يقول - فقلت له اتقول انها منجولة فقال لا والله واني لاعلم انها كلامه كما اعلم انك مصدق قال فقلت له ان كثيراً من الناس يقولون انها من كلام الرضى ره فقال اني للرضى ولغير الرضى هذا النفس وهذا الاسلوب : قد وقفنا على رسائل الرضى وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنشور وما يقع مع هذا الكلام في خل ولاخمر ثم قال والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنعت قبل ان يخلق الرضى بما تى سنة ولقد وجدت مسطورة بخطوط اعرفها واعرف خطوط من هو من العلماء واهل الادب قبل ان يخلق النقيب ابو احمد والد الرضى - قلت - وقد وجدت انا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا ابي القاسم البلخي امام البغداديين من المعتزلة وكان في دولة المقتدر قبل ان يخلق الرضى بمدة طويلة ووجدت ايضاً كثيراً منها في كتاب ابي جعفر بن قبة احد متكلمي الامامية وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الانصاف وكان ابو جعفر هذا من تلامذة الشيخ ابي القاسم البلخي ومات في ذلك العصر قبل ان يكون الرضى موجوداً . وقال ابن ميثم البحراني في (ج ١ ص ١٠١ من شرحه على النهج) قال قطب الدين الراوندي رحمه الله سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول اني وجدت بمصر مجموعاً من كلام علي في نيف وعشرين مجلداً - اهـ .

هذا وقد ذكر الشيخ المفيد في الارشاد والكليني في الكافي والجاحظ في البيان والتبيين والمبرد في الكامل وغير هؤلاء فصولاً جمعة في مواضع شتى لامير المؤمنين علي عليه السلام فراجع حد الاقل ص ١٠٧ الى ص ١٤٤ من الارشاد للمفيد وكل هؤلاء سابقون في الزمان على الشريف الرضى : ولواردنا التوسع في ذكر الكتب والمؤلفين الذين سبقوا الشريف زماناً وتناولوا قليلاً او كثيراً مما اثر عن علي عليه السلام من خطبة او كتاب او وصية او موعظة او حكمة بليغة لصاق بنا المجال وخرجنا عن حدود الموضوع : هذا مع ان الشريف الرضى قد تعرض في جملة من المقامات لنسبة الخطبة الى كتاب وجدها فيه واخذها منه وهكذا ابن ابي الحديد في كثير من موارد شرحه :

على ان النفس الذى يلمسه القارىء من مضامين مواعظه وزواجره وارشاداته ووصاياه وما يمثه عن ذات نفسه وما واجهه من الخطوب والحوادث وغير اليمان وعلل الاشخاص دليل قاطع على ان قائله ممن تأثر بالدواعى المومأ اليها تأثراً لامزيد عليه لمستزيد ولم يوجد بعد رسول الله في كافة المسلمين سابقاً ولا حقاً من طلع بهذه الطلعة سوى على وقد شهدت له الدنيا وافضل اهلها بكل ذلك .

وفى خاتمة المطاف يكفيننا اعتراف العلامة الشيخ محمد عبده بكتاب نهج البلاغة على جملته وتفصيله واطرائه اياه باللون الذى تقرأه حيث يقول
وبعد فقد اوفى لى حكم القدر بالاطلاع على كتاب نهج البلاغة مصادفة بلا تعمل أصبته على تغير حال وتبلبل بال وتزاحم اشغال وعطلة من أعمال فحسبته تسلية وحيلة للتخلية فتصفحت بعض صفحاته وتأملت جملا من عباراته من مواضع مختلفة ومواقع متفرقات فكان يخيل لى فى كل مقام ان حروباً شبت و غارات شنت و ان للمبلاغة دولة وللصاحبة صولة وان للاوهام عرامة وللريب دعارة وان جحافل الخطابة وكتائب الذرابة فى عقود النظام و صفوف الانتظام تنافح بالصفيح الابلج والقويم الاملج و تملج المهج برواضع الحجج فتقل من دعارة الوسوس و تصيب مقالت الخوانس فما انا الا : والحق منتصرو الباطل منكسرو مرج الشك فى خمود و هرج الريب فى ركود .

وان مدبر تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب امير المؤمنين على بن ابى طالب بل كنت كلما انتقلت من موضع الى موضع احس بتغير المشاهد و تحول المعاهد فتارة كنت اجدنى فى عالم يعمره من المعانى ارواح عالية فى حلال من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية وتدنو من القلوب الصافية توحى اليها رشادها وتقوم منها مرادها وتنقر بها عن مداحض المزال الى جواد الفضل و الكمال : الى ان يقول بعد فصول : ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضى - رحمه الله - من كلام سيدنا ومولانا امير المؤمنين على بن ابى طالب - كرم الله وجهه - جمع متفرقه وسماه هذا الاسم (نهج البلاغة) ولا اعلم اسماً اليق بالدلالة

على معناه منه وليس في وسعي ان اصف هذا الكتاب بازيد مما دل عليه اسمه - الى آخر مقال -

وبعد هذا فاننا ندرس نهج البلاغة دراسة موضوعية على عناوين شتى .

(١) نهج البلاغة والتوحيد وتحليل العقائد .

(٢) نهج البلاغة وتعريفه للاسلام .

(٣) نهج البلاغة في المواعظ والزواجر .

(٤) نهج البلاغة في العلوم والفنون .

(٥) نهج البلاغة في المنقود والردود .

(٦) نهج البلاغة في السياسة وادارة امور الناس .

(٧) نهج البلاغة في الحكم والامثال .

(٨) نهج البلاغة في الجهاد ومناجزة الاعداء لاحقاق الحق وابطال الباطل فهنا

فصول ثمانية نتكلم على الفصل منها تلو الفصل على الترتيب الذي اسلفناه.

(١- نهج البلاغة والتوحيد وتحليل العقائد)

قال عليه السلام (ج ١ ص ٢٩٢ من الشرح الحديدي الطبعة الاولى بمصر) الحمد لله

الذي بطن خفيات الامور ، ودلت عليه اعلام الظهور ، وامتنع على عين البصير فلا عين من لم يره تنكره ، ولا قلب من اثبته يبصره ، سبق في العلو فلا شيء اعلا منه ، وقرب في الدنو فلا شيء اقرب منه ، فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ، ولا قرب به ساواهم في المكان به ، لم يطلع العقول على تحديد صفته ، ولم يحجبها عن واجب معرفته فهو الذي تشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب ذى الجحود تعالى الله عما يقوله المشبهون به والجاحدون له علواً كبيراً .

يجب ان يلتفت الدارس لهذه الفصول الى ان ما نستقبله بالبحث نقاط ثلاثة

نقطة البحث عن مبدأ المبادئ واصل كل الاصول .

ونقطة تكون العوالم وتنوعها الى انواعها المتكثرة .

ونقطة الحكمة في تسيير مخلوقات على ما هي عليه سابقاً ولاحقاً .
وانه لا يربط لكل نقطة من هاته النقاط الثلاثة بالنقطة الاخرى: وفي بحثنا هذا
انما نتعرض للكلام على النقطة الاولى فحسب : فنقول .
نحن مشياً مع ذوق العصر الحاضر يلزمنا ان نبحث عن وجود الصانع بحثاً يواكب
الفلسفة الدارجة في الغرب المأخوذ بهافي الشرق لنقصد علماء المادة وننقد اخواننا
الشرقيين- حداقل- من هوة الالحاد الماحق فنقول قبل كلشيء: نحن نعلم بالقطع
ان في افراد النوع الانساني اناساً بلغوا الغاية في المثالية وكانوا معجزة الدهر في
بنى آدم قدساً وايماناً وعبادة مع تبجرهم العميق في الكون والكونيات ولا تكاد العقول
تستريب في ان عبادتهم كانت عبادة من كزة على واقع مكشوف لهم لاشان المتعبدين من
طغمة الناس .

مثلاى انسان من البشر الممنور لا يعرف على بن ابي طالب ولا يعتقد بمثاليته
وقدسه وتقواه ولم يقف من كلامه في متشمت مواضعه على تعريفه و تمجيده للمبدء
الاعلا تمجيداً يأخذ بالاسماع والقلوب ، على ما صادفه على في دنياه من اذى وبلاء
استمر معه من لدن أن شب واخذوا يزدادان الى جانبه كل ما كبرنا وزاد معنوية
الى ان قتل ونراه كل ما ازداد بلاء ازداد عبادة وتقوى وشكراً .

واذا قارنا بين هذه المقدمات يحصل لنا القطع بان امثال هذه الذوات وقفوا من
ناحية المبدأ الاعلا على اسرار غمضت على غيرهم ومن طريق غموضها نراهم يفتشون عن
هذا المبدأ العظيم من طريق الدليل العقلي او هذه الاثار الشاخصة في عرصة الوجود
من شمس و اقمار و انسان وحيوان : و بما ان اغلب الناس من اهل هذه الطبقة
القائمة في الحياة على ما توحىه اليها عقولها او تلمسه حواسها لزمنا ان نبحث عن
الصانع من طرق هؤلاء لا من الطريق الذى سلكه المثاليون العظام : لان الطرق
الاولى يمكننا ان نعالجها بسهولة : و طريق المكاشفة طريق و عرو لم يسلكه من
مجموعة بنى الانسان الضخمة العدد الافراد منزورون جداً وهم من ثبتت مثاليتهم
باليقين الصادق للناس : ولذلك نقول .

ان الانسان من ست جهاته يرى بعينيه المسلحة والمجردة عوالم زخارة بالعجائب اخاذة بالعقول خلافة للافكار غير متناهية في عجائبها وغرائبها و لاتزال على مرور الزمان تنكشف عن خبايا تقهر القلوب والعقول في بدائعها وروائعها سواء في منظومات الشمس والاقمار والكواكب ام في ذخائر الارض وكنوزها ام في البحار وما يسبح فيها ويقر في قعورها من ملايين الحيوانات المختلفة الشكول والحقائق ام في الانسان والحيوان و النبات القائم على وجه الارض المتنوع الى حدود لا تحصى والمختلف جوهرها ومعنى : ولانراه يسيغ له لبه وعقله واضميره ووجدانه بان يعتبر كل ما في هذه الاكوان وجد عفواً الا عن قصد وحصل صدفة لامن طريق حكمة وكان لاعتنمكون فان هذه الخاطرة لاتجول في اى " ذهن يفرض : وان ادعاها المادى الملحد فهو يقولها لفظاً بادىء الامر ويعجز عن تثبيتها لاول مرة من وروده في البحث .

كيف لا يعجز وهو يرى بأحداه المفتحة ملايين الملايين من الخلايا الحية في جسم حيوان واحد وكل فصيلة منها تشكل جهازاً خاصاً ذا شعب ونفرات واعدادات يقل الشرح ومهما طال عن بيان خصوصياتها ووظائفها واعمالها الجبارة : فجهاز المنخ والمخيش وجهاز السمع والبصر وجهاز الشم والذوق و اللمس : و جهاز المضغ و البلع : وجهاز القلب والرئة : وجهاز الكبدو الكليتين : وجهاز الطحال والدورة الدموية : وجهاز الهضم والترشح والدفعو البول : وجهاز التباضع والتناسل : وجهاز الاعصاب والعروق وجهاز العضلات والغضاريف : واجهزة الغدد و العظام : و مالكل جهاز من اتصالات وفوائد وآثار .

وقد اثبت علماء الطبيعة والتشريح في بنيان الانسان مجموعات خطيرة لخلاياه تعمل كل مجموعة منها لمنظور واحد مشخص واهم المجموعات عبارة عن : المجموعة الغشائية : الغددية : التركيبية : الغضروفية : العظمية : الدموية : العضلانية : العصبية : الدهنية : وأطالوا البحوث القيمة القائمة على اساس التجزئة والتحليل في الدم والدورة الدموية وعمل القلب والشرين حمرها وسودها صغارها وكبارها : وفي عمل التغذية والمضغ والهضم الشامل للمقم والحلق والمرى والمعدة والمعائين الضيق والواسع

وفى غدد الهضم وغدد المعدة وغدد الامعاء وغدد لوز المعدة و غدد الكبد : و فى الاعمال الميكانيكية للمضغ والبلع والمعدة والمعائين والاعمال الكيميائية لهذه الاجهزة ايضاً : وفى خواص الكبد ولوز المعدة بالنظر الى هضمها : وفى الجذب وما فى عوامه من غرائب : و فى عمل التنفس و الاكياس الهوائية التى يقرب تعدادها فى الرءتين من مليونى كيس و وجود هذه البيوت هو الذى يوسع سطح تبادل الغازات حتى ان سطح التبادل فى مجموع الرءتين قد يصل الى ١٥٠ بل الى ٢٠٠ متر مربع : وهذا هو الذى يجعل مركزية بيوت الرءتين مهمة عظيمة .

وفى جهاز دفع الادرار الشامل للكليتين و للمجارى من الطشت و الحالب والمثانة ومجرى الخروج : وما فى انايب الادرار من غرائب تبهى العقل وتحير العاقل حتى انهم ذكروا ان الانايب المزبورة تتراوح بين المليونين و الاربعة ملايين انبوب : و ان هذه الانايب الدقيقة جداً لا جل تصفية الدم تعمل فى محيط واسع : و فى الاعمال الارتباطية من غدد لها فعالية مهمة كالتيروئيد : مسامير التيروئيد : التيموس : غدد الكلية : الهيبوفيز : لوز المعدة : الكبد : غدد التناسل . و غير غدد .

وفى جهاز الارتباط من البنية العظمية المركبة من ٢٠٨ عظام والقائمة باعمال واجهزة جبارة وفى الطحال وعمل الارتباطات العصبية فى شبكة الاعصاب المهمة وفى اعمال المخ والمخيخ والنخاع وانشعاباتها ومرآكزها المنظمة المعظمة : وفى جهاز اللمس الجبار ذى الخواص والانشعابات الكثيرة : فقد ذكروا من بعض خواص الجلد ان النقاط الجلدية اللاقطة للبرودة فى البدن تبلغ ٢٥٠/٠٠٠ الفأ و ان اللاقطة للحرارة تبلغ ٣٠/٠٠٠ الفأ و ان اللاقطة للالام فيه تبلغ ٣/٥٠٠/٠٠٠ الف الى غير ذلك : و فى جهاز الذوق والشم المهمين : وجهاز السمع و البصر العظيمين : الى ما سوى ذلك من جهاز يقوم فى محيطه بعمل حيوى جبار يقف امامه ذوالبصيرة فى حيرة و بهت لانهاية لهما .

أترى ان الانسان يأخذ مديد العجب من مضخة الماء ووسائل توليد الكهرباء

وسفينة الفضاء لانه يرى في ذلك صنعة ودقة وفنا وعملا جباراً ولا يتخالجه الشك في نسبتها الى الافاذ الذين قاموا باشادتها ووجوب تعظيمهم والخضوع لهم ثم تراه بالنسبة الى عوالم الارض والسماء ذات العظمة القهارة والاثار الجبارة يدعى الصدفة في وجودها والاتفاقات غير المحتسبة في كينونتها ويشك او يقطع بعدم وجود ما هو اعظم منها قدصورها وادبرها وسيرها لمقاصد حكيمة هذا ما لا يجيزه العقل منسوباً الى عاقل اصلا : اذن فهناك مبدء قهار ونقطة انبعاث جبارة هي التي كبست هذه العوالم بهذه الذخائر الدالة بآثارها المنظمة وصنعتها المحكمة و سلطانها القهار على ان هذه الصنعة قد صفى حسابها وعدل نظامها وواقع كل شيء منها في نصابه اللائق به بدقة عميقة حتى تؤتى عوائدها المتوخاة وفوائدها المرادة لمقصد من المقاصد الغامضة او الجلية من الحياة .

و عدم وصول الافكار و الحواس الى صميم هذا المبدأ و مركز هذه النقطة و غموض هويتها لا يبرر لها الوجود والانكار كما لا يجيز لها التغاضي عن وجودها : و هذا الذي امليناه يعد في طبيعة مدركات العقول : ولم اربدورى فيما قرأت وطالعت و رأيت من اقوال الماديين ما ينقى هذا اصلا : وانما قرأت و رأيت شروحا مبسوطة في مباحث النشوء والنماء وتنازع البقاء وانتخاب الطبيعة للفرد الاصلح و ما الى ذلك من نظيرو هذه كلها بعد تسليمها - وهيئات - لا تنقى هذا المبدأ ولا تزاخمه على قدسه بل لا ترتبط به في مطافها وانما تستعرض امورا وراء ذلك .

لكن هذا المعنى وحده بنحوه الجملى لا يكفي المكلف بنظر الشرع في معرفة الصانع بل يحتاج الى توسع فيه و ان كان يكفي في طرد المادى عن مزاعمه التى يحاولها من طريق دراساته التى آنفنا فهرسها : اذن فهلم بنا الى قول امير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال .

فان قوله ، دلت عليه اعلام الظهور ، فصل قصير جامع لما اوعبناه من التفصيل فان جميع ما فى الكوائن ادلة ظاهرة على اثباته ولزوم الاعتراف به والاعلام جمع علم وهو الشاخص الذى يستدل به ، وامتنع ، لرقيق لطافته، على عين البصير، و مهما كان

شديد البصر قوى الحاسة لانه ليس من المادة والماديات ومع ذلك، فلا عين من لم يره تنكره ، لانها بحا كمية العقل عليها تراه كالمحس بين يديها ، ولا قلب من اثبتته يبصره ، لبعده هويته الاعن الادراك الجملى ، سبق فى العلو فلا شىء اعلامنه ، لانه فى صانعيته لكل شىء فوق كل شىء رفعة وشأنا ، وقرب فى الدنو فلا شىء اقرب منه ، لان اتصال العلة بالمعلول يعطيها من القرب ما لاشىء اقرب وصلته منها اليه ، فلا استعلاؤه باعده عن شىء من خلقه ، لان العلو المعنوى لا يقتضى بعداً بين العالى والدانى ، ولا قربه ساواهم فى المكان به ، فانهم وان كانوا ذوى مكان وحين الا ان قرب به لما كان معنوياً كبعده لم يستدع اى مكان يفرض فهو فى قرب به اليهم و علوه عليهم لم يقتض ما يحصل منه التنافى والتضاد بخلاف علو المكان ما بين شىء و شىء فانه يقتضى عدم القرب قطعاً وهكذا القرب المكانى يقتضى عدم العلو فيه ، لم يطلع العقول على تحديد صفته ، الا بما در كته حسب مقدورها من اثره وصنعته ، و لم يحجبها عن واجب معرفته ، بما تكون به معترفة بصانع الكون وموجده ، فهو الذى تشهد له ، بالضرورة القاطعة ، اعلام الوجود ، ومظاهره البينة الواضحة ، على اقرار قلب ذى الجحود ، بلسانه فان العاقل لا يستطيع ان يخادع عقله و ان استطاع ان يتذبذب بلسانه ، تعالى الله عما يقوله المشبهون به ، لانهم لما جهلوا حقيقته حكموا اوهاهم فى استطلاعهم فجاء كل وهم بما انتج ومن هنا فشت الخرافات بين الناس قديماً و حديثاً ، و الجاحدون له علواً كبيراً ، ولا جاحد فى مجموعة العقلاء من البشر الا و قلبه مطمئن بالايمان نعم من انظمت عليه مجارى عقله و التهى عن كل معقول بما بين يديه صارفاً كل همه وهمته الى اشباع نهمته واطفاء شهوته قديقال فى حقه انه جاحد قلباً ولساناً لبعده عن عالم المعنويات بالمرّة : والمنظور بقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ، بطن خفيات الامور ، انه علم بمستورها ووقف على كوا منها لانها خلقتة الا يعلم من خلق وما انشأ ثم ان المنطق الصحيح قاض بان الاعدادات القوية والاثار الفعلية الموجودة فى المعلول حاكمة بلزوم وجود ما هو من نسخها واءلا فى العلة المؤثرة فان فاقد الشىء لا يعطيه : لذلك فكل ما يوجد فى المعلول من حياة وادراك وعلم وقدرة يجب وجود

ما هو من ملاك في العلة : فذاك المبدأ القهار الذي علل به وجود العوالم الظاهرة والخفية يجب ان يكون وراء اصل وجوده حياً مدر كآعالمأ قادراً ازلياً اذ لا مجال لفرض وجود قهار قبله لان الكلام في مبدأ كل المبادئ واصل كل الاصول وما وجب وجوده من نفسه لتعليق كافة الكوائن به وجب استمرار وجوده ابدأ بمقتضى وجوب الوجود الذي لا يجتمع مع امكان التلاشي : وهذا كله ما لا ريب فيه ويلتئم حتى مع القول بالنشوء والنماء وتنازع البقاء وانتخاب الطبيعة لاصلاح الافراد .

وعلى الملاك الذي ذكرناه يطبق قوله عَلَّمَ الْبَشَرَ (في خطبة اخرى ج ١ ص ١٨ وما بعدها من النهج الحديدي) الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصى نعماءه العادون ، ولا يؤدّي حقه المجتهدون ، الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا اجل ممدود فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه .

الحمد لله الذي لا يبلغ ، اى لا يصل الى الغاية ومهما حاول الوصول اليها ، مدحته القائلون ولا يحصى نعماءه ، بحيث لا يرى مزيداً على ما احصاه ، العادون ، وذلك لان الاعم الاغلب مما يدركه الانسان من كافة الموجودات الظاهرة والخفية في الكوائن العلوية والسفلية هو في خدمة البشر وما لا يدرك فيه نفعاً من جملة الكوائن فامر خلقته مو كول الى من خلقه لعجز العقول عن اكتناه كل ما في الكون من اسرار وستائى الاشارة الى هذا المطلب في بحث مستقل ، ولا يؤدى حقه ، اى حق فواضله . المجتهدون ، في طاعته وشكره فضلا عن المتساهلين او المتمردين يقال اجتهد في الشيء اذا بذل فيه جهده وطاقته ، الذي لا يدركه بعد الهمم ، المبذولة في طريق التعرف به لان الطرق اليه مسدودة على العقل الامن ناحية الاثار المدركة وما اشد محدودية ادراك الانسان للآثار الشاخصة في الوجود لقصافقه عن امتداد آفاقها الواسعة . ولا يناله غوص الفطن ، فان غوص الفطنة يجب ان يكون في مجارى يمكن من طريقها الاستطلاع على الخفايا والاسرار فاذا فقدت جملة من الخفايا والاسرار تلك الطرق عقم غوص الفطنة عن الانتاج ومهما طال الغوص واعقب من جهد ومشقة ، الذي ليس

لصفته حد محدود ، لان الموصوف متى لم يكن طريق لمحدوديته لم يكن لصفته طريق كذلك بحكم تابعة الصفة للموصوف ، ولانعت موجود ، يقوم بتمام كشفه والوقوف على كنهه ، ولا وقت معدود ولا اجل ممدود ، تزييف للوهميين من المسلمين الذين يدعون جواز رؤية الله فى الآخرة محدوداً من كافة جوانبه . فطر. اى ابداً خلق ، الخلائق ، جميعها ، بقدرته ، غير المحدودة اذ تحديد القدرة يمنع من ذلك قطعاً ، ونشر الرياح ، اى اجراها لتقوم باعمالها النافعة ، برحمته ، على الناس ولطفه بهم ، ووتد ، اى اثبت ، بالصخور ، ومنظوره الجبال الصماء ، ميدان ارضه ، اذلاشبهه فى ان وجود الجبال الثقيلة من الاوتاد المانعة من التموج الكثير للارض وسيأتى فى بحث العلوم والفنون من هذا الشرح ما نتعرض فيه للرياح والجبال وغيرهما :

اول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الاخلاص له ، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة ، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزاه ، ومن جزاه فقد جهله ، ومن جهله فقد اشار اليه ، ومن اشار اليه فقد حده ، ومن حده فقد عده ، ومن قال فيم فقد ضمنه ، ومن قال علام فقد اخلاه منه :

اول الدين معرفته ، دان يدين للمشيء اذا خضع له والمنظور بالدين اصطلاحاً هو اعتقاد الانسان بنظام خاص يحدد موقفه من حياته فى افعاله وتروكه ويعين مصيره فى نشأته الثانية كل ذلك من طريق انتسابه لله مشرع الدين فعليه لا يكون معنى للدين بدون معرفة الخالق المشرع فالمعرفة المرحلة الاولى فى النظام الدينى العام ، وكمال معرفته التصديق به ، فان المعرفة الناقصة المشوبة بشيء من التردد والتشكك والتحير لا تصديق معها ، وكمال التصديق به توحيده ، لان التصديق مجتمع مع الشرك لكن كمال التصديق وهو المبتنى على التحرر الكمال فى واجب الوجود ينافى الاعتراف بالشركاء للمحاذير العلمية التى يأتى التعرض لها لذلك كان التوحيد نتيجة لكمال التصديق به ، وكمال توحيده الاخلاص له ، لان الاعتقاد بوحد الرب

مع تمايل النفس لمؤثرات اخرى ولومع اعتقاد تنزل درجتها عن المبدأ الاعلانوع من الشرك وهو ينافى الاخلاص قطعاً اذن فالتوحيد الكامل ما كان عن اخلاص العبد فى توجهه الى منبع الفيوضات و محور خلق الكائنات ، وكمال الاخلاص له نفى الصفات عنه ، اى نفى الصفات الزائدة على عين الذات فكمال الاخلاص معناه العقيدة بان صفات الواجب عين ذاته لانه ذات منحاذة و صفات مجلوبة ، لشهادة كل صفة ، مجلوبة ، انها غير الموصوف ، و ان قامت به ، و شهادة كل موصوف ، منحاذا ، انه غير الصفة ، و ان تلبس بها ، فمن وصف الله سبحانه ، بوصف زائد على ذاته ، فقد قرنه ، بشيء آخر واخرجه عن البساطة ، ومن قرنه ، بشيء آخر ، فقد ثناه ، لانه راح يعتقد بموصوف منحاذا وصفة طارئة ، ومن ثناه فقد جزءه ، لانه اعتدفيه التركب من موصوف منحاذا وصفة مجلوبة ، و من جزءه فقد جهله ، لان الاعتقاد بان واجب الوجود ذو أجزاء معناه الجهل بحقيقة واجب الوجود واقعاً لان معرفة حقيقته من لآزمها اعتقاد وحدته وبساطته معاً ، ومن جهله فقد اشار اليه ، اى ومن لوازم الجاهل بحقيقة واجب الوجود تذبذبه فى معتقده فجائز عليه ان يجسمه و يحدد هويته فى مكان خاص فيكون حينذاك محلاً للإشارة الحسية ، ومن اشار اليه فقد حده ، لان الإشارة الحسية لا تكون الا الى محدود بالحس . ومن حده فقد حده لان تحديد الشيء يوجب ان يكون المحدود قابلاً للعد والواحد المحدد بالإشارة الحسية معدود لان الواحد الحسى من الاعداد ، و من قال فيم فقد ضمنه ، لان الاطراف يقتضى المظروفية ومعناها وقوع شيء فى ضمن شيء آخر ، ومن قال علام فقد اخلا منه ، لان معنى علام هو الاستفسار عن انه على اى شيء من الاشياء هو وهذا معناه قراره فى مكان خاص دون مكان آخر و لازم ذلك خلو غير مكانه عنه و واجب الوجود لتجرده لامكان له لكن فيضه لا يخلو منه مكان .

كائن لآعن حدث ، موجود لآعن عدم ، مع كل شيء لآبمقارنة ، وغير كل شيء لآبمزيلة ، فاعل لآبمعنى الحركات والالّة ، بصير اذلا منظور اليه من خلقه ، متوحد اذلا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده ، انشأ الخلق انشاء . و ابتداء ابتداء ، بلا

روية اجالها ، ولا تجربة استفادها ، ولا حركة احدثها ، ولا همامة نفس اضطرب فيها ،
احال الاشياء لاوقاتها ، ولا عم بين مختلفاتها ، وغرر غرائزها ، والزمها اشباحها ،
عالمها بها قبل ابتدائها ، محيطاً بحدودها وانتهائها ، عارفاً بقرائنها واحنائها .

كائن ، اى حاصل موجود ولولا ان الدليل القاطع حاكم باستحالة العدم
على مبدأ المبادئ واصل كل الاصول ازلا وابدأ لكان كل كائن و كل متملس بالوجود
دالا من نفسه على نفسه انه لم يكن ثم كان وان وجوده حاصل بعد عدمه - ولوان هذه
الكوائن لم تقطع من نفسها على نفسها بلزوم مكون كونها وصورها وابدع صنعها و
كبسها من القوى ما يعجز البيان واللسان عن سرده وعده وان هذه القوة المبدئية
الجبارة لا يجوز فيها فرض الكون بعد العدم لان الكلام اصولا في مبدأ المبادئ وعلّة
العلة واصل كل الاصول ولا مجال للتسلسل مع هذا الفرض : لكان فهم الوجود الازلى
من اشكل المشكلات على عقولنا .

لا عن حدث ، اى ان كونه لم يحصل عن تكوين فيحتاج الى محدث وموجد
بل هو ازلى لاحد لا وليته فى القدم ، موجود لا عن عدم ، لان وجوده واجب لذاته و
كل ما يكون وجوده مسبقاً بالعدم لا يكون واجب وجود ، مع كل شيء ، فى قيامه
عليه وتديره اياه ، لا بمقارنة ، لان المقارنة انما تتصور فى الاجسام واما فى المجردات
فلا ، وغير كل شيء لا بمزايلة ، بل هو غيره فى الهوية لافى سنخية العلية والمعلولية ،
فاعل لا بمعنى الحركات والالات ، اى انه يفعل لا كسائر الفاعلين الذين يستحيل عليهم
الفعل بدون الاستعانة بالحركات والالات بل فعله بالارادة الصرفة ، بصير اذ لا منظور
اليه من خلقه ، يريدان معنى البصر فيه غيره فيما سواه فان البصر فى الغير معناه وجود
منظور اليه حتى يتعلق به البصر واما ابصاره هو تعالى فعلمه الكاشف لكل شيء المحيط
بكل شيء ، متوحد ، اى لا قرين له ، اذلا ، حاجة تدعوه الى . سكن يستأنس به
ولا يستوحش لفقده ، لان كل ذلك من لوازم نقصان المخلوق و واجب الوجود لا
نقصان فيه . انشاء الخلق انشاء وابتدأه ابتداء ، الانشاء والاختراع والابداع كلها
بمعنى واحد وهو الايجاب بعد السلب المحض والايجاد بعد العدم الخالص وتصوير

ذلك في الافعال بسيط التعقل جداً كاحداث التكلم بعد السكوت والحر كة بعد السكون ونظير هذين .

و اما ابداع المادة فتصويره مستغلق على العقول : ولكننا نضرب مثلاً واقعياً ونبحث عنه لنرى مدى ما يوصل اليه البحث فنقول نجد فيما نباشره من الاراضى الزراعية بكثرة ان مساحة الهكتار الواحد يبذر فيها من البر مقدار ٧٥ كيلو وفي مقام العائد ينتج هذا الهكتار بنسبة كل حبة ١٠٠ حبة فيبلغ المجموع ٧٥٠٠ كيلو ويعطى من التبن بهذه النسبة ٧٥٠٠ كيلو فيكون مجموع ما انتجه الهكتار الواحد من بذر ٧٥ كيلو مبالغ ١٥٠٠٠ كيلو وهو مبلغ خطير ثم نعود الى المواد التى يمكن ان يتغذى منها البذر المذكور ونباتته فنراه منحصرأ بالارض التى ينبت فيها والماء الذى يصل اليه والهواء الذى يستنشقه ويمر عليه اما الارض التى نتحدث عنها فاننا نجد لها على مرور مآت السنين هى الاولى كما كانت ولا يظهر منها للحس زيادة او نقصان وكل محصولاتها يصرف خارجاً عنها كما لا يضاف اليها من الخارج شىء تدمن به واما رطوبة الماء التى تقارب الحصاد فتجف وتتبخر قبل الحصاد ومهما كان فى الهواء فان المحسوس لثامنه محدود جداً وهذا كله ليس به ان يستهلك مقدار ١٥٠٠٠ كيلو من بذر ٧٥ كيلواً فى مساحة هكتار واحد خال من التدمين ونظير هذا المثل ملايين الامثلة من هذا القبيل وملايين اخرى من اسناخه ولا نستطيع ان نتعقل بعد التدبر التام فى الموجودات المادية التى نشهدها فى عصورنا ان موادها بلا زيادة او نقصان كانت من الازل وستبقى الى الابد وان التحولات التى نشهدها هى فى الصور والاشكال فقط . ان هضم هذه الدعوى من اشكل الامور على العقل بعد ان يرى الانسان ان نوعه كان محدوداً جداً وهو اليوم الوف الملايين وسيعود على مرور الزمان ملايين الملايين وان ارخاء عنان التناسل مما يخاف منه عجز الكرة الارضية عن قيامها بواجب النسل فى المستقبل : وهكذا يرى الانسان النبات وسائر انواع الحيوانات مما هو ظاهر لحسه وفى عرض هذه الرؤية لا يشهد نقصاً فى ارضه ولا جباله و بحاره فان تكن تيك الكثرات المهولة مادتها الارض والماء لبان على هذين العنصرين نقص محسوس :

ولا يشكل بتلاشى ما يتلاشى منها ويعود الى الارض فان المواليدي في قبال المتلاشيات رقم واسع جداً وبعد تثبيت هذا التصوير يثبت معنى واضح للإبداع في المادة . ولمزيد التوضيح نقول ايضاً : يتشكل الوجود الحي من واحد او عدة خلايا وهو لاجل ادامة الحياة وفعاليتها في حاجة ماسة الى الغذاء والماء والاو كسيجن وفي نتيجة هذه التغذية يستحيل الغذاء الى خلايا : وفي ضمن التغذية المستمرة لا تبقى الموجودات الحية على قدر واحد بل تزداد وزناً وحجماً الى أن تصل الى حدها النهائي وذلك ما يعبر عنه بالنمو : والموجود الحي في طيه لدورته الخاصة وتحسب شرائط معينة يلد مثله : والخلية هي اصغر جزء في بدن الموجود الحي حيواناً كان ام نباتاً وهي لاجل ادامة حياتها تحتاج الى الغذاء والاو كسيجن ومن طريق جذبها تستطيع ان تولد مثلها : والموجود الحي من ناحية تأمين غذاءه ودفع المواد الزائدة تراه في مبادلة دائمة مع محيطه فعلى هذا يكون وجود الماء المحتوى على الاملاح اللازمة ووجود الاو كسيجن والمواد الغذائية من اهم الشرائط الكيميائية للمحيط . اذن يلزم ان يكون المحيط واحداً للماء ذى الاملاح لان الماء المقطر لا حياة معه وللغذاء القائم بكل احتياجات الموجود الحي وللاو كسيجن الذى هو نوع غذاء غازى . فهاهم علماء الطبيعة يصرون بلزوم كون محيط الموجود الحي واحداً للغذاء القائم بكل احتياجات الموجود الحي وللماء ذى الاملاح وللاو كسيجن وان الموجود الحي دائماً هو في مبادلة مع محيطه منه يأخذ غذاءه واليه يدفع زوائده : ومع مقارنة هذا بما اسلفناه يتضح ان في مواليدي الطبيعة ابداعاً مادياً وبسوى ذلك لا يعقل تكثرها الهائل مع بقاء المواد الطبيعية على حالها : وان قال قائل انها تتمون من مواد نجلها تحقيقاً قلنا لا يجوز لنا ان نعطي محسباتنا من ايدينا لاحتمالات لم نقف على تقررها : وعلى كل حال فالتكثر الفاحش في المواليدي الحية لا يكاد ينكرو كون ان هذا التكثر مما لم يولد كسراً واضحاً في المواد المحسوسة لنا من ماء وتراب ونظير ذلك مما هو محيط انظارنا فامر مسلم للجميع وادعاء ان اهم التغذية يكون من اشعة الشمس او الهواء او الاو كسيجن مما لا يرتبط بالمواد المطروحة امام النظر المعتاد ادعاء لا يعلم مبلغ

صحته : اذن فالتكثير المادى فى المواليـد مع عدم نقص محسوس فى المحيط المادى من ماء و تراب و شبيه ذلك قطعى الحصول و كون مادته من امور اخرى خفية ادعاء مجرد و هو لا يقاوم ما حصل بالقطع و سيجىء فى البحوث القادمة خصوصاً فى بحثنا عن النبات فى الفصل الرابع من هذا الشرح ما يعين على ما ارتئينا هنا من الابداع المادى : ومع هذا كله فلا غرابة من محدودية العقل ان يقف امام الظواهر الكونية موقف البهت و الحيرة و مهما سلح نفسه :

والماديون الذين - من دون تصور - يقولون باولية و ابدية المادة اشد حيرة من المبدئين و دونك نبذة مما جاء عنهم لتعلم ان العلم مهما بلغ رشده فهو قاصر عن ان يلم بالقليل مما طفق على وجه الوجود و اما كوامن الكوائن فأمرها فى الخفاء جد عظيم .

و لقد اعترف اكابر الماديين و اعظم الفلاسفة الحسينيين بالقصور عن درك ما فى مشهد الكائنات و اظهروا الخضوع امام عظمتها القهارة و مظاهرها الجبارة فقد قال العلامة (بيو) فى كتابه شذرات علمية وادبية (و جدى مادة اله ٥٢٥) بقدر ما اتدبر فى نظام هذا الوجود وسعته و فى جميع عجائبه اعجب من هذا الابداع المدهش و ارانى فى حالة عجز عن تفسيرها و تحليلها و انى لا تجاسر بأن اقول انى جربت ذلك بنفسى فان تلك التفسيرات الناقصة و التعليلات الكاذبة و المبهمة التى يريدان يقنعنا بها بعض الكتاب العصريين بصفة مدركات سامية لا تظهر مجحفة و تافهة الا اذا قورنت بالطبيعة نفسها : و ان الذين تشرفوا بمعرفة بعض جمال الطبيعة و احسوا بها وجدوا انفسهم مرغمين لان يعتبروا الذين يريدون ان يشوهوا هذا الجمال بتدليسهم القبيح كقاراً ملجدين فان كل الكائنات العضوية متمتع بوسائل حياتها الذاتية المتنوعة فى اختلاف اجهزتها مثل تنوع الكواكب الزواهر فى القبة الزرقاء و زيادة على هذا فاننا لانشاهد الا ما يظهر لنا من ذلك فى الخارج و قد حجب عنا ما هو اعجب و اعرب بعيشك قل لى من هذا الذى استطاع ان يفهم الاعمال الكيمائية الخاصة بالاعضاء الحية لهذه الكائنات و التى هى السبب فى حركتها الارادية و غير الارادية - ما ذا

اقول- من هذا الذى استطاع ان يفهم سر طيران الذبابة وسر الاعيب الفراش اذا وصل بنا ادراكنا الى معرفة القابليات الخارجية لهذه التراكيب الجسمانية والى تحديد العلائق المقصودة الموجودة بين الاجزاء التى تتألف هى منها قلنا اذا وصل ادراكنا الى هذا ثم عمينا عن رؤية الحكمة التى امرت بها ونظمتها وعشينا عن تنورها فى صميم هذا المجموع نكون قد ناقضنا ضمائرنا مناقضة تامة : اما انا فاريد على الاقل ان اتعلم من هذا المشهد العظيم بانى جاهل لا ادرى شيئاً - اه - وستأتى تمة لهذا البحث فى الكلام على خلق آدم من هذه الخطبة .

بلا روية أجالها- لان الروية معناها التفكير والتأمل وضرب الصور الذهنية بعضاً ببعض لاجل الاستطلاع على ما هو الاقرب الى الصواب والعالم بحقائق الاشياء بل المحيط بكل امر قابل لان ينيره العلم فى غنى عن ذلك لانه بالنسبة الية تحصيل حاصل : واجالة الشىء هى تقليبه من كافة وجوهه، ولا تجربة استفادها، فان التجارب انما تنفع الجاهلين . ولا حكمة احدها، ليستعين بها على الصنعة فانه فوق الاستعانة لاستغنائه المطلق عن كل شىء سوى ذاته البسيطة الواجدة لكل كمال ، ولا همامة نفس ، مؤنثة الهمام بالفتح يقال لاهمام لى اى لاهم بالشىء نص على ذلك اهل اللغة، اضطرب فيها ، اى لم يهرمه انشاء هذا الخلق العظيم لانه فوق كل ذلك والاضطراب فى الشىء هو الذهاب والاياب فيه لتحصيل النتيجة منه ، احوال الاشياء لاقواتها ، بمعنى انه احوال خلقة كل شىء لوقته الخاص الذى يراه تعالى من المصلحة اوانه تعالى بعد ان خلق الاشياء على طبائع خاصة احوال كل شىء منها لوقته الخاص بنضجه او بانتاجه او بفعله وانكماشه وما الى ذلك من شؤون طبيعة الشىء فى قبالة شىء آخر، ولاء م اى اوجد الائتمام ، بين مختلفاتها ، اى بين مختلفات الاشياء والطبائع فعدا كل منها يعمل عمله الخاص به من دون ان يصطدم بمخالفة ففى نوع الطبائع المتعددة القائمة بتشكيل وجود واحد اختلاف فى التأثير ولكن الكسرو الانكسار الذى يحصل فى افعالها وتأثيراتها هو الذى يجعلها قابلة لاستمرار العمل على ما فيها من اختلاف وهذا هو معنى الملائمة بين المختلفات . وغرز غرائزها ، اى جعل غرائزها نظير مصر الامصار اى جعلها امصاراً والغريزة هى السجية والمنظور انه

جعل فى الاشياء الاستعدادات التى تبعث الغرائز من عالم التقدير والكمون الى عالم الفعلية والظهور ، والزمها ، الضمير يعود للغرائز واما ضمير ، اشباحها ، فيجوز ان يعود الى الغرائز كما يجوز ان يعود الى الاشياء وطبعاً لاتعمل الغريزة خارج الشبح الذى هو آلة لابرار آثارها من انكماش الجبان واندفاع الشجاع وما هو من هذا القبيل اذ الغريزة نفسها كيف نفسانى لا يستقل فى وجوده الا بجوهر يقوم به ، عالماً بها قبل ابتدائها ، لحضور علمه له بكل معلوم وكل ما فى الوجود من شىء فانه معلوم له فى الازل وعن علمه فى الخارج تعين وحصل ، محيطاً بحدودها ، اى باطراف طبائعها من لوازم وذاتيات ، وانتهائها ، اى فنائها وتلاشيها حسب ما تقرر لطبائعها من بقاء وانتهاء ، عارفاً بقرائنها ، جمع قرينة مؤنثة القرين وهو ما يقترن بالشىء ، واحنائها ، جمع حنوو هو ما يضطم على الشىء او يكون له كالسور نظير تسور القلب والكبد والرءتين باحناء الضلوع والمراد بالقرائن والاحناء هنا هو ما اقترن بالاشياء التى خلقها واضطم عليها من غرائز ووسجايها ولوازم وهياكل تحيط بها .

(ومنها فى صفة خلق آدم)

ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها ، وعذبها وسبخها ، تربة سنها بالماء حتى خلصت ، ولاطها بالبلة حتى لزبت ، فجعل منها صورة ذات أحناء ووصول ، واعضاء و فصول ، أجمدها حتى استمسكت ، وأصلدها حتى صلصت ، لوقت معدود ، وادم معلوم ، ثم نفخ فيها من روحه فمثلت انساناً ذأ أذهان يجيلها ، وفكر يتصرف بها ، وجوارح يخدمها ، وادوات يقلبها ، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل ، والاذواق والمشام ، والالوان و الاجناس ، معجوناً بطينته الالوان المختلفة ، والاشباه المؤتلفة ، و الاضداد المتعادية والاخلاط المتباينة ، من الحر والبرد ، والبلة والجمود ، والمساءة والسرور .

(الكلام على كون العالم ووجوده)

قد اسلفنا طرفاً من القول عن لزوم الصانع للمكون بصفات خاصة : ولنتعرض الآن الى نبذة مما يراه الماديون فى بذور وجود العالم واصوله . فقد قال ديموقريط-

وهو فيلسوف يوناني قديم كان عايشاً في القرن الرابع قبل المسيح ويعتبر شيخ الماديين وامام الفلاسفة الحسينيين: بدوران ذرات الاجسام حول نفسها في الفراغ في آماطويلة لاتدخل تحت حسابان تكونت كل هذه الكائنات على اختلاف انواعها واشكالها (دائرة معارف وجدى مادة ألهص ٥٢٣) .

ونحن اذا لاحظنا هذا الكلام وجدناه تكريراً للدعوى بنفسها اذا الدعوى التي نريد تشبيهاً من القوم ان الاجسام وموادها الاولية كيف وجدت ولا يفترق في الدعوى تعبيرنا عن المواد الاولية بانها أجزاء او مواد او ذرات او جواهر فردة وما الى ذلك فان هذا الاختلاف في التعبير لا ينتج للمدعى نتيجة يقتنع هو بها وجدانا او يقنع بها طرفه اذا كان من العقلاء .

ولا يكاد يدرك العقل ان دوران الذرات حول نفسها مما ينتج جسماً ذا خلايا واعضاء واجهزة و كل خلية وعضو وجهاز له فعل خاص له هدف موزون يحس به زوال جس من نفسه وتأتي عنه ثمرات كبار ومحصولات عالية الآثار : واحالة ذلك الى الآماطويلة سفسطة وتعمية على البسطاء : ويأتي في تكلمنا عن الذرة في فصل العلوم والفنون وغيره ما ينفع في المقام .

وقال شبلي شميل (بحكاية انوار الهدى ص ٥٢) ان الماديين وعلماء الطبيعة ذهبوا الى ان العوالم مؤلفة من اجزاء صغيرة لاتقبل القسمة سموها الجواهر الفردة و هي المادة الازلية الابدية التي لاتتلاشى ويستحيل ايجادها بعدالعدم .

وهذا القول اخو القول السابق وتكريره له فلا قيمة له : و دعوى الازلية للموجود مستحيلة التحقق من دون مدرك فان قيل انتم الموحدون تدعون الازلية للمبدأ الاعلا ايضاً فمادركم قلنا نحن انما ندعيها للمبدأ الاعلا من طريق ان الآثار الملجئة الى وجود المؤثر قاضية من طريق العقل ان وجود هذا المؤثر لا يجوز ان يكون مفاداً والاخرج عن كونه مبدأ اعلا و صار واحداً من هذه الآثار التي استفادت وجودها من غيرها واذالم يكن مفاداً لزم بالضرورة ان يكون ذاتياً له و اذا كان وجوده ذاتياً لغير مفاد لزم ذاتيته بالقهر : فان قيل فليكن ما أجبت به جواباً للماديين انفسهم حيث اعتبروا

الجوهر الفرد - رد مبدئاً أعلا لكل المبادئ و الأصول قلنا الجوهر الفرد ليس به ان يقوم بمسئدعات الآثار الشاخصة التي نلمسها فان الجوهر الفرد لا يستطيع ان يعمل الحياة و العلم و الادراك العقلاني و القصد و الاختيار و القدرة الم-وجودة في الانسان الذي هو بعض الآثار الشاخصة كما لا يستطيع ان يعمل الحكمة الدقيقة المنبثة في انواع الحيوان كلها و هكذا البدائع الموجودة في عالم النباتات و هكذا القوى المودعة في اطباق الطبيعة المجيرة للعقول بل هذه المعلومات في حاجة ملجئة الى مبدأ جامع لاسناخ هذه الكمالات بصورة قوية يستطيع ان يكون واهباً لهذه الهبات العظيمة ومعطياً لهذه البضائع الضخمة اذ فاقد الشيء لا يعطيه ولما لم يكن الجوهر الفرد كذلك لم يكن مبدئاً أعلا و اذا لم يكن كذلك كان هو بنفسه من الآثار اذا كان له وجود رهن اذ كل ما سوى المبدأ الأعلا مما تلبس بالوجود فانه معلول له فلم يحصل ما يدعو الى ازيلته بل هناك ما يقضى بعد تحقق وجوده بان وجوده مفاد من غيره فهو حادث لا اذلى كما لا مقتضى لان يكون ابدياً فان صرف وجوده لا يقتضى ذلك من نفسه والقوة التي ابدعته بعد العدم تستطيع ان تعدمه ولو لم نعرف انها كيف تعدمه كما لم نعرف انها كيف اوجدته وجهلنا بكيفية كل ذلك لا يضر بشيء مما اسلفناه اذ الجميع من موحد وملحد معترف بهذا الجهل لاعترافه بمحدودية العقل الانساني في قبال هذه العوالم القهاره: وعن طمسن (انوار الهدى ص ٥٢) ان الجواهر الفردة انما هي حلقات زوبعية في الاثير او الهيولى فالعالم مؤلف من سائل تام الاتصال مالىء للخلا وهذا ايضاً تفنن في التعبير عما قاله ديموقريط فان الحلقات الزوبعية معناها حركة الشيء على نحو الاستدارة والاثير هو الذرات الصغيرة ولم يبين لنا ما هو السائل التام الاتصال ولا كيف وجد فما قاله دعوى مبتورة تحتاج الى ما يثبتها .

وذكر الدكتور شبلى (انوار الهدى ص ٥٢) عن غوستاف لبون ان كل الابحاث النظرية لمعرفة تكون الجواهر الفردة متفقة على التسليم بان الاثير مصدرها وهو وان كان فرضاً مزموماً الا ان القول به يظهر للبعض انه أثبت من القول بالمادة نفسها: وهذا الانسان انصف نفسه و أراح طرفه حيث اعترف بان الاثير فرض مزموم و انما

صور باللفظ ليجعل اساساً لغيره و ما كان اساسه فرضاً من عوماً كان هو فرضاً من عوماً
مثله اذ الفرض الخالي لا ينتج شيئاً .

وعلى وتيرته ذكر بخنر (انوار الهدى ص ٥٠) ان جواهر ديموقريط تصويرية
بمعنى انها افترضت افتراضاً لتسهيل التعليل عن احوال الكون وان جواهرهم اصغر
من جواهره جداً وهى تصويرية ايضاً .

لكن الظريف قوله ان جواهرهم اصغر من جواهره بعد الاعتراف بان الجميع
تصوير فرضى والفرص مهما بلغ لا يفترق صغيره عن كبيره فى كون الجميع لاشيئاً .
هذه نتف من اقوالهم فى اصل و كيفية تكون العوالم وهى باسرها راء ليس
باستطاعتها ان تثبت مطلوبهم : ومن آرائهم فى بعض المخلوقات : ان طمس قال بمجىء
بذور عالم الارض من كرات اخرى محمولة على ظهور النيازك والشهب (نقد دارون ج ١
ص ٢١٦) وهو لعمرى لفظ لا يعرف مامعناه فهل ان هذه البذور التى يشير اليها كبذور
البقول فيقال انها كانت ملقاة على سطوح بعض الكرات فالقى بها الهواء العاصف من
تلك السطوح فصادفت فى هويها شهباً القت بها الى كرة الارض فنبتت على ترابها فكان
كل ما فى الارض مما هب و دب من اثر ذلك : أليس هذا سخرية لا ينبغى ان يتفوه بها
ذو شعور وكم فى ذلك من مؤاخذات لاتجد .

و بمثله قال (اغا سنر) انه يظهر من احافير الدور الاول ان انواع الحيوان
كانها ظهرت كلها فى برهة وجيزة لان تلك الطبقة رقيقة لم يقتض تكونها زمناً طويلاً
(نقد ج ١ ص ٢١٧) .

ومنظوره من رقة تلك الطبقة ان قشرة الارض كانت رقيقة جداً لكن ما ربط
ذلك بظهور انواع الحيوان كلها دفعة واحدة فهل معناه ان انواع الحيوان كلها
كانت مخزونة تحت الارض فشقت قشرتها لرققتها وأطلعت رؤسها منها فهذا أمر لا يفهم
لعراقته فى السقوط : ولا نعرف للفظ الذى ساقه مفهومأ آخر حتى نحمله عليه .

ثم كيف دلته احافير الدور الاول على ذلك الذى يدعيه فان استطاع ان يتوصل
به الحفر حتى يتصل بعهود رقة قشرة الارض فيعثر باجسام حيوانية متحجرة فان ذلك

انما يكشف له جسم حيوان او حيوانات متعددة لانواع الحيوان كلها فان تصوير جمع انواع الحيوان كلها في رقعة ومهما اتسعت من الارض غريب على الذهن بل مستحيل التصور لان انواع الحيوان كلها ومهما فرضنا في عدد جزئياتها قلة فان هذه الانواع بنفسها خارجة عن حدود الاحصاء وفيما بينها من التعادى الطبيعي ما لا ينكر وذلك مما يمنع تجمعها في رقعة واحدة وعلى فرض تصوير هذا فكيف تسنى له تصوير حفر شقة واسعة من اعلا الارض الى تخومها بحيث تسع كشف المكتشف لمتحجرات هذه الكثرات فما ارتآه هذا الانسان راى لم يصدر عن عقل ناضج اصلا : واغنية الاحافير لا تزال ورد افواه هولاء المتحكمين فكم حكموا ان الاحافير اوقفتهم على وسائط توسطت في انتقال نوع الى نوع وان هذه الوسائط برازخ بين النوعين ونحن على تسليمنا لصدق ما يدعونه عن هذه الاحافير نقول لهم من اين علمتم انها وسائط في التحول من نوع الى نوع آخر ولم تكن هي بنفسها نوعاً مستقلاً من الخلقة انشأ ابتداء على هذه الصورة فهل تملكون في الجواب غير الاحتمال المجرد .

وهذا نظير ما يقولون ان بعض الامراض في الآباء يظهر من طريق الوراثة في الابناء ولوفى الحفيد الرابع او الخامس ومن هو ابعد من ذلك فمن اين علموا فحكموا ان مرض الحفيد بالسل مثلاً جاء من طريق الارث عن الجد الذى كان مبتلى به وما الذى يمنع ان يكون مرض الحفيد مرضاً ابتدائياً جاءه من طريق الاسباب التى سببت لجدده هذا المرض الابتدائى اليس كل هذا من التخرصات والاحتمالات المجردة وهكذا يقال فيما يدعونه من ان النبات الكذائى من فصيلة النبات الكذائى الاخر لا اشتراكهما فى بعض الخصوصيات و الصور الشكلية : و من ان الحيوان الكذائى من فصيلة الحيوان الكذائى الاخر للعللة المزبورة فمن اين احرزوا ما ذكروه وكيف لا يصح ان يكون كل نبات و كل حيوان اصلاً برأسه كما هو مستعمل بالفعل وان اشترك مع نبات آخر او حيوان آخر فى جملة من الخصوصيات افليست هذه الاحكام قائمة على تخرصات محضة واحتمالات مجردة .

وهكذا قول (هويت الامريكى) ان انواع النبات ظهرت دفعة واحدة فى العصر

الكر بونى (نقد ج ١ ص ٢١٧) وهكذا قول (ليل) ان تولد الانواع حتى العليا رأساً كان تولداً ذاتياً فى كل الا دوار بطرق غير معروفة من طرق الطبيعة (نقد ج ١ ص ١٠) واذا كان ليل يعترف بان تولدها كان من طرق غير معروفة فكيف قال انها من طرق الطبيعة لاغيرها .

ونحن يكفيننا فى تضليل هؤلاء فضلاً عما اسلفناه ما يورده عليهم ابناء جلدتهم هاذئين بهم (فقى نقد دارون ج ١ ص ٢٢٠ وما بعدها) ان بعض علماء العصور وكتابه قال فى هؤلاء الماديين انهم يوردون من الحقائق ما يؤيد رأيهم بحسب الظاهر ويتغاضون عما ينفيه ويتخذون المفروض كامر مثبت ويفسرون الحقائق على ما يوافق آرائهم: وقال شبلى فى كتاب الحقيقة : و الحق يقال ان مذهب الانتقال و ان كان تغلل به اشياء كثيرة لاتفهم بدونه لكن لاينكر انه ناقص كما بسطه دارون : ومن مضايقة خصوم هؤلاء لهم التجأ بعض منهم الى القول بالتحول الفجائى (نقد ج ١ ص ٢٠٥) وقال (كروبتكن) فى تضعيف دارون ان دارون لم تبق آراؤه على ما كانت عليه بل تساهل فيها عندما اخذ يبحث فى تنوع النباتات و الحيوان بحثاً مسهباً و ارتاب فى كفاية الانتخاب الطبيعى : وقال كروبتكن فى موضع آخر ما هو أدهى من ذلك وهو ان دارون لم يكن يعتقد الانتخاب الطبيعى وانما اراد ان يسد به باب القصد على القائلين به وذلك حيث رأى دارون ان (لامرك) ذهب الى ان فى الاحياء عميلاً الى التقدم من نفسها و ان عند الحيوانات شيئاً من الارادة يساعد ها على الارتقاء فخشى ان يفتح بذلك باباً للقائلين بالقصد فيقفوا فى سبيل العلم (نقد ج ١ ص ٢٠٦) ولما قال طمس ان يبس قشرة الارض لايمكن ان يكون قد تم فى اقل من عشرين مليون سنة ولا اكثر من اربعمائة مليون سنة وانه يقتضى ان يكون بين ثمانية وتسعين مليون سنة و بين مأتى مليون سنة قال دارون فى ملاحظته على هذا الكلام ان الفرق بين هذه الحدود يدلنا كم هي الا دلة الضعيفة (نقد ج ١ ص ٢٠٤ وما بعدها) .

وقد انصف من اعترف بالعجز امام من تورط و اتخذ المباهمة طريقاً للوصول

الى مقاصده ولكنه لم يصل : فقد قال العلامة القرنسى (لوجيل) فى كتابه العلم والفلسفة نحن لانعلم ولا نرى الا الظواهر والقشور اما الحقيقة والعللة فتأبيان ان تمكشفا لنا (وجدى مادة مدد ص ٥٠٦) .

وقال العلامة الانجلىزى - استوارميل - كما نقله عنه الاستاذ جون لبوك : تبدو الينا الحياة الانسانية محاطة بغوامض الاسرار فترى دائرة تجاربنا الضيقة كأنها جزيرة صغيرة ضالة فى بحر لانهاية له يرفع احساساتنا ويساعد قوتنا الخيالية بعظمه و ظلامه ومما يزيد ذلك السرغموضاً ان مجال حياتنا الدنيا ليس كجزيرة فى فضاء غير متمناه فقط بل فى زمان غير متمناه ايضاً - ١ هـ - (وجدى مادة أله ص ٥٢٥ وما بعدها) .

وقال شبلى شميل : ليس فى طاقة الطبيعى ان يعلم الحقائق والماهيات : وقال بخبرانه ليصعب علينا اوستحيل ان نعرف كم يخص كلا من هذه الاسباب ويظن دارون انا غالباً لانعرف النواميس : وفى اصول الانواع لدارون كثيراً ما تستغلق دوننا وجوه الرشد فى اكتناه دستور محكم نستتر شد بهديه فى ظلمات هذه الابحاث (انوار الهدى ص ٢٦) .

وقال (سبنسر) وهو الذى يطريه اهل التعطيل غاية الاطراء ان الوجود على قسمين ما لا يمكن معرفته وما يمكن وخلاصة رأيه فى القسم الاول ان ادراك الانسان محدود فاذا بلغ حده استحال عليه معرفة ما وراء ذلك وان فى الطبيعة قوة يستحيل على العقل البشرى ادراكها ويرد كل المسائل المتعلقة بواجب الوجود وعللة العلل او العلة الاولى والغاية الاخيرة الى الدين او الى ما لا يدرك بالعقل البشرى او الى ما هو وراء الطبيعة لان العقل مقيد فى بحثه بقيود لا يستطيع حلها فلا يستطيع الوصول الى كل الموجودات ولذلك فما يستطيع العقل ادراكه محصور فى العلل الثانوية والغايات الثانوية التى نراها تنتج عنها (نقدج ١ ص ٢٨ وما بعدها) .

هذا واذا كانت الضرورة الجأت الماديين الى ان يفترضوا الاثير والجواهر الفردة ليجعلوها اصلا يبنون عليه المادة وانشعاباتها الوفيرة فقد كان الاخرى بهم ان يفترضوا علة العلل بالسهولة التى يقول بها الموحدون من كونها مبدء حياً متدرأ

عالمًا ازليًا ابدياً مجرداً حكيماً فان فرضهم الاثير والجوهر الفرد لا يصححان لهم ما في هذه الاكوان من موجودات عظمتها باهرة واجهزتها وافرة وانتاجاتها عظيمة : الاثير لا يصحح الحياة ولا الادراك العقلاني الجبار : والجوهر الفرد لا يستطيع ان يعمل الاجهزة القهارة في الانسان والحيوان العاملة لمقاصد حكيمة واغراض عقلائية : فلم يستقم للماديين كل ما حاولوا من طريقه اثبات اصل بغيتهم بالنسبة الى مايقول به الموحدون وطريق الموحدين بالانتقال من الاثر الى المؤثر طريق لا معزز فيه وهو طريق طبيعي خالص بقيمومة العلم عليه .

فالحق ان هذه المعلولات التي فاقت كل وصف وعز ادراكها على اعظم الادراكات تستوجب لنفسها مبدء يستطيع ان يقوم بها فهاذن لا بد وان يكون حياً عالمًا حكيماً مقتدرًا مختارًا ازليًا ابدياً مجرداً لان معلولاته واجدة لسنخ اغلب هذه الاوصاف والباقي من تجرد وازلية وابدية فقد اقتضاه البرهان القاطع وقد اسلفنا كلمتنا عن هذا الموضوع فلانعيد :

وهناك امر يجب الاشعار به لاثبات كون المبدأ الاعلامباشراً للخلقة المخلوقات باسرها فرداً وجزئياً جزئياً وانه مستمر القيمومة عليها باعتبار حدوثها وتجدها في اجزاء الانات القصيرة فضلا عن الاحيان الطويلة وان مايعتبر سبباً في التوالد ليس الا اعداداً محضاً - وذلك هو ان انرى افراد النوع الواحد متفاوتة فيما بينها تفاوتاً عميقاً لاتلتقى معه الا في اصل عام فاذا كان توالدها طبيعياً محضاً لا دخل فيه لتدخل اى امر آخر بحكم ارث الفرع ما في الاصل وجب ان يكون الولد عين ابيه في كافة اشكاله وصوره في حين ان الامر بخلاف ذلك حتى انما ع فرض كمال المشابهة بينهما نرى بين ذاك وهذا من الفروق الجمة ما تلمسه حاسة كل انسان واما ما حصل بكثرة ساحقة من انشمار الولد عن ابيه شكلاً وصوره وسجية وصفة و احتفافات اخلاقية فهو مشهود كل بصير من تولد القصير من الطويل والطويل من القصير والاسود من الابيض والدميم من الوسيم والجبان من الشجاع والبخيل من الكريم والعى من المنطق والبليد من الذكى والعقيم من الولودالى ما سوى ذلك مما لا يحسد ولا يعد بل حتى ان العيان ترقى

بنافا ثبت انك لا تكاد تجدورقتين في عصب واحد من شجرة واحدة متما ثلثتين في الشكول و الخطوط : وهكذا يقال في تخاطيط اصابع الانسان فانك لا تجد اثنتين من الناس متفقين في خطوط اصابعهما : فيعلم بالقطع ان كل واحد من هذه الانشعاعات له خلقته خاصة وقد صنعهمنشؤه صنعة مستقلة وهذا معنى استقلال الخالق بالمباشرة لمخلوقاته وانها باستمرار حدوثها وتجددها وشخصها الى العيان تستلزم استمرار وجوده .

وقد يتبدل بعض الحمقى فيقول ماهذه الصرخات المزعجة حول الخلقة وتهويل امر الكائنات الحية ونحن بطور عادى نرى انخلاق ملايين الحشرات خلقة ابتدائية من غير توالد في الآفات القصيرة من طريق المياه المتعفنة والعذرات والقاذورات وما الى ذلك ولكنه لا يشعر ان ما ابتدله يعود بعد الدقة والتأمل فيه من غريب الغرائب على العقل فان ظاهرة الحياة وما لها من آثار امر وراء ذرات العذرة والقذارة والماء المتعفن وما كان من هذا القبيل نعم هذه المواد تحت شرائطها الخاصة التي حصلت لها صارت مستعدة لطروء الحياة عليها لاستتمامها قابلية الطروء والحياة ظاهرة بسيطة وراء المادة وليست هي في نفسها امراً مادياً بالمرة فكل جزء من اجزاء المادة بانضمامه الى الجزء الاخر ووجدان الجميع للشرائط الخاصة بهياً نفسه لقبول طروء الحياة عليه وهو في حد ذاته لا يملك سوى الاستعداد المحض لقبول ذلك : وليست الحياة في ظاهرتها مما تقبل التبويض حتى يكون كل بعض منها موجوداً في كل جزء على سبيل الاندكاك حتى اذا التئمت الاجزاء تجمعت الابعاض وظهرت الى الوجود المكشوف بل هي كما اسلفنا ظاهرة واحدة غير قابلة للتوزع فاما موجودة واما مفقودة كما انها ليست من وادى الماديات .

غاية ما في الباب ان يسأل الانسان عن الحكمة في هذه المخلوقات واعطائها ظاهرة الحياة و جوابه عجز العقل عن ادراك ذلك وعن ملايين سواه : و بعين هذا الجواب يجاب من يقول ان علماء الطبيعة في صدد تهيأتهم للخلايا الحية من طريق جمعهم لمواد خلقتها فاذا توفقوا لجمع هذه القوابل وطرات عليها الحياة كان ذلك مغنياً عن الاحتياج الى الخالق .

واما حديث النشوء والنماء ، وتنازع البقاء و انتخاب الطبيعة لبقاء الاصلح و ان هذا البرنامج هو الذى احوال القرد الى انسان فهو اضحوكة لعقمة فى كل فقرة من فقراته فكلم تنازع البقاء ضعف وقوة فتلاشى الاقوياء وبقى الضعفاء وكم ساير الشذوذ فى الخلقة والعيوب والهينات والنقص فعل الطبيعة واقترن بها - ولا يزال - فلم تؤثر عليه :ومنذ عهد البشر نفسه رأى فى افراده كاملا وناقصاً قوياً وضعيفاً معيباً وسالمأشادا و تماماً ولم ير الطبيعة بحكم انتخابها للاصلح نزعت عنها هذا العار فابقت المخلوق الصالح ونفت الشاذ المعيب كماله يعهد البشر منذ اقدم عهوده الى اليوم ان قرداً تحول الى انسان او سمكة تحولت الى طير .

او ان الضرورة الملحة خلقت للمناقص ما يرفع به نقصه الشاق عليه : أفيحال بكل هذا الى ما قبل العهد البشرى فقط فيقال ان الطبيعة كانت تفعل هذه الافعال وتلزمها هذه الاحكام حين لادار ولا ديئار سوى الخلاع ودوران ذرات الاثير فيه .

وبعد فهذا الكلام من القوم يعدُّ ثرثرة لاحكمة وجنوناً مطبقاً لا عقلاً ومنطقاً والاكثر من هذا القليل تطويل بلاطائل قامت به سماسة الدجل والتدليس لرموز خاصة اهابت بها لتحصيل سلطان لامسؤولية معه وهو ارسال الافراد الى تيه الضلال والقوا الانفلات على كل قيد وابطال كل ناموس حتى ناموس العقل فان القوم الذين تسلحوا به فى قمع الموحدين جاؤا بعد ذلك ينكرونه بالمرّة ويحسبون الانسان كواحد من هاته الحيوانات التى تسرح وتمرح وتتسافد فى الشوارع والمشارع ويتكالب القوى منها على الضعيف والحاكم على المحكوم والمدلس المثلون على الطاهر البسيط وانه لامعنى للوفاء والحياء والاباء والورع والاحتياط ولا حرمة للعهود والمواثيق ولا مجال للعدل و احقاق الحق وكل هذه الانحرافات التى تشاهدها دنيا البشرية منذ جاءت هذه الفلسفات الى عرصة الوجود وحتى اليوم نتيجة هذا الالحاد الظالم ومنبعث عن هذه الروحيات المنحطة العابثة بكرامة النوع الانسانى .

ولم ير انسان هذه القرون المتمدنة الا اعصاراً فيه نار قد عصفت بكل الدنيا فاحالها الى بر كان نائر قد سمح العيش معه وقلبت الاحترامات فيه وذررت من طريقه اصول

العدالة الاجتماعية وانك لا ترى الشعوب الضعيفة والامم المحكومة والافراد المستضعفين
الا بحالة يرثى لها حقاً ولقد اصبحت الحياة على ضعفاء بنى آدم من اثقل الاحمال
المجهددة فيا قاتل الله دارون وبخنر ومار كس ولنين و كل زعماء عهد الذرة والصاروخ

(ودونك تتمة الفصل السابق في صفة خلق آدم)

واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم فى الاذعان بالسجود
له والخنوع لتكريمته فقال سبحانه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس اعترته الحمية و
غلبت عليه الشقوة و تعزز بخلق النار و استوهن خلق الصلصال فاعطاه الله النظرة
استحقاقاً للسخطة واستتماماً للبلية و انجازاً للمعدة فقال انك من المنظرين الى يوم
الوقت المعلوم .

ليس المنظور بقوله **عَلَيْكُمْ** ، ثم جمع سبحانه ، انه فعل ذلك بنفسه لان مباشرة
العمل الخارجى تنافى بالذات هوية المجردات فأذن امر هذا الجمع يدور بين الابداع
مرة واحدة ولا ينافيه ما ذكر من التفصيل فى عبارة الامام **عليه السلام** فانه تفصيل للمجموع
الصادر مرة واحدة وشرح لما قامت به هذه الهوية و بين امر الأمورين بالتفاصيل الموماً
اليها وقد يكون الهدف من ذلك- مع انه تعالى اذا اراد شيئاً قال له كن فيكون على
حد تعبير القرآن المجيد- تعليم من به القيام بنظير هذه الصنعة من حيث تركيب الاجزاء
المتفككة ولم شعشها وجمع متفرقاتها ان يعمل على طريقة هذا العمل كما يعلم الاستاذ
تلميذه الناشئ ما يخصه من الدروس عملاً حرصاً على تثقيفه ورياضة لذهنه وجوارحه
وكلا الاحتمالين صحيح معقول ، من حزن الارض ، وهو ما صعب منها وغلظ، وسهّلها ،
وهو ما لان منها وسهل ، وعذبها ، وهو ما حلا منها وخلص ، وسبخها ، بالتحريك وهو
ما ملح منها ، تربة سنها بالماء ، اى من كثير ما ضربها بعضاً ببعض نعمت وملت ،
حتى خلصت ، اى اعطت كل زوائدها غير القابلة للذوبان والاختلاط ، ولاطها بالبلة
حتى لزبت ، اى خلطها بالرطوبة وضربها حتى تلاصقت وتجمعت ، فجبل ، اى خلق ،
منها . اى من التربة المزبورة ، صورة ذات احناء ووصول ، اى ذات جوانب وواصل

واعضاء وعين هذا المعنى يقال في قوله ^(القرآن) ، واعضاء وفصول أجمدها حتى استمسكت واصلدها حتى صلصت ، اى ايبسها حتى صارت كالججـارة و من شأن كل وجود صلد أن يدوى بمرور ريح عليه او قرع له ودويه هو معنى صلصته ، لوقت معدود و أمد معلوم. الجار يجوز تعلقه بواحد من قوله اجمدها واصلدها : وانما فصل تعالى بين تمام اجمادها ونفخ الروح فيها لغاية هو يعلمها ، ثم نفخ فيها من روحه ، اى وهبها الحياة والعبارة كناية صرفة عما ذكرناه ، فمثلت ، اى شخصت بعد هبتها الحياة وسائر القوى والجهازات ، انساناً ذا اذهان ، اى قوى دراية فى باطنه ، يجليها . اى يقلبها . و فكر ، جمع فكر ، يتصرف بها ، لمصالحه ومضاره ، وجوارح يستخدمها ، الجوارح جمع الجارحة وهى الاعضاء و اختدمه و استخدمه بمعنى واحد ، وادوات وهى بمعنى الجهازات و الاعضاء ايضاً ، يقلبها ، فى شؤنه واغراضه . ومعرفة . اعم من ان تكون ناشئة من العقل ام من المدارك الاخر ، يفرق ، ويميز بها ، بين الحق والباطل . مما يرجع لعالم المعقولات ، والاذواق والمشام و الالوان والاجناس ، مما يرجع لعالم الحواس الظاهرية ، معجوناً بطينته ، اى مبنوئاً فيها بشئ ، الالوان المختلفة والاشباه المؤتلفة والاضداد المتعادية والاخلاط ، جمع خلط ، المتباينة ، والمنظور بذلك الاعدادات والغرائز والطبائع ، من الحرو البرد والبلبة والجمود ، اى اليبوسة ، والمسائفة والسرور ، الحسين والعقلين واستأدى الله سبحانه ، اى بعدان تمت خلقه آدم من جميع ما يريد الله له ومعنى استأدى طلب التادية ، الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم ، حيث قال تعالى لهم (الاية ٧١ و ٧٢ من سورة ص) انى خالق بشر آمن طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ، فى الاذعان بالسجود له ، اى لادم امثلالا امر الله حيث زوى بذلك مقصداً لم يظهره لهم وان فهموا منه انه لتعظيم هذا المخلوق ، والخنوع ، وهو الخضوع ، لتكرمه فقال سبحانه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس اعترته الحمية ، اى الغيرة لنفسه ومنشؤها نوعاً هو الحسد والتعاضم بالنفس ، وغلبت عليه الشقوة ، وهى الشقاء الناشء من التمرد على الوظيفة ، وتعزز بخلق النار ، اى انه مخلوق من نار وفيما حسب لنفسه ان النار

خير من الطين فأمره بالسجود لمن هو بزعمه دونه اذلال له وتخفيض لمقامه على ان زعمه لو تم لكان من وظيفته الامتثال لامر مولاه على كل حال ، واستوهن ، اى استضعف ، خلق الصلصال ، وهو ما خلق من الطين والله سبحانه امهالا واستدراجاله لم يعاقبه في حينه ، فأعطاه النظرة ، بفتح النون و كسر الظاء المشالة وهى التأجيل والتأخير ، استحقاقاً للسخطه ، مؤنثة السخط وهو الغضب اى انما فعل الله ذلك ليستحق ابليس سخطه من طريق اصراره واستمراره على المعصية ، و استتماماً للبليية ، وهى الامتحان والاختبار . وانجازاً للعدة ، وهى الانظار الذى هو عبارة عن امهال المكلف واستدراجه ، فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم الحساب الذى انذر الله به المكلفين من ملائكة وانس وجن :

وتفصيل هذه البحوث يقع فى فصول - الفصل الاول - ما ذكره عليه السلام فى خلقه

آدم وارد فى القرآن على صور شتى متحدة المآل من السور المومأ اليها تالياً .

ففى سورة البقرة من آية ٣٠ الى آخر آية ٣٧

وفى سورة الاعراف من آية ١٠ الى آخر آية ٢٣

وفى سورة الحجر من آية ٢٦ الى آخر آية ٤١

وفى سورة بنى اسرائيل من آية ٦١ الى آخر آية ٦٦

وفى سورة الكهف من آية ٥١ الى آخر آية ٥٣

وفى سورة طه من آية ١١٥ الى آخر آية ١٢٤

وفى سورة ص من آية ٧١ الى آخر آية ٨٥

(الفصل الثانى) فى خلاصة ما جاء فى هذه الايات بحسب ظواهرها : ففى آيات

سورة الاعراف المومأ اليها ، ولقد خلقناكم ، خطاب لعوموم بنى آدم وخلقتمهم وان لم تكن

فى عرض واحد ، الا انها لما كانت متفرعة عن خلقه آدم وكان آدم هو رأس السلسلة

و كانت حلقات السلسلة فى الظواهر العامة واحدة صح خطاب الجميع بكلمة خلقناكم

والمراد بهذه اللفظة هنا خلقه اصل مادة الانسان ، ثم صورناكم ، اى صورنا موادكم

بالصور الفعلية التى انتم عليها ، ثم قلنا للملائكة ، وهم نوع من المخلوقات العاقلة ،

اسجدوا لادم ، ليس فى القرآن ما يعطى جهة هذا السجود على الحقيقة وانه لآدم والله غاية ان الظواهر المستجلاة تعطى كون السجود لادم من باب التكرم له ، فسجدوا ، امثال الامر المولى ، الابليس لم يكن من الساجدين . تعنتا وتمرداً ، قال ، له الله حينذاك ، ما منعك الا تسجد اذا امرتك قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين . لم يعلم ابليس انه مخلوق من نار من طريق خلقته الفعلية التى كان عليها اذ استحيل ان تكون حينذاك ناراً بحقيقة النار المعهودة بل علم ذلك من اخبار الله اياه بان اصل المادة التى تقومت منها حقيقة كانت من الاجسام النارية المتهافة كما اخبر بنى آدم ان خلقتهم كانت من تراب ، وفى القرآن ما يعطى ان خلقة الجن كانت من النار وان ابليس كان منهم وسيأتى بعض الحديث عن ذلك والذى اغرى ابليس بهذه المفارقة بين النار و الطين ما يراه من كون النار لها فعل و اثر قوى ومن كون الطين جسماً هامداً يتأثر بالنار وغير النار : قال فاهبط منها ، الهبوط حقيقة فى النزول من عال الى سافل ولو كان التنزل نسبياً حتى لو كان من مكان الى مكان آخر غير محسوس الانخفاض وقد يستعمل فى التنزل المعنوى و ضمير منها بقرينة الايات الاخر الواردة فى قصة آدم يشعر بان أمره بالهبوط كان بلحاظ الناحيتين الحسية والمعنوية وان الناحية الحسية هى الجنة ويأتى الكلام عليها فى مكان آخر ، فما يكون لك ان تتكبر فيها ، على مولاك الذى خلقك ، فاخرج ، عن ساحة عز الحضور ، انك من الصاغرين ، الاذلاء بعدها ، قال انظرنى ، اى اخرنى من الانظار فى الاجل ، الى يوم يبعثون ، اى يبعث المكلفون من مراقدهم لحساب يوم القيامة ، قال انك من المنظرين ، اى من الذين أنسأنا أعمارهم واخرنا الفناء عليهم ، قال فيما اغويتنى ، اغواء الله اياه بنظره حصل من طريق انه طلب من الله الامهال الطويل فأجابه اليه ولحن طلب الامهال منه كان مشعراً بالتهديد فهذا وذاك بزعمه مما أغراه بجهله والاعراء بالجهل اغواء قطعاً لكن امهال العاقل ليس اغراء له بل هو فى الحقيقة مجال سباق يستطيع من طريقه ان يأتى من احسن المهذبين : اما امهال الجاهل ففيه من البلاء على نفسه وعلى غيره ما لا يعلمه الا الله ، لا تعدن لهم صراطك المستقيم ، اى لا تعرضن لهم سبل الخير وارجف بهم ما استطعت ولا ريب ان الانحراف نوعاً

مسبب عن الارجيف ، ثم لا تينهم من بين ايديهم و من خلفهم و عن ايمانهم و عن شمائلهم ، اى ائتى اليهم من كافة جهاتهم فأوسوس لهم من اى منقذ استطعت النقوذ منه اليهم ، و ، حينذاك ، لاتجد اكثرهم شاكرين ، لانعمك السابغة بل اجعلهم بما ارجف به مشككين حتى فى الحقائق الواضحة ولازم تأثرهم بذلك هو كفران النعمة قطعاً ، قال اخرج منها ، اى من الجنة السالفة الذكر ، مذؤماً . المذؤم جاء بمعنى المذموم والمعيب واللعين والمهان وهى متقاربة المعانى ، مدحوراً . اى مطروداً ، لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم . اى منك انت ومن تبعك ، اجمعين ، فان المنحرف بالارجوفة تلقى عليه يستحق التنكيل والتعزير لمكان عقله منه ، ويا آدم . هذا التفات تحذير وتنبية لادم من اغواء هذا العدو الجديد الذى اقترن باول حياته وسيبقى مقترناً به وباولاده الى آخر حياة الجميع ، اسكن انت و زوجك ، حواء ، الجنة فكلا من حيث شئتما ، لكن الاختبار وضع قدمه هنا لينكشف للطرفين من آدم وابليس موقفهما امام المعبود اما ابليس فمن طريق ما هدد به و اما آدم فمن طريق ما حذر منه ، ولاتقربا هذه الشجرة ، وستأتى الاشارة الى ما ورد فى شأنها ، فتكونا من الظالمين لانفسكم بالمخالفة لربكم و ما يتصل بكم من نتائج هذه المخالفة ، فوسوس لهما الشيطان ، طبق ما اسلفه من التهديد ، لىبدى لهما ما وورى عنهما من سوء آتئهما ، السوأة هى العورة و نحن لا نتميز من هذه الاية كيفية ارتباط ظهور عورتهم لهما باكلهما من الشجرة التى نهبنا عن الاكل منها ويأتى ما يفيد فى المقام ، وقال ، فى وسوسته لهما ، مانها كما ربكا عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين ، كانهما كانا يجدان فى انفسهما انهما دون الملائكة قدراً ، اوتكونا من الخالدين ، فى الحياة ، وقاسمهما ، اى اقسام لهما لئلا كدمن نفوذ قوله فى نفسيهما ، انى لكما لمن الناصحين ، فيما اشرت به فدلاهما ، اى اوقعهما فى المكروه ، بغرور ، منه لهما واغترار منهما به فلما ذاقا الشجرة ، المنهى عنها ، بدت لهما سوء آتئهما وطقفا ، اى شرعا ، يخصفان ، الخصف هو وصل الشئ بالشئ او هو الترفيع ، عليهما من ورق الجنة ، كانا قبل ان يطعما من الشجرة عاريين لكنهما لم يستقدرا ذلك من انفسهما فلما ان طعما منها وتميزا ظهور سوء آتئهما لهما ووجدا فى نفسيهما قدراً من ذلك اسرعا فى

التفتيش عما يواري عورتها فلم يجدا غير ورق الشجر فأخذا يقطعانه ويصلانه ورقة بورقة ويضعان ذلك على عورتها رجاء سترهما به او انهما كانا كاسيين فانتهك سترهما عندما اكلامن الشجرة . و ناداهما ، عند ذلك ، ربهما الم انهما عن تلكما الشجرة واقبل لكما ان الشيطان لكما عدوميين ، قد رصد بعداوته عندما امرته بالسجود فأبى متعظماً ، قال ، عندما عرفنا خطيئتهما وان ابليس لم يرد بهما في نصيحته الا الاغواء والاضلال ، ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، قد ساقهما الى هذا الكلام المعقول عقلهما حين التفتا اليه التفات محتاج مقهور ولا ريب ان البعيد عن رحمة مولاه خاسر اشد الخسران ، قال ، بعد التوبة عنهما ، اهبطوا ، من هذه الساحة العزيزة التي لم تعرف اقدر الراحة والعزة فيها ، بعضكم لبعض عدو ، بسوء اختياره لعداوة صاحبه ، ولكم في الارض ، التي تهبطون اليها ، مستقر وممتع ، ولكن الى حين ، موقت ومن قوله تعالى ولكم في الارض مستقر يظهر انهما كانا في مكان آخر وسيأتى بعض الكلام على ذلك .

وجاء في آيات سورة الحجر : ولقد خلقنا الانسان من صلصال ، هو الطين اليابس الذي تسمع له عند النقر صلصلة ، من حمأ ، هو الطين الاسود المتغير ، مسنون ، هو الطين الرطب المهياً للخلق والتركيب ، والجان خلقناه من قبل ، اى قبل خلقه آدم فكان له وجود منتشر ، من ناز السموم . اى ان وادته الاولى كانت من ذلك : و جاء في آيات سورة بنى اسرائيل ، قال ارايتك هذا الذى كرمت على ، حيث امرتني بالسجود له ضمن من أمرت ، لئن اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ، اى استولى على ، ذريته ، بالاغواء و الاغراء ، الا قليلا ، ممن يلتفت الى نفسه فلا يقع فى شرك المصانعة :

وجاء فى آيات سورة الكهف ، و اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن . فى هذه الاية تصريح بان ابليس جنى وان شمله الامر مع الملائكة بالسجود لادم ، ففسق ، اى تعدى ، عن امر ربه .

وجاء فى آيات سورة طه ، ولقد عهدنا الى آدم من قبل ، حيث حذرناه مما

يوجب شقاه ، ففسى ولم نجد له عزماً ، ثابتاً ومن هنا يفهم ان مخالفة آدم في الاكل من الشجرة لم تكن عن استحضار لنهى الله حتى توجب له العصيان وان اطلاق العصيان عليه باعتبار اهماله العهد الذى كان من لازمه ان يرعاه بالتذكير دائماً ، واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدوك و لزوجك فلا يخر جنكما من الجنة فتشقى ، فى الحياة ، ان لك ، علينا فى الجنة ، الاتجوع فيها ولا تعرى . ومن هنا يظهر ان آدم فى الجنة كان من اهل اللباس ولم يكن عرياناً الا ان يقال ان ضمان الله تعالى باللباس له مشروط باستمراره الحياة فيها وانه كان قبل ان ياكل من الشجرة عارياً لداع آخر ، وانك لا تنظمها فيها ولا تصحى ، اى لا تعطش ولا تعيش فى حرارة الشمس بل فى ظل كريم ، فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد ، وهو البقاء الى لانهاية ، وملك لا يبلى ، اى مقرونأ خلودك بالسيادة والرئاسة وهو اغواء من موجود متصرف الذهن قوى المعارضة لموجود غير بسيط لم يتعرف بشؤون الحياة بعد و كذلك كان ابليس و كان آدم .

وجاء فى آيات سورة ص ، فاذا سويته ، اى صنعته وصيرته سوياً لانقص فيه ونفخت فيه من روحى ، كناية عن اعطاه الحياة ، فقعدوا له ، الى الارض ، ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر ، اى اظهر التكبر على امر الله ، وكان من الكافرين ، لاستكباره و كل مكلف اذا استكبر على الوظيفة المولوية فهو مستحل كافر ، فان الفاسق هو من لا يقوم بالوظيفة ولكن لا يتكبر عليها بحيث يرى نفسه فوق ذلك ، قال يا ابليس مامنك ان تسجد لما خلقت بيدي ، و المراد بهذه الكلمة شدة الاعتناء بهذه الخلقة ، استكبرت على مولاك ، ام كنت من العالين ، فيما ترى لنفسك على هذه الخلقة التى خلقت.

وجاء فى آيات سورة البقرة ، واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ، انما قال الله ذلك ليكشف لهم ما ينظرون عليه ومعنى الجعل هنا هو الخلق اى انى منشأ جيلا جديداً يخلف من مضى فى الحياة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ، انما حكموا بذلك و هم لم يروا هذا الخلق الجديد لانهم وجدوا من

عاصروه قد انتهى به الامر الى الافساد وسفك الدماء فاستبعدوا ان يجيء الخلف على غير روية السلف ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، اى والرجال انا نحن الملائكة ننزهك ونظرك ونخضع لك بالعبودية ، قال انى اعلم ، من حقائق الغيب ، مالا تعلمون ، وبعد ان خلق آدم وصوره ونفخ فيه من روحه فصار بشراً سوياً من حيث الخلقة عمد الى تثقيفه فقال ، وعلم آدم الاسماء كلها ، اى اسماء المسميات من ارض وسماء وخبز و ماء وما الى ذلك مما لا يحصى كثرة وانما فعل ذلك به ليهيأ له وسيلة حياته فان الحياة من دون ذلك تثقل على صاحبها ولان يبين للملائكة ايضا ان الذى يريد ان يجعله خليفة واجد للكمال من ناحية ربه الذى أعده للحياة فضلى ، ثم عرض مسميات تلك الاسماء التى علمها آدم ، على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، فى تفضيل انفسكم على من استخلفته ، قالوا ، مع كمال اظهار الأدب ، سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ، تعلم مالا يعلم غيرك و كل ما تفعله عن حكمة و مصلحة ، قال يا آدم انبئهم باسمائهم ، ليعرفوا مقامك ، فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات و الارض و اعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون ، انما قال لهم ذلك اظهاراً لمقام عظمتهم الذى لا يجهلونه ولكن جلباً لاستحضار ذهنياتهم بالنسبة الى مقام ربهم المعبود لهم .

(الفصل الثالث) فى ما جاء من التاريخ والحديث بمناسبة هذه القصة فمن ذلك

ما ذكره الطبرى فى تاريخه (ج ١ ص ٤٤ وما بعدها) محدثاً ومؤرخاً فقال : ان ابليس كان من بقايا الجن الذين كانوا فى الارض فسفكوا فيها الدماء وفسدوا فيها وعصوا ربهم فقاتلتهم الملائكة فصار ابليس مع الملائكة يتعبد معهم فلما امروا ان يسجدوا لادم ابى ابليس وان الملائكة انما قالوا لله سبحانه اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لما كانوا عهدوا من امر الجن الذين كانوا سكان الارض قبل ذلك وان الله تعالى امر بتربة آدم فرفعت فخلق آدم من طين لازب : وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث الله ابليس فأخذ من اديم الارض من عذبتها وملحها فخلق منه آدم ومن ثم سمي بذلك لانه خلق من اديم الارض .

وروى عن النبي ﷺ انه قال خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والاسود والابيض و بين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب ثم بليت طينته حتى صارت طيناً لازباً ثم تركزت حتى صارت حمماً مسنوناً ثم تركزت حتى صارت صلصالاً : قيل فمكث اربعين ليلة جسداً ملقى وقيل اربعين سنة حتى عاد صلصالاً كالصخر فلما اراد الله ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح من ناحية رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله :

ثم علم الله آدم الاسماء كلها اى اسم كل شىء من الخيل والابل والبغال والجن والوحش ولما أمر آدم بأبناء الملائكة باسماء هذه المسميات جعل يسمى كل شىء باسمه وعرضت عليه امة امة ولما ظهر للملائكة استكبار ابليس وخلافه لاسر ربه واقامته على غيره وطغيانه لعنه الله فأخرجه من الجنة واسكن تعالى آدم الجنة فكان يمشى فيها وحشاً ليس له زوج يسكن اليه فنام نومة فاستيقظ فاذا عند رأسه امرءة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها ما انت قالت امرءة قال ولم خلقت قالت لتسكن الى زوجها الله منه وجعلها سكناله وقال لهما يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلامها رغداً ولا تقر باهذه الشجرة فتكونا من الظالمين .

وجاء الشيطان فدخل فى جوف الحية فكلم حواء ووسوس الى آدم وحكم عليهما بالهبوط من الجنة فاهبط آدم بالهند وحواء بجدة فجاء فى طلبها حتى اجتمعا فازدلفت اليه حواء فلذلك سميت المزدلفة وتعارفا بعرفات فلذلك سميت عرفات واجتمعا بجمع فلذلك سميت جمعاً .

وعن ابن عباس فى قوله تعالى واذا اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ان الله لما خلق آدم مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال الست بربكم قالوا بلى قال فنودى يومئذ جف القلم بما هو كائن : ا ه : ملخصاً مجوداً وسيجىء فى بحث العلوم والفنون من هذا الكتاب ما ينفع فى المقام .

وجاء فى تفاسير الشيعة انما سمى الله تعالى آدم خليفة لانه جعل آدم وذريته

خلفاء للملائكة لان الملائكة كانوا من سكان الارض وقيل كان في الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فاهلكوا فجعل آدم وذريته بدلهم وعلى هذه السابقة قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها :

والمنظور بقوله تعالى علم آدم الاسماء كلها على ما قاله الاكثر انه سبحانه علمه جميع الاسماء والصناعات وعماراة الارض وصنع الاطعمة والادوية واستخراج المعادن وغرس الاشجار وجميع ما يتعلق بعمارة الدين والدنيا وقيل في كيفية تعليمه الاسماء انه اودع قلبه معرفة الاسماء وفتح لسانه بها فكان يتكلم بتلك الاسماء كلها كما قيل في كيفية العرض على الملائكة انه تعالى خلق معاني الاسماء التي علمها آدم حتى شاهدوها وقيل بل صور ذلك في قلوبهم حتى صارت كالمشاهدة لهم بابصارهم . وقيل ان الظاهر من الامر بالسجود لادم كان لجميع الملائكة حتى لجبرئيل و ميكايل لقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون وقيل كان خاصاً بطائفة من الملائكة كانوا مع ابليس حين طهر الله بهم الارض من الجن : وروى عن الائمة (ع) ان سجدوهم لادم كان على وجه التكرمة والتعظيم لشأنه ومن هنا استعظم ابليس ذلك : واختلف فيه هل انه كان من الملائكة كما قال به جماعة منهم الشيخ الطوسي وقال هو المروى عن الصادق عليه السلام اوانه كان من الجن كما عليه المفيد (ره) وغيره قال المفيد وقد جاءت الاخبار بذلك متواترة عن ائمة الهدى وهو مذهب الامامية واستدلوا على ما ذهبوا بقوله تعالى الا ابليس كان من الجن وهو جنس معروف لاخفاء فيه وبأن ابليس له نسل وذرية لقوله تعالى أفنتخذونه وذريته اولياء والملائكة روحانيون لايتناسلون وبقوله تعالى في حق الملائكة لايعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فلو كان ابليس منهم لكان على وصفهم واستثناؤه منهم لايدل على كونه من جملتهم بل لانه كان مأموراً بالسجود معهم فلما دخل في الامر جاز استثناؤه من بين المأمورين بالسجود لادم .

واختلف في الجنة التي اسكن فيها آدم فقيل هي جنة من جنات السماء غير جنة الخلد لان هذه كلها دائمة ولا تكليف فيها وقيل هي جنة من جنات الارض وقوله

تعالى اهبطوا منها لا يقتضى كونها فى السماء مثل قوله اهبطوا مصراً و قيل انها جنة الخلد لان الالف و اللام فيها تشعر بالعهد الذهنى : و يجىء فى بحث المعاد ما يوضح ذلك :

واختلف فى الشجرة المنهى عنها فقيل هى السنبله وقيل هى الكرمه وقيل هى التينة وقيل شجرة الكافور : واختلف فى كيفية وصول ابليس مع انه خارج الجنة قد أبعد عنها الى آدم وحواء وهما فيها حتى وسوس اليهما فقيل ان آدم كان يخرج الى باب الجنة و ابليس لم يكن ممنوعاً من الدنومنه فكان يكلمه و قيل انه تلبس فى الحية فكلمه من فيها و قيل غير ذلك : و اختلف فى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فقيل هى قوله ربنا ظلمنا انفسنا و قيل هى اسماء الخمسة اهل الكساء و قيل غير ذلك :

و قيل فى معنى بدت لهم اسواتهما انهما لما اكلا منها تهافت عنهما لبا سهما فأبصر كل واحد منهما سواة صاحبه فاستحى ، وطققا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى اخذا يجعلان ورقة على ورقة ليستر اسواتهما حتى صار كهيئة الثوب وقيل فى الورق انه ورق التين .

(الفصل الرابع) ان ماجاء فى بعض الاثار تقريراً على جمع تربة آدم من الحزن والسهل والعذب والسبخ وما الى ذلك من قولهم فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود والخبيث والطيب لابدوان يراد منه استعداد هذه البنى لان تجيء على الوان شتى وروحيات متعددة لأن الشقاء والسعادة من ذاتيات هذه الخلقة وهكذا لونية اللون للاعتبار القاطع بان الشقاء والسعادة تابعان لمحيط التربية والمعاشرة وناشئان ايضاً عن تأثر الروح بمجارى الفكر واما اللونية فهى تقريباً ناشئة من طبيعة المحيط ولا مجال هنا لاستقصاء ذلك .

(ما الداعي الى لزوم العصمة فى الانبياء)

و جوب العصمة معناه لطف الله بعبده بحيث يقربه الى الطاعة بما يعلم معها نه

لا يقدم على المعصية من غير ان يكون في البين الجاء والعصمة من غير وجوب حصلت
لجملة من بنى آدم على التحقيق اولئك الذين جاهدوا أنفسهم وتغلبوا عليها حتى
طاوعتهم الى كل ما يريدون منها : وأما وجوب العصمة فانما يلزم به الدليل لامناء الله
ورسله القائمين بالوساطة الشرعية بينه تعالى وبين عباده لاجل حصول اليقين للنفوس
بان ما يخبرون به حتمى الصدور عن المبدأ وأن افعالهم و تروكهم من الحجج
الشرعية لوجوب التأسي بهم فكل بعث من الله وقائم بايضاح ما استغلق من شرائعه و
توضيح ما أبهم لدواعى خاصة فى حينه يجب ان يكون معصوماً اذ وجوب العصمة من
اللوازم غير المنفكة عن الملاك الذى اشعرنا به ووقوع الخلاف فى ذلك بين متكلمي
المسلمين ناشىء عن عدم التدبر اللازم فى الموضوع المتحدث عنه ولذلك نرى من
التطويل بلا طائل ذكر اقوال النفاة والمثبتين وما لكل طرف من حجة ودليل : و
اهم ما دعاهم الى التفرق فى وجوب العصمة وعدم وجوبها ما يلاحظونه بدواً من
نسبة الذنب الى الانبياء فى بعض ظواهر الكتاب العزيز و ما أثر عن الشرائع السابقة
واللاحقة : اما المأثور عن الشرائع فكله تزوير وتدليس من رواة السوء لاجل الاطاحة
بمقامات اكابر الدين و الغاية تضعيف الدين نفسه لدواعى رمزية لا مجال للتعرض
لها هنا : واما ما يلوح من بعض ظواهر القرآن مثل (وعصى آدم ربه فغوى) فباعتبار انه
يصادم المنطق كما يصادم ما نجده فى ظواهر اخرى من القرآن نفسه مثل ما اسلفنا
ذكره من الاية (٢٠) وما بعدها من سورة البقرة : واذ قال ربك للملائكة انى جاعل
فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون : وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة
فقال انبؤنى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت
العليم الحكيم : قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال لهم انى
اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبديرون وما كنتم تكتمون : واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين : فلا بد من صرفه عما يلوح
منه الى مساواه فان ظواهر هذه الايات تصح بجلاء ان آدم له خصوصية ومقام عند الله

ومثل هذا لا يصح فيه ان يكون من العصاة للثنا في المنزلتين قطعاً فلا بد وان يكون المراد من معصية آدم ارتكابه لما لا يسقطه عن مقامه المومناً اليه وقد ثبت في العرف والشرع ان ارتكاب جملة من المباحات بالنسبة الى بعض الاشخاص يعد ذنباً ويلام عليه صاحبه ويقال له انك فعلت ما لا يليق بمقامك وعلى هذا المعنى جملة علماء الامامية والملاكات العلمية والمذاهب العرفية تساعدهم عليه بلا تمحل وهو الحق : وما اسلفناه مقدمة لقوله ﷺ :

ثم اسكن سبحانه آدم داراً ارغد فيها معيشته وآمن فيها محلته وحذره ابليس وعداوته فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار اليقين بشكبه والعزيمة بوهنه واستبدل بالجدل وجلالوا بالاغترار ندماً ثم بسط الله سبحانه له في توبته ولقاه كلمة رحمته ووعده المرد الى جنته واهبطه الى دار البلية وتنازل الذرية .

ثم اسكن سبحانه آدم ، اى بعد ما خلقه وعلمه واكرمه اسكنه داراً ، اى مكاناً موصوفاً بالامن والهناء والرغد وهل المنظور بذلك هو الجنة التي يؤل اليها امر الناس بعد تلاشى هذه الحياة او المنظور ما اسلفناه من المكان الامن الرغد وهو من ناحية الملاك لا يختلف في جوهره عن الجنة الموعود بها فان المراد بالجنة حيثما اطلقت هو النعيم الخالي عن شوائب الالم غايته ان ما وصفه الله للجنة الموعودة هو اعلا ما يمكن تهيأته لمستحق النعيم من لدنه تعالى ، ارغد فيها معيشته ، الرغد هو سعة المعاش وترفه ، وآمن فيها محلته وحذره ابليس وعداوته ، لان العدو بطبيعة حاله يسعى لاضرار عدوه ما تمكن . فاغتره عدوه ، اى اوقعه في الغرور ، نفاسة عليه ، اى حسدآله ، بدار المقام ، التي اسكنه الله اياها ، ومرافقة الابرار ، من الملائكة الذين جاورهم فباع اليقين بشكبه ، اى باع يقينه في ان ما نهاه الله عنه انما كان لمصلحته وانذار آمن غوائل عدوه وانما تزلزل يقينه منزلاً الى درجة الشك لغواية ابليس اياه بانه يكون ملكاً ممجداً او يقترن بالبقاء مؤبداً او ان ما نهى عنه لم يكن نهى تحريم حتى يسقط بارتكابه وانما هو نهى تنزيه وارشاد ونظير ذلك من المهنونات التي صرح القرآن ببعضها والعزيمة ، وهي الثبات والاستقامة ، بوهنه ، اى بضعف نفسه وانخذالها ، واستبدل

بالجدل ، وهو الفرح والنشاط ، و'جلا' حيث اخرج من دار المقام والا رتياح ، و
بالاعتزاز ند ما ثم بسط الله سبحانه له في توبته . لانه تعالى يقبل التوب من عباده ، ولقاه
اي اعطاء ، كلمة رحمته . لان الله لطيف بمن يستمد منه اذا علم منه خلوص النية كما
قال في شأن اهل الكهف انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، ووعده المرد الى جنته
التي وعد بها المتقون بعد يوم القيامة ، واهبطه . هو نظير قوله اهبطوا مصراً او انه
كان في السماء فاهبط الى الارض ، الى دار البلية ، اي دار الاختبار و الابتلاء ،
وتناسل الذرية ، اي التوالد والتناسل .

(لزوم بعثة لرسول لاصلاح الجوامع)

بطبيعة الحال نرى الانسان مخلوقاً بين عاملين قويين احدهما شهوته وميوله
وثانيهما عقله وفكرته و كل منهما في ميدانه له عمل جبار الا ان الشهوة لما كانت
من غرائز الجسم لصيقة بالنفس محط النظر ومد البصر كان محيطها الذي تعمل فيه
واسعاً للغاية و خطراً جداً : و قد يلتهى الانسان عن عقله وينشمر عن لبه طوال عمره
او اكثره فلا يكاد يعد او يحشر في زمرة العقلاء : وما اقل في ادوار بني آدم من
التفت الى عقله وتقرب من لبه واستنصح هداه وقاوم ميوله واهوائه .

والانسان اذا ركن الى شهوته واستغل ميوله لاتراه الا وحشاً ضارياً وفاتكاً
بعيد الرحمة وفي تناول القسوة يشب الحروب لاول فتنة ويغتصب النواميس لاقبل
شهوة ويريق الدماء المحترمة لادنى بادرة فمسير هذا المخلوق بروحيته هذه مسير مكتشف
بالاخطار محتف بالافات فلا بد من القيام عليه والتحديد لحر كاته .

وليس التحديد كله لحكومة السيف فان السيف اذا جمع لنفسه بين القوى
التقنية والقضائية والاجراء كان افسد آلة استعملت في نظام الحياة وما هتك الاجتماع
البشرى قديماً وحديثاً الا اعماله بهذه الصورة : سل عن ذلك حروب الجاهلية
الرعاء وغارات المغول والوقائع الصليبية والحربين العالميتين الاولى والثانية بل و
كل حكومة استبدادية قامت على وجه الارض منذ اول خلقه هذا المخلوق العنيف الى

يوم البشرية هذا :

بل التحديد اولا وبالذات للعقل الوزين و المنطق الرزين فالعقل هو الذى يشخص الجريمة من غيرها وهو الذى يُبزن مقدار ما تستحق من عقوبة وهو الذى يقضى بين المتخاصمين وبالاخرة هو الذى يستطيع لم الجوامع وتقنين ما يضبطها ويحفظ لها أمنها واستقرارها وجريان امورها وتعديل جنبات معيشتها و بسواه لا يكون شىء من ذلك : والسيف فى كل هذه المراحل مأمور اجراء فقط ليس به ان يشهر او يغمد الامن طريق حكم القانون عليه .

هذا وان العقول لاتستطيع الحا كمية على الناس اذا لم يكن لها كانون يجمعها ويطلع بها من الخمود والسكون الى عالم الفعل والظهور فلا بد لدنيا البشرية على طول الخط من مثاليين كبارهمهم وورد ألسنتهم تنبيه العقول وتوجيه القلوب و التبشير و الانذار والوعظ والارشاد والتحذير عن نتائج الانحراف وبيان وجوه المصالح والمفاسد والمساوى والمحاسن حتى يكون الفرد الانسانى دائماً من طريق هذه التوجيهات على ذكر مما يصلحه ويفسده وبما ان المبدأ الاعلا أعلم من حاز على علم وادرى بالحق من كل من عرف الحق واتصل به كان اسناد موضوعية التوجيه اليه محتملاً لاجل ان يكون الموجه من جنس الناس للزوم اتصاله بهم وانحشاره معهم وجب ان يكون الرسول انساناً بشراىط خاصة اهمها العصمة وقد آنفنا الحديث عنها، وجامع بقية شرائطه ان يكون دياناً كبيراً ومقدساً معروفا ومثالياً تعنوله النفوس وتخضع له القلوب لطهارته وايمانه وورعه وتقواه وحبه للخير المطلق وبغضه لمطلق الشر وان لاتكون فيه موجبات النفرة العرفية لافى نسبه او حسبه ولا فى خلقته واخلاقه ومزاياه . ومتى كان على رأس الجوامع انسان بهذا الملاك كان له تأثيره المهم فى رفع مستوى المعرفة ودك الرذيلة وتقدم الفضيلة ولولا وجود هذه المناورات الايمانية والمبارزات بنفع الانسانية من القديم السابق لكان الوجود و كل ما فيه ميداناً للشرور والاشرار والفسقة والفجار والمخربين والمنحرفين بلون لاترى فيه اثراً لفضيلة ولا وجوداً لانسان .

ولكن تيك المبارزات التي قام بها انبياء الله من نوح وهود وصالح و ابراهيم و موسى وعيسى ومحمد و غيرهم اثرت اثرها الواضح و جرفت اليها القلوب والعقول و خلقت من الناس مثاليين لهم موقعيتهم الاجتماعية وصيتهم الطائر .
وعلى ان هذه القرون المتأخرة قرون اضلال وتشويه و جهل و عنجهية و انحراف قد احتلت الحيوانية المغتلمة فيها مكان الانسانية لكن مع ذلك نرى لتعاليم اولئك الافذاذ بقاء علمياً و اثراً نفسياً فى جملة من القلوب والعقول : اذن فبعثة الرسل و استمرار رسالتهم و بقاء دعوتهم من الشرائط الاولية لتشكيل حياة فضلى و بدون ذلك تعود الحياة من الموبقات : - فهلم بنا الى ما قاله الامام فى هذا المقام -

واصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم ، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم ، لما بدل اكثر خلقه عهد الله اليهم ، فجهلوا حقه و اتخذوا الانداد معه و اجتالتهم الشياطين عن معرفته ، و اقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله و واتر اليهم انبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ، و يذكروهم منسى نعمته ، و يحتجوا عليهم بالتبليغ و يثيروا لهم دفائن العقول ، و يروهم الايات المقدره ، من سقف فوقهم مرفوع و مهاد تحتمهم موضوع و معايش تحييهم و آجال تقنيهم و اوصاب تهرمهم و أحداث تتابع عليهم و لم يخل سبحانه خلقه من نبى مرسل او كتاب منزل او خجة لازمة او محجة قائمة رسل لا تقصر بهم قلة عددهم و لا كثرة المكذبين لهم من سابق سمي لهمن بعده او غاب عرفه من قبله .

واصطفى ، اى انتخب و اختار ، سبحانه من ولده ، اى من ولد آدم ، انبياء جمع نبىء مهموزاً و يخفف بحذف الهمزة منه وهو المخبر ، اخذ على الوحي ، اى على اصاله للمكلفين ، ميثاقهم ، الميثاق هو العهد و القرار و قد جاء فى جملة من الايات و طوائف من الاخبار اخذ الله العهد و القرار من كافة بنى آدم انبياء كانوا ام غير انبياء فى عالم الذر او قل فى عالم الارواح عند ما خلق آدم على الاعتراف بر بو بيته و القيام بوظائفه كل على قدر ما حمل و القى على عاتقه من وظيفة فمن ذلك قوله (سورة المائدة الاية ٨) واذكروا ، خطاب لكافة الذين آمنوا ، نعمه الله عليكم و ميثاقه الذى واثقكم به

اذقلتم سمعنا وأطعنا (والاية ٨ من سورة الحديد) و ما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا ببركم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين : وعن ابن عباس فى قوله تعالى واذاخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ان الله لما خلق آدم مسح على ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال ألتست بر بكم قالوا بلى فنودى يومئذ جف القلم بما هو كاتن : الى غير ذلك ، وعلى تبليغ الرسالة ، اى رسالة الله الى عباده بما يقوم بنظام معاشهم و معادهم وما هم مسؤولون به قبال الرب تعالى نظير قوله (الآية ٧ من سورة الاحزاب) واذاخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً : (الاية ٧٠ من سورة المائدة) يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، اما نتمهم ، اى ائتممتهم على ذلك ، لما بدل اكثر خلقه عهد الله اليهم فجعلوا حقه ، بعد الاعتراف له بالر بوبية ، ألتست بر بكم قالوا بلى ، واتخذوا الانداد ، اى الاشباه و النظائر لله على ما يزعمون ، معه و اجتالتهم الشياطين ، اى صرفتهم الشياطين من هنا الى هناك وبعثت بهم ، عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته ، اى فصلتهم عنه تعالى ، فبعث فيهم رسله ، الفاء تفرع على قوله آنفالما بدل اكثر خلقه الى ما بعدها من فقرات اى ان بعثة الرسل كانت ناشئة عن التغيير و التبدل المزبورين ولا ريب فان كل انسان لو مشى بفطرته على ما هى عليه لكانت الجوامع كلها فى غنى عن المبشر و المنذر لان الفطرة هى الدين الذى دعا اليه الانبياء ، و واتر اليهم انبياءه ، تواترت المطالب اذا تتابعت مع فترات بينها فمعنى واتر انبياءه انه بعثهم فى الفترة بعد الفترة ، ليستأدوهم ميثاق فطرته ، التى فطرهم عليها وهى الاعتراف به و الانبعاث الى محاسن الامور فان كل انسان لولا الطوارىء المشوهة لخلقته و أخلاقه مؤمن بطبيعة حاله انسان كما تريد العقول منه و معنى استأدوهم طلبوا منهم الوفاء بما اعطته فطرته من عهد و ميثاق ، و يذكروهم منسى نعمته ، اى نعمه السابعة التى لاتعد و لاتحصى حيث اغفلوها و حسبوها شيئاً طبيعياً لهم ، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ، وقد أشعر القرآن بذلك فى الايات ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ من سورة النساء : حيث قال تعالى : انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده و اوحينا

الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ، ويشيروا لهم دفائن العقول . الموجودة فيهم المغفول عنها فان كل مبلغ وناصح وواعظ انما يشير في قبيله كوامن فطرته وعقله ولا يخلق له عقلا بوعظه ولا فطرة مستجدة بتبليغه ، ويروهم الايات المقدرة ، اى التى وقع عليها التقدير فحصلت وصارت ، من سقف فوقهم مرفوع ، ويريد به السماء ، ومهاد ، وهو ماتمهد وتوطأ ، تحتمهم موضوع ، اى مجعول مبسوط ، ومعاش ، جمع معيشة ، تحميمهم اى تمسك حياتهم وتستمر بها ، وآجال ، جمع اجل وهو الوقت المقرر والمنظور به هنا الوقت المقرر لانتها حياتهم ، تفنيهم واوصاب ، جمع وصب وهو الاذية والمشقة والتعب ، تهرمهم ، اى تعجزهم وتنجر بشبابهم وكهولتهم الى الشيخوخة والانحطاط والوهن واحداث ، جمع حدث وهى الحوادث والخطوب والكوارث ، تتابع عليهم ، وتقدير الاوصاب التى تهرمهم والاحداث التى تعجزهم وتلاشيهم بعد ذلك جملة منه للاختبار وجملة للانتقام وجملة مجهولة السر لا يعلمها الا هو ، ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسل او كتاب منزل او حجة لازمة ، وحتماً يراد بها غير النبي المرسل والكتاب المنزل واولئك هم خلفاء الانبياء واوصياء الرسل الذين يقومون بتثبيت الشريعة وتوضيح ما استغلق منها وادامة الوعظ والابلاغ وفى درجة ثانية العلماء الربانيون والمقدسون الصالحون الها دون المهديون ، او حجة ، وهى الطريق الواضح من كل علامات الله التى يريد بها هداية الخلق ، قائمة ، اى ظاهرة يشهد بها الجميع كالعبر المتواترة على طول خط الزمان ، رسل لاتنصر بهم قلة عددهم ، حتى لا يستطيعوا ابلاغ ما انتشر فى جميع الاصقاع ، ولا كثرة المكذبين لهم ، لاستمرارهم على التبليغ فى كل حال واجهوها ، من سابق سمي له من بعده ، كما سمي نبي الاسلام للسابقين عليه من الرسل الكرام ، او غاير ، اى مستقبل وجوده ، عرفه ، للناس ، من قبله كما عرف بنبي الاسلام ايضاً من سبقه من الانبياء سلام الله عليهم اجمعين .

(جزيرة العرب وبعثة النبي محمد ص)

كانت الجزيرة العربية يومذاك و قبله دون مجاوريتها في كل شيء فلا علم ولا حلم ولا فضيلة ولا حسن خليقة اعرابية خالصة ووحشية ظاهرة تستعبد فيها الاحرار بالتغلب وتملك فيها النساء بالمكابرة و تراق على بوغائها الدماء لادنى شهوة عيشها غليظ ومشربها قدر كدر وأمنها مفقود بالمرّة وويلاتها لاتعد ولا تحصى .

فكانت لها السبقة على كافة الامم والعناصر في الاحتياج الى مرب يربيهها وهاد يهديها ومتمذ من الضلالة يرشدها و كم كان في لازم ذلك الاستاذ المربي والحكيم الهادي والمنقذ المرشد من قوة شكيمة ومثابرة على عمل وهدوء نفس وثروة في المعنويات و شجاعة في المبارزة حتى يستطيع احالة ذلك المحيط الجاف الغليظ الى محيط تتصرف فيه المثل الراقية تصرف المالك المختار فيما يملك .

عرفنا الجزيرة العربية في يؤسها وشقائها فمن ذلك المنقذ الاعظم ذلك محمد بن عبد الله الصادق الامين والعالم المجاهد والكمال الذي اربي على كل كامل والمثالي الذي بذ كافة المثالين .

وانما جعل الله نقطة انطلاقه من هذا المكان المظلم ليكون من دلائل اعجازه على الباقي انه سخر من طريق التبليغ بين عناصر معرفة في الشقاء امة انتجت الزاهد العابد والمتقى الورع والعالم العامل والفاضل الكامل والديان المقدس واللودعي الالعمى والوفى الصادق والامين النجيب ومن الى هذا الرديف من الاخيار الابرار و حتى تكون نقطة انطلاقه هذه عبرة واضحة ومقياساً جلياً للاغيار : و عن هذا السر الدقيق انبعث من رافقه وتلمذ عليه من بدء بعثته - بل قبلها - و الى آخر ساعة من حياته فقال : على ذلك نسلت القرون ، ومضت الدهور ، وسلفت الاباء وخلفت الابناء الى ان بعث الله سبحانه محمداً رسول الله ﷺ لانجاز عدته وتمام نبوته مأخوذاً على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريماً ميلاده واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواءة منشرة وطوائف متشتمة بين مشبهه الله بخلقه او ملحد في اسمه او مشير الى غيره فهذا هم به من

الضلالة و انقذهم بمكانه من الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد ﷺ لقاءه و رضى له ما عنده و اكرمه عن دار الدنيا و رغب به عن مقارنة البلوى فقبضه اليه كريماً ﷺ و نحن توطيناً للبحث عن فقرات هذا الفصل نذكر موجزاً من حالات النبي ﷺ عن الخاصة و العامة .

(١) قال الكليني في باب تاريخ مولد النبي ووفاته من اصول الكافي ولد النبي لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال و روى ايضاً قبل طلوع الفجر قبل ان يبعث باربعين سنة وبقى في مكة بعد مبعثه ثلاث عشرة سنة ثم هاجر الى المدينة و مكث بها عشرين سنة ثم قبض لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول يوم الاثنين و هو ابن ثلاث و ستين - اه - و فيما رآه به ولادته ﷺ ووفاته خلاف بين العلماء .

(٢) سادس البحار في فصل بعثته ﷺ ان العامة قد اختلفوا في زمان بعثته على خمسة اقوال خامسها انه لسبع و عشرين من رجب و عليه اتفاق الامامية ثم قال ارسله الله بعد اربعين سنة من عمره و لبعثته درجات - اولها - الرؤيا الصادقة - ثانيها - مارواه الشعبي و داود بن عامر ان الله قرن جبرئيل بنبوة رسوله ثلاث سنين يسمع حسه و لا يرى شخصه و يعلمه الشيء بعد الشيء و لا ينزل عليه القرآن فكان في هذه المدة مبشراً غير مبعوث الى الامة - ثالثها - حديث خديجة و ورقة بن نوفل اى ما حدثهما النبي به كما سيجيء - رابعها - امره بالتحديث بالنعيم حيث قال و اما بنعمة ربك فحدث اى بما جاءك من النبوة - خامسها : حين نزل عليه القرآن بالا مرو النهى فصار به مبعوثاً و لم يؤمر بالجهر و نزل يا ايها المدثر فأسلم على و خديجة ثم زيد ثم جعفر - سادسها - امره بأن يعمّ بالانذار بعد خصومه و أن يجهر بذلك و نزل فاصدع بما تؤمر قال ابن اسحاق و ذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه و نزل و انذر عشيرتك الاقربين فنادى يا صباحاه - سابعها - ان العبادات لم يشرع منها مدة مقامه بمكة الا الطهارة و الصلاة و قد كانتا فرضاً عليه و سنة لامته ثم فرضت الصلوات الخمس بعد اسراءه و ذلك في السنة التاسعة من نبوته فلما تحول الى المدينة فرض صيام شهر رمضان في السنة الثانية

وحولت القبلة وفرضت زكوة العطر وصلاة العيد و كان فرض الجمعة بدلا من صلاة الظهر ثم زكوة الاموال ثم الحج والعمرة والتحليل والتحريم والحظر و الاباحة و الاستحباب والكرهه وفرض الجهاد - اه - وفي جملة مما ذكره بعض الاختلاف بين كتاب السيرة .

(٣) ذكر المؤرخون ومن جملةهم ابن سعد في الطبقات الكبرى (ج ١ ص ٩٩) ان ام النبي ص لما توفيت بعد ابيه قبضه اليه جده عبدالمطلب وضمه ورق عليه وكان يقر به منه وقال مرة لام أيمن وكانت تحضن رسول الله يا بركة لا تغفلي عن ابني فاني وجدته مع غلمان قريبا من السدرة وان اهل الكتاب يزعمون ان ابني هذا نبي هذه الامة ومات عبدالمطلب والنبي ابن ثمان سنين فخلفه على تربيته ابوطالب : و عمل لخديجة بنت خويلد فرأت منه انساناً جمّ المحاسن فرضيت به زوجاً و تقدم للخطبة ابوطالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل ورضي معي وعنصر مضرو جعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعله لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً و جعلنا حكام الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبدالله : لا يوزن به رجل شرفاً و نبلا وفضلا وان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل وعازية مستردة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كرميتمكم خديجة وقد بذل لها من الصداق كذا : وتزوج رسول الله ص منها وهو ابن خمس و عشرين وهي بنت اربعين سنة و كانت خير زوج لهما بين كافة نساءه .

(٤) الزهري عن عروة عن عائشة انها قالت كان اول ما ابتداء به رسول الله ص من الوحي الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل ان يرجع الى اهله ثم يرجع الى اهله فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق فأتاه فقال يا محمد انت رسول الله قال ص فبحثوث لركبتي وانا قائم ثم زحفت ترجف بوادري ثم دخلت علي خديجة فقلت زملوني زملوني حتى ذهب عنى الروع ثم اتاني فقال يا محمد انت رسول الله قال فلقد هممت ان اطرح نفسي من حالق من جبل فتبدي لي حين هممت بذلك فقال يا محمد انا

جبرئيل وانت رسول الله ثم قال اقرأ فلما اقرأ قال فاخذني فغتنني (اي عصرني عصرا شديدا) ثلاث مرات حتى بلغ بي الجهد ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق فقرات فأثمت خديجة فقلت لقد اشفقت على نفسي فأخبرتها خبري فقالت ابشر فوالله لا يخزيك الله ابداً ووالله انك لتصل الرحم وتصدق في الحديث وتؤدي الامانة و تحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت بي الى ورقة بن نوفل بن اسد فقالت اسمع من ابن اخيك فسألني فأخبرته خبري فقال هذا الناموس الذي انزل على موسى بن عمران ليثني فيها جذع ليثني اكون حياً حين يخرجك قومك (الطبري ج ٢ ص ٢٠٥ و ٢٠٦) اه .

وهنا يشكل جملة من اهل الفضل على جملة من محتويات هذا الفصل فيقولون (١) لاريب ان محمد بن عبد الله كان قبل بعثته من الكمل في نفسه العارفين بربه وذلك هو الذي قاده الى التحنث والاختلاء بنفسه ومع هذا كيف يصح ان يجثو و لركبته من الفرع حين جاءه الحق وقال له يا محمد انت رسول الله : والجواب عن ذلك ان الفرع انما اخذه لانه قد يكون شاهد ظاهرة لم يسبق بها قط و كلف بأمر عظيم فان القيام باعباء رسالة دينية عامة فيه من المشاق ما تذهل أمامه النفس ومهما كانت حازمة عظيمة المنة .

(٢) ان الوسيط بين الله وانبياءه يجب ان يكون من الثقافة والادب والمرونة بمكان عظيم جداً وما ينقل عن جبرئيل في هذا الخبر انه قال له اقرأ ابتداء بساكن فقال له مستفهماً اقرأ فآخذه فعصره عصر أشديداً فيه من الخشونة والجفاء ما يستنكر على آحاد الناس : والحق انه اشكال في محله .

(٣) ان محمداً مع هذه السابقة كلها كيف لم يتوجه الى وظيفته و ما اريد به حتى تذهب به خديجة الى ورقة بن نوفل لتستفهم منه سر الحادثة وما هو مضمونها وهل بعد قول الوسيط لمحمد انا جبرئيل وانت رسول الله وانه اقرأه قول اقرأ باسم ربك الذي خلق وانه تابعه على هذه القراءة مقام لاستفسار واستفهام : وهذا كالسابق اشكال في محله : والذي يهون الخطبان هذه الرواية لم تستند الى النبي وانما هي عن لسان عائشة فقط .

(٥) اول مجتمع اسلامى فى الدنيا تشكل فى بيت خديجة منها و من على ابن ابى طالب وزيد بن حارثة اماهى فكانت اعظم مؤازر للنبي قبل بعثته وبعدها و اما على فقد طبق المؤرخون على انه ربي فى حجر النبي و لم يفارقه فقد قال ابن حجر فى الاصابة انه ولد قبل البعثة بعشرين سنين على الصحيح فربى فى حجر النبي ﷺ و لم يفارقه وقال ابن كثير فى تاريخه (ج ٣ ص ٣٥) واخذ رسول الله علياً فضمه اليه فلم يزل معه حتى بعثه الله نبياً - الى غير ذلك - واما زيد بن حارثة فقد كان فى حوزة خديجة ووهبته خديجة لرسول الله عاش معهما فى بيت واحد وتبناه رسول الله بمكة قبل النبوة : راجع ابن عبد البر فى ترجمة زيد : وغيره من المؤرخين .

(٦) اطبق كتاب السيرة على ان الفاصلة بين بدء النبوة و اظهار الدعوة كانت ثلاث سنين وان النبي كان قبل ان يكلف بالمجاهرة والاصحاح بالدعوة يدعو الناس الى الاسلام سراً و كل من انس منه لطفاً مشى اليه وبلغه وما كان كفار قريش قبل ان ينال النبي من اصنامهم متحاملين عليه و على من اتبعه و كان المسلم و غير المسلم جميعاً يسيرون مع الحياة بوضع اعتيادى و اسلم فى هذه الفاصلة كثير من الناس الا ان الوضع كان وثنياً صرفاً و الاسلام عقيدة فردية لم تراحم اية ظاهرة من مظاهر الشرك فلم يكن للدين عزٌ و لا لشرف التوحيد جلوة :

(٧) و بعد مرور ثلاث سنين من البعثة كلف الله نبيه بانذار عشيرته الاقربين فدعاهم للاجتماع عنده فما اجتمعوا منصتين لقوله الا بعد لى فقال يا بنى عبدالمطلب انى قد جئتكم بخير الدنيا و الاخرة وقد امرنى الله ان ادعوكم اليه فايكم يوازرنى على امرى هذا ويكون اخى ووصيى و خليفتى فيكم فاحجم القوم عن ذلك و كان على احدتهم سنا فقال انا يا رسول الله اكون و زيرك عليه فأخذ برقبته ثم قال هذا اخى ووصيى و خليفتى فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لعلى و تطيعه : راجع تفسير الخازن عند تفسيره لقوله تعالى و انذر عشيرتك الاقربين : وغيره من كتب التفسير و السيرة و التاريخ .

(٨) و ذكر اهل السيرة ان النبي بعد ذلك دعا جميع قريش بدعوة عامة وهو

قائم على الصفا وقال ان اخبرتكم ان خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل تريد ان تغير عليكم أكنتم تكذبون قالوا ما جربنا عليك كذباً فقال يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار فاني لا اغنى عنكم من الله شيئاً انى لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد ما مثلى ومثلكم الا كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد اهله فخشى ان يسبقوه الى اهله فجعل يصيح يا صباحاه يا صباحاه أتيتم أتيتم : و لما ذكر رسول الله آلهمم و عابها اعظموا ذلك منه و ناكروه و اجمعوا على خلافه و عداوته و حذب على رسول الله عمه ابو طالب و منعه و قام دونه و مضى رسول الله مظهر الأمر الله لا يردده عنه شيء :

قال ابن اسحاق ثم ان قريشاً تأمروا بينهم على من فى القبائل منهم من اصحاب رسول الله الذين اسلموا معه فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعدونهم و يفمنونهم عن دينهم و منع الله رسوله منهم بعمه ابي طالب : ثم قال ابن اسحاق فلما طال البلاء على المسلمين و ارتد كثير عن الدين باللسان لا بالقلب ولم تتمكن قريش من الوصول الى محمد لقيام عمه ابي طالب دونه اجتمعوا على ان يكتبوا بينهم و بين بنى هاشم صحيفة يتعاقدون فيها على ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يجالسوهم فكتبوها و علقوها فى جوف الكعبة فلما فعلوا ذلك انحاز بنوهاشم و المطلب فدخلوا كلهم مع ابي طالب فى الشعب فاجتمعوا اليه و خرج منهم ابولهب الى قريش فظاهاها على قومه فاقاموا فى الشعب على ذلك سنتين او ثلاثاً حتى جهدوا لا يصل اليهم شيء الا القليل سراً :

قال ابن اسحاق فلم يزل ابو طالب ثابتاً صابراً مستمراً على نصر رسول الله و حمايته و القيام دونه حتى مات فى اول السنة الحادية عشرة من بعث رسول الله فطمعت فيه قريش حينئذ و نالت منه فخرج عن مكة خائفاً يطلب احياء العرب يعرض عليهم نفسه فلم يزل كذلك حتى دخل مكة فى جوار المطعم بن عدى ثم كان من امره مع الخزرج ما كان ليلة العقبة :

(٩) قال ابن اسحاق فلما رأى رسول الله : ما يصيب اصحابه من البلاء و ما هو فيه

من العافية لمكانه من الله و من عمه ابي طالب و انه لا يقدر على ان يمنعهم مما هم فيه من

البلاء قال لهم لو خر جثم الى ارض الحبشة فان فيها ملكاً لا يظلم عنده احد وهى ارض
صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من اصحاب
رسول الله الى ارض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً الى الله بدينهم فكانت اول هجرة فى
الاسلام : وقبل الهجرة بما يقرب من ثمانية عشر شهراً أخرج برسول الله وأسرى به وافترضت
الطهارة و الصلاة :

(١٥) العقبتان الاولى والثانية : روى ابن سعد فى الطبقات (ج ١ ص ٢٠١
وما بعدها) عن رجاله قالوا أقام رسول الله ﷺ بمكة ما أقام يدعو القبائل الى الله و
يعرض نفسه عليهم كل سنة بمجنة وعكاظ ومنى أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم
الجنة فليست قبيلة من العرب تستجيب له حتى اراد الله اظهار دينه فساقه الى هذا الحى
من الانصار فانتهى الى نفر منهم وهم يحلقون رؤسهم فجلس اليهم فدعاهم الى الله
فاستجابوا لله ولرسوله - قالوا - ولما كان العام المقبل من العام الذى لقي فيه رسول الله
النفر الستة لقيه اثنا عشر رجلاً بعد ذلك بعام وهى العقبة الاولى : قالوا : ولما حضر
الحج مشى اصحاب رسول الله ﷺ الذين اسلموا بعضهم الى بعض يتواعدون المسير
الى الحج و موافاة رسول الله و الاسلام يومئذ فاش فى المدينة فخرجوا و هم سبعون
يزيدون رجلاً او رجلين حتى قدموا على رسول الله مكة فسلموا عليه و وعدهم منى
وسط ايام التشريق ليلة النفر الاول اذا هدأت الرجل فخرج القوم على الموعد
يتسللون وقد سبقهم رسول الله الى ذلك الموضع معه العباس بن عبدالمطلب ليس معه
احد غيره فبايعوا رسول الله على نصرته والقيام دونه و اعلان دينه :

(١١) ونزل من القرآن فى مكة ما يقرب من ٩٥ سورة على خلاف فى بعضها
واغلب محتويات هذه السور الدعوة الى التوحيد ونبذ الشركاء وترك الاخلاق المرذولة
والاخذ بشرائف الاخلاق و سرد قصص الانبياء السابقين مع اممهم و الاستدلال على
اثبات الصانع والمعاد الجسماني وما يلقاه المؤمن من نعيم مقيم والكافر من عذاب مهين
وما الى ذلك :

(١٢) ولما صدر السبعون من اهل العقبة الثانية من عند رسول الله طابت نفسه

وقد جعل الله له قوماً أهل حرب وعدة ولكن البلاء أخذ يشتد على المسلمين من المشركين فاستأذنوا رسول الله في الهجرة فقال قد أخبرت بدار هجرتكم هي يثرب فمن اراد الخروج فليخرج فجعل القوم يخرجون ويخنفون فنزلوا على الانصار في دورهم وآوهم ونصروهم وآسوهم فلما علم المشركون بذلك اجتمع رأيهم على قتل رسول الله حتى تبطل هذه الاحدوثة من اصلها فبات على فراس النبي وخرج النبي مختفياً في طريقه الى المدينة وورد اليها كأعز قادم واول عمل قام به هو أن اختط مسجداً للصلاة المسلمين يعبدون الله فيه ويذاكرهم فيه العلم ويطارحهم فيه الحديث اللازم وخطبهم اول خطبة خطبها في المدينة وآخا بينهم ليحرزمو دتهم بعضاً لبعض فكان ما قام به با كورة اعمال جبارة : وصرف عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة بعد مكثه ستة عشر شهراً في المدينة كما فرض بعد ذلك بقليل صوم شهر رمضان وصلاة العيد وزكوة الفطرة والجهاد فكانت غزوة بدر :

(١٣) قال الطبري (ج ٢ ص ٢٧٢ من تاريخه) وخرج رسول الله فيما بلغني لثلاث ليال خلون من شهر رمضان في ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً من اصحابه - اه - وقد ابدى المسلمون في هذه الغزوة كل جلد واستبسال حتى احرزوا الفتح لانفسهم ووقعوا بقريش ايقاعاً في اعضاءهم حيث قتل منهم سبعون واسر سبعون رجلاً .
وقال ابن سعد في الطبقات (ج ٣ ص ٧٨) ثم غزا رسول الله احدى رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة : اه : وكانت هذه الحرب في اولها على قريش حتى آل الامر بهم الى الهزيمة ولكن تغافل بعض المسلمين عن القيام بواجبهم في هذه الفترة اعاد كربة المشركين عليهم فكانت هذه الواقعة في نهاية المطاف على المسلمين فحسروا فيها كل ربحهم الاول وتضرروا اضراراً واضحة : وعلى رأس سبعة وثلاثين شهراً من الهجرة أجالا النبي ﷺ بنى النصير عن مواطنهم لتآمرهم على الغدر به والغدر للميهود شيمة .
قال الطبري (ج ٣ ص ٤٣ من تاريخه) وفي السنة الخامسة للهجرة كانت غزوة رسول الله الخندق - اه - وهذه الغزوة بيمن على امير المؤمنين تمت بتقع المسلمين : و بعد منصرفه من الخندق غزا بنى قريظة وكان الفتح له : وفي سنة ست غزا بنى

المصطلق ففتحهم وفي هذه السنة نفسها كانت قصة الحديدية : وفي سنة سبع كانت غزوة خيبر وتمت بنفع المسلمين : وفي سنة ثمان كانت غزوة مؤتة وخسر فيها المسلمون جعفرأ وزيدأ وعبدالله بن رواحة وجملة آخريين ولم يظفروا بالنصر وفي هذه السنة افتتح رسول الله مكة ودخلت قريش في الاسلام كرهاً وطوعاً ، وبعدها غز النبي ﷺ حنين فانصرا انتصاراً باهراً : وفي سنة تسع غز النبي تبوك واقام فيها بضع عشرة ليلة ثم انصرف قافلاً من دون حرب : وفي هذه السنة تكاثرت وفود القبائل على رسول الله ايضاً : و في سنة عشر كانت حجة الوداع وفي منصرفه من مكة الى المدينة صار الى موضع بالقرب من الجحفة يقال له غدير خم لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة وقام خطيباً واخذ بيد على بن ابي طالب فقال ألسنت اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى يا رسول الله قال فمن كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه : وتوفى النبي ﷺ في اوائل السنة الحادية عشرة للهجرة بعد سلسلة مبارزات قام بها فذك في غضونهما عروش الوثنية واخلاق الجاهلية وخلق من طريقها امة ذات حول و طول كثر فيها العالم العامل والزاهد العابد ومن الى ذلك من الاخيار :

على ذلك ، اى على بعث الله تعالى رسله الى خلقه ليستأدوهم ميثاق فطرته و يذكروهم منسى نعمته ، نسلت القرون ، اى تعاقبت واخذ قرن بعقب قرن آخر و كذلك معنى قوله ﷺ : ومضت الدهور وسلفت الالباء و خلفت الالباء الى ان بعث الله سبحانه محمداً رسول الله ﷺ لانجاز عدته ، اى لاجل ان ينجز تعالى ما وعد به خلقه ببعثة هذا الرسول على لسان انبيائه السابقين ، وتمام نبوته ، اى تمام نبوة الله لانبيائه بمحمد خاتم الانبياء والمرسلين حيث تستجمع رسالته كل كمال يقوم بسعادة الناس على طول الأجيال ، مأخوذاً على النبيين ميثاقه ، حيث يقول الله تعالى بالنسبة الى ذلك فى الآية (٨١ من سورة آل عمران) واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جائتكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، مشهورة سماته ، بين السابقين من الانبياء الذين عرف الله محمداً اليهم وبين معاصريه بانه الصادق الامين ، كريماً ميلاده ، فانه تولد فى اسرة عريقة فى الشرف والكمال ، واهل الارض يؤمئذ

ملل متفرقة ، من يهودى ونصرانى ومجوسى وصابئى ومعطل وعابد وثن وما الى ذلك من شتات العقائد المتوزعة بين الناس فى شرق الارض وغربها ، واهواء ، جمع هوى و هو الميل والرغبة ، منتشرة وطوائف مشتتة بين مشبه الله بخلقه ، اى بواحد من مخلوقاته الكونية ، او ملحد فى اسمه ، الالحاد هو الميلان عن الدين والحياد عنه والطعن فيه ومعنى ألحد فى اسمه انه مال عن اسمه اللائق بذاته من واجب الوجود والخالق و المعبود وما الى ذلك من الاسماء التى لاتطلق على غيره انقصانه عنها وجاء يسميه تعالى بما تنزع اليه شهواته الجاهلة من انه الشمس والقمر او اللات والعزى ونظير ذلك مما حسبه رباً ونافعاً وضاراً ومدبراً لأمور العالم ، او مشيراً الى غيره ، سبحانه بانه الرب الخالق ولو اعطى التدبر حقه لعرف ان كل ما يشير اليه مخلوق عاجز عن تدبير نفسه فضلا عن خلقته لغيره وتدييره اياه ، فهداهم به من الضلالة ، اى كان محمد ﷺ واسطة فى هدايتهم من الضلالة والافالها دى الاول هو الله الذى خلق عقولهم و ذراً قواهم ، وانقذهم بمكانه ، بين اظهرهم ، من الجهالة ، التى اخلدوا اليها واغر قوا فيها ، ثم ، بعدما قضى ﷺ واجبه تجاه ربه و ارشاد عباده ، اختار سبحانه لمحمد ﷺ لقاءه ورضى له ما عنده ، من الرضوان العميم ، واكرمه عن دار الدنيا ، الملوثة بالانحرافات والمشوهة بالهفات التى خلقها الناس لانفسهم ، ورغب به ، اى استأثر به ، عن مقارنة البلوى ، المائلة لارجاء البسيط ، فقبضه اليه كريماً ، اى غير مملوث بأدران الطبيعة ، ﷺ .

ومن خطبة له ﷺ : النهج الحديدى ج ١ ص ٤٧١ . الحمد لله الذى لم تسبق له حال حالا فيكون اولا قبل ان يكون آخرا ، ويكون ظاهراً قبل ان يكون باطناً كل مسمى بالوحدة غيره قليل ، و كل عزيز غيره ذليل ، و كل قوى غيره ضعيف ، و كل مالك غيره مملوك ، و كل عالم غيره متعلم ، و كل قادر غيره يقدر ويعجز ، و كل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها ، و كل بصير غيره يعمى عن خفى الالوان ولطيف الاجسام ، و كل ظاهر غيره غير باطن ، و كل باطن غيره غير ظاهر لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ، ولا تخوف من عواقب

الزمان ولا استعانة على ندم ماثور ولا شريك مكاشف ولا ضد منافر ، ولكن خلافاً -ق
مر بوبون وعباد داخرون لم يحمل في الاشياء فيقال هو فيها كائن ، ولم يناعنها فيقال
هو منها بائن . لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ ولا وقف به عجز عما خلق ولا ولجت
عليه شبهة فيما قضى وقدر بل قضاء متقن وعلم محكم وامر مبرم المأمول مع النقم
المرهوب مع النعم .

الحمد لله الذي لم تسبق له حال حالا ، اى لم تكن له شؤون مما يخص ذاته
فيكون بعض شؤونه الذاتية سابقاً في الوجود والشأن الاخر لاحقاً بل هو من الازل الى
الابد ذات واحدة مستجمعة لصفات اللازمة فهو اول لازليته وآخر بعين اوليته لو حدثه
البسيطة المتمحضة في البساطة ولان الازلية وصف ما كان وجوده لذاته وهذا الوجود
لا يكون الا ابدياً ولذلك تكون آخريته بعين اوليته واما افاضاته وظهور تقديراته فهما
متدرجان في الان بعد الان حسب المصالح التي يعلمها ويجريها في مخلوقاته وهذا هو معنى
كونه كل يوم في شأن ، فيكون ، اى لا يكون ، اولا قبل ان يكون آخراً ويكون
ظاهراً قبل ان يكون باطناً ، بل هو ازل وابدأ اول وآخر وظاهر وباطن كل من ذلك
في عرض الاخر وان اختلف المنشأ الداعي لوصفه بالاولية والآخرية والظاهرية و
الباطنية ، كل مسمى بالوحدة غيره قليل ، اى ان الله سبحانه واحد بالوحدة الحقيقية
التي لا يشوبها اقل تجزأ و تركيب و اما غيره فلو صدق في حقه انه واحد من كل
جهاته فقليل اى لاقية له لضوالة هويته فهو قليل الاثر او معدومه ، و كل عزيز غيره
ذليل ، فانه ما من سلطان الا وقدر كثر سلطنته على تحببه الى جملة من الناس يحفظونه
ويذوبون عنه ويؤيدونه لعلمه انه اذا تخلى عن اولئك او امثالهم سقط هذا اذا استمر
به زمانه سلطاناً ذاتاج وصولجان واما اذا طاحت به الظروف فلا تسل عنه ذلك وحقارة
وكل قوى غيره ضعيف ، لان غير الله يستمد قوته من غيره من رجال ومال وسلاح
وكراع وليس له من نفسه شيء سوى قوة اعضائه اذا كان واجداً لذلك على ان هذه
القوة انما حصلها من طريق خلقه وخلق ما يوجب التقوية من ما كول ومشروب ،
وكل مالك غيره مملوك ، لالمن خلقه فقط وان موته وحياته وشقاءه وسعادته ليس

منها شيء إليه بل هو مملوك حتى في دنياه لكل من يحتاج إليه و كل ما يتوسل به لحفظ ما لكيته على ما يملك ، و كل عالم غيره متعلم ، اذ لا علم ذاتياً في الكائنات العاملة الا من طريق الكسب والتحصيل او من طريق الالهام والافاضة والجميع علم طارئ وجوده بعد عدمه مفاد من عالم غنى بعلمه وهو المبدأ الاعلا و اما علم المبدأ تعالى فهو اذلى غير مفاد لانه عين ذاته ، و كل قادر غيره يقدر و يعجز ، اى ان قدرته ليست منه و انما هى فى كل الاحوال تستمد من الظروف المساعدة فاذا تخلت الظروف المؤاتية عن القادر عجز ووهن واما مبدأ الكائنات الذى صدر عنه كل ما فى الوجود من خطير وحقير فلان قدرته هذه ان لاتقاربها قدرة ، و كل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها ، ذلك لان سمعه هو علمه المحيط بكل شيء واما غيره فسمعه بحاسة محدودة يشد عنها لطيف الاصوات ويقطعها عن الحس المطلوب كبيرها ولا تكاد تدرك ما بعد عنها ، و كل بصير غيره يعمى عن خفى الالوان ولطيف الاجسام ، لان بصره تعالى كسمعه هو علمه الواسع ولا يشد عن العلم ما خفى و لطف اما الحاسة فيشد عنها الخفى اللطيف لمحدودية قواها الدراكة ويمثل لخفى الالوان بالهواء المذاب الى هواء مائع فان الهواء قبل ميعانه غاز فاقد للرائحة وللطعم وللون ولا يرى بالبصر و بعد الميعان يكون ماءً شفافاً ولو نه يميل الى الزرقة : و لخفى الاجسام بمثل الطاقة الذرية وما يتألف منها الى حد تنصر عنه الرؤية ، و كل ظاهر غيره غير باطن و كل باطن غيره غير ظاهر ، لان كل ما ظهر من الموجودات فهو بطبيعته لا يكون مستوراً و كل ما باطن منها فهو غير ظاهر اما ظهوره سبحانه فمن طريق تجلياته فى كائناته المائلة لكل حس واما خفاؤه فمن طريق عراقة هويته فى العظمة التى تعجز العقول والقوى الدراكة عن الاحاطة بها ، لم يخلقها خلقه لتشديد سلطان ، اى لتقوية سلطانه كما يفعل ارباب السلطات ذلك فان تكاليف الدول على اختراع القوى المتنوعة واستنماء الاموال من شتى جهاتها انما هو لتقوية سلطانها وتوقفها على غيرها التحرز شهوتها من النفوذ والعظمة ، ولا تخوف من عواقب الزمان ، بأن يكون انما خلق ذلك ليدخره فى دفع النوائب والحوادث كما يفعله خزائن

السلاح والمال تحفظاً من الحوادث الطارئة ، ولا استعانة على ندماً ، والدهو والنظير والمثاور هو الذى يتر بص الوثبات على قبيله ليثور عليه حتى يضعفه او يحوز سلطانه لنفسه ، ولا شريك مكاثر ، المكاثر هو الذى يدعى انه اكثر مادة من شريكه ، ولا ضد منافر ، وهو الذى يغالب طرفه فى حسبه و محاسنه ليمتدح عليه والمبدأ الاعلا فى معزل عن كل ذلك اذا لشركة فى المبدأية لمساطة المبدأ الاول من جميع وجوهه كما انه لا ضد له يقابله لان هويته با متيازاتها الخاصة لا يكاد يتصور لها ضد خاص ، و لكن خلائق مر بوبون وعباد داخرون ، مر بوبون اى لهم رب فوقهم وداخرون اى خاضعون والمنظور انه تعالى خلقهم ونظم خلقهم واعطاهم من القوى ما يحوز لهم السعادة لو اطاعوا وخضعوا للقانون ليكونوا مر بوبين لرب لا يريد منهم تشديد سلطان ولا ذخيرة لعواقب الزمان ولا استعانة بهم على الانداد و لامكاثرة من طريقهم على الشركاء و لامفاخرة على الاضداد وانما يريد خيرهم لانفسهم وسعادتهم لحياتهم وخضوعهم تجاه اوامر الرب ونواهيه لمصلحتهم حتى يعيشوا وادعين راضين وينقلبوا الى ربهم مرضيين وهذه الغاية من اشرف الغايات ، لم يحلل فى الاشياء فيقال هو فيها كائن ، ذلك لان المجرد عن المادة بطبيعة حاله لا يحل فيها ولا تحل فيه ، ولم ينأ عنها ، فى تديره لها والنظارة عليها ، فيقال هو منها بائن ، لان البينونة تقطع التدبير والقيمومة التامة يقال نأى عنه اذا بعد ، لم يؤده خلق ما ابتداء ، اى لم يعجزه خلقه الا بتدبيره غير المأخوذ عن طراح طرح لهصنعتة فنسج على منواله بل خلقه على انه ابتدائى ابداعى صدر عنه بلا مؤنة عليه وهذا يدل على سعة علمه وعظيم قدرته ، ولا تدبير ما ذراً ، فان جملة من المؤسسين يؤسسون و لكن يعجزهم التدبير على طول المسير فيحيلون به الى غيرهم ليكسبوا راحتهم من ناحية و يحققوا مقاصدهم من ناحية ثانية اما هو تعالى فمؤسس بلا مساعد ومدبر احسن تدبير بلا مؤازر اذا لا حاجة به الى كل ذلك يقال ذرأه اذا خلقه والتدبير حسن سياسة الشئ بما يستفاد من طريقه المقصد المتوخى ، ولاوقف به عجز عما خلق ، على طول مسير الخلائق وكثرتها وتشعبها فى نفسها واهمية كل منها فى عالمه ، ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى و قدر ، بل قضاؤه و تقديره

نتيجة علمه بمصالح عباده ومفاسدهم و كل قضاء وتقدير يكون كذلك فانه مأمون من ولوج الشبهة عليه فان الشبهة والبداء انما يعرضان لمن يدخل باب المستقبل من طريق حدسه وتخرصه وما يقوم بنظره وهذا قد يواجه في طريقه شهباً و تشكيمات بل قد تنقلب به الحال الى ندم : و اما النسخ و البداء الذى بمعناه فداعيها انما يكون مراعاة المصالح المؤقتة لامصلحة الشيء بالنظر الى ذاته ، بل قضاء متقن ، لاخلل فيه ، وعلم محكم ، لا تبدل يطرأ عليه ، وامر مبرم ، لاناقض له من تغير رأى ، المأمول مع النقم فلا يجوز حتى للمنتقم منه ان يياس من لطف ربه به ، المرهوب مع النعم فلا يجوز للمتنعم بنعم الله ان يمضى على غلوائه ذاهلاً عن مؤاخذه ربه له اذا انحرف و انجرف مع المعاصى بل يجب عليه دائماً ان يحذر بطش ربه و يرهب سلطانه و يخاف مؤاخذته .

هذا ويليق بنا ان نذكر هنا ما يشكك به الماديون فى الحكمة الداعية الى خلقه جملة من الاشياء والى ما يراه النوع الانسانى فى مضامير حياته من ابتلاآت هى خارجة عن تسبيبه ونحن نذكر شبههم اولاً ونجيب عنها بعد ذلك :

قالوا اذا كان هناك صانع وكان حكيماً فى صنعته ولم يخلق ما خلق الاعن حكمة ولم يقدر شيئاً الا وهو بمصلحة من قدر عليه الشيء فما الحكمة فى خلق الصحارى الجرداء الفاقدة لكل وسائل العمران والسكنى والاسكان وما الحكمة فى خلق العقارب والحيات والحيوانات الضارية المقترسة التى لا يجىء منها غير الضرر وما الحكمة فى خلق البراكين و الاعاصير المدمرة و كيف جاز للصانع ان يثنى الوسادة على طول الزمان للحكام المتردين والولاة المنحرفين والعمال المخربين الذين لا هم لهم سوى تعذيب مخلوقاته والاعنات بالانسان والحيوان بصورة لا يستطيع هضمها ولا التعافل عنها بل يلوح لنا من مظاهر الحياة وسير الزمان باهله ان كافة هذه المخلوقات مسيبة مهملة لا وازع يزع قويا عن ضعيفها وخبيثها عن طيبها يعيش القوى عاتياً والضعيف مخذولاً أفيكتفى من هذا وذلك أن يعاقب الله الظالم فى آخرته ويأخذ فى ذاك اليوم للمظلوم بظلامته وتكون الحياة على القسم الاوفر من الاحياء كالعبأ

الثقيل سمجاً منظرها مرّاً طعمها شديداً و قعها وقد تلجأ الحوادث المؤلمة بعض
البؤساء الى ان يقطع على نفسه طريق حياته بالانتحار ليستريح من ويلاتها : و هذه
النبذة خلاصتها الوافية الكلام عن هذه الشبه .

والجواب عن ذلك - اما اولاً - فانه يجب ان يعلم ان قوى البشر وعهما ضخمت
وعظمت محدودة وماهى فى جنب كل مادب وهب وتحرك وسكن وظهرو بطن فى عالم
علوى اوسفلى الارقم ضئيل فى قبال اعداد لاتتناهى : الفكر الذى يعجز عن تحليل
الفراشة والذبابة وانهما كيف صارتا وبأى جهاز تجهزتا ولم كانتا ولاى مقصد طارتا
ومن اين جائتاهما هذا الهدى الذى به تهتديان ومن طريقه تذهبان وتجيئان وتعملان
لحياتهما وتوليد امثالهما الى غير ذلك من الاسرار التى يعجز اللسان والبيان عن
سردها فضلاً عن تحليلها وتفصيلها - أجدربه - ان يعجز عن الاحاطة بكل ما فى الكون وانه
لاى شىء خلق والى اية غاية به قصد : وان يكن ادرك شيئاً من هذه الظواهر فانما
هو استعراض لظواهر ادرك وجهها المكشوف واستعصى باطنها عن الظهور : ترى العين
الشمس والقمر وجملة الكواكب ويفسرها العقل بانها خلقت لتنوير الكائنات و
ما يدرينا ان لها من الخواص ما يفوت حد الحساب ونجهل القليل والكثير منها : قل لى
بربك من وقف على كنوز الطبيعة الملقاة بين ايدينا حتى يستطيع ان يعرف البحر
وما فيه والعالم العلوى وما يحتويه كل ذلك حتى الذبابة و الفراشة من الطلاسم و
رعونة الجاهل المركب تدفع به الى تيه مظلمة و اجواء معتمة و هومع ذلك نراه
يتشوق ويدعى علم ما هو اجهل الناس به .

وهاته الطبيعة التى يدعى الماديون ان لها من نفسها نظاماً خاصة و نواميس
محكمة لا يشذ عنها من مواليدها القليل والكثير كم لها من مد وجزر وافراط وتفریط
ان تكن الطبيعة تسرى فى مواليدها من طريق الوراثة فلم لا يلتقى مولود و والد
على نقطة واحدة فى الصور والغرائز والهويات : وان تكن الضرورات الملحة تتخلق
للمضطر حاجته كما خلقت للزرافة طولاً فى يديها وامتداداً فى عنقها - حسبما يزعمون -
فاين آثار الاضرار فى كل ضعيف امام كل قوى وفقير مدقع تجاه متمول ثرى و ما

الى ذلك مما لا يعدُّ ولا يحصى : وان تكن الطبيعة تنتخب اصلح الافراد للبقاء فعلام نرانا على طول الخط نلمس الشذوذ فى الخلقة مستمراً مع المخلوقات منذ كانت والى ان تتلاشى و علام نرانا نر كس فى عقولنا الاجتماعية الحيوية و تندهور فى اخلاقنا الانسانية من عال الى دان ومن كمال الى نقص حيث الحياة مقرونة بالعقول الاجتماعية والاخلاق الفاضلة الانسانية ولا اثر من دون ذلك للجوامع البشرية ومهما كثرت فيها سفن الفضاء ووسائل توليد الكهرباء والذرة والصواريخ الى ما سوى ذلك مما تعتز به عقول البشر فى عصر حضارتها كما يقال :

ان تكن انتجت العقول هذا الكمال لترفيه الاحياء وادامة الحياة فقد ادهقت البشرية ارهاقاً حتى جعلتها فى محيط بر كانى لايزال ثائراً هائجاً ولا كهياج الحيوان المغتلم والاخر الضارى المفترس : دنيا تعج بصخبها وزعازعها قد أحاط بها الاسغاف من كل مكان و الاستبداد بشتى الصور و الالوان و الفساد الماحق و التبذل الشائن و الحيونة الجافة و كل تسيب و اهمال : فمن زم بالطبيعة عن انتخابها لبقاء الصالح من مواليدها ، هذا كله هذيان وهذر، واصل المقصود من كل ذلك وهذا لعلماء المادة والطبيعة هو تقطيع اوصال البشرية والقائها بين اشداق الفناء ليس غير .

وعليه فالعوالم كلها طلاس : و العقول البشرية مهما بلغ اوجها قاصرة عن حلها فمن ادراها ان الصحارى الجرداء بسطت للغاية وان العقارب والحيات تجرى لاي نهاية وهل يجب على الصانع ان يفهمنا كل حكمة ويوقفنا على غامض اسراره وهل تحكمنا عليه بذلك يكون الزاماً له .

- واما ثانياً - فهذا الانسان الذى يهوى العدل ويحبها ويريد الخير ويطلبه ويحب الترفيه على نفسه ويريده و ينتصر للحق بلسانه فيما يدعى ما الذى دفع به الى تأييد الفراعنة حتى صار جندياً لهم يقذف بنفسه فى لهوات المنايا لبقاء سلطانهم و ما الذى دعاه ان يكذب موسى بن عمران وهو يريد للحرية لالعبودية وما الذى طحابه ان يبارز عيسى بن مريم المعلم الاخلاقى المنقطع النظير ولم قام فى وجه محمد بن عبدالله و هو يريد له العلم مكان الجهل والتواضع الصحيح بدل التجبر الفارغ والمساواة امام التبعض

الطبقتي ولم خذل عليا هذا المثالي العظيم واتجه صوب كل مؤف مأفون : والى ما شئت من هذه المقارنات منذ بدء الخلقة الى يومنا هذا اذن فالانسان هو بلاء نفسه : نعم فى اطباق بنى آدم قديوجد فى الحين بعد الحين من صدق وجدانه وارضى ضميره وايمانه وعاش قلقاً مضطرباً ولم ير لنفسه منجاة يلجأ اليها ولا ندرى بحكمة ماشاء الله له من المحنة والبلاء : كما لا ندرى بحكمة ماسوى ذلك .

هذا وقد اعترف الطبيعى الملحد بجبهله لاكثر ما يعانیه من الطبيعة ونواميسها : فقال العلامة الانجليزى استوارميل كما نقله عنه الاستاذ جون لبوك : تبدوا الينا الحياة الانسانية محاطة بغوامض الاسرار فترى دائرة تجاربنا الضيقة كأنها جزيرة صغيرة ضالة فى بحر لانهاية له يرفع احساساتنا ويساعد قوتنا الخيالية بعظمه وظلامه ومما يزيد ذلك السرغموضاً ان مجال حياتنا الدنيا كيس كجزيرة فى فضاء غير متناه فقط بل فى زمان غير متناه ايضاً - اه - دائرة معارف وجدى مادة أله ص ٥٢٥ و ٥٢٦ . وقال شبلى شمىل ليس فى طاقة الطبيعى ان يعلم الحقائق والماهيات : وقال بخنر انه ليصعب اويستحيل علينا ان نعرف كم يخص كلا من هذه الاسباب ويظن دارون انا غالباً لانعرف النواميس .

وقال دارون فى اصول الانواع وكثيراً ما تستغلق دوننا وجوه الرشد فى اكتناه دستور محكم نسترشد بهديه فى ظلمات هذه الابحاث : بحكاية انوار الهدى ص ٢٦ . ومن كلمة للعلامة الفرنسى لوجيل نحن لانعلم ولا نرى الا الظواهر والقشور اما الحقيقة والعلة فتأبى ان تنكشف لنا . وجدى مادة مدد ص ٥٠٦ : كما اعترف الموحد بذلك ايضاً وما احسن ما قال الفيلسوف الشهير فخر الدين الرازى .

نهاية اقدم العقول عقال واكثر سعى العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وفى طليعة كافة الموحدين قال امير المؤمنين على عليه السلام للرجل الذى سألته

ان يصف له الله كاحد الاعيان المشهودة (خطبة الاشباح : ج ٢ ص ١٣٨ من النهج الحديدى)

فانظر ايها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضىء بنور هدايته وما

كلفك الشيطان علمه مما ليس فى الكتاب عليك فرضه ولا فى سنة النبى ﷺ وائمة الهدى اثره فكل علمه الى الله سبحانه فان ذلك منتهى حق الله عليك واعلم ان الراسخين فى العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملتها ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول مالم يحيطوا به علماً وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً فاقصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين .

و قال عليه السلام (من خطبة الاشباح : ج ٢ ص ١٤٢) فى مقام الصانع عز وجل : هو القادر الذى اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته و حاول الفكر المبرأ من خطرات الوسواس ان يقع عليه فى عميقات غيوب ملكوته وتولت القلوب اليه لتجرى فى كيفية صفاته و غمضت مداخل العقول فى حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته ردعها فهى تجوب مهاوى سدف الغيوب متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذجهت معترفة بانها لا ينال بجور الاعتساف كنهه معرفته ولا تخطر ببال اولى الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته الذى ابتدع الخلق على غير مثال امثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله و ارانا من ملكوت قدرته و عجائب ما نطقت به آثار حكمته واعتراف الحاجة من الخلق الى أن يقيمها بمسالك قوته ما دلنا باضطرار قيام الحججة له على معرفته و ظهرت فى البدائع التى أحدثها آثار صنعته و اعلام حكمته فصار كل ما خلق حججة لمودليلا عليه و ان كان خلقا صامتاً فحججته بالتدبير قاطعة و دلالته على المبدع قائمة .

هو القادر الذى اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته ، ارتمى الوهم اذا اصعد فى تفكيره وتغلغل فى حقيقة الشئ ليقف على مداها ويقال ارتمى ايضا للمفاعلة من الرمى والمنظور هنا ان الاوهام اذا تسابقت فى التفكير لتبلغ نهاية قدرة الله والمنقطع هنا بزنة اسم المفعول و معناه مكان الانقطاع و الانتهاء ، و حاول الفكر المبرأ من خطرات الوسواس ان يقع عليه فى عميقات غيوب ملكوته، المحاولة هى اداة الوصول الى الغرض من بين حججه وموانعه والفكر المبرأ هو السالم والخطرات جمع خطرة و

هى خطور الشئ فى خاطر والوساوس هى الاعتلاجات النفسية والمراد بعميقات الغيوب هى بطون الغيب والملكوت تفخيم للملك والمنظور بالوقوع عليه هو تحصيله والعثور به ، و تولدت القلوب اليه لتجرى فى كيفية صفاته ، الوله بالتحريك شدة العشق المؤدية الى الحيرة والمنظور ان القلوب احبت من صميمها ان تجرى فى طريق يوفى بها على معرفة صفاته وانه ما معنى كونه عالماً بصير أسمى ازلياً ابدياً حياً قيوماً اذا تعرفه القلوب من السمع والبصر والحياة والقيومة فى غيره امر وراء ما يستسيغه الوجود المجرد لنفسه ووراء ما تجيزه العقول عليه لذلك لما رأت القلوب ضرورة اتصافه تعالى بهذه الاوصاف ولم تكن تعرف منها فى حقه شيئاً اخذها الوله فى تحسس الطريق الى معرفته ولو وجدت اليه سبيلا ، وغمضت مداخل العقول فى حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته ، غمض المدخل اذا انستروجه على من يريد السير فيه فالسائر حائر: فى حيث لا تبلغه : اى فى مطلب لا تتناول من التعرف به لو تمكنت منه حصول العلم لها بذاته وانها ماهى ولا بعلمه وانه ما هو ، ردعها فهى تجوب مهاوى سدف الغيوب ، ردعها جواب اذا الشرطية فى قوله اذا ارتمت الاوهام : فاذا منعت الافكار والعقول والقلوب عن ولوج تلك المداخل الغامضة فلا تراها تتردد الا فى اودية ملتوية مظلمة معتمة ومن يكن كذلك فهيهات منه الوصول الى مقصده الذى ينوى وغايته التى يزوى : جاب المسافة قطعها والمهاوى جمع مهواة وهى المكان الذى يتردى فيه ماشيه لوجود الانخفاضات العميقة فيه كالادية والحفائر والسدف جمع سدفة وهى الظلمة ، متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذ جهت ، متخلصة حال من قوله فهى تجوب اى انها فى حال تجشمها فى المهاوى تقصد الوصول من ذلك اليه سبحانه فترجع خائبة حين تردعها المشكلات المتظافرة عن ذلك ومعنى جهت انها ردت عن مقصدها بالتواء الطرق عليها وعدم الاهتمام الى ما تحاول الوصول اليه ، معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ، معترفة حال من قوله رجعت اى انها لما حاولت الوصول الى مقصدها الذى كانت تزويه ورددت عنه بالقواهر المانعة آبت من سفرها معترفة بانه لا ينال من طريق التردد فى التيه المظلمة والادية الملتوية و المداخل الغامضة ما يحاول من

التدقيق في معرفته يقال جارفلان عن قصد السبيل اذا انحرف عن الجادة الشارعة والاعتساف هو التكلف ، ولا تختار ببال اولى الرويات ، والتأملات بعد طويل التروي والتأمل ، خاطرة من تقدير جلال عزته . اى انها فضلا عن اظهارها العجز فى مقام معرفته نراها عاجزة ايضاً عن القيام بواجب تقديره وتجليه لان من يكون بهذه العظمة الخارقة لا يوجد لايفاءه حق التعظيم من مخلوقاته اى طريق سوى ما ييسر دفعاً لمحدور الجفاء ، الذى ابتدع الخلق على غير مثال امثله ، يقال امثله اذا اتخذ مثله والابتداع والاختراع بمعنى وهو الاتيان بالشىء على غير سابقة كانت له ومعنى ذلك ان كل ما خلقه فقد صدر منه عن ارتجال محض فهو لم يحتد فيه حذو غيره اذ هو اصل كل الاصول فلا مجال للغير وعلمه لا يعزب عنه حتى يحتاج الى تهيئة لائحة سابقة يتخذها طريقاً مريحاً لتطبيق ما يريد ابداعه ، ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله . لانك عرفت انه لا مجال للغير فى التحدث عن مبدأ كل المبادى ، وأرانا من ملكوت قدرته ، اى من طريق الملك الواسع الذى ملكته قدرته ، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته ، بلسان حالها الذى هو ابلغ من لسان مقالها لو كان بها ان تنطق . واعتراف الحاجة من الخلق الى ان يقيمها بمسك قوته ، كل المخلوقات تظهر من نفسها الاحتياج فى كينونها وفى استمرارها فى البقاء الى مسك يمسكها وقيم يشرف عليها و مباشر يقوم بملاحظتها فى اطوار تغييرها و تحولها و المسك بكسر الميم ما يمسك به ، مادلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته ، مادلنا مفعول لقوله وارانا اى ما ارانا من هذه البدائع و العجائب الكونية فى العوالم السفلية و العلوية قد اضطرنا من نفسه على قيام الحجة له تعالى فى لزوم معرفته وهل اقوى حجة من آثار الشىء عليه وهل هناك دليل اوفى منها فى الايصال اليه ، وظهرت فى البدائع التى أحدثها آثار صنعته و اعلام حكمته . قوله وظهرت عطف على قوله آنفاً - الذى ابتدع الخلق - نعم لاحكمة اعلا و لاصنعة ارقى مما يراه الانسان فى خلقة البعوضة فضلا عما هو اجل خلقة منها و اجمل ، فصار كل ما خلق حجة له ، على خلقه فى وجوب تقديره وتعظيمه ، و دليلا عليه ، فى طريق معرفته ، وان كان خلقاً صامتاً . بلسانه ،

فحجته بالتدبير، العظيم الذى صرف فيه، ناطقة ودلالته على المبدع قائمة، واضحة ما بأحد ان ينكرها ومهما كابر.

وقال عليه السلام من خطبة له (ج ٢ ص ٤٤٢ من النهج الحديدى).

الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على ازليته و باشتباههم على أن لاشبه له لاتستلمه المشاعر ولا تحجبه السواتر لا فتراق الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب الاحد بلا تاويل عدد والخالق لا بمعنى حركة و نصب و السميع لا بآداة و البصير لا بتفريق آلة والشاهد لا بمماسة و البائن لا بتراخي مسافة و الظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة بان من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الاشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه من وصفه فقد حده ومن حده فقد عده ومن عده فقد ابطل اذله ومن قال كيف فقد استوصفه ومن قال أين فقد حيزه عالم اذ لا معلوم ورب اذ لا مربوب وقادر اذ لا مقدر .

الحمد لله الدال على وجوده بخلقه، اذ لولا هذه المخلوقات المنتشرة الظاهرة للعين الطالعة بالاسرار المهمة فيها لكل ذى بصير و نظر لما توجهت الفطن الى ان وراء هذه المشاهدات امراً له تحقق فى الوجود وعراقة فى التأصل فالوسيلة الوحيدة لدرك ذلك هى اعلام الوجود وقد اسلفنا ان بعض النفوس المتجافية عن المادة الذائبة فى القدس والطهارة قد نفذت الى ما وراء الطبيعة نفوذاً روحياً واتصلت بمعرفة المبدأ اتصالاً معنوياً فان من يقول ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً فى جنتك ولكن رأيتك اهلاً للعبادة فعبدتك وكان فى مثاليته موضع يقين غير مشوب لا يشك فى انه عرف المبدأ من غير الطريق الذى عرفه به سائر المخلوقين ولا طريق و راء المشاهدات الحسية الا المكشفات المعنوية، وبمحدث خلقه على ازليته، لان احداث الكوائن يحتاج الى مبدأ أولى قهار و كل مبدأ لا يكون اذلياً لا يكون مبدأ لكل المبادئ اذ لا يتصور فى مبدأ الكل الا الازلية وهى الوجود بلا سبق عدم، و باشتباههم على ان لاشبهه، يقال اشتبه هذا بذاك اى حصل بينهما تشابه فان المخلوقات لاتعدم المشابهة فى العناصر الاولية و الكيفيات العمومية و ان انفرد بعض عن بعض فى الخواص

الجوهرية و التخطيطات الشكلية والصفات النفسية والاثار الطبيعية ومبدأ المبادئ في جوهريته الخاصة به لو كان له شبهه لكان احد هذه الموجودات التي احتواها الوجود اذ ليس في الوجود وراء موجوداته شيء و اذا كان احدها كان جامعها ما به الشبه بينهما وحيث ان مبدأ المبادئ يقتضى من نفسه لتعليل وجود الكوائن به ان يكون بعيداً عما يوجب حدوثه بعداً لم يكن وجب فيه ان لا يكون في عنصره ما يستدعى الحدوث بعد عدم الحصول و كل ما في الوجود المنشتر مستدع لذلك فلا جامع اذن ما بين الاصل وما يتأصل به و اذا انتفى وجه الشبه انتفت المشابهة - وبعبارة اخصر - ان الموجودات لما لم تجد فيما بينهما ما يجمعها به بدأها في العنصر والجوهر ولا تعرف لما سواها في الوجود وجوداً حكمت لمكونها بانه لا شبه له ما بين الموجودات واما هي فمتشابهة فيما بينها ضمن جوامع تشتمل عليها جميعاً ، لا تستلمه المشاعر ، يقال استلمه منه وتسلمه اذا تناوله فالمشاعر وهي الحواس ليس بها ان تتناوله من طريق ادراكها الظاهري بالمرّة ولامن طريق ادراكها الباطني الابدراك مجمل ، ولا تحجبه السواتر ، عن ادراك العقول له بمقدار ما تزيج به العلة عن نفسها من مضايقة وجود هذه الكوائن لها بانه من حصلها وكونها و اوجد فيها هذه القوى الجبارة حيث لا تسبغ العقول في جواب ذلك ان تقول حصلت من دون محصل و كانت بالامكون ووجدت هذه القوى الجبارة من غير موجد ، لافتراق الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب ، هذا تعليل منه عليه السلام لقوله انه لا شبه له وان المشاعر لا تستلمه : وافتراق الصانع عن المصنوع والحاد وهو الذي يحدد الشيء ويجعل له حدوداً بها يمتاز عن غيره عن المحدود والرب وهو القيم على الشيء عن المربوب وهو الواقع تحت قيمومته من الواضحات غايته انه بين مبدأ المبادئ وسائر هذه الكوائن يكون بمرحلة اشد ، الاحد بلا تأويل عدد ، اذا المنظور بوصف الاحدية للمبدأ الاعلا ليس هو انه واحد في مقابل اثنين واكثر بل المنظور به البساطة في مقابل التركب والتجزأ اي ان جوهره وعنصره متمحضان في الوحدة لا تعدد فيهما ولا تركب ولا تجزأ ، والخالق لا بمعنى حر كة ونصب ، وتعب واجهاد نفس لان الحركة وما اليها من لوازم الاجسام ومبدأ

المبادئ بعيد عن ذلك ، والسميع لا بأداة ، اى بوسيلة ، والبصير لا بتفريق آلة ، و معنى تفريقها تمويجها فى شتى الجهات كما هو شأن كل ناظر بحدقة بل سمع الله وبصره علمه المحيط بكل شىء ، والشاهد ، اى الحاضر لكل مدرك اوالناظر لكل مدرك ، لا بماسة ، ناظر لمنظور او لاس لملموس بل بحضور مكاشفة ، والبائن ، اى المبتعد ، لا تراخى مسافة ، بين المتباعد وما بعد عنه بل هو بائن بحقيقته عن سائر الحقائق جوهرأ وهوية . والظاهر لا برؤية ، تقع عليه فتكشفه بل ظهوره انما هو للعقل حيث يدركه وللنفوس المترقية حيث تكاشفه ، والباطن لا بلطافة ، بل بالتجرد الخالص فان جملة من الاجسام اللطيفة يستولى عليها الخفاء اللطافتها والمبدأ الاعلا لطيف لكن بمعنى التجرد وعليه يصح أن يقال فيه انه بطن للطاقته بهذا المعنى وقد سلف فى كلام الامام ع نظيره كما عبر الله سبحانه عن نفسه بذلك حيث قال وهو اللطيف الخبير ، بان من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها ، لان القاهر لشىء ليس من ذلك الشىء المقهور فالذى حصل كينونة الاشياء وسبقها وجوداً والزمتنا الضرورات العلمية ان نعرفه بالتجرد والبساطة يستحيل عليه اختلاطه بها او حصول أية نسبة تقوم بينه وبينها سوى نسبة القهر لها والقدرة عليها وتدير شؤونها ، وبالملازمة باننا الاشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه ، فى تدير شؤونها والقيومة عليها ، من وصفه ، بأوصاف زائدة على عين ذاته او مخرجة له من التجرد والبساطة ، فقد حده ، اى صير له حدوداً تقتضى خروجه الى عالم المادة ، ومن حده ، بهذا المعنى ، فقد حده ، بتجزأته اياه ، ومن حده ، باللون الآنف ، فقد اطل اذله ، لان اذليته وليدة تجرده وبساطته ووجوب الوجود لذاته و كونه المبدأ الاعلا لكل شىء . ومن قال ، فى حقه ، كيف ، هو ، فقد استوصفه ، بما يقتضيه السؤال بكيف وهى انما يسال بها عن تجدد الاحوال وطروء العوارض والمبدأ الاعلى نزيه عن ذلك ، ومن قال اين فقد حيزه ، لان اين يسال بها عن المكان والمجرد فى غنى عنه ، عالم اذلا معلوم ، اى لا متعلق خارجياً لعلمه وهكذا معنى ، ورب اذلا مر بوب ، اى خارجياً كما سلفناه ، وقادر اذلا مقدور ، قد ظهر الى عرصة الوجود ومعنى ذلك ان علمه وصانعيته وقادريته سبقت كل الكوائن بمعنى ان هذه الاوصاف وغيرها بالنسبة اليه تعالى

مناطها وجود ملاكات هافيه بعين وجود ذاته

ومن كلام له عليه السلام (ج ٢ ص ٥٣٤ من النهج الحديدى) وقد سأله ذعلب اليمانى فقال هل رأيت ربك يا امير المؤمنين فقال (ع) أفاعد ما لا ارى فقال وكيف تراه :قال: لا تدر كه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدر كه القلوب بحقائق الايمان قريب من الاشياء غير ملامس ، بعيد عنها غير مباين ، متكلم بلا روية مريد لا بهمة ، صانع لا بجارحة ، لطيف لا يوصف بالخفاء ، كبير لا يوصف بالجفء ، بصير لا يوصف بالحاسة ، رحيم لا يوصف بالرقه ، تعنو الوجوه لعظمته ، وتجب القلوب من مخافته .

لا تدر كه العيون بمشاهدة العيان ، اى ان حقيقته لمـا كانت صرف التجرد و البساطة كانت بالنسبة الى العيون كالبعيد المتوغل فى بعده بحيث لا تدر كه الحاسة ومهما احدث النظر اليه ، ولكن تدر كه القلوب بحقائق الايمان ، اى من طريق الايمان المتحقق به فالمكاشفة من طريق الايمان به تدر كه ادراكا شريفاً للعقل بما هو ولا الحاسة بماهى حاسة ، قريب من الاشياء ، لقيمومته عليها ، غير ملامس ، لها ان قر به معنوى ليس من شأنه الملامسة ، بعيد منها ، فى هويته وهويتها ولكنه غير مباين لها ، لتديره اياها وقيامه عليها ، متكلم بلا روية ، واما غيره فانما يتكلم بعد التروى والتأمل مخافة السقطة والعثرة ، مريد لا بهمة ، اى احداث عزيمة نحو فعل الشىء فان ذلك من صفات من يفتر احياناً ويثور اخرى ويضعف حيناً ويتماسك حيناً آخر وكل هذا بعيد عن ساحة قدسه : يقال له ، صانع ، كما يطلق هذا اللفظ على غيره من الصانع لكن صانعيته تعالى ، لا بجارحة ، يستعملها كما يفعل غيره ، لطيف لا يوصف بالخفاء ، لان المنظور بلطافته هنا بساطته القائمة بالتجرد ، وغيره قد يلفظ على عدم تجرده حتى يخفى عن الحواس الظاهرة فلا يرى لكنه مع ذلك لا يوصف باللطف المطلق ولكن باللطف الخفى وهو لا يمتنع عن ملائمة المحسوسات ، كبير ، وهو على عظمته ، لا يوصف بالجفء ، كما يوصف به كل الكبراء الذين لا يفارقهم التكبر : بصير ، هو تعالى ولكن ، لا يوصف ، ابصاره ، بالحاسة ، بل لعلمه المحيط ، رحيم لا يوصف بالرقه ، لان الرقة والتساوة من اوصاف القلوب الحيوانية والانسانية والله رحيم

على كل حال لكل من يراه مستحقاً للرحمة، تعنونوا لوجوهه، اى تخضع وتذل ، لعظمته ،
وجليل مقامه، وتجب، اى تتخفق وتضطرب ، القلوب من مخافته ، وشدة مؤاخذته على
فصل الباطل والانحراف عن الحق .

وقال عليه السلام من خطبة له (ج ٢ ص ٢٢٧ من النهج الحديدى) كلشىء خاشع لهو
كلشىء قائم به غنى كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف و مفرع كل ملهوف من
تكلم سمع نطقه ومن سكت علم سره ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فاليه منقلبه لم
ترك العيون فتخبر عنك بل كنت قبل الواصفين من خملك لم تخلق الخلق لوحشة ولا
استعملتهم لمنفعة ولا يسبقك من طلبت ولا يفلتك من اخذت ولا ينقص سلطانك من عصاك
ولا يزيد فى ملكك من اطاعك ولا يرد امرك من سخط قضاءك ولا يستغنى عنك من
تولى عن امرك كل سر عندك علانية و كل غيب عندك شهادة انت الابد فلا أمداك و
انت المنتهى فلامحيص عنك وانت الموعد فالامنحى منك الا اليك بيدك ناصية كل دابة
واليك مصير كل نسمة سبحانك ما اعظم شأنك سبحانك ما اعظم ما نرى من خملك وما
اصغر عظيمه فى جنب قدرتك وما أهون ما نرى من ملكوتك وما احقر ذلك فيما غاب عنان
سلطانك وما اسبغ نعمك فى الدنيا وما اصغرها فى نعم الآخرة .

كلشىء خاشع له ، بذاته لمخلوقيته له وان تمرد فى حر كاته و سكناته على
وظائفه فان العقوق كثير فى جهلة البشر، و كل شىء قائم به ، بمعنى وقوعه تحت تدبيره
وقيمومته . غنى كل فقير ، اى هو ذخر الفقير ولا يياس الفقير من تغير حاله الى الغنى
وهو به معتقدو عليه متكل ولا يستولى عليه القنوط وهو يعتقد ان هناك رباً ينظر اليه
ويحذب عليه طبق المصلحة اللازمة ، وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف و مفرع كل
ملهوف ، فان من يعتقد بوجود الله سبحانه من عباده وان الكون كله من خلقته وتحت
تسخيره ويستمد جريانه من تدبيره كان من اللازم عليه ان يعتقد بانه ولو كان الآن ذليلاً لاقد
سخره غيره من طريق عزته اضعيفاً قد استولى عليه القوى لقوته او ملهوفاً قداعيتيه
الحوادث منزعاً الا انه يرقب فى كل آن و آخر انفتاح باب رحمة من ربه عليه فيعز بعد
ذلته ويقوى بعدضعفه وقلته ويطمئن الى ركن وثيق بعدلهفته وانه سيخزى من استدله

ويهن من استضعفه واستقله و كل هذه المعاني وجدانيات في المعتقدين بها يعيشون و عليها يموتون : والمفزع هو الملجأ والمهفة هي حرارة في الباطن تدفع بصاحبها الى تحقيق ما يحاول من مقصد جهد المستطاع ، من تكلم سمع نطقه ومن سكت علم سره ، لان ملاك كل ذلك بالنسبة اليه هو العلم المحيط فالسر والجهر عنده سيان و انما ندب العبد الى الدعاء بلسانه ورفع يديه وتضرعه اظهاراً لادب العبودية ، ومن عاش فعليه رزقه ، لانه هو المدبر للعالم كله ومن بعض تدبيره ادرار رزقه على الاحياء ، ومن مات فاليه منقلبه ، المنقلب هو المرجع فالموجودات حياها وميتها في حاجة اليه حياها لاستمداد رزقه منه وميتها بالوفود عليه والرجوع اليه ، لم ترك العيون ، هذا التفات من الغيبة الى الخطاب ، فتخبر عنك ، لان ما تسلمحت به عاجز عن ان يلزم بك لترفعك عن المادة والماديات بشرائها ، بل كنت قبل الواصفين من خلقتك ، فأنت بمنزلة المتقدم الذي تقادم عهده وبقي في العيان أثره فان ادعى الرائي رؤيته فمن طريق بصيرته و استدلاله بالاثر على موثره وان وصفه الواصف فباعتبار ما يرى من عميم فضله وشخص اثره ومحاسنه الطالعة على وجه الوجود. لم تخلق الخلق لوحشة ، الانفراد لجلالك عن موجبات الفرح والترح واللذة والالام والانسراح و الانقباض ، ولا استعملتهم ، فيما امرت ونهيت وحذرت وبشرت ، لمنفعة ، تعود اليك ، لاستغناءك عن كل شيء و حاجة كل شيء اليك بل كل ذلك من اصل خلقتهم واستعمالهم كان لصالح انفسهم التي قدرت لها السعادة مامشت على الجادة وركبت الصراط السوي ، ولا يسبقك من طلبت ، لان الكون وما في الكون تحت قبضتك فالهارب منك راد اليك ، ولا يفلتك ، الاصل يفلت منك لانه لازم غير متعدى وقد يعدى اللازم احياناً بحذف الواسطة مثل قوله :

استغفر الله ذنباً لست محصيه

و الاصل ان يقول استغفره من ذنب و على كل حال فمثله موجود ومستعمل في كلام العرب و من جملة ذلك ما استشدهنا به ، من اخذت ، اي من وقع في قبضتك يقال أفلت من يده اذا تملص منها و هرب و هذه التعبيرات قد سيقت بأسرها لظهور حقائق يمكن للبشر ان يدركها من طريق المقارنة بين ما يلزمه ويراه ويمارسه

و بين المقام الذى يتحدث عن واجب الوجود الذى لا يرتبط بذلك فى جوهره و
شؤن ذاته فلا يتصور فى مخلوقات واجب الوجود ان تهرب منه فيطلبها فلا تعجزه
اوانها بعد لى تقع فى قبضته ولا تستطيع الافلات منه اذ الكون و ما فيه من اول
خلقته الى ما لانهاية له تحت قبضته بلا مجال معه لغيره ، ولا ينقص سلطانه من عصاك
، اى ان سيطرتك و نفوذك الواسعين غير قابلين للتقلص بتمرد المتمردين و عصيان
العصاة كما يتقلص سلطان السلاطين مرة بانتكاث امورهم بين رعاياهم ويعتدل اويتمتد
اخرى متى عززتهم القوى وخدمتهم الجيوش ، و لا يزيد فى ملكك من اطاعتك ،
فانت سلطان قهار على كل حال سواء اعصاك مخلوقوك و حلمت عليهم ام اطاعوك
فلطفت بهم كل ذلك لا يؤثر فى سلطانه ضعة و لارفعة بل هو كما كان فى عظمته مستمر
الى غير نهاية ، ولا يرد امرك ، عن نفوذه و مضيه ، من سحق قضاءك ولم يرض به لان
تقديرك قائم على مصلحة لازمة التحقق وان جهلها المخلوقون ، ولا يستغنى عنك من
تولى ، معرضاً ، عن امرك ، فان انفراج الامور امامه احياناً قد يغيره و يغيره ولكنه
اذا ضايقته المهمات لم يبدأ من الرجوع اليك والاستخفاء بين يديك ، كل سر ، فيما
بين خلقك ، هو ، عندك علانية ، اى ظاهر مكشوف ، و كل غيب ، كتموه فيما بينهم
هو ، عندك شهادة ، لان الكون وما فى تخومه و اعماقه كالذى فى مظاهره و مجاله
منكشف لك اتم انكشاف كيف لا وانت فاطر سره و جهره و ظاهره و باطنه ، فانت
الابد ، كما يقال زيد عدل اى فانت الواجد للابدية كالازلية مستمر وجودك بلا بداية
ولانهاية ، فلامد لك ، اى لانهاية لك تنتهى اليها ، وانت المنتهى ، اى غاية الجميع ،
فلا محيص عنك ، الى ما سواك يقال حاص يحيص اذا تذبذب الانسان فى باطنه
فاخذ يفتش له عن طريق انحياز و فرار من مكان الى آخر و من انسان الى غيره
، وانت الموعد ، اى محل الوعد والمنظور به هنا نقطة التلاقى واجتماع المخلوقات
لانه الخالق للجميع ، فلانجى ، بمعنى المصدر اى لانجاة منك ، الا ، باللجوء ، اليك
بيدك ناصية كل دابة ، الناصية هى مقدم الرأس الذى يلم عليه شعر الرأس فيكون
القباض عليه من الانسان والحيوان كالقباض على ماهاوشد من الزمام والعنان لانه

يملك الرأس والانسان والحيوان اذا ملك رأسهما بطلت حر كاتهما ووفقا لمستسلمين متقادين والمنظور هنا انه لاحرك للمخلوق بيد الخالق ، واليك مصير ، اى مرجع ومعاد ، كل نسمة ، ومن يكون بهذه العظمة يليق بجلال مجده ان يقال له ، سبحانك ما أعظم شأنك سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك. الذى بمقدورنا ان ندر كه وما يفوت عن ادراكنا ما لانعه ولا نحسبه ، و ، مع ذلك ، ما أصغر عظيمه فى جنب قدرتك ، الواسعة التى تصرف الملك والملكوت بالارادة الصرفة ، وما أهول ، يقال حاله هذا المنظر اذا استغرق تعجبه وأدهشه ، ما نرى من ملكوتك و ، مع هذا ، ما احقر ذلك فيما غاب عننا من سلطاتك وما اسبح نعمك فى الدنيا ، يقال درع سابعة اذا كانت واسعة فائضة والنعمة السابغة هى الوافية ، و ، مع ذلك ، ما اصغر هافى نعم الاخرة ، اى ما اقلها مقيسة الى نعم الاخرة التى اعدت للمتقين .

ومن خطبة له عليه السلام (ج ٣ ص ١٩٤ من النهج الحديدى) الحمد لله الذى لا تدر كه الشواهد ولا تحويه المشاهد ولا تراه النواظر ولا تحجبه السوا تر الدال على قدمه بحدوث خلقه و بحدوث خلقه على وجوده و باشتباههم على ان لاشبه له الذى صدق فى ميعاده و ارتفع عن ظلم عباده وقام بالقسط فى خلقه و عدل عليهم فى حكمه مستشهد بحدوث الاشياء على ازيلته و بما وسمها به من العجز على قدرته و بما اضطرها اليه من الفناء على دوامه واحد لا بعدد و دائم لا بامد و قائم لا بعمد تتلقاه الا ذهان لا بمشاعرة و تشهد له المرائى لا بمحاضرة لم تحط به الا وهام بل تجلى لها و بها امتنع منها واليها حاكمها ليس بنذى كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسما ولا بنذى عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيدا بل كبر شأناً و عظم سلطانا .

الحمد لله الذى لا تدر كه الشواهد ، الشواهد يكون جمع شاهد وشاهدة وكلاهما هنا بمعنى واحد وهو الشهود الحسى المتأتى من طريق الحواس الظاهرية وكل ما ليس بمادى لا يدرك بالحاسة ، ولا تحويه ، اى تتضمنه ، المشاهد ، جمع مشهد وهى المحافل والمجالس التى من لازمها الطبيعى ان يشهد بعض الحاضرين بعضا والمنظور بها هنا مطلق الامكنة وما ليس بمادى لا مكنان له بل ليس من شأنه المكنان

ولاتراه النواظر، جمع ناظره وهى الحاسة المبصرة، و، على انه ليس بمادى بل هو عريق فى التجرد والبساطة واللطافة، لانه حجب السواتر، ولا الحجب والحوجز المادية عن اتصال العقول به بمقدار ما يتيسر لها، الدال على قدمه بحدوث خلقه، والمراد بالحدوث فى هذه الفقرة ما يقابل القدم بماهما مفهومان متقابلان - وبحدوث خلقه على وجوده، ويراد بالحدوث هنا معنى الوجود لان الحدوث معناه الوجود بعد العدم والمنظوران وجود المعلول من الادلة القاطعة على وجود العلة فالفقرتان هذه وسابقتها مفترقتان مفاداً فالاولى تفيد الحدوث فى مقابل القدم و الثانية تفيد استلزام وجود المعلول لوجود العلة، و، الدال، باشتباههم على ان لاشبهه، قد تقدم منا شرح هذه الفقرة فى خطبة سالفة ومضمون ما تقدم ان الكوائن ما سواه على تشتت عناصرها لها جوامع تجمعها فتكون هى وجه الشبه بينها فلو كان هو تعالى كائناً مثلها لسا بهته لكنه لما كان بحكم العقل هو المبدأ الاول لكل كائن و انه سواها ذاتاً و صفة لم يكن له مع اى كائن يفرض اقل شبه فمشابهة الكوائن بعضها لبعض فى اصل الكون والحدوث والاحتياج الى المكون هى التى اوجبت ان لا يكون لمكونها مشابه اذا المشابهة تدعو الى وجوب الاشتراك فى شىء والامتياز فى آخره ذلك ينافى مبدأية المبدأ الاعلا لكل المبادئ و اصلته لكل الاصول واحتياج الجميع اليه واستغناؤه عن الجميع المانع من حاجته الى ما يميزه عن غيره المشارك له فى جامع متأصل بينهما، الذى صدق فى ميعاده، اى فى اوعاده التى وعد بها انبيائه ورسله وعباده ونجزها لوقتها وانما وصفه بذلك وبما بعده لان الجميع من الصدق والعدل والتجافى عن الظلم من صفات الكمال وليس احد اولى بذلك منه تعالى، وارتفع عن ظلم عباده، اى جل وعظم عن ذلك، وقام بالتوسط، وهو العدل، فى خلقه وعدل عليهم فى حكمه، وان كان فى جملة من احكامه التكوينية قديتر ائى لهم انه تعالى اجحف بحقهم ولم يلطف بهم ولكن ذلك كله انما اندمج فى اوهامهم لعدم وقوفهم على المصالح الخفية التى اريدت بهم، مستشهد بحدوث الاشياء على ازليته، حدوث الكائن فى نفسه لا يستدعى ازلية المكون الامن طريق ان مبدأ المبادئ لمالم يجز فيه الا الوجود الذاتى فى مقابل الوجود المفاد لزم ان

يكون اذلياً من هذه الناحية لان الوجود الذاتي لا يلبث مع العدم السابق ولا مع امكان التلاشى وهو عبارة اخرى عن وجوب الوجود وواجب الوجود واجب ازله وأبده ، وبما وسمها به من العجز على قدرته ، وسمه بكذا اى جعل عليه سمة وعلامة وعجز المخلوق لازم لمحدوديته والتكوين يدل على قدرة المكون واتساع الكائنات واختلاف هوياتها يدلان على واسع القدرة وعظيم البسطة والقوة ، وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه ، كثير من الموجودات الحية حياتها فصلية و كثير منها لا يقتضى من طريق الطبيعة تلاشيه وفناءه الالعوارض تهدمه و فى الجميع نشهد تغير الصور و تبدل الهويات وتحقق التلاشى و كل ذلك وليد امكان البقاء و الفناء فيها ذاتاً و هو يستوجب على طول الخط وجود مدبر مشرف بل قيم مباشر فالدوام من هذه الناحية تتقاضه الكائنات فى المكون واما الابدية فهى من مستدعيات وجوب الوجود كما اسلفناه ، واحد لا بعدد ، اى انه ليس فى قبال اثنين وثلاثة بل باعتبار امتيازاته الخاصة المفقودة فى كل ماسواه من وجوب الوجود وبسطة الذات الى غير ذلك و هذا معنى واحديته اذ لا مساهم له فى ذلك ، و دائم لا بأمد ، ولا تحديد مدة بل دوامه ابدى ذاتى قائم لا بعمد ، لتجرده وبساطته وفيه ايماء الى تهجين من يعتقد ان الله قائم على عرشه وهم المجسمة من المسلمين . تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة ، تقول تلقيت الدرس اذا فهمته وادركته اى ان الاذهان تدر كه جهد مقدورها لكن من غير طريق المشاعر والحواس بل من طريق عقلى خالص وان كان باعث الذهن الى التجول فى تفهمه هو الوجود المادى المدرك بالحواس اذن فالمشاعرة هى اعمال المشاعر ، وتشهد له المرئى ، جمع المرئى وهو ما تقع عليه الرؤية ، لا بمحاضرة ، يقال حاضره محاضرة اذا شتمل الحضور على الطرفين فمشاهد الكون اذا شهدت بوجود المكون لها فانما تشهد بذلك عن لسان حالها لا انها حاضرت مكوونها وواجهته و جهالوجه فشهدت عليه بالوجود لذلك ، لم تحط به الاوهام بل تجلى لها ، احاط بالشىء اذا وقف على تمام ما يحيط به ومعنى ذلك انه وقف على تمام هويته والاوهام بالنسبة الى مبدأ المبادئ أعجز من ذلك اذ لا طريق لها الى الغيب المتمحض بل المكون تجلى لها من نفسه من طريق

آثاره فحسب نعم اهل المكاشفة من الاولياء قد يجتلونه من طريق الفناء فيه وان كانت معرفة الاثار دافعة لهم الى ذلك ، وبها امتنع منها ، اى بوسيلة العقول التى لاتعرف طريقاً اليه الامن جبهة شخص آثاره امتنع من ان تقف عليه وقوفاً تاماً لمحدودية الطريق الذى يراد منه الايصال ، واليها حاكمها ، اى جعل العقول انفسها هى الحكم فى انها هل باستطاعتها ان تدركه كمال الادراك اولا تستطيع ذلك ، ليس بذى كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً ، اى هو تعالى يقال فى حقه انه كبير لكن ليس المنظور بذلك انه كبير لكبر النهايات التى تحتويه وتتضمنه حتى يكون كبيراً فى جسمه بل هو كبير فى معناه ، ولا بذى عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً ، اى وكذلك يقال انه عظيم وليس المنظور بعظمته انه لاتنهيها الا الغايات البعيدة والمسافات السحيقة فيكون عظيماً فى جسده بل هو عظيم فى شأنه وهو مفاد قوله ع ، بل كبرشانا وعظم سلطاناً ، وقدرة :

ومن خطبة له ع فى التوحيد (ج ٣ ص ٢٠٣ من النهج الحديدى) ما وحده من كيفه ولا حقيقته أصاب من مثله ولا اياه عنى من شبهه ولا صمده من أشار اليه و توهمه كل معروف بنفسه مصنوع و كل قائم فى سواه معلول فاعل لا باضطراب آلة مقدر لا بجول فكرة غنى لا باستفادة لاتصعبه الاوقات ولا ترفده الادوات سبق الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداء ازاله .

، ما وحده ، بالوحدة الحقيقية ، من كيفه ، فان كل مكيف فاقد للبساطة و متى فقد البساطة لم يكن واحداً حقيقياً ولا حقيقته اصاب من مثله ، فان اتيان المثال له معناه بنظر الممثل وجود مشاكلة بينه وبين غيره وواجب الوجود بخواصه المتفرد بها لامشا كل له اذن فمن مثله لم يعرف حقيقته وانما عرف شيئاً صاغه له وهمه ليس هو الله وعين هذا المعنى يقال فى قوله ، ولا اياه عنى من شبهه ، بشىء من الاشياء بل يكون قصده مصروفا الى ما نحتته خياله وهو امر وراء حقيقة الله ، ولا صمده ، بمعنى قصده ، من اشار اليه ، بالاشارة الحسية ، و ، هكذا لم يقصده واقعاً من ، توهمه ، محاطاً بفكره فان العقول لاتحيط به لقصورها عن دركه من ناحية فقدان الطريق

اليه نعم من ناحية آثاره الشاخصة في عرصة العيان يمكن التعرف به وهذه الآثار لاتدل عليه الادلالة اجمالية ادغاية ما ينطق به لسانها هو ذلك لا أكثر ، كل معروف بنفسه مصنوع ، اى كل ما عرف من طريق الوقوف عليه نفسه و تشخيص هويته فهو مصنوع ولا يجوز عليه ان يكون صانعاً لان صانع الكون لا طريق الى معرفته من نفسه و الوقوف على هويته بل ان عرف اجمالاً فمن طريق آثاره فقط كما ورد في الآثار : كنت كنزاً مخفياً فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكى اعرف ، و كل قائم فى سواه معلول ليس المراد بالقائم فى سواه خصوص الاعراض بالنسبة الى قيامها بالجواهر كما ادعاه بعض الشراح بل المنظور ان كل ما كان وجوده مرتها بغيره لضعفه وقوة الغير اولعجزه و قدرة غيره وما الى ذلك فهو معدول لان الضعف والعجزو نظائرهما امارات كونه محتاجا الى من يرمم احتياجه والمحتاج لا يكون اصلاً لكافة الاصول ، فاعل ، لاشك فى فاعليته وصانعيته لكن ، لا باضطراب آله . بل بالارادة الصرفة ، مقدر لا بجول فكرة ، يقال قدر مقاصده يقدرها تقديراً اذا امعن النظر فيها ليراها كيف تتحقق وتأخذ نصيها من الثبوت وهذا المعنى فى غير واجب الوجود لازم الحصول لان العاقل اذا لم يقدر مقاصده يفشل لاول مرة اما البارى فلا حاطة علمه بكل شىء لا يكون فى حاجة لذلك و كل من احاط علمه بحقائق الاشياء استغنى عن اجالة الفكرة فى مقاصده ، غنى ، بالضرورة من ذاته ، لا باستفادة من غيره ، نظير كافة الاغيار فان غناهم مكتسب ولهم طريق الارث والانتهاج ، لاتصحبه الاوقات ، بمعنى لاتؤثر فيه ولا تغيره ولا تتحدد وجوده بحدود خاصة كما تؤثر فى سائر الموجودات وتحدد وجوداتها بالفواصل والحدود نظير ما يقال مر على هذا الشىء كذا سنة و كذا جيل واما واجب الوجود فلا يقال مر عليه كذا زمان و كذا جيل لانه ازلى ولا تحديد للازل ، ولا ترفده الادوات ، يقال رفته بهذا الشىء اذا ساعده به والبارى تعالى فى غنى عن كل اداة لانه هو خالق الادوات و كل ما توصل الاداة اليه فان الاسباب بالنظر اليه اعدادات فى ايجاد المسببات والجميع مخلوق له رأساً والاداة هى الوسيلة التى يتوصل بها للوصول الى شىء آخر ، سبق الاوقات كونه ، ليس للوقت حد حتى يكون من

طريقه سابقاً او مسبقاً لكن الازل والابد لما كان مفهومهما بعيداً عن شائبة التحديد اذ كل تحديد هادم للازل والابدية وكان وجود الباري ازلياً ابدياً صدق ان وجوده تعالى سبق كل تحديد ، والعدم وجوده ، ليس المعدم مع حفظ عنوانه حدود وفواصل حتى يصح من هذا الطريق ان يقال سبق وجود الله العدم ولكن منظور الامام عليه السلام من هذه العبارة ان خاطرة نسبة الوجود الى الباري تسبق خاطرة نسبة العدم اليه حتى في التصور لان العقل الحاكم بازليته لا يسيغ لنفسه ان يتصور له عدماً بالمرّة واذ طغى على الفكرة تصور نسبة العدم اليه سبقته نسبة الوجود اليه في هذا التصور نفسه ، و الابتداء ازله ، لان الابتداء محدود بطبيعة كونه ابتداء اما الازل فهو وراء كل حد يتصور : وحقاً ان في هذه الفقرات معاني شريفة بعيدة الغور .

بتشعيره المشاعر عرف ان لامشعر له ، وبمضادته بين الامور عرف ان لاضدله ، وبمقارنته بين الاشياء عرف أن لاقربين له ، ضاد النور بالظلمة ، و الوضوح بالبهمة ، والجمود بالبلل والحرور بالبرد ، مؤلف بين متعادياتها مقارن بين متبايناتها مقرب بين متبايناتها مفرق بين متدانياتها لا يشمل بحد ولا يحسب بعد وانما تحدد الادوات أنفسها وتشير الآلات الى نظائرها .

بتشعيره المشاعر عرف ان لامشعر له ، المشعر اسم آلة الشعور وجمعه مشاعر و هي الحواس وشعر له المشاعر بالتشديد جعلها له و المنظور ان المشاعر المجمولة من ناحيته هي التي حكمت عليه تعالى انه ليس محلاً للمشاعر لبساطته اولا ولانها آلات لا يستطيع من غير طريقها التعرف بالاشياء والباري غنى غير محتاج لاستجماعه من ذاته كل كمال ، وبمضادته بين الامور عرف ان لاضدله ، المضادة هي وقوع التضاد ويراد به التقابل المؤدى الى التمانع في الاجتماع عرضاً على محل واحد والحاكم الذي عرف انه لاضدله من طريق وقوفه على معنى التضاد والمتضادات هو العقل و ذلك ان العقل لما ادرك ان المتضادين يتمانعان وجوداً في عرض واحد على مورد واحد عرف ان مبدأ المبادئ يستحيل عليه ان يكون ضد الشيء او له ضد من الاشياء بالمعنى المزبور وهو التعاند العرضي في التأثير اذ لازم هذا التعاند هو انتفاء كل اثر يفرض لحصول

التمانع بين العلتين او يقال انه لاضدله بمعنى عدم المقابل له بالهوية الخاصة بحيث يكون في افقه من ناحية التقابل واما المتضادات الاخر ففى مقابلة الهويات ، وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لاقرين له ، المقارنة بين الاشياء هى ايقاع الصحبة والالفة بينها ولا بد ان يكون ذلك من طريق تقارب اسناخها والاستحجال ايقاع الالفة بينها والعقل لما ادرك ان المقارنة بين الشيئين وليدة التقارب السنخى حكم ان لاقرين للمبدأ الأعلى لاستحالة وجود ما يساخره : هذا وليس منظوره **عليه السلام** من قوله بين الامور وبين الاشياء الامور كلها والاشياء كلها اذ ليست الامور كلها متضادة ولا الاشياء كلها متقاربة ثم مثل **عليه السلام** لفريق المتضادات بقوله ، ضاد النور بالظلمة و الوضوح بالبهمة ، و البهمة هى السواد والظلمة يقال هذا مبهم اى غير واضح والوضوح هو الانكشاف ، والجمود ، و هو البيوسة : بالبلل ، وهو الرطوبة ، والحرور ، و هو الحرارة ، بالبرد . و هو البرودة ، مؤلف ، اى موجد للالفة ، بين متعادياتها ، والضمير يرجع للامور والاشياء ومعنى ايجاد الالفة بين المتعاديات هو جمعها فى اطار واحد وان كان كل فرد منها له مفعوله الخاص غير انه سبحانه بتعديله بين الاثار من طريق الكسر والانكسار اوجد مزاجاً واحداً لا يظهر منه اثر كل واحد من المؤثرات على حدة بل مندمجاً بغيره كاستفادة الماء الفاتر من بين الحار والبارد: وقوله. مقارن بين متبائناتها مقرب بين متباعداتها، نظير لما اسلفنا شرحه من قوله مؤلف بين متعادياتها جاء به لمزيد التوضيح و ايفاء المطلب حقه من البيان : ثم بعد ان ذكر **عليه السلام** قدرته الباهرة فى التأليف بين المتعاديات افاد نوعاً آخر من القدرة الشامخة فقال ، مفرق بين متدانياتها ، فان ايجاد التفرقة بعد ايجاد التدانى صعب فى صعب لكن ذلك على قدرته سهل يسير و ايجاده التفرقة بين المتدانيات هو توزيعها بقضاء الفناء عليها او تشتيت عناصرها بعد اجتماعها ، لا يشمل بعد ، لغموض حقيقته فليس باستطاعة احد من الحدود ان يقوم بتحقيق ذاته ، ولا يحسب بعد ، لبساطته وخلوصه عن كل ما يوجب التركيب ، وانما تجد الادوات ، اى الوسائل التى يتوسل بها فى تحديد الاشياء وتحقيق هوياتها ، انفسها ، اى ما كان من قبيلها فالحيوان الناطق انما يحدد الانسان لانه من قبيله وعلى مثل هذا ، وتشير الالات ، من حواس

ومشاعر، الى نظائرها ، فى السخية فالحواس انما تشير الى مايقع عليه الحس لانه نظيرها فى المادة .

منعتها منذ القدمة ، وحميتها قد الازلية وجنبتها لولا التكملة بها تجلى صانعها للعقول وبها امتنع عن نظر العيون ولايجرى عليه السكون والحر كة و كيف يجرى عليه ما هو أجراه ويعود فيه ما هو ابداه ويحدث فيه ما هو أحدثه اذا لتفاوتت ذاته و لتجزأ كنهه ولامتنع من الازل معناه ولكان له وراء اذوجد له امام ولانتمس التمام اذ لزمه النقصان واذا القامت آية المصنوع فيه ولتحول دليلا بعدان كان مدلولاً عليه وخرج بسطان الامتناع من ان يؤثر فيه ما يؤثر فى غيره .

منذ كلمة تستعمل لتحديد الزمان فيقال حدث هذا الامر منذ كذا سنة: والقدر المتيقن من معانى قد تحقيق الماضى و احتمال وقوع الامر فى المستقبل فيقال قد حدث هذا الامر بمعنى قد تحقق حصوله وقد يكون هذا الامر بمعنى قد يوجد و اضاف علماء اللغة ان قد التحقيقية وراء افادتها تحقيق الوقوع تفيد تقريبه من زمن الحال فمعنى قد قام زيد عندهم ان قيامه المتحقق فى الماضى كان قريباً من زمن التكلم: ولولا معناها امتناع أمر لوقوف أمر آخر فى طريق تحققه فيقال لولا زيد لا كرمنى عمرو: و الامام عليه السلام فى صدر هذا الفصل يريدان يبين بعض الفوارق بين الصانع و المصنوع فقال 'منعتها، الضمير يرجع للادوات والآلات والمراد بها كل وسيلة يتذرع بها للوصول الى امر آخر كالحواس والتحديدات وما الى ذلك : كلمة . منذ ، فى دخولها عليها ، القدمة ، وهى القدم لان منذ تحدد زمان حصولها ووجودها فيقال وجدت الآلة الكذائية منذ كذا سنة والموجود المحدود زمان وجوده لا يكون قديماً ذاتياً وان جازان يكون قديماً زمانياً اما وجود البارى فلما لم يكن محدوداً لاستحالة التحديد عليه لم يكن لدخول منذ عليه اى مجال ، وحميتها من الحماية وهى المنع كلمة ، قد الازلية ، لان الازلية معناها عدم تحديد الوجود من اوله وقد بدد دخولها على الشئ تفيد انه قريب التحقيق فى الوجود من زمان التكلم فكيف يلتئم ما يفيد مدخولها مع مفهوم الازل، و جنبتها ، كلمة ، لولا ، الامتناعية فى دخولها عليها ، التكملة ، لانها تفيد النقصان و

الممنوعة بالغير ومبدأ المبادئ كامل ، لانقص فيه و هو في حد ذاته اقدر القادرين فلا يمنع شئ عن تحقيق ارادته ، بها ، اى بالادوات والآلات من كونها مصنوعة ومن كونها طريقاً للإدراك ، تجلى صانعها للعقول ، فأدركت منهما تستطيع ادراكه ، وبها ، اى من طريق الادوات والآلات المزبورة واستلزام حصولها المبدأ أعلا ليس من المادة والماديات اذ المادى ذاتاً قاصر عن المبدأية المزبورة ، امتنع عن نظر العيون ، لان العيون لا تدرك ما ليس بمادى ، ولا يجرى عليه السكون والحركة ، لانهما من خواص الماديات فان الحركة هى انتقال الجسم من مكان الى آخر و السكون ر كوده فى مكانه الذى هو فيه و كلاهذين الامرين فى بعد شاسع عن هوية المجردات ، و كيف يجرى عليه ما هو أجراء ، اجراء المبدأ للحركة و السكون انما هو بالتبع لاجراء المادة والماديات فى الوجود اذ هما من خواصها ومضافاتهما ، ويعود فيه ما هو ابداه ويحدث فيه ما هو أحدثه ، اى كيف يرجع الحادث ويكون وصفاً للقديم وما هو مخلوق كيف يكون من شؤن الازلى ، اذ التفاوتت ذاته ، فكان قديماً واحداً ومجرداً ومادياً ومخلوقاً وخالقاً ، ولتجزأ كنهه ، الى أجزاء وهو بالضرورة يجب ان يكون بسيطاً ، ولا يمنع من الازل معناه ، لان الحدوث والازل على طرفى تقيض وقد عرفت ان ذاته ازالة وان الحركة والسكون حادثان ، ولكان له وراء اذ وجد له امام ، لان الحركة من لوازمها خلق الجهات للمتحرك فيكون ما يستقبله امامه و ما يدبر عنه وراء له وهلم جرا ، و لا لتمس التمام اذ لزمه النقصان ، لان تفاوت ذاته وتجزأ كنهه يوجبان احتياجه والاحتياج نقص ومن لازم المبدأ الاعلا التمام والكمال فيكون من واجبه التماس التمام و الخروج عما يوجب النقصان والحال ان مبدأيته تامة منذ الازل والتماس التمام فى نفسه نقصان فكيف يلتئمان ، واذاً قامت آية المصنوع فيه ، لان من علامة المصنوع كونه مادياً وناقصاً ومحتاجاً ، و لتحول دليلاً ، على لزوم وجود مبدأ تام العيار فى الكمال والتمام والتجرد والبساطة ، بعد أن كان مدلولاً عليه ، من طريق آثاره التى أوجدها ومصنوعاته التى صنعها ، وخرج بسلطان الامتناع ، هذا كلام مستأنف وليس تابعاً للجمل التى قبله اذ لا يلتئم معها بل له استقلاله فى الدليلية ، من أن يؤثر فيه ما

يؤثر في غيره ، من الجارة متعلقة بقوله خرج ومعنى الجملة انه سبحانه خرج عن أن
يؤثر فيه ما يؤثر في غيره اى أثر يفرض من طريق سلطان امتناعه عن ان تنوشه الحوادث
والمؤثرات لكونه مبدأ المبادئ وعلة العلل ومسبب الاسباب وخالق القوى .

الذى لا يحول ولا يزول ولا يجوز عليه الاقول لم يلد فيكون مولوداً ولم يولد
فيصير محدوداً جل عن اتخاذ الابناء وطهر عن ملامسة النساء لاتناله الاوهام فتقدره ولا
تتوهمه الفطن فتصوره ولا تدركه الحواس فتحسه ولا تلمسه الايدى فتمسه ولا يتغير
بحال ولا يتبدل فى الاحوال ولا تبليه الليالى والايام ولا يغيره الضياء والظلام .

، الذى لا يحول ، يقال حال لونه اذا تغير من حال الى حال والتغير شأن الحوادث
لتأثرها بالطوارى وواجب الوجود نزيه عن ذلك ، ولا يزول ، اى لا يفنى وهو معنى الابدية ،
ولا يجوز عليه الاقول ، وهو الغياب بعد الظهور ، لم يلد فيكون مولوداً ، لاتلازم عقلياً
ولا طبيعياً بين ان يلد وبين ان يولد ولكن المنظور انه ليس من سنخ يحصل فيه التوالد
فان المعمول فى الطبائع التى تمتنع الامثال ان تكون ناتجة من هذا الطريق ، ولم
يولد ، فيكون من افراد الطبيعة ، فيصير محدوداً ، لان كل طبيعى محدود ، جل عن
اتخاذ الابناء ، ولو من طريق التبنى وجلاله عن ذلك لانحياز كنهه عن عوالم المادة
والماديات ولوازمها ، وطهر ، بتجرده ، عن ملامسة النساء ، وفيه ايماء ، الى ان ملامسة
النساء بماهى لا تخلو من قذروالواقع كذلك ، لاتناله ، اى لاتستطيع الوصول اليه ،
الاوهام فتقدره ، اى فتحيط به احاطة واقف على جميع حدود الشئ ، ولا تتوهمه
الفطن ، بحق ، فتصوره ، نعم الاوهام الزائفة توهمته بحسبانها فصورته طبق ماتوحيه
خيالاتها ، ولا تدركه الحواس ، الظاهرة بالمرّة . فتحسه ولا تلمسه الايدى اى تصل
اليه وتتصل به ، فتمسه ولا يتغير بحال ، من الاحوال ، ولا يتبدل فى ، تصاريف ، الاحوال ،
والاطوار كما يتغير ويتبدل غيره ، ولا تبليه الليالى والايام ، بكرها ومرها ، ولا يغيره
الضياء والظلام ، كما تفعل هذه المؤثرات بالطبائع كلها وذلك لانه مجرد متمحض
فى التجرد وكل هذه العوامل مخلوقة له وبعيدة فى كل اسناخها عنه ، ونختم بحثنا
عن التوحيد فى درسنا نهج البلاغة بفصل رائع تكون بحوثه خاتمة مسك لماسلف موزعاً

في شتات الابواب السابقة فنقول والله هو المأمول .

- البراهين في دحض شبه الماديين -

يعيش البشر اليوم في القرن العشرين بعد ما نسلت على أسلافه احقاب وقرون تتغاير مبادئها وعقائدها وفلسفاتها مع مبادئ وعقائد وفلسفات هذا القرن تغايراً محسوساً ادّعى بحوثهما الى التضاد بل التناقض في الاعم الاغلب ومن اجل كشف الجديد اغلأاً جمة في مبادئ القديم وفلسفته لم يقرّ به قرار في التنديد بما كان عليه الاولون من جميع اشياءهم الحقيرة منها والخطير الراجع لامور الدنيا ام الدين في الاجتماع و الاقتصاد اوفى المادة والمعنى على الاطلاق وان الحق معه في كافة مراحلهم وشؤونهم وان الانسان قبل هذا الدور عاش وقطع عمره في ضلال وبني معلوماته على اشتباه وان كافة مبادئه واولاقل الاكثر منها لم تكن متر كزة على المنطق بل على ما يظن منطقاً وان المقاييس العلمية في الاخير برهنت على ما كان عليه من اشتباه وانحراف في عدة امور رئيسية فضلا عن شتات المطالب الجزئية .

فمنها عالم الخلقه وانه بشر اشره ابداع من خالق مجرد حتى "عليم حكيم مقتدر مختار ازلي ابدى وان ليس للطبيعة اثر في خلقته واخرجه وانتاجه بالمره و هذه الدعوى يصرّ على تكذيبها جملة من المتجددين بما أثار الشكوك و الاوهام حتى في من لم يصح لهم بالاعتراف بكل ما ذكره ونحن قبل ان نذكر مزاعمهم في هذا الباب وقبل ان نرد عليهم نمهد مقدمة تتناول درس الحيوان من حيث تركيبه واجهزته و ما هي عليه بطور ملخص ثم نفيض بعد ذلك بذكر آرائهم في الخلقه ونقد كل مزاعمهم بطور متوسط بين الایجاز والاطناب وبعرض صحيح على موازين العلم الحديث ووساطة العقل المرکز والوجدان الذي لا يستطيع احد خدشه او التعلل فيه : فنقول في المقدمة التمهيدية عن لسان علماء الطبيعة والحيوان واعترافهم .

ان الموجودات الحية مع انها تظهر للمنظر متنوعة و متوزعة في الخلقه تشترك عموماً في خواص و مميزات تمايزها عن الموجودات الها مدة الفاقدة للحياة

والخواص الاصلية في الموجودات الحية : هي وجدانها للبنيان الخلوى : العمل الحياتى :
 البنيان الكيمىائى المخصوص : اما البنيان الخلوى فهو ان الموجودات الحية تتشكل
 من واحد او اكثر من الخلايا : و اما العمل الحياتى فهو ان خلاياا البدن فى طول
 أعمارها دائماً تكون عمالة فعالة وان فعاليتها الاجتماعية تظهر فى بدن الموجود
 الحى بصور مختلفة ولتسم هذه الظاهرات بآثار الحياة فعلى هذا يمكن ان يعبرو
 يقال ان الاعمال الحياتية للموجودات الحية هى نتيجة فعالية الخلايا المتشكل منها بدن
 الموجودات الموماً اليها : واهم آثار الحياة عبارة عن التغذية وقابلية التأثر و النمو
 و توليد المثل : اذ كل موجود حى لأجل ادامة فعاليته الحيوية فى حاجة ملجئة
 الى المواد الغذائية و الاوكسيجن ومن طريق التغذية تتحول المواد المزبورة
 الى خلايا .

وكل موجود حى ايضاً بالنسبة الى اثر عوامل محيطه يعود متأثراً بها وهذا
 التأثير الذى يريه من نفسه فى مقابل العوامل المزبورة من أبرز آثار حياته . كما ان
 كل موجود حى لا يبقى على هويته الاولى بل بالتدريج ضمن التغذية الدائمة يترقى
 وزناً وحجماً الى أن يصل الى حده النهائى وهذا ما يعبر عنه بالنمو كما ان كل موجود
 حى فى طريق نموه وفى دورة خاصة من حياته وتحت شرائط معينة ينتج من نفسه نظيراً
 لها وهو ما يعبر عنه بتوليد المثل .

واما البنيان الكيمىائى فى الموجودات الحية فهو لتوفر الكم والكيف فى مواد
 والتأثيرات الماتجة عن ذلك غير قابل للضبط فى هذه السطور لاحتياج تقسيما تهو تر كيباته
 الى توسع فى البيان وتبسط فى المقال .

والخلية تعد من أصغر اجزاء بدن الموجود الحى وانها حجر واحد من احجار
 وفيرة يتقوم منها بنيان الموجود الحى وبنيته الكلية تتكون من اقسام ثلاثة (سيتو
 پلاسم) او المادة الفاقدة لملون اللزجة الشفافة غير المنحلة فى الماء (النواة) وهى
 بصورة جسم كرى الشكل واقع وسط (السيتوپلاسم) : الغشاء وهو سجاج ظريف يحيط
 بالخلية من خارجها : ولهذه الاقسام الثلاثة تنظيمات وتشكيلات .

شروط البقاء : الاعمال الحياتية لكل خلية ولاى نوع من انواع الموجودات الحية لابد وان تكون فى محيط خاص وشروط معينة ومع ان شروط حياة ذوات الارواح بحسب الظاهر مختلفة الا ان هناك شروط عامة ومشاركة فى الجميع يمكن حصرها وتقسيمها الى نوعين : الشروط الخارجية : بطور كلى تكون الموجودات الحية بلحاظ تأمين احتياج الغذاء ودفع المواد الزائدة فى مبادلة دائمة مع محيطها فهى تأخذ الغذاء والاكسجين وتدفع المواد الزائدة وبما انها تقع تحت تأثير العوامل الخارجية للمحيط يلزم ان يكون محيط وجودها واحداً لشروط مساعدة للحياة : الشروط الداخلية : وهذه الشروط مربوطة ببدن الموجود الحى فيلزم فى الموجود الحى ذى الخلية الواحدة ان تكون اقسام الخلية الاصلية فيها سالمة و على وضعها الطبيعى وان يكون الارتباط الكامل بين (النواة) و (السيتوبلاسم) موجوداً : و اما الموجودات الحية ذات الخلايا الكثيرة على الاخص الحيوانات العالية فيلزم فيها فضلا عن الشروط الأنفة تضامنها الاجتماعى ومعاونة بعضها لبعض فى العمل هذا فضلا عن لزوم كون البنية وتركيبات المحيط كاملة وواجدة للوضع الطبيعى .

المجموعات الخلوية : تقال المجموعة الخلوية لكل طائفة منها تعمل لمنظور واحد مشخص ويكون بنائها على نمط واحد وأهم المجموعات الخلوية فى بدن الانسان عبارة عن : المجموعة الغشائية : الغدية : التركيبيية : الغضروفية : العظمية : الدموية : العضلانية : العصبية : الدهنية .

(١) المجموعة الغشائية : بما ان هذه المجموعة تستر سطح البدن وداخل حفر

الاعضاء سميت بالغشائية ولها اقسام عديدة متنوعة .

(٢) المجموعة الغدية : وهى فى الواقع مجموعة غشائية سوى انها ترشحية

بمعنى ان المجموعة الغشائية تحصل فيها انخفاضات بصورة الغدد فتقوم بوظيفة الترشح وكل خلية ترشحية معمولا لاجل الترشح تأخذ موادها الاولية من الشبكة الدموية المحيطة بالغدد وبعد طى مراحل تحويلية فى نفس الخلية تأتى بصورة مادة ترشحية تدفعها الخلية من نفسها : والغدد من حيث البنية وطرز الترشح تنقسم الى اقسام ثلاثة :

الغدد المفتحة : وبما ان هذا القسم ذو مجارى ترشحية الى الخارج قيل له غدد مفتحة : الغدد المطبقة : وبما ان هذا القسم فاقد للمجارى وترشحه يكون الى المحيط الداخلى وهو الدم سمي مطبقاً : الغدد المختلطة : وبما انها ذات نوعين من الترشح الى الخارج والداخل سميت مختلطة .

(٣) المجموعة التركيبية : وهى الخلايا الرابطة التى تصل بعضاً ببعض وهى تكون باشكال نجومية ذات اذنان طريفة تربط بعضها ببعض ولها اقسام وانواع عديدة .
(٤) المجموعة الدهنية . وهى نوع من الخلايا التركيبية تكون فى داخلها مواد دهنية و الدهن ابتداء يكون بصورة ذرات فى الخلية و بالتدريج يكثر و يتصل بعضه ببعض حتى انه بالاخرة يدفع (السيستو پلاسم) و (النواة) الى جانب ويملاء فضاء الخلية بنفسه : ومن فوائد الخلايا الدهنية انها تكون بمنزلة العائق تصون من البرد مهما اشدت .

(٥) المجموعة الغضروفية : الخلية الغضروفية كبيرة بالنسبة و كرية الشكل و بطور منفردة ومجمعة تكون فى الحفر الداخلية ولهذه الخلية اقسام وانواع .
(٦) المجموعة العظمية : تمر كزهده الخلايا فى الحفر الداخلية وتملاء الفضاء الواقع بين هذه الحفر بمادة تدعى بالمادة العظمية وتشتمل هذه المادة على مواد وفيرة من النورة بها تكون ذات استحكام وصلابة : وهذه المجموعة ذات انواع واقسام كثيرة كسوابقها .

(٧) المجموعة الدموية : نوع من الخلايا الرابطة وهى تكون حمراً و بيضا وفاقدة للون .

(٨) المجموعة العضلانية : تتشكل هذه المجموعة من اجتماع خلايا طوال عضلانية تسمى بالاو تاد العضلانية ولها اقسام وانواع وخصائص .

(٩) المجموعة العصبية : خلايا تكون بشكل النجوم كرية هرمية وذات نواة من كزية كرية شفاقة وفيها بحوث حمة .

توليد المثل : منشأ تشكيل بدن الانسان و كلية ذوات الارواح الكثيرة الخلايا

خلية واحدة اصلية تسمى بخلية البدن: وهذه الخلية كائنة عن خليتين مذكرة ومؤنثة وكل من هاتين الخليتين غير قادرة على ادامة الحيات بمفردها واتحادهما ينجر الى تشكيل خلية البذرة: والخلية المذكورة طويلة واجدة في طولها لرأس ورقبة وذنب: والمؤنثة كرية الشكل واجدة لنواة كبيرة: عمل اللقاح: تقرب الخلية المذكورة من المؤنثة وتختلط بها فينجر ذلك الى تشكيل خلية البذرة وهذا التقارب والاختلاط يقال له لقاح: مراحل اللقاح: تتحرك الخلية المذكورة الى طرف الخلية المؤنثة ومقارن هذه الحركة يحدث في الخلية المؤنثة تحذب في بعض جوانبها يجرب به المذكورة اليه و بمجرد تماسهما يرد المذكور في دائرة انثاء فينقطع عنه ذنبه وبلافاصلة تأخذ الانثى بترشح مادة لزجة تسمى شامة اللقاح وهي من العوامل المانعة لورود اي مذكرة اخرى الى هذه الخلية المؤنثة: ونواة الخليتين بعد اختلاطهما تأخذان بالذنب بعضاً من بعض حتى تلتقيا وتركبا وتوجدا من انفسهما نواة واحدة كاملة قابلة للانقسام ثم في هذا الانقسام وكيفية ترقى البذرة كلام واسع لايسعه هذا المختصر:

المحيط الطبيعي لحياة الخلية: جميع خلايا البدن تسبح في مائع مالى للبقاء المحيط بها وواحد لجميع شرائط حياتها وهذا المائع يسمى بالمائع المالى للخلايا ويحصل بترشح الدم من جدران العروق الدموية الى فضاء ما بين الخلايا وهو الرابط بينها وبين الدم والموصل اليها الغذاء والاكسيجن والاذمنها المواد الزائدة وهذا المائع ليس بساكن بل هو دائما يجرى مع الدم ولذلك يمكن ان يقال ان خلايا البدن تعيش في مائع جارى .

الدم: له خواص فيزيائية وكيميائية اما خواصه الفيزيائية فهي ان الدم مائع احمر دائم الجريان في القلب والشرايين باستثناء البشرة والشعر والاذافر ويشتمل على جميع خلايا البدن وهو في العروق الاحمر - باستثناء العرق الاحمر الرئوى - يكون على لون احمر كاشف: وفي العروق السود - باستثناء العرق الاسود الرئوى - يكون احمر معتماً على انه في المراكز الفعالة في البدن نظير الغدد والكلا يكون في العروق السود منها احمر كاشفا .

طعم الدم مالح وله رائحة خاصة وزنه في الرجال ٦١ / ١ وفي النساء ٥٨ / ١ هو بالنظر الى التركيب الكيميائي يحتوى على ٥٠٠ غرام من الخلايا الحمراء والبيضاء و ٥٠٠ غرام من الفاقدة للون وفي المجموع المكور يوجد في كل لتر من الدم ٢٠٠ غرام مواد جامدة و ٨٠٠ غرام ماء : ومقدار الدم في كل انسان تقريباً $\frac{1}{13}$ الى $\frac{1}{10}$ بالنسبة الى وزن البدن الذي يبلغ ٦٠ كيلوا فتقرب كمية وجوده في الانسان المزبور من ٥ لترات .

الاعمال العامة للدم : الدم يشكل المحيط الداخلي للبدن كما انه من عوامل ارتباطه لانه يجرى في جميع مراكزه واجهزته و هو المحيط الطبيعي لوجود خلاياه وبوسيلة اجزائه التركيبية مساوي البيض منها يأخذ الاوكسيجن من الرئة و يئته في المجموعات الخلوية وبتوسط البيض منها يجعل البدن قابلاً للمدافعة جراثيمه وعفوناته : الاجزاء الحمراء منه خلايا بشكل العدس وتكون في الانسان بلانواة وفي جملة من غيره ذات نواة : و حمرة الدم تكوّن من وجود مادة ملونة فيه تدعى (هيموكلوبين) ولوجود هذه المادة فيه تكون له فعالية قوية في نقل غازات التنفس معه لان الهيموكلوبين اذا جاور الاوكسيجن الكافي تركب معه بسهولة : و من خواص هذه الاجزاء الحمراء انها قابلة للانقباض والامتداد فهي تجرى في العروق الضيقة جداً واذا عبرتها الى ما هو اوسع تجمعت وتكاثفت : والاجزاء البيضاء من الدم خلايا فاقدة للون شفاقة كرية الشكل او غير منظمة ذات نواة واحدة او متعددة و من خواصها انها لظرافة غشائها وبوسيلة ايجاد ارجل كاذبة فيها دائمة الحركة وبتكائها على جدران العروق الدموية تقوم بالحركة ويمكن ان تضبط سرعة حركتها في الساعة الواحدة بميل متر واحد وهي بالنسبة الى المواد الكيميائية حساسة جداً لبعض المواد كترشحات الميكروبات والاوكسيجن تجلبها اليها وبعضها نظير الكحول الالكلمية تطردها عنها : وهي لاتزال ذات حملات عنيفة على الجراثيم والمواد الخارجية تحاصرها وتبتلعها وتهضمها مثلاً على اثر انغماس ابرة في البدن لو تسربت اليه عدة ميكروبات اخذت هذه الميكروبات تتغذى بالمائع المالىء لفضاء

ما بين الخلايا وبوسيلة تحرركها تبعث بسمومها اليه فيحصل من ترشح السموم ورم وألم وتعفن في المزاج في هذا الموقع تمنبه الاجزاء البيض و تخرج من عروقها الضيقة لتبارز الجراثيم فهنا يحصل هجوم من الميكروبات ودفاع من الخلايا المزبورة بترشح السم من الاولى وترشح ضده من الثانية فاذا قاومت هذه الخلايا مقاومة تامة انتهت المنازعة بينها وبين الميكروبات بالقضاء على هذا العدو فتجف الجراحة و يهفت الورم و كل ما اصاب الخلايا من نقص وجهد يثرم سريعاً و اذا عجزت عن دفاعها اخذت الميكروبات يتكاثر والورم يزداد وتقرب الحالة من الخطر .

الدورة الدموية : نعلم ان المحيط الداخلى دائماً في تجدد و جريان حتى يتمكن ان يأخذ من الامعاء والرئتين المواد الغذائية والاوكسيجن ويدفع المواد الزائدة الى جهاز الدفع وبالنتيجة يحفظ تركيبه ويجعله ثابتاً : و جريان الدم دائماً منوط بضر بان القلب وعلى اساسه يندفع في الشرايين الحمر والسود والعروق الصغار .

عمل القلب : القلب في ضربانه المتعاقب يجرى الدم في الشرايين والدم له دورتان كبيرة مفصلة و صغيرة مختصرة و المفصلة تشرع من البطن الايسر للقلب و بعد طى طريق الشرايين الحمر و العروق الصغار و الشرايين السود يرد الى الدهليز الايمن من القلب توسط شرايين أسودين خشنين تحتانيين ، و المختصرة تشرع عن البطن الايمن و من طريق الشريان الاحمر الرئوى تتصل بالرئتين و بتوسط اربعة شرايين سودرئوية ترجع الى الدهليز الايسر من القلب : والقلب في ضرباته المنظمة من ناحية يأخذ الدم من الشرايين السود من ناحية ثانية يدفع الدم بضغط في الشرايين الحمر و من هذا الطريق وبهذا اللون يوجد جريانه : والقلب له في انقباضه وانبساطه تغيرات ففي انقباضه يكشف لونه و يقل حجمه و يصير كريا و يتحرك من اليسار الى اليمين و يتصل طرفه بقفص الصدر فيوجد ضربة وفي انبساطه يحمر لونه و يكبر حجمه ويستطيل و يتحرك من اليمين الى اليسار حتى يرجع الى محله الاول : و يضرب قلب الانسان في كل دقيقة ٧٠ مرة لكنه في مختلف السنين تحصل فيه فروق ففي الطفل ذى السنة الواحدة يضرب ١٣٠ وفي ذى الثلاث سنين ١٠٠ و في العشر سنين ٩٠ و من

العشرة للخمسين سنة ٧٠ وفي سن الشيخوخة يزيد ويكثر ففى الثمانين يبلغ ٨٠ مرة وفي النساء والقصار القامات يزيد على الحد المتداول: تعداد ضربات القلب فى التمرينات العضلانية والاضطراب والوحشة والحمى يكثر ولكن فى الاستراحة والنوم يقل.

جريان الدم فى الشرايين الحمر مع ان ضربات القلب متناوبة فان الدم معمولا يجرى بسرعة فى الشرايين المزبورة وعلة اتصال جريانه فيها هى وجود الاوتار القابلة للارتجاع فى جدرانها وهذه الخاصية فيها هى التى تسهل العمل على القلب و لذلك عند انحراف المزاج تتصلب الشرايين وبالتبع تتصلب جدرانها فلا تعود قابلة للارتجاع ومن اجله يزداد شغل القلب ويكبر حجمه: وجريان الدم فى العروق الصغار دائمى وعلى نحو واحد و فيها خاصية الانقباض و الانبساط : انقباضها مربوط بسيتوبلاسم الخلايا القائمة فى جدرانها فانها هى التى تضيق العرق حتى لا يجرى فيهدم كثير ولكن فى الاعمال الشاقة تنفتح هذه العروق فيسترسل فيها دم كثير : فى كبار هذه العروق نجد الخلايا الحمر الدموية متصلة بعضاً ببعض فى العبور منها و لكن فى العروق الضيقة المجرى نجدها متفردة ومتعاقبة فى العبور اما الخلايا البيض الدموية لا جل ان لا تتحرك فى العروق بسرعة نراها تتعلق بجدرانها وتتحرك حركة خفيفة جداً جريان الدم فى الشرايين السود دائماً يكون الى طرف القلب وهو فى جريانه متصل و على السوية و سرعة سير الدم فيها قليلة الا انها اكثر من سيره فى العروق الصغار والعامل الاصلى فى رجوع دمها الى القلب هو بقية الضغط الحاصل من البطن الايسر له فانه معين على جريان الدم فيها ومؤثر فيه .

عمل التغذية : قدمنا فى بحثنا عن الخلية والاعمال الحياتية مختصراً يرجع لعمل التغذية وعلمنا هناك ان التغذية باعثة لادامة حياة الموجودات الحية اذن فالقسم الظاهرى والمقدمائى للتغذية يشمل الاعمال التى توجد المبادلة بين الخلايا والمحيط الداخلى وهذه الاعمال شاملة لمراحل مختلفة من قبيل المضغ والهضم والجذب و جريان الدم والالياف المخاطية والتعفن و الدفع و يتحقق كل من هذه توسط جهاز مخصوص بمعنى ان عمل المضغ والهضم يجعل المواد الغذائية قابلة للورود فى المحيط

الداخلي وجريان الدم والالياف المخاطية يجددان المحيط الحيوى للخلايا والتنفس
يوصل ما به الحاجة من الاوكسيجن الى الداخل والدفع يخرج المواد الزائدة الى
الخارج ونحن فى هذا الفصل نبحث عن الغذاء وعن جهاز المضغ والهضم : الغذاء
يطلق على المواد المؤمّنة لاحتياجات البدن من توليد القوة فيه و ترميم المواد
التالفة منه وتأمين النمو : والاغذية المعمولة نظير الخبز واللحم والبيض و اللبن مع
انها بحسب الظاهر اغذية بسيطة لكنهما فى التجزئة والتحليل متركبة من مواد متعددة
والاغذية البسيطة مشتملة على اغذية معدنية و اغذية آلية والاغذية المعدنية شاملة للماء
والاملاح المعدنية و الماء يقوم بتشكيل $\frac{2}{3}$ من وزن البدن و الانسان معمولا فى الحر
المعتدل يدفع فى اليوم من طريق الادرار والعرق والتنفس والمدفوع ما يقرب من
ليتر ونصف ماء وهذا المقدار يؤمنه بوسيلة شرب الماء والمشروبات المختلفة والاغذية
فان فى الخبز ما يقرب من $\frac{35}{100}$ ماء وفى اللحم ما يقرب من $\frac{65}{100}$ وفى الفواكه
ما يقرب من $\frac{75}{100}$ وان للماء دخلا قويا فى تمام فعل وانفعالات داخل البدن : و
الاملاح المعدنية تقوم بتشكيل $\frac{4}{100}$ من وزن البدن : و الانسان يدفع فى اليوم واللييلة
ما يقرب من ٢٥ غرام ملح ولا بد من جبرانها ضمن الاغذية التى يتناولها فالاملاح
المأكولة تقريبا تجبر من ذلك عشرة غرامات والاغذية النباتية تجبر الباقي منه : والبحث
فى تشقيق هذه الاملاح والاغذية الالية طويل لايسعه هذا المختصر : ولا يجهل لزوم
الغذاء لترميم النقص وتوليد القوة لعلمنا دائما بان دفاع مواد مختلفة ضمن الادرار
والعرق والصفراء ونستنتج من ترميم ما يؤخذ من الشعرو الاطافر وما يسقط من بشرة
الجلد وما ينمو به الطفل الى سنين معينة ان ذلك كله من نتائج ايراد الغذاء الى
المحيط الداخلى .

المضغ والهضم : يقالان على مجموعة الاعمال التى تغير شكل المواد الغذائية
وتجعلها قابلة للتصريف فى المحيط الداخلى وهذا الجهاز شامل لانبوب المضغ والهضم
وغدهما : اما الانبوب فهو مفتوح الطرفين يشرع من الفم وينتهى بالمخرج وهو
بالترتيب شامل : للفم : الحلق : المرى : المعدة : المعائين الضيق والواسع .

القم : هو الحفرة المحدودة من الامام بالشفاه ومن الورااء بالحلق ومن الاعلا بالدهاة ومن الاسفل بسطح القم ومن الطرفين بالعارضين ويسترد داخل القم مخاط احمر يكون في نهاية الدهاة سجافاً باسم شراع الحنك ينتهى باللسان القصير ويوجد فى داخل القم اللسان والاسنان : اما اللسان فيبحث عنه فى حس الذوق واما الاسنان فهى قائمة فى حفر على مجازاة الفكين الاعلا والاسفل وتنقسم الى اربعة انواع الثنايا والانياب والطواحن الكبار والطواحن الصغار ويقال للقسم الخارج عن اللثة منها - تاج - وللداخل فى اللثة - جذر - وللحد الفاصل بينهما محز .

(١) الثنايا - وهى واجدة لتيجان حادة الطرف قاطعة ولجذرواخذ وتعدادها اربعة فى كل فك وموقعها القسم الامامى من القم .

(٢) الانياب - وهى واجدة لتيجان محدبة حادة ولجذرواخذ وتعدادها اثنان فى كل فك وموقعها فى طرفى الثنايا .

(٣) الطواحن الصغار : وهى واجدة لتيجان عريضة ذات حدبتين وتكون ذات جذر واحد واثنين ويوجد منها فى كل فك اربعة اعداد وموقعها فى طرفى الانياب .

(٤) الطواحن الكبار : وهى واجدة لتيجان عريضة ذات اربع حذب والطواحن الفوقية منها معمولا تكون ذات جذر ذى ثلاث شعب و السفلى منها ذات جذرين و تعدادها فى كل فك ستة موقعها بعد الطواحن الصغار : فمجموع اسنان الانسان البالغ ٣٢ سنأ .

اسكلت الاسنان من العاج وفى ضخامته مجارى منشعبة لتغلغل الاعصاب وتيجانها مطلاة بالمينا وجذورها بالساروج ويشتمل العاج على ٧٢/٠ من النورة و ٢٨/٠ من المواد الآلية ويشتمل الساروج على ٧٠/٠ من مواد النورة و ٣٠/٠ مواد آلية ويرد الشريان الدموى الاحمر من الجذور اليها وبعد وروده يتبدل الى شبكة عروق صغيرة ويرجع خارجاً منها بصورة شريان دموى أسود وهكذا ترد الاعصاب الى الاسنان من الجذور وحدانشعابها الى المينا .

الحلق : فضاء واقع خلف القم من ناحية شراع الحنك وهو بصورة مفترق اربعة

طرق فمن الامام الفم ومن الاعلا حفر الانف ومن الاسفل قصبه التنفس والمرى وتقع في طرفيه اللوزتان ، يستر باطن الحلق غشاء مخاطى ومن وراء هذا الغشاء عضلات بعضها طولى وبعضها حلقوى .

(٣) المرى : انبوب بطول ٢٠ الى ٣٠ سانتيمترو بقطر ٢/٥ الى ٣ سانتيمتر وموقعه وراء قصبه التنفس و في مقابل الخرزة ١١ من فقار الظهر يرتبط بالمعدة و يحتوى جداره من الداخل الى الخارج على طبقة مخاطية و طبقة عضلية تشتمل على اوتار طولية من الخارج واوتار حلقوية من الداخل و اكثر عضلات مبتدأ المرى مخطط و لكن باقى عضلاته مطلس وعلى طبقة تر كيميية وفيها تكون مجارى عروق الدم و الاعصاب .

(٤) المعدة كيس بسعة ١٢٠٠ سانتيمتر مكعب يقع فى الطرف الايسر من البطن ويتكأ قسم من الكبد عليه مدخله يسمى فم المعدة و محل اتصاله بالاثنى عشر يسمى باب المعدة و فى المعدة انخفاضان كبير و صغير و ضخامة جدارها ٢ الى ٣ ميل مترو من الداخل الى الخارج تشتمل على طبقات طبقة مخاطية تحتوى على غدد الهضم و غدد المخاط : طبقة عضلانية : طبقة تر كيميية وفيها تكون مجارى الدم والاعصاب .

(٥) المعاء الضيق وهو بطول ٨ أمتار تقريباً و بقطر ٢/٥ الى ٣ سانتيمتر شروعه من باب المعدة وينتهى الى المعاء الواسع و لاجل ان يمكن وجوده فى محيط البطن يكثرفيه الالتواء و التطوى و كل ما قرب الى النهاية يضيق اكثر حتى ان قطره لا يعود يساوى اكثر من ١/٥ الى ٢ سانتيمترو هذا المعاء يحتوى على ثلاثة اقسام : الاثنى عشر بطول ١٥ الى ٢٥ سانت و موقعه بعد المعدة بلافاصلة : المعاء الاسفل وهو العمدة فى المعاء الضيق و الاكثر التواء و تطويماً : المعاء الطويل وهو منتهى المعاء الضيق و يتصل بوسيلة بويب صغير بالمعاء الواسع : ويشتمل جدار المعاء الضيق من الخارج الى الداخل على طبقات : الطبقة التركيميية وفيها مجارى الدم : الطبقة العضلانية المطلسة لكن العضلات من خارجها طولية و من داخلها حلقوية : الطبقة المخاطية و تشتمل على غدد الهضم و غدد المخاط و مخاط هذا المعاء ليس بمطلس بل فيه اسنان عرضية تدعى

بطيات المعاء وهى بتعداد ٨٠٠ الى ١٠٠٠ طبقه يتضرس بها سطح المعاء المزبور و يستولى على السطح الداخلى للمعاء وحتى على السطح المتطوى منه حبيبات بار تفاع $\frac{1}{4}$ ميل متر تدعى بالخمل ويرتقى تعدادها الى ملايين الحبيبات : وخلايا هذه الطبقة هى العامل الاصلى فى جذب الغذاء وفى طول جدران الخمل عضلات مطلسة بانقباضها وانبساطها حين الجذب تسبب تغيير حجم الخمل وفى كل خمل انشعاب للعرق الاحمر الدموى وبعد وروده يتبدل الى شبكة عروق دموية و يكون فى خروجه بصورة عرق دموى اسود .

(٦) المعاء الواسع : وهو بطول $\frac{1}{5}$ متر تقريباً و بقطر ١٠ سانتات شروعه من بويب المعاء الضيق و انتهاؤه يكون بالمخرج ويشتمل على ثلاثة اقسام : المصران الاعور : القولون : المعاء المعتدل : المصران الاعور يشبه الكيس وفى انتهاه تكون زائدة الابانديس : القولون و هو كثير الالتواء و التعرج وتكون قسمته الصاعدة الى فوق عن يمين البطن ثم يكون بصورة افقية وفى ايسر البطن ينزل الى اسفل ويحصل فيه حينئذ انخفاض : المعاء المعتدل وهو يكون بطول ٢٥ سانت تقريباً و يتسع كل ما قرب من المخرج : ويربط بين المعاء الضيق و الواسع بويب تعبر منه المواد من الاول الى الثانى وجدران المعاء الواسع من الخارج الى الداخل تشتمل على الطبقة التركيبية والعضلانية والمخاطية وتكون الاوتار الطولية لعضلات المعاء الواسع ذات ثلاث شطوب وبما ان طولها يقل عن طول المعاء فلذلك يتسبب التعرج و الالتواء فى انبويه : ومخاط هذا المعاء فاقد للخمل .

(٧) غدد الهضم : بعض هذه الغدد واقع فى جدار انبوب الهضم وتكون صغاراً مثل غدد المعدة وغدد الامعاء وبعضها واقع خارج الانبوب وبما انها توصل ترشحاتها الى انبوب الهضم يقال لها غدد ضميمه الهضم مثل الغدد البزاقية ولوز المعدة و الغدد البزاقية الثلاثة ازواج بشكل العنقود وتوصل ترشحاتها الى الفم وهى عبارة عن الغدد الواقعة اسفل الاذن وهى بوسيلة مجراها توصل ترشحاتها من طريق الطاحن الثانى من الطواحن الكبيرة الفوقية الى الفم والغدد الواقعة تحت الفك و هى بوسيلة مجراها

توصل ترشحها من وراء المقادير التحتية الى الفم والغدد الواقعة تحت اللسان وهي بوسيلة مجاريها المتعددة تصب ترشحها تحت اللسان .

عدد المعدة : وهي غدد صغار يتراوح تعدادها بين ٦ الى ٧ ملايين غدة وموقعها مخاط المعدة بعضها ساذج وبعضها كالاصابع وشكل الجميع انبوبي وفي كل غدة يوجد نوعان من خلايا الترشح بعضها اصلي وبعضها على حاشية الانبوب .

غدد الامعاء : وهي نوعان عنقودية ووجودها منحصر في الاثنى عشر وغدد انبوية ساذجة وقصيرة توجد في طول المعاء الضيق ويوجد قليل منها في المعاء الواسع .

غدد لوز المعدة : لوز المعدة من اهم غدد الهضم وهي غدة مستطيلة على شكل اللوزة بوزن ٧٠ غراماً وبطول ١٥ سانتاً وبضخامة سانت واحد واقعة بطور افقى تحت المعدة قسمتها العريضة واقعة على باب الاثنى عشر وطرفها الضيق يختم بالطحال وتصب ترسحاتها في الاثنى عشر .

غدة الكبد : الكبد اضخم غدة في البدن وزنه التقريبي ٢ كيلو ويقع في القسم الايمن للبطن وقراره على الامعاء سطحه الاعلا محدب و سطحه الاسفل مقعر وقسمتا وسطه وخلفه ضخمتان ويرق تدريجاً الى الطرف : في سطحه الاسفل توجد ثلاثة اخاديد اثنان منها عموديان و الثالث عرضي : و عروق دم الكبد عبارة عن العرق الاحمر الدموي الجالب وهو شعبة من العرق الاحمر الاحشائي ويجلب الى الكبد دمياً معتدل اللون غير معتم والعرق الدموي الاسود وهو يجلب الدم المعتم من المعدة والمعاء والطحال ولوز المعدة الى الكبد و العرق الاسود الدموي الآخذ و هو الذي يخرج بالدورة الدموية الى خارج الكبد .

المجاري الصفراوية للكبد : الصفراء مائع أصفر وبوسيلة مجرى يقال له المجرى الكبدي بطول ٧ الى ٨ سانتات يخرج من الكبد وفي نهايته ينشعب الى شعبتين شعبة تصب في كيس الصفراء والاخرى في الاثنى عشر : وفي الكبد وتقسيماته بحوث كثيرة لايسعها هذا المختصر .

تحليل الهضم من الناحية العلمية : اعمال الهضم الباعثة على تغيير شكل الغذاء

تشمل نوعين من الاعمال ميكانيكية وكيميائية : الاعمال الميكانيكية لجهاز الهضم حر كات باعثة على نعومة الغذاء ودفعه الى الداخل واخلاء انبوب الهضم منه ويحصل هذا العمل بوسيلة العضلات الهاضمة وتوجد هذه الاعمال على طول انبوب الهضم وهي عبارة عن المضغ والبلع وحر كات المعائين الضيق والواسع .

المضغ : عمل ميكانيكى للفم تتوسط الشفاه واللسان فى دفع الغذاء الى الاسنان حتى ينعم ويختلط بالمواد البزاقية ويقوم الفك الاسفل توسط العضلات بعملية المضغ . والبلع عمل ميكانيكى يحصل منه انحدار الغذاء من الفم الى المعدة وللبلع مراحل ثلاثة - مرحلة الفم - الحلق - المرى - بعد مضغ اللقمة تستقر على اللسان وطرف اللسان بانكائه على اللهاة وانسداد الفم وضغط الفك الاسفل على الاعلاو انقباض عضلات اللسان يحددها الى طرف الحلق وهذا العمل فى بدعه ارادى لكن اللقمة اذا تعدت شراع الحنك خرجت العمليات اللاحقة عن الاختيار واذا وصلت اللقمة الى الحلق انسدت الطرق الثلاثة امامها طريق الانف ، بشراع الحنك واللسان القصير وطريق الفم باللسان وطريق التنفس بارتفاع الحنجرة ووردت الى المرى و اذا استرسلت انفتحت الطرق الثلاثة الأنفة الذكر وباعتبار ان جدران المرى ذات عضلات طولية وحلقوية فهى بانقباضها المتواصل تسوق اللقمة الى طرف المعدة .

العمل الميكانيكى للمعدة : انقباض الانواع الثلاثة العضلانية القائمة فى جدار المعدة حين الهضم يغير شكل المعدة : المعدة الخالية معمولا تكون بطور قائم و فاقدة للمحر كة وفى موقع ورود الغذاء اليها يتورم وسط المعدة وينحدر الغذاء الى الاسفل ومعمولا بعد عشرين دقيقة من الاكل تشرع جدران المعدة بالمحر كة و هذه الانقباضات تكون بطور اخايد حلقوية تشرع متوجهة الى الاسفل وبتبعتها تنحدر المواد الغذائية من أعلا الى اسفل و من نتيجة هذه الحر كات يختلط الغذاء بترشحات المعدة .

العمل الميكانيكى للمعاء الضيق : اولا تختلط المواد الغذائية بترشحات هذا المعاء وثانيا تنحدر منه الى المعاء الواسع وتشخص فى المعاء الضيق حين ورود الغذاء

فيه ثلاثة انواع من الحركة : حركة تحصل على اثر انقباض العضلات الطولية يعنى على اثر انقباض هذه العضلات يحصل فى طرف من المعاء انخفاض وانحاء وهذا العمل يحصل متناوباً على طول المعاء و يوجد تغييراً فى قطره : وحركة تحصل بسبب انقباض العضلات الحلقيوية و تسبب حلقات متواصلة من الانخفاض على طول المعاء حيث تصير المعاء بصورة فقرات الظهر وخرزات السبحة : وحركة تحصل بسبب انقباض العضلات الطولية والحلقوية فتوجد اولا حلقة من الانخفاض على عرض دورة المعاء ثم يكون هذا الانخفاض بصورة موج مالىء للمعاء كله و كل نقطة يمر بها هذا الموج تطول وتضيق و بعد تعديده منها تعرض وتتسع وسرعة حركة الغذاء فى هذا المعاء فى كل ساعة متر واحد و مدة توقف الغذاء فيه تستغرق ٦ ساعات .

العمل الميكانيكى للمعاء الواسع : على اثر وصول الموج فى المعاء الضيق الى منتهاه ينفتح البويب الفاصل بينه وبين المعاء الواسع فيتسرب منه بعض الغذاء اليه ومع ان المعاء الواسع على طوله واجد للارتعاشات التموجية فهو فى اوائله يعنى فى القولون الصاعد الى فوق والقولون الاقضى تتصادم فيه ارتعاشات متعاكسة و بسبب هذا التعاكس تتوقف المواد فى المصران الاعور فتعطى من نفسها كمية من الماء وعلى اثر توالى المدفوع يعود المصران الاعور والقولون الصاعد والاقضى مكتضاً به فتتحدر قسمة من المدفوع فى القولون الصاعد والاقضى الى القولون الاسفل وتتوقف فيه واذا وصلت اليه مواد مائية بحد معين استرسل الى المعاء المعتدل وحرك مخاط المخرج فاذا حصلت منه اجابة خرج والا رجع الى القولون الاسفل و توقف خروجه الى وقت آخر .

الاعمال الكيمائية لجهاز الهضم : العمل الكيمائى المضم يحصل من اثر البزاق يترشح البزاق فى اليوم واللييلة بطور عادى قريباً من ٨٠٠ غرام ويشتمل على ٥/٠ مواد جامدة و ٩٥/٠ مواد مائية و مركز ترشح البزاق هو بصل النخاع و حصواه يكون بطريقة انعكاسية - ذلك - ان الغذاء اذاورد الى الفم حرك مخاطه ومخاط اللسان و هذا التحريك بوسيلة اعصاب الحس يتصل بمركز الترشح والمركز المزبور بوسيلة

الاعصاب المحركة يحرك الغدد البزاقية بالترشح ويحصل الترشح بصورتين-الأولى- تناول الغذاء-الثانية- بصورة روحية بمعنى ان رائحة الغذاء اورؤيته اوسماع اسمه وتخييله قد تبعث ترشح البزاق .

الاعمال الكيميائية للمعدة :الهضم الكيميائي للمعدة يحصل تحت اثر سوائل المعدة وتترشح هذه السوائل من غددها لمجاورة بعض مواد الغذاء لمخاط المعدة في اليوم والليله بمقدار ليتين وسائل المعدة مائع فاقد للون فيه شيء من اللزوجة وحالة اسيدية و توقف الغذاء في المعدة يختلف باختلاف مواده فالماء مكثه قليل و الحليب بقاءه لمدة ساعة اما المواد الدسمة فبقاؤها طويل يعوق الهضم و اذا انتهى وقت هضم المعدة اعطت محتوياتها بصورة مائع حامض يسمى بالكيموس المعدى و اذا وصلت الحالة الاسيدية الى حد معين بحصول انقباضات موجية يفتتح باب المعدة الى الاثنى عشر .

الاعمال الكيميائية للمعاء: العمل الكيميائي لهضم المعاء له اهمية خارجة عن المعتاد لان المعاء فضلا عن سوائله تصب فيه سوائل الصفراء وسوائل لوز المعدة وسائل المعاء مائع يوجد من اثر ترشح غدده ومقدار ترشحه في اليوم والليله يقرب من ليتر واحد وهو يحصل من مجاورة المواد الغذائية لمخاط المعاء .

خواص الكبد و لوز المعدة بالنظر الى هضم المعدة: سبق ان بيننا ان الصفراء وسائل لوز المعدة يصبان في المعاء وتأثيرهما يكون في هضم المواد الغذائية والصفراء مائع لزج قابل الامتداد مرهوع اصفر اللون اذا كان في كيسه فاذا جاور الهواء مال لونه الى الخضرة وترشحه في اليوم والليله يكون بمقدار ٨٠٠ الى ١٠٠٠ غرام ويوجد في الصفراء حالة ترشحها ٢٥ بالالف مواد جامدة والباقي ماء: لكنها اذا تجمعت في كيسها ترتقى المواد الجامدة فيها الى ١٥٠ بالالف واكثر اهمية الصفراء يكون من ناحية الهضم والجذب للمواد الدسمة ومن ناحية تحريكها للتموجات العمومية في المعاء لحصول الهضم ومن اسقاطها للخلايا الغانية المتحطمة عن جدران المعاء و من ايجادها لضد العفونات في محيط المعاء ومقاومتها للورود والتعفنات :وسعة كيس الصفراء

٥٠ سانت مكعباً : اما سوائل لوزالمعدة فهي تكون من طريق خلايا العنقودية وهذه السوائل من اهم سوائل الهضم لتأثيرها في كل غذاء : وترشحها في اليوم والليله يكون بمقدار ١٢٠٠ غرام وهي مائع فاقد للون قابل للامتداد قليلا يشتمل على ١٥ بالالف مواد جامدة والباقي ماء.

الجذب : المواد التي تصل لخلايا البدن لا بد وان تنهى مراحل ثلاثة - ١ - عبورها من وراء غشاء سطح البدن او السطح الداخلي لانبوب الهضم - ٢ - توزعها في المحيط الداخلي وفي جميع نواحي البدن - ٣ - نفوذها الى داخل سيتوبلاسم الخلايا ومع ان الجذب يحصل من طريق الرءة ومن طريق غشاء البدن والمخاط وتتحدر ضمن هذا الجذب مواد كيميائية وطبية لكن اهم بحثنا عن جذب الغذاء من طريق انبوب الهضم ومع ان جهاز الهضم كثير الاقسام فان الفم يجذب جملة من المواد الدوائية و المعدة تجذب جملة من الالكالات والسموم الا ان القسمة المهمة في الجذب لانبوب الهضم هي الامعاء على الاخص المعاء الضيق منها فان القسم الاعظم من الغذاء المنهضم يجذب فيه لان مخاط هذا المعاء ساذج فيكون عبور الغذاء فيه اسهل من غيره و لوجود التعرج الكثير و الخمل فيه تكون مجاورته للغذاء اطول من غيره و لتعدد حر كات هذا المعاء و حر كات خمله تكون قدرته على الجذب اكثر و لان المواد الغذائية فيه تصل الى حدها النهائي في التجزئة و التحليل يكون جذبه لها اوفر و لان الغذاء يتوقف فيه فلطول هذا التوقف يطول الجذب و زمانه - و بالنتيجة - بمناسبة وجود التعرجات الكثيرة في هذا المعاء والخمل الزائد جداً حيث يكون تعداده في كل سانت مربع من ٥٠٠ الى ٣٠٠٠ يوجد للجذب سطح واسع جداً يتجاوز عن ٤٣ متراً مربعاً بل يمكن ان يقال ان محيط الجذب منحصر به : وفي الجذب و تحولاته ومجاريه بحوث قيمة لايسعها هذا المختصر.

عمل التنفس : من شرائط حياة كل موجود حي وجود الاوكسيجن في المحيط الحيوي العايش فيه لان الموجودات الحية في حاجة الى ذلك : و المواد الغذائية بوسيلة المحيط الداخلي ووقوعها تحت اختيار الخلايا يحصل في داخلها فعل وانفعال

كيميائي مخصوص من بعضها ما يسمى (الاكسيد اسيون) ومن هذه الجهة نرى الموجودات الحية تتطلب الاوكسيجن ومن طريق الاكسيد اسيون فضلا عن حصول قوة وحرارة في الموجود الحي تحصل مواد زائدة تسمى بغاز الكربونيك تلوث المحيط الداخلي لهذا دائماً تكون حاجة ماسة الى استيراد الاوكسيجن الى الداخل ودفع غاز الكربونيك الى الخارج ومن دخول الاوكسيجن وخروج غاز الكربونيك يحصل التنفس .

تنفس الحي ذى الخلية الواحدة يحصل من طريق غشائه وفي الحي ذى الخلايا الكثيرة يحصل من طريق جهاز يسمى جهاز التنفس : جهاز تنفس الانسان شامل لمجاري التنفس والرئتين ومجاري التنفس تشمل الانف والحلق والحنجرة وقصبه التنفس والقصبات المشعبة والقصبات التي دونها : حفر الانف : يبحث عن هذه الحفر ضمن البحث عن الشامة والحلق قد سبق مفصل القول فيه : اما الحنجرة فهي جهاز توليد الصوت والمجاري الثلاثة الانف والحلق والحنجرة طريق ورود وخروج الهواء مضافاً الى تصنيفها له وتسخينها اياه : تقع قصبه التنفس بعد الحنجرة والقصبه المزبورة انبوب اسطوانى قسمته الخلفية فى تمام طولها مسطحة طول القصبه ١٢ سانتاً وقطرها ٢ سانت وموقعها بطور عمودى فى امتداد العنق ومقدم المرى وتنقسم القصبه المزبورة فى قفص الصدر مقابل الفقرة الرابعة من فقرات الظهر الى قصبتين وفى طول القصبه توجد ١٥ الى ٢٠ انصاف حلقات غضروفية : انصاف الحلقات الغضروفية مترابكة بعضاً على بعض و لا جل وجود هذه الحلقات الغضروفية نرى فم القصبه مفتوحاً دائماً المقطع العرضى للقصبه يشتمل من الخارج الى الداخل على الطبقة التركيبيه القابلة للارتجاع - اولاً - وعلى الطبقة الغضروفية : ثانياً : وعلى الطبقة المخاطية ثالثاً .

القصبتان هما شعبتا قصبه التنفس و كل واحده منهما بضميمة عروق الدم والاعصاب ترد الى واحده من الرئتين وبنيتهما التركيبيه كبنية اصل قصبه التنفس الا ان حلقاتهما الغضروفية تامة لانصاف حلقات وكل قصبه من هاتين القصبتين تنشعب الى

قصبيات اصغر منها وتنتهى كل واحدة من هاتاه القصبيات الى كيس او اكياس صغار تسمى حباب الرءة او الاكياس الهوائية والبنية الكلية للرءة وللأكياس الهوائية مادة شبيهة الاسفنج قابلة للارتجاع و موقعها الصدر ولونها فى الاشخاص المسنين رمادى وفى الاطفال والشبان وردى يحدا الرءتين من الورا عموذ الظهر ومن الامام والجنبين الاضلاع وعضلاتها الواقعة بينها: و كل رئة بشكل الهرم ورأسها الى فوق وزن الرءتين فى الرجال ١٢٠٠ غرام وفى النساء ٩٠٠ غرام والرءة اليمنى اكبر من اليسرى وفى سطحها الخارجى يوجد اخدودان يقسمانها الى ثلاث وجنات لكن اليسرى فيها اخدود واحد ووجنتان وهى من ناحيتها الداخلية مقعرة ومكان القلب فى هذا التقعور: و كل وجنة من وجنات الرءة تنقسم الى وجنات اصغر منها وحجم كل واحدة من هاتاه الوجنات الصغيرة سانت واحد وبنيتها هرمية الشكل قاعدتها سطح الرءة ورأسها الى الداخل وقاعدتها هذه تكون بصورة كثير الاضلاع بقطر ١٠ الى ١٥ ميل متروهى من سطوحها الجانبية بعضها متكىء على بعض وعند تسرب القصبات بين الوجنات يسترسل لكل واحدة منها انشعاب من القصبات المزبورة وهكذا تسترسل هذه الانشعابات الى شعب اصغر حتى تنتهى الى الاكياس الهوائية ومع كل وجنة من الوجنات المذكورة انشعاب من العروق الدموية الحمر كما تنشعب من هذه العروق الكبار شبكة عروق دموية صغار تصب فى نهاية هطافها فى عرق دموى اسود يخرج من الوجنات .

والاكياس الهوائية اصغر تقسيمات الرءة وتعدادها فى الرءتين يقرب من مليونين و قطر كل واحد منها فى حدود $\frac{1}{4}$ ميل مترو سطح كل حباب منها متعرج متطوى وهذه التطويات يقال لها بيوت الرءة وتعدادها تقريباً يبلغ ١٧٠٠ مليون بيت وهو رقم واسع ووجود هذه البيوت هو الذى يوسع سطح تبادلات الغازات حتى ان سطح التبادل فى مجموع الرءتين قد يصل الى ١٥٠ بل الى ٢٠٠ متر مربع وهذا هو الذى يجعل مركزية بيوت الرءتين مهماً عظيماً - وبالنتيجة فأصغر اجزاء الرءة الحباب الرئوى ويقال لمجموعته وجينات الرءة واجتماع الوجنيات يشكل الوجنات والوجنات تشكل اصل الرءة ويتصل بكل تقسيم من هذه التقسيمات انبوب هوائى بتناسبه .

والحركات التنفسية هي في الواقع الاعمال الميكانيكية للتنفس و نتيجة هذه الحركات استيراد الهواء الى الرئتين و اخراجه منهما في حالة استيراد الهواء يفتح قفص الصدر والرئتان فيرد الهواء اليهما وفي مقام اخراجه يندمج قفص الصدر و تنهافت الرئتان فيخرج الهواء ومع ان الرئتين تنقبضان وتنسطان فان الفعالية ليست لهما بل فعاليتهما مربوطة بانفتاح وانقباض قفص الصدر اذن فالاستيراد الهواء و اخراجه ثلاثة عوامل : حركات قفص الصدر : خاصية ارتجاع الرئتين : متابعتها لحركات قفص الصدر : تعداد حركات التنفس في الرجال ١٦ وفي النساء ١٨ دفعة في الدقيقة الواحدة ويختلف هذا التعداد زيادة ونقصاناً بحسب السنين و حالات البدن ففي اول التولد ٤٤ وفي الخمس سنين ٢٦ وفي ١٥ سنة الى ٢٠ سنة ٢٠ وفي ٢٠ الى ٢٥ سنة ١٨ وفي ٢٥ الى ٣٠ سنة ١٦ وفي ٤٠ سنة ١٨ مرة في الدقيقة الواحدة : وفي وقت العمل و التعب يزيد تعداد التنفس وفي الاستراحة والنوم ينقص كما يزيد في الحر : وفي كل تنفس عادي يدخل الى الرئة نصف ليتر هواء ويخرج مثله وتسع الرئتان بطور طبيعي ٣ لترات هواء : وفي مبحث التنفس فصول ذات قيمة في اهميتها .

جهاز دفع الادرار يقال الادرار للمواد التي تؤخذ من المحيط الداخلي بوسيلة الكليتين وتدفع الى الخارج : جهاز دفع الادرار شامل للكليتين ولمجاري الادرار و مجارى الادرار شاملة للطشيت وللحالب وللمثانة ومجرى الخروج .

البنية الكلية لجهاز الادرار وتحليلها بالدقة : الكلا مواد بشكل الغدد هوائية اللون تميل الى الحمرة على شكل اللوبياء تقع وراء الامعاء في طرفى الفقار من ناحية الخصرة و كل من الكليتين يقع في مكان يسمى محل الكلية مملوء بالشحم و الكلية اليمنى ينخفض مقرها عن محل الكلية اليسرى قليلا و كل كلية تزن ١٢٠ الى ١٥٠ غراماً بقطر ٣ الى ٤ سانتات و جانبها الخارجى محدب والداخلى مقعر وفي وسط هذا المقعر اخدود عمودى عريض باسم سررة الكلية تتسرب من هذه السررة العروق الدموية والاعصاب الى الداخل : وفي عمق السررة حفرة بعمق ٣ سانتات باسم (السينوس) توجد في وسطها الداخلى نواتىء و فوق كل كلية غدة مطبقة باسم (غدة فوق الكلية)

حيث لا ارتباط لها بالكلمية اصلاً.

و يحيط بكل كلية من الخارج غشاء ليفي محكم ابيض اللون لا انشعاب له الى الداخل و ينزع عن الكلية بسهولة : و في المقطع العرضي لكل كلية تستبين الاقسام التالية .

(١) المنطقة المركزية اومنطقة الاهرام وهى مخططة ، ولونها أحمر وتشتمل هذه المنقطة على ١٠ الى ١٢هرماً قاعدة الاهرام الى طرف الخارج واما رؤسها فتفتح الى مركز (السينوس) و فى كل ناتئ من نواتئ السينوس يوجد ١١ الى ٢٠ منفذاً مخصوصاً بدفع الادرار .

(٢) المنطقة القشرية اومنطقة الحبيبات تكون بضخامة ٣الى ٦ ميل مترات واقعة تحت الغشاء الليفي تحتوى هذه المنطقة على حبيبات حمر كثيرة والانابيب المتلوية فى المنطقة القشرية لها نفوز بين الاهرام وتكون بصورة امواج شعاعية وعندملاحظة المنطقة القشرية تشخص منطقتان : منطقة الاهرام وهى وراء تلك الاهرام ودونها وتشتمل على اهرام صغيرة يبلغ تعدادها فى قاعدة كل هرم كبير من ٣٠٠ الى ٥٠٠ هرم والاهرام الكبيرة تتكون من اجتماع انايب كثيرة (٣) والمنطقة الفضائية الهرمية الشكل المنتهية قواعدها الى الغشاء الليفي للكلمية .

وتتشكل كل كلية من اجتماع و جنات متعددة الا انه لا جدران تحجز بينها والوجنة المزبورة هى مجموعة هرم كبير ومن المنطقة القشرية التى فوقه و التى تحيط بها شبكة دموية .

ويبلغ تعداد الوجنات المزبورة فى كلية الانسان من ١٠ الى ١٢ وجنة : و اذا وضعنا انايب الادرار تحت المجهر لاحظنا فيها اعداداً ضخمة قد احتوتها شبكة تركييبية ملتوية وأحاطت بها شبكة مثلها من العروق الدموية : وتوجد فى انايب الادرار تقسيمات كثيرة مهمة يخرج البحث فيها عن حوصلة هذا الموجز :

مجارى الادرار : الطشيت مخزن مخروطى الشكل بعرض ٢ وارتفاع ٢ الى ٣ سانتات قاعدته الى داخل الكلية : الجالب انبوب بطول ٢٥ سانتاً وبقطر ٥ ميل

مترات ويشرع من الطشيت وينحدر الى طرف المئانة واكل ضغط يحصل في المئانة
يوجب انسداد الحالب ويمنع من صعود الادرار اليه و جدار الحالب ذواوتار طولية
وحلقوية من العضلات المطلسة : المئانة كيس بسعة ٦٠ سانتاً مكعباً موقعه طشت
الخاصرة وجدار المئانة قابل للانساع كثيراً وضخامته بعد التخلية تبلغ من ١٠ الى
١٦ ميل متراً لكنه عند الامتلاء الكامل تتقلل ضخامته من ١٤ الى ٢ سانت :
ومجرى خروج الادرار انبوب ضيق ياخذ الادرار من المئانة الى الخارج :
والادرار مايع اصفر اللون مالح الطعم ذورائحة خاصة و يدفع الانسان في كل ٢٤
ساعة مقدار ١٢٠٠ غرام الى ١٥٠٠ غرام بول وليس هذا المقدار ثابتاً على حالة
واحدة بل في الحر يقل وفي البرد يكثر كما يكثر في مواقع الوحشة والاضطراب
والاعمال الفكرية والهيجانات الروحية وتناول المشروبات المختلفة : و انابيب
الادرار في الحقيقة هي التي تترشح به تاخذ مواد من الشبكات الدموية المحيطة بها و
توقعها في الجريان والادرار بعد أن يتشكل في انابيبه يتسرب من منافذ الحبيبات الى الطشيت
ومنه توسط انبوبي الحالب ينصب في المئانة ويجرز فيها : وعبور الادرار من الحالب
يحصل من ضغط الادرار على الادرار السابق من ناحية و بانقباض العضلات الجدارية
من ناحية ثانية حتى يصبه في المئانة وفي كل ٢٢ ثانية ترد المئانة قطرة واحدة من
الادرار : وفي جهاز الادرار كلام واسع كثير الاهمية لامجال لذكره هنا سوى اننا نشير
الى تعداد انابيب الادرار في كلية الانسان فقد ذكروا انها تبلغ من المليونين الى
الاربعة ملايين انبوب دقاق و هو رقم واسع جداً و منه يعلم ان هذه الانابيب لاجل
تصفية الدم تعمل في محيط واسع .

الاعمال الارتباطية: مع ان تقسيم الاعمال في البدن اوجب امتياز الاجهزة بعضا
عن بعض الا انها في الحقيقة مرتبطة متواصلة والكلام في خواص ارتباطها جهازاً بجهازاً
وعضواً عضواً مما يطيل البحث ويخرج عن حوصله هذه التذكرة: لكننا نخص الكلام عن الغدد
الترشحية المطبقة وما لها من عمل ارتباطي والغدد الترشحية المطبقة عبارة عن: التيروئيد
مسامير التيروئيد : التيموس : غدد فوق الكلية : الهيبوفيز : لوز المعدة : الكبد :
غدد التناسل .

(١) التيروئيد . غدة على شكل الفراشة رمادية اللون مائلة الى الحمرة بوزن ٢٥ الى ٣٠ غراماً موقعها امام العنق تشمل هذه الغدة على وجنتين اليمنى ويسرى يربط بينهما رابط ضئيل له زائدة صاعدة الى فوق متمائلة الى الوجنة اليسرى : البنية الداخلية للتيروئيد : يحيط بهذه الغدة غشاء كبسولى وداخلها حفر مطبقة كبيرة وفي فواصل هذه الحفر الياف تر كيميية ذات عروق دموية واعصاب وفيرة والسطح الداخلى للحفر مفروش بطبقة خلايا ترشحية بعضها مكعب وبعضها اسطوانى من اهمية سوائل التيروئيدان هذه الغدة اذا فصلت عن الانسان فى سنى رشده كان من اثرها توقف نمو البدن والغدد التناسلية وضعف قوى العضلات و تقليل فعاليات الدماغ فمن هنا نفهم ان سائل التيروئيد له دخالة فى رشد البدن وعمل الغضاريف المولدة للعظام ونمو غدد التناسل وان قلة ترشحه يوجب قصر القامة والاختلالات الدماغية وقلة الفطنة والحافظة الى غير ذلك من العوارض المسجلة فى الموسوعات .

(٢) مسامير التيروئيد : غدد على شكل رؤس المسامير ذات لون اصفر يميل الى الحمرة وهى زوجان زوج منها يقع فى اعلا السطح الخلفى للتيروئيد و الزوج الثانى يقع فى اسفله و يحيط بكل غدة منها غلاف تر كيبى و فى داخلها شبكة من الخلايا وقد تجمعت هذه الخلايا حول عرق دموى صغير : و من اهمية سوائل هذه الغدة ان فصلها من الانسان يولد بعد ٤٨ ساعة ارتفاع درجة الحرارة واختلال ضربان القلب وكثرة ترشح البزاق وتشنج العضلات وبعد مرور اسبوع واحد ينجر ذلك الى الموت و التشنجات المنبورة مر بوطه بتقلل كلسيوم الدم حتى ان تزريق املاح الكلسيوم فى هذه الحالة يوجب انخفاضاً فى التشنجات : فعمل هذه الغدد حفظ ميزان الكلسيوم فى الدم وتثبيت املاح الكلسيوم فى الالياف العظمية .

(٣) غدد التيموس : وهى غدد منفردة طويلة واقعة امام العنق فى محل اشعاب قصبى التنفس وتكون فى سنى الطفولة والرشدا كبر منها فى سنى الشيبية و الكهولة حتى ان و زنها فى السنين الثلاث الا ولى من العمر يبلغ مقدار ٣٨ غراماً و يتقلل فى السنة ٣٥ الى ٣ غرامات العمل المهم لهذه الغدة قبل التولد وبعده انتاج

الاجزاء الدموية البيض : سوائل هذه الغدد لها تأثير في رشد ونمو الاطفال والغدد التناسلية حتى ان فصلها يوجب تاخر النمو .

(٤) غدد فوق الكلية : وهما غدتان على كل كلية غدة صغيرة حمراء مائلة الى الصفرة وقرارهما فوق الكليتين و تكون كل واحدة بوزن ٦ الى ٨ غرامات يحيط بها غشاء ليفي على شكل الكبسول في مقطع كل غدة توجد منطقتان متميزتان المنطقة القشرية بضخامة ١ الى ٢ ميل متر تكسوها صفرة معتمة ذات تخاطيط و خلاياها الترشحية طوال : المنطقة المركزية لونها ابيض مشوب بحمرة يوجد في سيتوبلاسم خلاياها الترشحية حبيبات بصورة موج اشعة محيطة بالعرق الدموي الاسود : فصل المنطقة القشرية من الحيوانات ينجر الى الموت بعد مرور كم ساعة وفصل المنطقة المركزية يوجد اختلالات وفيرة وتحليل اعمالها يطول به البحث .

(٥) غدة الهيبوفيز : وهي غدة منفردة بقدر البندقة وموقعها اسفل المخ وهي ذات قسمتين قدامية وخلفية يفصل بينهما حاجز ضئيل : القدامية غدة صفراء اللون هلالية الشكل ذات حجم نسبي بطول ٥ ميل مترات وضخامة ٤ ميل مترات والخلفية غدة بيضاء اصغر من القدامية : والحاجز الفاصل بصورة ورقة خفيفة : عمل الهيبوفيز يحصل من طريق سوائله المترشحة من جميع اقسامه : سوائل القسمة القدامية مؤثرة في نمو العظام حتى انها اذا فصلت من الانسان اوجبت قطع نموها : و قللة ترشحها في دور الطفولة تؤثر قصر القامة وفضلا عن ذلك فان سوائل هذه القسمة لها الاثر الواسع في تحريك سائر الغدد من التيروئيد ومسامير التيروئيد و لوز المعدة وغدد الكلية والغدد التناسلية والكبد : ومن اثر سوائل القسمة الخلفية تشديد انقباض العضلات في الرحم وزيادة ضغط العرق الدموي الاحمر و انقباض العضلات المطلسة وتنظيم مقدار ترشح الادرار في الكلية .

(٦) غدة لوز المعدة : اثرها الداخلي المهم ترشح سوائلها في الدم حتى ان قطع هذا الغدة من الحيوانات يولد فيها مرضاً شديداً ويوجب الجوع الزائد والعطش المفرط والادرار الكثير وظهور السكر فيه وزيادته في الدم وينجر بالآخرة الى ضعف العضلات

والى الاغماء واخيراً الى الموت .

(٧) الكبد : من لحاظ ترشحاتها الداخلية ودخالة هذه الترشحات فى تركيب الدم عدت من الغدد الترشحية المطبقة ذات الاهمية الواسعة .

(٨) غدد التناسل : وهى البيضتان فى الذكور و كيس البذرة فى الاناث وفضلا عن توليدها للخلايا البذرة فان لها سوائل تترشح فى الدم من اثرها رشد ونمو الحيوان ودخالته فى بروز الصفات الثانوية الجنسية والمراد بهذه الصفات موجبات التمايز بين جنسى الذكران والاناث نظير نبات اللحية ونمو العنجرة وغير ذلك فى الرجال :

الجهاز الارتباطى : بما ان الحيوان دائماً لاجل تهيئة الغذاء والتغذية والانقلاط من العوامل غير المساعدة محتاج الى التنقل والحركة لهذا فهو دائماً يعمل اجهزته الارتباطية المختلفة حتى يتيسر له التحرك : واعضاء الحس تجعل الانسان ذاخبرة باوضاع محيطه كما تسوق حديث العوامل الخارجية الى مراكز العصب ومراكز العصب باصدار الاوامر اللازمة الى العضلات تجعل العضلات باتكائها على العظام ودفن بعضها وتقريب بعض آخر مسببة لحرارة الحيوان اذن فالحرارة هى عكس عمل من الحيوان فى مقابل العوامل الخارجية والداخلية ولجل قيام الجهازين الحس والعضلات بعمل مشترك يتوسط جهاز العصب فيدرك عوامل المحيط وينتج من الجميع ارتباط الحيوان بمحيطه الحيوى : والاسكلت العظمى هى المتمكئة الوحيدة لانقباض العضلات وتوليد الحرارة : والعضلات باتكائها على العظام تسبب الحرارة : واعضاء الحس ومراكز العصب بعد تأثرها بالآثار الخارجية تصدر الاوامر اللازمة بايجاد الحرارة المناسبة .

الاسكلت العظمى : مركب من ٢٠٨ عظام وهى تقوم من وزن الانسان البالغ ب ١٧/٠ بالمائة : الاسكلت العظمى فضلاءن كونه المسند الوحيد للعضلات والاعضاء والالياف فانه مخزن كلسيوم البدن بمعنى ان العظام تكون باعثة لثبات الكلسيوم واعتداله فعلى هذا لايجوز حساب الاسكلت العظمى فى عداد الاجهزة الهامة بل هو من الالياف القوية الرئيسية ذات الحياة وتقوم بتشكيل مجموعات من الخلايا فى حفرها وترتبط هذه الخلايا بوسيلة استطالات رابطة بعضها ببعض : ويوجد فى الاسكلت

العظمى ثلاث فواصل من العظام : عظام عراض : وقصار : وطوال : ويغشى العظام كلها الاسطوح المفاصل منها غشاء يسمى بالضريع وتحت غشاء الضريع من العظام العراض والقصار توجد طبقة عظمية متراكمة وقد ملأت اواسطها بعظام اسفنجية وتوجد فى سطوح العظام حذب وزوائد بها تتصل العضلات كما يملأ وسط مجارى العظام مخ اصفر وتوجد فى السطوح الخارجية للعظام منافذ للمتعدية ومنها تعبر عروق الدم وليس انشعابها مختصاً بالمخ ومجاريه بل انشعاباتها متغلغلة حتى فى نفس الاسكلت لاجل تغذية خلاياه وتتركب العظام كيميائياً من مادتين آليات ومعدنية واما لاه المعدنية هى التى تسبب صلابته : ومنشأ تمام عظام البدن الياق تراكبية غاية ان العظام العراض من قبيل الجمجمة وعظام الوجه مستقيماً تتبدل من الالياف الى العظام وتسمى هذه العظام العظام الغشائية او الجلدية : اما العظام الطوال التى هى فى الغالب داخلية فانها تتبدل من الالياف الى الغضاريف ومنها الى العظام : ومن هذه الجهة يقال لها العظام الغضروفية : وليس العظم بعد تشكله مما يبقى على حالة واحدة بل كما يتناقص من داخله تحدث مكانه خلايا عظمية جديدة فهو دائماً بين انهيار وترميم نعم ينتهى النمو الطولى للعظام الى حدود معينة ولكن النمو القطرى يبقى مع العمر بطرز خاص .

وتمتاز الحيوانات الفقرية عن غيرها بان اسكلت الفقريات شامل لمحور باسم العمود الفقرى يقع فى ناحية الظهر ويتركب من قطع عظمية مترابطة يمر وسطها النخاع الشوكى وتنشعب من هذا العمود على طوله انشعابات عظمية كثيرة وان جهازها العصبى بصورة حبل طويل يقع فى ناحية الظهر وقسمته منه تتركب داخل الجمجمة (وهى المخ) وقسمه اخرى منه تتركب وسط العمود الفقرى وتسمى النخاع .

اهمية مخ العظام فى تهيئة الاجزاء الدموية : تتحصل الاجزاء الحمر الدموية فى الانسان البالغ من طريق عظامه وطريقة تحصلها بهذا اللون وهوان الخلايا الكبيرة ذات النواة القائمة بمخ العظام على اثر انقسامها الى خلايا اصغر وانقسام هذه الخلايا الى ما هو اصغر ايضاً بالتدريج تعطى نواتها من يدها و تصير محصلة للموگلوبين و بالاخرة تتبدل الى الاجزاء الدموية الحمر : وبما ان الطحال جهاز صانع للاجزاء

الدموية الحمراء ينبغي ان تتكلم عنه .

الطحال : يكون بصورة غدة بيضية الشكل بوزن ٢٠٠ غرام موقعه ايسر البطن و المعدة ولا ربط له بجهاز الهضم ويتغذى بصفاق البطن اكثره : والشريان الاحمر الطحالي شعبة من الشريان الاحمر الاحشائي يرد فيه و يخرج منه بصورة شريان دموى اسود .

البنية الداخلية للطحال : يحيط بالطحال من خارج غلاف تراكيبى وتمتص من انشعاباته داخل الطحال سبع اوثمان حجر وتقسم كل حجرة غلافات رقيقة الى حفر متعددة : الجدران التراكيبية فى داخل الطحال تشتمل على اوتار قابلة للارتجاع و اوتار غضروفية مطلسة على اثر انقباض الاوتار الغضروفية وانبساط الاوتار الارتجاعية يتغير حجم الطحال الى ما هو قابل للملاحظة حتى انه يستطيع بانبساطه ان يجمع داخله من الدم عشرين ضعفاً لوزنه و يستطيع ان ينقبض شديداً فيخرج من داخله مقداراً كافياً من الدم.

و اعمال الطحال : هى انه يوجد الاجزاء الحمراء الدموية و يكون عمله هذا غالباً فى الدور الجنينى حتى ان الطحال بوسعه على اثر نزيف دموى كثير ان يقوم بتداركه : و الطحال ايضاً مخزن مهم للاجزاء الدموية الحمراء و فى موقع الاحتياج بانقباضه الشديديقوم بأيرادها فى الدم : كما انه بانقباضه و انبساطه يؤثر فى ضغط دم البدن فعند ارتفاع ميزانية الدم ينبسط الطحال فيأخذ الى داخله مقداراً يخفف به من الضغط .

عمل الارتباطات العصبية : الموجودات الحية ذات الخلايا الكثيرة لاجل ادامة الحياة هى فى حاجة دائمية الى الفعالية المشتركة بين اجهزتها : مثلاً مساكنة بدن الانسان مع انها متشكلة من اجهزة مختلفة ولكل جهاز عمل خاص الا ان الجميع يعمل لمنظور واحد وهو ادامة الحياة الا ترى ان العضلات حين تستخدم للقيام بعمل مهم فتبدى من نفسها فعالية شديدة نرى القلب والرئتين والغدد تشاركنها فى نفس العمل لتدارك الغذاء والاكسيجن اللازمين فى هذه المهمة ووضعهما تحت اختيار

العضلات لتستفيد منها مما يقوم بمهمتها فإذاجات نوبة استراحة العضلات ولم تكن حاجة الى تدارك الغذاء والاوكسيجن انسحب القلب والرئة والغدد عن الفعالية السابقة وعادت لوضعها العادى : وهذا الارتباط المشترك السعى بين الاجهزات يقع تحت مديريةية تنظيم الاعصاب فالوامر الالزمة تصدر من مراكز العصب وبوسيلة اعصاب الحركة تتصل ببقية الاجهزات علاوة على هذا فان فى البدن اجهزة مخصصة لكسب الاطلاعات بعضها سطحية مثل الجلد والبصر والسمع وغيرها وبعضها داخلية فى الدم والعضلات وغيرها فالاطلاعات المكتسبة بوسيلة الاجهزة الموصلة اليها تتصل بمراكز العصب من طريق الاعصاب اذن فسلسلة الاعصاب دائماً تحفظ الارتباط العمومى فى الموجود الحى .

الجهاز العصبى فى الانسان شامل لقسمين جهاز المخ والنخاع وجهاز السمباتيك : المخ والنخاع محللهما الجمجمة والعمود الفقرى واتصالهما باجهزة الحس والعضلات المخططة والغدد وهى القائمة بارتباط البدن والرابطة له بالمحيط الخارجى : واما جهاز السمباتيك : فهو شامل لعقد واعصاب مخصصة ولها ارتباط بالمحور العصبى و مأموريتها كل مايقوم بالتغذية : اذا لاحظنا طرز تشكيل سلسلة الاعصاب من المرحلة الجنينية وجدناها بهذا اللون ابتداء يحصل فى الناحية الخلفية للمجنين اخذودضعف وعلى مرور الايام يتصل جانباه فيتكون انبوب عصبى بنية هذا الانبوب العصبى فى الابتداء تكون ذات شكل واحد وبالمرور تتورم قسمته القدامية ويكون مقرها الجمجمة ويتكون منها المخ اما القسمه الباقية فتبقى على ضعفها آخذة مقرها فى العمود الفقرى مكونة للنخاع والقسمه المتورمة القدامية بالمرور تتوزع الى خمس حذب وهى الاقسام الخمسة المخية فى الدماغ : فى بنية المر كز العصبى توجد مادتان بيضاء ورمادية ولكن وضع قرارهما مختلف فى المراكز فى المخ والمخيخ تكون المادة الرمادية من خارجهما والمادة البيضاء فى الداخل واما فى بصل النخاع ونفس النخاع فتكون المادة البيضاء من خارج والرمادية من داخل : والمحور العصبى شامل لمراكز المخ والنخاع ولاعصاب المخ والنخاع .

والنخاع في الأشخاص البالغين يكون بصورة حبل ابيض بطول ٤٥ سانت تقريباً وبقطر سانت واحد و بوزن ٣٠ غراماً محله داخل العمود الفقري ويوجد في طول النخاع حدبثان احدهما في ناحية العنق وهي محل خروج اعصاب اليدين والثانية في ناحية الخواصر وهي محل خروج اعصاب الرجلين كما يوجد في السطح القدامى للنخاع اخدود واسع قليل العمق وفي السطح الخلفى اخدود ضيق عميق ويخرج من النخاع ٣١ زوجاً من العصب النخاعي : وفي النخاع كما اسلفنا مادة رمادية تكون فيه بشكل X وتحيط بفرانها على طول النخاع مادته البيضاء .

وتقال الاعصاب النخاعية للاعصاب التي تنشأ من النخاع وتسرّب الى الخارج من بين الفقرات وتعدادها كما سلف ٣١ زوجاً ٨ ازواج من ناحية العنق و ١٢ زوجاً من ناحية الظهر و ٥ ازواج من ناحية الخواصر و ٦ ازواج من الناحية الاخيرة للعمود .

بصل النخاع : محدب بطول ثلاث سانتات و بوزن ٨ غرامات موقعه اعلا النخاع ويربط النخاع بسائر قسمتات العصب : و المخيخ : يكون بوزن ١٤٠ غراما موقعه فوق ووراء بصل النخاع : اما المخ : فوزنه في الرجال تقريباً ١١٦٠ غراما وفي النساء ١٠٠٠ غرام ويتشكل من نصفى كرة ايمن وايسرو يفصل بينهما سياج يميزهما الى نصفى كرة تماما ويتشكّل من نصفى كرة ايمن و نصفى كرة ايسر و سطح جانبي و سطح أسفل و سطح جوفى و تعداد اعصاب المخ ١٢ زوجا تخرج من مختلف جوانبه وتربط جميع نقاط البدن المختلفة به: وهي عصبتان للشّم توصل احساسات الروائح الى المخ وعصبتان للبصر توصل احساس المبصرات اليه : وعصبتان مشتركتان في تحريك عضلات العين ماسوى العضلتين الموربتين : وعصبتان مختصتان بتحريك العضلتين الموربتين الكبيرتين للعين : وعصبتان ذاتا ثلاث شعب الشعبة العليا تبعث احساس الجبين و داخل حفر الانف و كرة العين والاجفان والشعبة المتوسطة تتسرب الى اللثة العليا فتبعث احساس العارض والشفة والاسنان العليا والشعبة السفلى تتسرب الى اللثة السفلى و تتصل باللسان ايضا وتبعث احساس العضلات و جلد الاذن والشفة السفلى وتحرك عضلات المضغ والشقيقة لتحريك اللثة السفلى وعصبتان محركتان للعضلات الخارجية

المعين : وعصبتان محر كتان عضلات الوجه و باعثنان احساس مخاط وسط الاذن و المجارى السمعية وشرع الحنك وعصبتان للسمع تأخذان الاحساسات السمعية وتعادل البدن من داخل الاذن وتوصلانه للمخ : وعصبتان للسان والحلق توصلان احساسات اللمس والذوق الى المخ وتحر كان عضلات الحلق حين بلع اللقمة : وعصبتان متصلتان بالقلب والرءتين والكبدو المعدة وسائر اجهزة التغذية وتعدان من اهم اعصاب المخ: وعصبتان كماتديران عضلات الحنجرة تبعثان عضلات أعمال التنفس لعملها : و عصبتان تبعثان عضلات ماتحت اللسان للقيام بعملها اللازم : وللعصب خاصيتان اصليتان احدهما قابلية التحرك والثانية هداية جريان الحركة : يقع العصب تحت تأثير المحركات المختلفة فيخرج من حالة الاستراحة الى حالة العمل و المحركات المومأ اليها هي المحرك الالكترىكى وهو شبه الذاتى فى العصب والمحرك الميكانيكى وهو ضغط العصب بضاغطها! المحرك الفيزيائى مثل الحرارة : المحرك الكيمياءى مثل الاسيد: واذا حر كت نقطة من العصب لايعود التحريك باقياً فى نقطة الاثر فقط بل يجرى فى طول العصب وهذا مايقال له هداية جريان الحركة .

عمل النخاع : النخاع بطور كلى واجد لعملين هداية جريان الحركة وعمل الانعكاس يتقبل النخاع تحريكات مختلفة من قبيل الحر والبرد وغيرهما من طريق جذوره الخلفية وبوسيلة اضماماته البيض يهدى جريانها الى المرا كز العليا فتتحدد الاوامر اللازمة من المرا كز العلوية اليه وبوسيلة جذوره القدامية ينقل هذه الاوامر الى الجهات الاخرى فى النخاع مرا كز لتسريع حر كات القلب وضبط قصبىات التنفس والتعريق و انقباض و انبساط العروق وضبط و دفع المدفوع والاد رار .

اما بصل النخاع فهو مر كز انعكاس كثير من اعمال التغذية حتى ان ايقاع الضرر به يسبب اختلالات شديدة وتخرىب بصل النخاع يسبب الموت وهو مر كز انعكاسات متعددة: مر كز التنفس وتخرىب هذا المر كز باعث للتوقف السريع فى حر كات التنفس : مر كز تقليل حر كات القلب و بطؤها : مر كز تغيير قطر الشرايين الحمر : مر كز تنظيم السكر: وهكذا فيه مر كزية لاعمال الهضم من قبيل المضغ والبلع وترشح

عدد البزاق والمعدة .

عمل المخيخ : المخيخ له الدخل في تعادل البدن وتنظيم العضلات و يؤثر قطعه في الحيوانات اختلال تعادل ابد انها في حال ان كل اعمال التغذية تبقى بطورها العادي فالمخيخ على هذا فاقد لاعمال الحس والالهامات الغريزية والتغذية و اذا فصلنا المخيخ من الطير فقد هذا الحيوان تعادله في الوقوف و حرم من الطيران فاذا انتمه على قفاه لم يستطع ان ينقلب واذا رميت به في الهواء سقط من حينه سقوط الاجسام الثقيلة وفصله عن الكلب يسبب عدم استطاعته للموقوف على رجليه و تكون كل حر كاته فاقدة للتعادل وتقل قوى عضلاته وفصل نصف كرة المخيخ يوجد خلافا في عضلات ذلك الطرف الذي فصل منه .

عمل المخ : المخ مركز الفطنة والفهم والحفاظة وهو واجد لثلاثة اعمال رئيسية (١) درك الاحساسات توسط المراکز الحساسة (٢) ايجاد عكس العمل المناسب في مقابل الاحساسات المختلفة توسط مراکز الحر كة (٣) جمع الاحساسات الملتقطة من مراکز الارتباط : و اذا فصل المخ من حيوان لم يؤثر ذلك في حياته و لكن يعطى من يده قوة الارادة والحفاظة والشعور ولا يكون واجداً الا للاعمال الانعكاسية مثلا الطير الفاقد للمخ يبقى فاقداً للحركة ولا يدرك شيئاً من عوامل محيطه ومع وجود الحب امامه يموت جوعاً لكن اذا وضع الحب في فمه بلعه لان البلع عمل انعكاسي يقوم بمر كز غير المخ : كلب فصل منه المخ فعاش ١٨ شهراً لكنه كان فاقداً للالهام والحفاظة والغضب والخوف وغير ذلك : و ضائعات قشر المخ في الانسان تسبب نقصان الفهم : وتوقف نموه او حدوث ضائعات فيه يكون باعناً للحماقة والجنون .

المراکز التي يمكن تشخيصها في انصاف كرة المخ عبارة عن مراکز الحس و مراکز الحر كة و مراکز الخواطر و مراکز التكلم والكتابة و مراکز الارتباط و مراکز الانعكاسات المخصوصة : مراکز الحس تكون في المناطق المختلفة للقشر المخي الرمادي واليها تنتهي الاحساسات المتحصلة من الاجهزة المرتبطة وهي السمع والبصر والذوق والشم واللمس : مراکز الحر كة و موقعها يكون امام اخدود في

المخ يفصل بينه وبين مركز اللمس وفي هذا المرکز تلتقي انشعابات الرأس والعنق والبدن والايدي والارجل : مراكز الخواطر يقع كل مركز من هذه المراكز في مجاورة كل ذي خاطرة منها فمركز الخواطر المحركة يجاور مراكز الحركة ومركز خاطرة اللمس يجاور مركز اللمس ومركز خاطرة البصر يجاور مركزه وهلم جراً : اذن فمركز الخاطرة بالنسبة الى ذبيها يكون بمنزلة حافظ وضابط لصوره التي يلتقطها من الخارج : مركز التكلم والكتابة وهو شامل لاربعة مناطق : منطقة فهم معاني الكلمات المسموعة : منطقة فهم معاني الكلمات المكتوبة : منطقة التكلم : منطقة الحركات المخصوصة للكتابة : المراكز الارتباطية وهي تشكل العمدة من القشر المخي الرمادي عمل هذه المراكز يقع الربط بين الخواطر الملتقطة بالحواس المختلفة المحفوظة كلاً في مركزه الخاص مثلاً من سماع صوت الكلب ومن لمس بدن الكلب ومن النظر الى الكلب تنضبط خواطر كل خاطرة في مركزها فاذا سمع عواء الكلب فوراً يتجسم هذا الحيوان في نظر السامع لان سماع صوته يحرك خاطرة السمع ويتوسط المراكز الارتباطية ترتبط هذه الخاطرة بمراكز بقية الخواطر من خاطرة اللمس وخاطرة البصر وغير ذلك فارتباط مجموع هذه المراكز للخواطر يسبب تصور وتجسم الكلب : مراكز الانعكاسات المخصوصة : اسلفنا ان ترشح البزاق تارة يكون بتناول الغذاء واخرى يكون بسماع اسمه او رؤيته او استشمامه من دون تناوله فالترشح الحاصل بالسماع او الرؤية او الاستشمام يكون داعيه من مركز الانعكاسات في المخ .

اجهزة الحس : يقال جهاز الحس لمحل اجتماع خلايا مخصوصة وهذه الخلايا لاجل قبولها تحريك المحرك الخاص تجد حالة تخصصية والخلية الحسية التي تقع تحت تأثير محرك خاص تبعث التحريك المزبور بصورة جريان عصبى الى مراكز اخرى تتوسط بينها وبين منطقة الحس الواقعة في القشر المخي الرمادي والمراكز المتوسطة هي التي تهدي الحركة الى منطقة الحس وفي هذه المنطقة يكون الدرك .

(١) حس الامة : الجلد هو جهاز حس اللمس وفي مقطعه تشخص طبقتان طبقة

البشرة وطبقة الجلد والحد الفاصل بينهما سطح كثير التعاريج والبشرة هي أظهر الطبقات الجلدية للعيان وتشكل من ألياف غشائية ويقال للخلايا التي تحتها خلايا مولدة وهذه الخلايا دائماً تكون في حالة تكثير ومتكثراتها التي تمشى نحو سطح البشرة يقال لها الخلايا المخاطية وهذه كلما تقرب من سطح البشرة تعرض وتمسح وتكثر موادها الدسمة واذ اتلاشت خلفتها طبقة أخرى من الخلايا المخاطية وهلم دوايك .

وفي السطح الخارجى للبشرة يوجد نوعان من الاخايد نوع يكون عميقاً بصورة خطوط الكف وهذه هي التي تقع في فواصل العضلات الجلدية وكثرتها تكون في نواحي المفاصل والنوع الثانى يكون اقل عمقاً بصورة خطوط منحنية وما بين هذه الاخايد تكون حذب كثيرة تقع بين منحنياتها وتتكثر هذه الاخايد الاخيرة في بطن الكف والرجل والاصابع ومن الغرائب ان آثار هذه الخطوط في الاصابع متفاوتة افحش التفاوت حتى انه لا يتحد اثنان من الناس في آثار اصابعهما : ويقال الجلد للطبقة العميقة للجلد وموقعها تحت البشرة وتشكيلها من الياف تر كيميية شاملة لاوتار تر كيميية وارتجاعية كثيرة والجلد ايضاً ذو طبقتين طبقة سطحية وهي تشكل من الياف تر كيميية قوية ذات اوتار ارتجاعية وفيرة والحد الذى يفصلها عن البشرة سطح ذو تعاريج كثيرة بحيث يبلغ تعدادها في كل ميل متر مائة تعريج : وطبقة عميقة وهي تشكل من الياف تر كيميية رخوة يوجد في السطح الاسفل لهذه الطبقة خلايا دهنية كثيرة وهذه الطبقة الدهنية في الحيوانات الضخمة تقوم بمدافعة البرد عنها وتوجد في قسمة الجلد عروق دموية كثيرة يتصل تماسها الى الحد الفاصل بين البشرة والجلد وهي التي تقوم بتغذية الخلايا المولدة : وفي الجلد وجود منتشر لاعصاب الحس والحرارة .

ويوجد في الجلد الشعر والاذافر والغدد الدهنية والغدد المولدة للعرق وتسمى هذه العناصر بضمائم الجلد : يتحصل الشعر من تضخم الطبقة المخاطية و نباته في الجلد بطور مائل و منبته في حفر التعاريج الفاصلة بين البشرة و الجلد و كل شعرة شاملة لقسمين ساق وجذر و يوجد في قاعدة الجذر تعريج ترد اليه العروق الدموية لتغذية خلايا الشعر وتوجد في الخلايا الصانعة للشعر مادة لونية مخصوصة منها يستمد الشعر لونه وعلته بياض الشعر تخريب لونه من طريق الاجزاء الدموية البيض ودخول

الحياب الهوائي في الشعرو توجد في قاعدة كل شعرة شبكة عضلانية بانقباضها غير الارادى بسبب الخوف او البرد يقوم شعر البدن وتعجر البشرة بصورة حيوب مترابكة منتشرة على طولها : و في التعاريج اسفل الشعر يرد انشعاب العصب الحسى وتكون في ناحية كل شعرة غدة دهنية تترشح دائماً وتسقى الشعر بدسومتها والقسمة الخارجية للاظافر تستمد من نمو جذورها اما جذورها فهي داخل الجلد وتحيط بها عروق دموية كثيرة .

اعمال ووظائف الجلد : الجلد عضو محافظ لداخل البدن لان ضخامة الطبقة السطحية للبشرة تحول بين ضربات الخارج وبين الداخل و بما ان بنية الخلايا في القسمة الخارجية من الالياف القوية فهي تمنع من ورود الجراثيم الى الداخل وعند تساقط ظاهر البشرة بصورة وسخ و دنس تتساقط الميكروبات معها وبما ان الدسومة تحت الجلد تعوق الحرارة عن الخروج فهي تحسب درقة قوية في مقاومة البرد : و الجلد عضو دافع ايضاً فانه بوسيلة الغدد المولدة للعرق يدفع العرق الى الخارج وبوسيلة الغدد الدهنية يدفع الدسومة الى الخارج كذلك : غدد العرق مقرها عمق الجلد وقسمتها الاصلية بصورة طاقة تحيط بها الشباك الدموية و تعداد هذه الغدد في كل سانت مربع يبلغ ١٢٠ غدة وفي بعض نقاط البدن مثل الابط و بطن الكف والرجل يتصاعد الى ٣٠٠ غدة و تعدادها في تمام جلد البدن يجمع على مليونين الى ٣ ملايين : والعرق مائع فاقد للون سيال مالح فيه حالة اسيدية مقدار ترشحه في كل ساعة يرتقى الى ٣٠ و الى ٤٠ غراماً وفي اليوم والليله يبلغ ترشحه الى ٦٠٠ بل الى ٩٠٠ غرام وقد يرتقى هذا المقدار بارتفاع حرارة المحيط وتناول المشروبات الكثيرة ويشتمل كل ١٠٠٠ غرام منه على ١٠ غرامات مواد جامدة و ٩٩٠ غرام ماء .

والجلد ايضاً جهاز اللمس واللمس من اهم اعمال الجلد و يأخذ الجلد احساسات مختلفة من قبيل اللمس وحس الحرارة وحس الالم وغير ذلك : اللمس يحصل بوسيلة تحريكات ميكانيكية من طريق التماس بالمواد الجامدة او المائعة او الغازات : وفي تمام طول البدن يوجد ما يقرب من ٥٠٠/٠٠٠ نقطة لاقطة لللمس واغلب وجودها في مجاورة

الشعروفي الجبهة والمواضع والانف والعارضين : والفصائل الحسية الواقعة خلف النخاع هي التي تهدي الاحساسات اللمسية الى المخ : حس الحرارة: يقولون لو ان ابرة ذات ٤٦ درجة من الحرارة مرت بها على البدن لاتعود تحس حرارتها في كل مكان بل انما تحس في نقاط مخصوصة وهكذا يقولون في الابرة الباردة وان النقاط الجلدية اللاقطة للبرودة اكثر في البدن من النقاط اللاقطة للحرارة حيث تبلغ نقاط البرودة ٢٥٠/٠٠٠ نقطة في حال ان النقاط اللاقطة للحرارة تكون في حدود ٣٠/٠٠٠ نقطة فقط : وبعض الفصائل البيض الجانبية للنخاع وهكذا المادة الرمادية النخاعية هي التي تهدي احساسات الحرارة الى المخ .

حس الالم : وهو يحصل من الامور الحادة او المحرقة او غيرها و بوسيلة امرار الاشواك النباتية على البدن يمكن تشخيص نقاط الالم فيه و يبلغ تعداد النقاط اللاقطة للالم مقدار ٥٠٠ / ٠٠٠ / ٣ نقطة بل اكثر فعلى هذا يوجد في كل سانت مربع من الجلد ما يقرب من ١٧٠ نقطة لاقطة : والمادة الرمادية النخاعية هي التي تهدي احساسات الالم الى المخ: الاحساسات العميقة : علاوة على الاحساسات السطحية التي تنهياً من طريق الجلد هناك احساسات عميقة تنهياً من طريق الاجهزة الداخلية كالعضلات : وللجلد اعمال آخر كجذب المواد والنور والتنفس من طريق منافذه .

(٢ : الذائقة) جهاز حس الذائقة هو اللسان وبتوسطه يتميز الحس المزبور طعم المواد واللسان مجموعة عضلانية طويلة بيضى الشكل متصل في نهايته بسطح الفم و طرفه الامامى مطلق يغطي سطحه الاعلا الياف مخاطية توجد فيها حبيبات التذوق ويوجد في سطحه الاسفل وتر خفيف عمودى وتشكل العمدة من جرم اللسان عضلاته: يضخم مخاط اللسان في سطحه الاعلا : ويخف في السطح الاسفل وتوجد في السطح الاعلا اربعة انواع من النواتى وهذه النواتى بعضها ذوقى وبعضها لمسى ويكون بعضها على شكل شحمة الارض ووجودها في تمام سطح اللسان يقدر بـ ١٥٠ الى ٢٠٠ ناتىء : وبعضها بشكل الشراع وتعدادها في اللسان يبلغ ٥٠٠ ناتىء وبعضها بشكل الكمامة وتعدادها في اللسان كثير نسبة وبعضها بشكل طاسة وهي اكبر من السوابق بتعدادها

الى ١٢ ناتيء: وفي اللسان اعصاب حس و اعصاب حركة : اعصاب الحس هـى الاعصاب اللسانية التى بها يحصل اللمس والذوق وتنتشر فى القسمة الخلفية للسان : و اعصاب الحركة هى الاعصاب الواقعة تحت اللسان الباعثة لحر كة عضلاته و قطعها يسبب فلج اللسان واختلال عمل المضغ والبلع والتكلم و المنطقة الامامية للسان فى الاكثر لمسية والقسم الخلفى منه فى الاكثر يكون ذوقياً اذن فاللسان فضلا عن عمل المضغ والبلع والتكلم محل احساس الطعوم وذوق الاغذية : والطعوم الاصلية فى درك اللسان هى المرورة والملوحة والحلاوة والحموضة والجل ان تدرك طعوم الاغذية يجب ان يكون الغذاء بصورة محلول وأن لا تكون درجة حرارته راقية وان يوضع فوق اللسان بضغط حتى يحس بطعمه جلياً .

(٣ - حس الشم) جهاز الشم هى حفر الانف وبتوسطها تحس الروائح ولواقط الشم مقرها فى القسم الاعلا من حفر الانف : والانف بشكل هرم مثلث القاعدة طرفه يكون الى اعلا وقاعدته الى اسفل ويرتبط بالخارج بوسيلة منغذبن هما مدخل الهواء الخارجى اليه ويرتبط الانف من خلفه بالحلقي : ويشكل القسمة العليا لحفر الانف حاجز وسطى عظمى و كذلك القسمة السفلى منها الحاجز الوسطى الانفى وهذه العظام هى التى تنقسم الانف الى حفرتين وعلى الجدران الخارجية لكل حفرة توجد ثلاث حذب باسم العظام الصدفية : الصدف الاعلا الصدف المتوسط الصدف الاسفل : وتوجد بينها افضية علوية ووسطية وسفلية لها ارتباط بسينوس الجبين واللثة العليا و داخل حجر الحاجز المتوسط وبذلك تسبب حرارة هواء التنفس : تركيب مخاط الانف : يستر المخاط جميع السطح الداخلى للانف لكن مخاط القسمة العليا يختلف عن مخاط القسمة السفلى فمخاط القسمة العليا يسمى بالمخاط الاصفر الشمى ومخاط القسمة السفلى يسمى بالمخاط الاحمر التنفسى يستر هذا المخاط الافضية السفلية وقاعدة الفضاء المتوسط وبسبب عبور شبكة متراكمة من العروق الدموية يرى هذا المخاط احمر فى النظر وتوجد فى هذا المخاط عدد مخاطية كثيرة بها يترطب هواء التنفس وهذا المخاط كانه لادخاله له فى الشم والمخاط الاصفر يستر الفضاء العلوى والقسمة

العليا للفضاء المتوسط : العروق الدموية والغدد المخاطية في هذا المخاط قليلة لكن فيه اوتاراً شميه كثيرة في فواصل خلايا سطح المخاط : والهواء التنفسي ضمن عبوره من حفر الانف يترطب ويسخن وذرات المواد الروائحية المحمولة معه يمروره تجاورمخاط الشم وتنحل في المائع المخاطي فتتحرك حبيبات الشم ولاجل تحقق الشم لا بدمن ان يكون ذوا رائحة بصورة غازاو ذرات رقيقة جداً او منحلا في المائع المخاطي و ان يكون جريان الهواء بشدة معينة و ان لا يكون مخاط الشم يابساً و لازائد الرطوبة لهذا في ابتداء الزكام الذي يبس معه المخاط لاتشم الروائح الابشدة و هكذا في طى دورة الزكام بعللة كثرة الترشح يكون حس الشم ضعيفاً .

(٤ - حس السمع) الاذن جهاز السمع وحفظ تعادل البدن وتتركب من ثلاث قسامات اصلية : الاذن الخارجية الاذن الوسطى الاذن الداخلية : الاذن الخارجية شاملة للهالة ومجرى السمع الخارجى والهالة غضروف متعرج فيه اربع حذب وثلاثة اخايد بوضع مخصوص وتستره قشرة البدن وفي انتهائه شحمة الاذن و المجرى الخارجى انبوب بطول ٣ سانتات وفيه تحذب الى الطرف الاعلاثلثة الاولى غضروفى وباقيه عظمى ومخاطه الداخلى واجد للشعرو جهة نموه الى طرف الخارج والمخاط المزبور واجد لغدد العرق والغدد الدهنية وترشحات مخاطها تكون بصورة مائع لزج اصفرمرّ دسمسمى وهو مانع لورود الغبار والحشرات الى الداخل وهذا المائع بعديسه بوسيلة حر كات الفك الاسفل يتساقط الى الخارج : الاذن الوسطى محوطة ذات تعاريج تسمى بصندوق الصماخ وهذه المحوطة تكون بارترتفاع ١/٥ سانت وفيها عظامان حججريان محفوران يجزء آن صندوق الصماخ عن الاذن الخارجية بوسيلة سجاف الصماخ وعن الاذن الداخلية بوسيلة كوتين بيضيتين وبوسيلة بوق السمع وحفر عظم الشقيقة يتصل صندوق الصماخ بالحفر الخلفية للانف . الجدار الخارجى لصندوق الصماخ وهو القسمة الواقعة في مجرى السمع شامل لمنطقتين علوية وهى محل استقرار عظام الاذن الوسطى وسفلية تشكل سجاف الصماخ : الاذن الداخلية هى القسمة الاصلية لجهاز السمع و يوجد فيها ثلاث مناطق الدهليز المجارى الناقصة التدوير الحلزون : الدهليز

مر كب من كيسين صغيرين يوصل بينهما مجرى ضعيف احد الكيسين ينحجز عن الاذن الوسطى بوسيلة الكوة البيضية ويتصل بداخل المجارى الناقصة التدوير واما الكيس الثانى فهو يفتح الى الحلزون: المجارى الناقصة التدوير شاملة لثلاثة انايب معوجة كل واحد منها بشكل نصف دائرة احدها قائم بموازاة الجبهة والآخر مستقر عليه بطور عمودى والثالث مستقر عليهما بطور افقى .

الحلزون : العظمى بصورة انبوب كثير التعاريج و الحلزون العشائى واقع فى جوفه : تحليل و آثار هذه الاجهزة : هالة الاذن وتعريجها يجمعان الاصوات و يشخصانها فلوانا ملاءنا حفر الهالة بشمع ونحوه بحيث صار سطحها الخارجى متساويا وجدنا من أثره عدم تشخيصنا لجهة الصوت ونتائج الاذن الوسطى انها من ناحية تنقل الارتعاشات من الاذن الخارجية الى الاذن الداخلية ومن ناحية ثانية تشدد الارتعاشات فيرتعش سجاف الصماخ بالاصوات وسجاف الصماخ لاجل ان يعمل بدقة يلزمه ان يتعادل الضغط فى طرفيه والذى يؤمن هذا المعنى هو بوق السمع ومع ان فم البوق مسدود الا انه يفتح فى مقام البلع فياخذ الى داخله مقداراً من الهواء ويرسله الى طرف السجاف وليس المنظور بالبلع هو البلع وقت الغذاء فقط بل ان ارتعاشات سجاف الصماخ تسبب تحريك او تار الصماخ فتتصل حر كتها ببصل النخاع فيسبب هذا المر كز ترشح الغدد الفكبية فاذا تجمع البزاق فى الفم تعقبه عمل البلع فينفتح بوق السمع فيورد مقداراً من الهواء فى الاذن الوسطى ويوجد تعادل الضغط فى طرفى سجاف الصماخ .

اما الاذن الوسطى فانها تقوى الارتعاشات الواصلة اليها من جهة ان سطح السجاف البيضى يصغر عن سطح سجاف الصماخ بعشرين مرة فالارتعاشات المنتقلة اليه تكون متراكمة وبضغط وافر تتصل بالكوة البيضية ومن جهة ان عظام الاذن وقت العمل ينقر طرفها المحدد على طرفها السندالى وهذه النقرة تولد رجة قوية ومن فائدة الكوة المدورة انها تنقف امام الضغط الوارد على الكوة البيضية فالعوامل المذكورة آنفاً فائدتها انتقال وتشديد الارتعاشات الواردة .

واما العضو الاصلى للسمع فهو الاذن الداخلية ومجراها الحلزونى مخصوص لعمل السمع واما الدهليز والمجارى الناقصة التدوير فهى تتمتع بعمل تعادل البدن : حفظ تعادل البدن واوضاعه المختلفة مقرون بقسمة الدهليز والمجارى الناقصة التدوير والمخيخ وذلك ان احساسات التعادل من طريق الدهليز تتصل بالمخيخ والمخيخ بوسيلة المخ يصدر او امره اللازمة الى العضلات المر بوظة بحفظ التعادل اما عمل الحلزون فهو فى الارتعاشات الصوتية وتبديلها الى الجريانات العصبية التى تتأدى الى المخ بوسيلة اعصاب السمع يعنى ان الارتعاشات الصوتية تنتقل من الكوة البيضية فتعبر من مجرى الدهليز وتنتهى الى آخر الحلزون الصماخى وبالآخرة تصل الضربانات الواردة الى الكوة المدورة ومن هذا الطريق مجدداً تنتقل الى صندوق الصماخ : هذا وفى مباحث السمع كثرة ووفور من عدة جهات اعرضنا عن ذكرها مخافة الاطالة بالنسبة الى وضع الرسالة .

(٥ - حس البصر) جهاز البصر هو العين وبوسيلتها تشخص الالوان والابعاد والمقادير و الفواصل النسبية للاشياء وهى شاملة لقسمتين كرة العين وجهاز ضمائم العين وهى عبارة عن الحدقة و الاجفان و غدد الدموع و العضلات المديرة للعين والعروق والاعصاب : الحدقة حفرة عظمية بشكل هرم ذى اربعة وجوه قاعدته الى الامام ورأسه متوجه الى الخلف وهى بوسيلة سجاجف مقعر تنقسم الى قسمتين امامية و خلفية المنطقة الامامية مكان كرة العين وتنستر بوسيلة الاجفان وفى المنطقة الخلفية عصب الابصار والعضلات المديرة لكرة العين واعصاب الحس و الحركة و العروق الدموية والقضاء الذى بينها تملأه مادة دسمة قريبة من الميعان .

والحواسب تحول بين العرق وبين نفوذه الى داخل العين اما الاجفان فكل واحد منها مؤلف من نسيج عضلانى و او تار قابلة للارتجاع ويغطيها جلد البدن والسطح الداخلى للجفن يستتره نسيج تريكيبى شفاف باسم الملتحمة وعضلات الجفن بعضها ترفعه الى اعلا وبعضها تجمعها ويحيط بطرفه شعر قصير باسم الهدب وفى القسمة النهائية لطرف الجفن توجد منافذ من طريقها تدفع الغدد الدهنية بترشحاتها الى ماتحت

الاجفان: وتوجد عدد الدموع في القسمة العلوية الخارجية من كل حدقة في مجاورة السطح الامامى من كرة العين وترشح الدمع دائماً لاجل ترطيب سطح مجاورة الاجفان لكرة العين والزائد على ذلك من طريق انبوي الدمع يصب في كيسه الذى هو كالمخزن ومنه بتوسط مجرى الدمع يسترسل تحت العظم الصدفي الاسفل الى حفر الانف وعلى اثر تبخيره يترطب هواء التنفس .

والعضلات المديرة للعين بانقباضها تدير كرة العين الى جهات مختلفة حتى انه من دون حر كذا الرأس يستطيع مع ادارة العين ان تبصر النقاط المختلفة واعصاب العين عبارة عن اعصاب الحركية وفائدتها تحريك عضلات العين واعصاب الحس واعصاب الابصار : بنية كرة العين : كرة العين العضو الاصلى للابصار وهى بصورة كرة غير منظمة وتشتمل من الخارج الى الداخل على طبقات الصلبة والمشيمية والشبكية: الصلبة سجاج ابيض قوى كدر من جنس الالياف المحكمة وهى تشكل الطبقة المحافظة على العين وفى الجهة الخلفية للصلبة منافذ تتسرب من خلالها اعصاب الابصار . المشيمية سجاج رقيق اسود اللون واقع تحت الصلبة ويحيل داخل العين الى حجرة مظلمة وفى داخله عروق دموية كثيرة فالمشيمية على هذا هى القائمة بتغذية العين : والشبكية هى السجاج الحساس لكرة العين : و على اثر امواج النور تتحرك طبقة الخلايا الحسية للابصار : ويقال المحيط الشفاف لكرة العين على قسماتها التى تبعث الانوار وتقوم بتقاربها و عكسها على الشبكية وهى عبارة عن القرنية و الزلاية و العدسية و الزجاجية .

تحليل جهاز العين : العين شاملة لقسمين قسم يقوم بعمل التصوير وقسم من طريق العصب يبعث بجريانه الى المخ وكما ان آلة التصوير تعطى تصويراً حقيقياً و آخر معكوساً كذلك العين بوسيلة محيطها الشفاف تأخذ الاشعة وتقاربها وتعكسها على الشبكية : مدة بقاء تأثير النور فى العين تتراوح بين $\frac{1}{10}$ الى $\frac{1}{5}$ من الثانية وهذا التفاوت

مر بوط بشدة النور فكلاما اشتد النور كثر دوامه وعلى هذا الاساس لو أديرت مجمرة بسرعة اوجدت في العين دائرة نورية وذلك من اثر بقاء النور في العين : و في بحث حس البصر كلام واسع لايسعه هذا المختصر .

العضلات : وهي من الاعضاء الاصلية للمحرك لانها بانقباضها وانبساطها تسبب تنقل العظام عن محالها وهكذا الاعضاء المتكئة عليها : وللعضلات خواص منها قابلية الارتجاع فأنا اذا مططنا العضلة بملائمة ثم ارسلناها عادت لحالها من نفسها ومنها قبول التحرك فانها اذا وقعت تحت تأثير المحرك خرجت من حالة استراحتها الى دور فعاليتها ومنها قابلية الانقباض فان عكس العمل الصادر منها في قبال المحرك الخارجى هو الانقباض و منشأ التعب فى الحيوان هو الانقباض العضلانى المتواصل : و فى العضلات ايضا بحوث مهمة طويناعنها كشحأعلى ان مالم نذكره من البحوث الكيمائية والفيزيائية وغيرها مما هو مر بوط بعلم معرفة الحيوان فى كافة الفصول السابقة اكثر مما ذكرناه وانما فعلنا ذلك روماً للاختصار بعد ان كان القصد من تحرير هذه الشروح هو تمهيد مقدمة يستطلع منها على النتيجة المقصودة .

اذن فهل من المعقول ان يتحصل الوجود الحيوانى وبخاصة الانسانى منه بصرف الصدقة والاتفاق : اننا لو قارنا اعظم ما كنة مخترعة للعصور الحاضرة بأدنى حيوان لوجدنا فى هذا الحيوان آلافاً من الموجودات الحية العاملة لصنوف الاعمال والقائمة بشتى الافعال والمنتجة لمتفاوت الاشغال بما تعود الما كنة بالنسبة اليه حقيرة جداً فكيف يلزم الاعتراف للما كنة المزبورة بان لها صناعاً قد كدّ وجدفكره وأعمل قواه واتلف حياته وساعده على مقصوده وسائل وعمال واجهزة واموال حتى اطلعها بالوضع الذى اطلعها به و استهدف بها منذ البدء هدفاً عقلائياً تكبره عليه عقلاء البشر وينال من جرائه اعطر الثناء واعظم الالقاب والاسماء ويتغير من اجله محيط الحياة و بهذا امتازت القرون الاخيرة على القرون الاولى والوسطى حتى عدت هذه القرون وما قبلها من ازمان التوحش البشرى : ان المتجدد الذى يعترف بان تحت بشرة الانسان فى جميع اعماقه ملايين الملايين من الخلايا المتنوعة وانها كلها ذوات حياة وان كل

فصيلاً منها تعمل عملاً خاصاً وتقوم بمهمة مستقلة بحيث لو شخصت خلايا البدن الى الوجود المكشوف كل خلية بصورة انسان لزادت ارقامها على المجموعة البشرية الشاغلة لمحبب الكرة الارضية اضعافاً مضاعفة كيف يعود مع الاعتراف يدعى الصدفة والاتفاق في وجودها وانها حصلت لالهدف وای هدف اعلا وارقي واثمن واملاء للعين والفكر من الاهداف التي ترمى اليها الاجهزة المارة الذكر من اجهزه المخ والمخيش وبصل النخاع والنخاع وحس البصر والسمع والذوق والشم واللمس وجهاز المضغ والبلع والهضم والدفع والادرار والتناسل والقلب والرئة والكلى والكبد والطحال والشرايين الحمر والسود والعروق الدموية والغدد على اقسامها وانواعها وتأثيراتها و الاعصاب والعضلات والعظام فانك قد قرأت فيما سلف من الدقائق عن اعمال هذه الاجهزة وآلاف سواها ما يثير اعجاب العقول وحيرة البصائر والافكار حيث يصلح كل جهاز منها لرقابة أعظم آلة ميكانيكية من خلقة القرن العشرين ويدها بفوارق جملة و خواص مهمة من احدها خاصية الحياة المفقودة في الميكانيكيات على طولها .

اننا لو فككنا اعضاء واجزاء اعظم مضخة بما يمت اليها من وسائل وآلات وانايب لما بلغ مجموع متفرقاتها واحداً من الف مما احتوى عليه جهاز الادرار من انايب فقط فانهم يذكرون في تعداد انايب الادرار للانسان انها تترواح بين المليونين الى الاربعة ملايين انبوب .

وهكذا لو قسنا اعظم طابعة في الدنيا وميزنا جميع اعضاءها واجزائها بالاكياس الهوائية في الرئة لما بلغ مجموع متفرقاتها واحداً من مليون من مجموع رقم الاكياس المزبورة فانهم ذكروا في تعدادها ما يقرب من ١٧٠٠ مليون كيس هوائى حيث يبلغ سطح تبادلها في الرئة مقدار ١٥٠ الى ٢٠٠ متر مربع .

وهكذا لو قسنا اكبر واهم طائفة في الدنيا وفككنا جميع اجزائها بالخمل المفروش في المعاء الضيق لما بلغت نسبتها الى تعداده النسبة الواحد للعشرة آلاف فانهم ذكروا في تعداد الحذب المتر كزة في السطح الداخلى للمعاء الضيق وفي سطوح تعاريفه انها تبلغ عدة ملايين وهى من العواهل الاصلية في الجذب وفيها من العضلات

والعروق الدموية لشيء الكثير .

وإذا قسنا عظم باخرة في دنيا اليوم وفككتنا جميع اوصالها حتى المسامير الصغار منها بالغدد المولدة للعرق في بدن الانسان لما وصل مجموع ارقامها الى ما يدكرونه في تعداد الغدد المزبورة فانهم يرونها في تمام جلد البدن تتراوح بين المليونين والثلاثة ملايين غدة وكلها ذات فعالية وعمل مستمر وانتاجات مهمة .

وهكذا لو قسنا اكبر سيارة وميزنا اجزاءها الصغار والكبار بالحيبيبات اللاقطة للملمس في بدن الانسان لما بلغ مجموع ارقامها ما يدكرونه للحيبيبات المزبورة من رقم وهو اكثر من ٥٠٠/١٠٠٠ نقطة وهي كلها ذات حياة وجهاز .

وهكذا لو قسنا ذلك بما يدكرونه للنقاط اللاقطة للحرارة في البدن من رقم ٣٠ / ١٠٠٠ وما يدكرونه للنقاط اللاقطة للبرد فيه من رقم ٢٥٠ ر ١٠٠٠ لما بلغ مجموع اعضاء السيارة المزبورة اليه قطعاً : واما ما يدكرونه من النقاط اللاقطة للالم في البدن فهو رقم ضخم حيث يتجاوز عن مقدار ٣ / ٥٠٠ / ١٠٠٠ نقطة .

ولانظيل عليك ففي نوع اجهزة البدن ارقام حساسة للموجودات الحية الفعالة القائمة باشغال مهمة تحارلها البصائر والابصار اذن فدعوى ان ذلك كله من اثر الصدفة وانه لم يوث به لغاية من المهازل التي ينبوعنها السمع ويطردها عن نفسه العقل من اول مرة بل يحكم حكماً صارماً قاطعاً بعظمة هاته المخلوقات - اولاً - واهمية الحكمة - المتشعبة فيها - ثانياً - وبشمن الهدف المسوقة اليه من حيث الحياة وادامة البقاء - ثالثاً - وبعظيم قدرة صانعها - رابعاً - وانه فضلا عن القدرة في اقصى مراتب العلم والحذاقة والمعرفة حيث لا يصل الى مقام قدرته وعلمه وحذقه ومعرفته اى مقام يفرض .

وما عرضناه واحد من ملايين الامثلة فان في عوالم النمل و زنايب العسل و الارضة والخشاشيف وملايين غيرهما من شتات انواع الحيوانات والنباتات والمعادن والجبال والبحار والمجرات والمنظومات العلوية من العجائب والغرائب و موجبات البهر والتحير ما لا تقوم به آلاف الكتب وذلك فقط فيما تمكنت من الاستطلاع عليه قوى البشر واما مجهولات ذلك فهي السلسلة المهمة من حلقات الخلقة .

فهذا كله مالا كلام فيه انما الكلام كله حول الحكمة فى تسيير هذه المخلوقات باللون الذى يعاينه انسان كل عصر فى عصره فان جانب الاهمية انما هو فى هذه النقطة المهمة المبهمة التى قهرت العقول وضايقت الافكار وسترت على الاحساسات القوية وجه التخلص من رموزها وأسرارها ولنبحث عن جملة منها لنرى مصير البحث الى اى جهة يكون .

اهم الاشكالات التى تواجه العقل فى مقابل كون الصانع حكيماً فى تسيير مخلوقاته اثر الاهمال الذى يلوح على كافة جوانب البشر فضلاً عن بقية الحيوانات من حيث السير الحيوى الاجتماعى فان الانسان الحساس النزيه الناشئ فى طبقة ضعيفة من الناس بمرور زمان عليه من عمره حيث يرى فى خلاله حالات واطواراً نراه تتجمع عنده دينامى الاحساسات الحادة الجارحة المخرجة عن دائرة التصبر والتحمل ذلك حيث يرى قوة القوى كيف تعبت بالناس وترهق الضعاف وكيف تضايق الابرياء وترخى للجناة وكيف تتحكم فى الاموال والنواميس وتحتقر الطبقات النازلة النزيهة وتستخدمها فى ميولها الجنونية الشهوية وكيف تملأ منها السجون عند ادنى مطالبة بحقوقها المشروعة وكيف تكرسها دون غيرها جنوداً فى الحروب فتكون هى الدريئة للسيوف وحيث يرى المتنفذين والمتزعمين واهل الثراء على سنن ذلك وحيث يرى الجوع والعري وفقدان المسكن وعدم الوسائل الحيوية محيطة بالضعفاء من البدء الى النهاية .

وحيث يرى الضعاف من سكنة البوادرى محاطين بانواع البلايا من حيوانات كاسرة وحشار لاسعة قاتلة وهجوم غارات وكثرة لصوص وسراق وتحكم رؤسائهم فى انفسهم واموالهم وحيثياتهم وحيث يرى السود مجلوبين للبيض كالوحش الهامل يباعون ويشترون ويستخدم عليهم ولاحق لهم من الحياة الا اسوأ موالىهم من ركد الماء وفترات الطعام وسمل الثياب واطراف المنازل : وحيث يرى الجملة الوافرة من الزوانى انما يتعاطين ذلك لفقدهما يرتفقن به من وسائل المعيشة مع العفة : وحيث يرى فى بنى آدم الرقم الواسع من امثال زياد ويزيد ومسرف بن عقبة والحجاج ابن يوسف وچنگيز و تيمور تتعاور سلاسلهم الحاكمة على الناس ازهاقاً وارهاقاً واعنائاً

ونهباً وسلباً وتخريباً وحسباً وتبعيداً وتشريداً وابداءً واعداماً : وحيث يرى الناس - الامن شذ - متكالبين في فرض حقوقهم على الغير وتهوين حقوق الغير على انفسهم : وحيث يرى الحروب يسببها واحد او جماعة ويموت من اجلها من لا يد له فيها : وحيث يرى الطواغين تمحق و الصواعق تزقق و الزلازل تتمخض و البراكين تتفجر و الطوافين تجتاح و الاعاصير تدمر : وحيث يرى البرد المهلك والحر المتلف والقحط والجذب والمجاعات وحيث يرى الصراع المزعج والمطاردة العنيفة على طول خط البشرية من الزمان ويرى من خلال ذلك كله ابتلاء الابرياء والضعفاء من الناس ومن لاذنب له ولا جرم حصل منه ولا معصية توجب طرفاً من ذلك فضلاً عنه جميعاً .

ولا يكون خلق الحي الحساس العاقل الا لغاية شريفة قطعاً وحد الاقل منها قطعه للحياة مؤمن الاحتياج الضروري لبقاءه من غير ان يزاحم غيره به وهذا ما لا يراه في اى انسان يفرض الا في طرف من الافراط او التفريط الموجبين لاختلال النظام الحيوى فبينما يرى المتمولين يعبثون بالمال عبثاً جنوبياً يحار له الفكر يرى فى طبقات البشر الملايين يعوزهم العيش الضرورى الدنيء : مثلاً نرى فى عصرنا الحاضر و فى بلادنا التى نسكنها - على انها بلاد شرقية تافهة ان عدة من اهالى العاصمة الاعزاء احصى خرجهم السنوى على السينما آت فقط بمبلغ ٥٠٠ مليون ريال فى حال انه يوجد فى جنوبى هذه البلاد اراضى شبيهة بالمستنقعات يسكنها ٢٥٠٠٠ نسمة بمعدل كل ٧٠ انسان منهم فى مساحة ٦٠ متراً مربعاً : فكم الشقة بين ذاك الافراط وهذا التفريط : وتذكر الصحف ان قرب : كمبريج : من مدن انكلترا توجد قرية مخصوصة بتربية القطط وبيعها تملك ٨ قطط منها ملايين من الليرات الذهبية فى حال ان ملايين من الناس يعيشون على هامش الحياة : وتذكر الصحف ايضاً ان الولايات المتحدة الامريكية تصرف فى عصرها الحاضر كل يوم ١٥ مليون دولار فى سبيل اتصالها بكرة القمر والحال ان ملايين من اهل كره الارض يموتون من الجوع فى كل سنة : ولا مجال لنا فى الاطالة بهذه الامور لكثرتها الهائلة عند ارادة التعرض لها والتوسع فيها .

وليس هذا الافراط والتفريط مقصوراً على الفقر والغنى والثروة والاملاق بل هو سيال في كل شيء حتى في المشاريع العامة التي تقوم بها الدول ظاهراً للعموم بل حتى في الدوائر الرسمية المعدة لقضاء اشغال الافراد فليس للضعيف حظ في المستشفيات العامة في حال ان انظف وانظم اسرتها للمتعيينين الاجلاء كما ليس في دوائر العدل وجه للضعيف والحال ان قضاتها جميعاً طوع ارادة الاقوياء وهلم دوايك: وفي النتيجة ان انرى دنيا الحيوانات وبنى آدم جميعاً دنياها نتيجة من عجة مرتبة كثيرة التعاريف طويلة الذيل في التناقضات واعظم ضرباتها على الابرياء والضعفاء والمتدينين المتورعين والمثاليين الاتقياء وطرف منه لا يلائم الحكمة فضلاً عنه كله هذا خلاصة ما يقال في تحرير الاشكال على حكمة الصانع في تسيير مخلوقاته واقترانها بالحياة.

ولا بد ان يعلم ان احد سلاح يملكه الانسان في تشريح حقائق الكون هو العقل فقط وان العقل الانساني مهما فرض توسعه بالشحن والتدريب والتجربة والتمرين فانه محدود الدرك يعترف بذلك كل من القائل بما وراء الطبيعة والمادى الصرف فلا يتوقع من العقل البشرى ان يحيط بدرك كل ما يتصوره ويستعرضه در كاناضجاً: ثم ان حياة بنى آدم المادية لا يستطيع تمشيتها على مدرجة الكون مع الانقلاط من كل قيد بل لابد ان تشفع بشيء من الفضائل النفسية كالحياء والوفاء والصدق والرفق والعفاف والكفاف والتحمل والتحمل والورع والتقوى والايمان بالمبدأ الصحيح والعمل به من طوع النفس فاذا تخلقت هذه النزعات عن النفس عادت بهيمية ذات ضراوة واندفاع ولازم ذلك هو هذا التكالب الذي يشهده كافة بنى آدم في نوع طبقاتهم مما ادى بهم ويؤدى الى اسوأ الحالات واقدراحوال الحياة: وهذا المعنى مما قامت به الشرائع السماوية والمثاليون والاخلاقيون من بنى آدم خير قيام علماً وعملاً لكن زافة الناس لما لم تترت في درك منوياتها بل اخذت تندفع وراء الوهم والخيال ملاءت الدنيا زعيقاً ونعيقاً وارتبا كما هو حاجا بصورة يحارفيها الناظر المتشوف ويقول في نفسه ما هؤلاء الناس اعطوا كل غرائزهم الصحيحة من ايديهم فترى الزعيم والوزير والامير ومن الى ذلك يبذلون كل وسعهم وما أوتوا من حول وطول في سبيل السخائف والترهات ولذلك انحط مقام العقول وسفلت

الانفس وامتهنت النواميس ورددت الارواح وعدت الفضائل النفسية من سقط المتاع وراجت الرذائل رواجاً قل نظيره حتى اصبح الزنا واللواط وشرب المسكرات والصفق والرقص والتعري والتهمك وانتهاج الرشا واستلاب الحقوق من شيم الناس باسم التنوير والثقافة وحتى عاد الاتزان والوقار والورع والاحتياط والحياء والوفاء والنجابة والعفة والصدق والامانة من العار باسم الرجعية السوداء : وحتى عد الساقط الممتهن متموراً أو الشريف الصحيح الشرف رجعيّاً .

فهذا كله ما الاربط له بالصانع بعدما حذر منه ونهى عنه وتوعد عليه نعم يبقى شيء من حزازة هذا الوضع الساقط وهو اندماج الابرياء الاعفاء فيه فان الوضع السائد اذا شؤم وسخف تعدى الفاجر الى البر والمسيء الى المحسن والخبيث الى الطيب وان كان الاطياب المحسنون قليلين في كل زمان لكنهم مع قلتهم يجب ان يصانوا من جانب الحق حتى لا تندهور حياتهم بالمرّة وتعود الدنيا كما بوساً ثقيلاً على عواقبهم: هذا وان جملة من هؤلاء المحسنين الاجلاء والمثاليين الاتقياء نراهم يعدون بلاء الله عليهم من توجهه اليهم وان من ازداد بلاء منهم ازداد قرباً لكن هذا المعنى مخصوص بالمهذبين الذين راضوا انفسهم رياضة تامة ولا يعود يشمل الابرياء الضعفاء من غمار الناس وهم الرقم الواسع من هذا الفريق فهل يصح ان يكتفى هؤلاء في مقابل ما يرونه في الحياة من شدايد وآفات وبلايا ومصائب ان لهم سعادة مضمونة في عالم آخر : اما عقولهم وعقولنا الرائية لاتصحح ذلك لما فيه من لوعة يقل عنها تحمل السائرين من الناس فهو اذن من الطالسم التي لانستطيع حلها وما اكثر الطالسم المعماة في بطون هذه الحياة .

واما ابتلاء الناس بالقوى الجائرة على طول اشواط الزمان فهو في الاعم الاغلب مسبب عن اكثرية الافراد فان نوع الناس يزفون وراء الوعد بالطمع والامل بالغنيمة فضلا عن الاجرة المقنودة ويفرون عن الحاكم العادل مخافة ان يضبط عليهم الامور وهم يهونون التمر كاض بلا مانع ولا مزاحم وقل دليل عليه ان اربنا الناس اجتماعاً اعلى معاوية وتسلوا عن على مع علم الجميع وفي طليعتهم معاوية نفسه ان علياً لا يشبهه انسان من معاصريه في كافة الفضائل النفسية قريب الى الحق جهداً يستطيع بعيد عن الباطل

جهد المقدور: ولا يصح ان يقال ان نوع الناس كانوا يريدون امارته كما يريدون سعادة انفسهم ويحبون حكومته كما يحبون الترفيه على ارواحهم وانه لم يتخلف عنه الاعفاريات الافرادواخبارهم الذين يحاولون الترفع على القانون: وانما لا يصح ذلك: لان الاكثريه من الناس في كل دور اذا تصافقوا على شيء استحال ان لا يكون ذلك الشيء لان الاقلية محكومة بالاندحار دائماً واذ اقبل كم من فئة قليلة غلب فئة كثيرة فذلك لصدق الاقلية وتخاذل الاكثريه: قطعاً: والاكثريه الساحقة فضلاء عن لزوم انتصارها في تلك الادوار التي ما كانت تعرف السلاح في غير السيوف والرماح وكان ذلك ميسوراً للاعم الاغلب من الناس يتحتم انتصارها ايضا في عصر الصواريخ والذرة فان عنوان الاكثريه كما يراد به فريق البقالين والعطارين ومن اليهم يراد به سائر الطبقات ايضاً من كيميائي وفيزيائي وجندي وضابط وطيار وغواص فان هؤلاء من الناس لانهم صنف خارج فمتى تشكلت الاكثريه من كافة الطبقات كان الحكم لها قطعاً: وهذا المعنى لم يحصل في دنيا البشرية الا في انقلابات معدودة. *كذلك ان يستحسبوا كما هم في قلوبهم ان الله* فالناس دائماً يتمكنون ان يحكموا انفسهم بانفسهم وان لا يجعلوا للذلل عليهم طريقاً لكنهم يتخاذلون عن احقاق الحق الراجع لهم بحسب امتياز فريق منهم على من سواه ونيله لضعاف ما يستحق و بانخذال فريق آخر منهم حباً لسلامته فيما يظن و تأميناً لما في يده وهو لا يشعرون ان غير حكومة الحق لا تبقى على سلامته ولا على ما في يده جميعاً وبتطبيع فريق مذنب بالاعاد فضلاً عن الرشوة المنقودة واذ افلت الجبل من ايدى هؤلاء جميعاً عادوا بعد رده من الزمن اذل من الارنب في نظر السلطان الذي حكمهم عليهم فيعود فرد واحد لا يملك من القوة الاسيفه عند الحقيقة حاكماً مستبداً على مئات الملايين لالسبب معقول سوى انخذال كل واحد منهم عن حق نفسه. *كذلك* اذن فهذا البلاء ليس مرجعه الى الصانع بالمره نعم يكون في غمار هذه الانشعاعات اناس احرار صادقون لا يصيخون للباطل ولا يعطون بأيديهم الى الهوان لكن لا تعود تنفعهم حريتهم ولا اخلاصهم في قبائل سلطان مسيطر قد تابعته الكثرات بشتى انواع المتابعة ولهذا نراه ينحى عليهم بشتى اساليب التحقير والتوهين والتشريد والتبعيد ان

لم يأت عليهم اذهاق الارواحهم كما حصل كل هذا باحرار بنى آدم المخلصين وهذا يجيء الاشكال بان الصانع كيف خلق بينهم وبين اولئك الطواغيت وكيف لم يحرسهم ولم يدفع عنهم وهذا من الطلاسم التي لا تحل ايضاً .

وكل ما سلف الاشكال به من المجاعات العامة والطواغين الجارفة والطواغين المبتحاة والاعاصير المزعزعة والبراكين المتفجرة والزلازل المتمخضة والصواعق المدمرة فهو غير متوجه الا من حيث اندماج الابرياء فيه وانغمار النزيه به وما اقل النزيه والبرىء في دنيا الناس قديماً وحديثاً لكنه اشكال متوجه في هولاء وليس بمقدور العقل حله فهو من الطلاسم ايضاً : لكن الذي يهون الخطب اجمالاً على المبدأى والمادى جميعاً اعتراف المادى نفسه بان العقول قاصرة عن ادراك ما فى الوجود كله وان كل ما ادرك بمشاريط العلم فهو غيب من فيض على ان الجهل بالشىء امر وانكاره امر آخر ولا يجوز جعل الجهل طريقاً الى الانكار فى كل الاشياء .

وبعد هذا فلا بد من التوجه الى ذكر جملة من مزاعم الجدد كما وعدنا بذلك آنفاً من ان تكون فى تعلييل اصل الخلقة ام فى التحكمات الباردة على حقائق الاشياء وتعرض من ذلك لعدة نظريات

منها : ان العلامة (اوستيد) لما كتب قوله ان الكون محكوم بحكمة اذلية تظهر لنا آثارها بواسطة القوانين الثابتة فى الطبيعة لم يرق قوله هذا فى عين الدكتور (بخنر) فكتب يرد عليه انه لا يمكن ان يتصور احدان تتفق حكمة اذلية مع نواميس طبيعية ثابتة فاما ان تكون النواميس هى الحاكمة واما ان تكون الحاكمة هى تلك الحكمة الازلية فاذا كانت الحكمة الازلية هى الحاكمة فاللزام لقوانين الطبيعة و اذا كان الامر بالعكس وكانت النواميس الطبيعية هى الحاكمة فان ذلك ينقى كل تدخل سماوى : وهذا اشتباه واضح من بخنر فان خالق الطبيعة ومكيفها خالق لنواميسها فالانسان المخلوق على الكيفية المار ذكرها تفصيلاً قد خلقت طبيعته فى عرض خلقة اجهزته وما اراد بها فالنفس الذى هو ناموس طبيعى لاستمرار حياة الانسان من اللوازم القهرية لخلقة جهازه فى عرض الاجهزة الباقية القائمة بالتركيب الانسانى وليس الناموس

الطبيعي مجلوباً له من خارج بعد خلقته حتى تكون للنواميس الطبيعية حكومة وراء حكومة أصل الخلقة وسيجىء في شتات بحوث هذا الكتاب ان النواميس الطبيعية كلمة فارغة من المعنى الصحيح وان الطبيعة اعداد خالص لفعل ما وراء الطبيعة .

وقال (ديموكريت) وهو فيلسوف يونانى قديم ويعتبر شيخ الماديين عن خلق الكون بل بعبارة اوفق بميله عن تكون الكون وتنوع الانواع المبتوثة فيه: بدوران ذرات الاجسام حول نفسها فى الفراغ فى آماذ طويلة لاتدخل تحت حسابان تكونت كل هذه الكائنات على اختلاف انواعها واشكالها .

لكن ارسال العبارات المهملة لاينتج فلسفة ولايجل مشكلة فان دوران ذرات الاجسام حول نفسها مع الغرض عن منشأ هذه الذرات وانها كيف كانت ومن اين جاءت لايستطاع تعقله الا بفرض قوة مديرة للمقصود الذاتى فى المواد فلايتحرك الساكن الا بمحرك والدوران نسبة قائمة بين مديرومدار فمن المدير: نفرض الذرات تحركت فلم كانت حركتها دورية لاطولية: فرضنا دورية: فهل الحركات الدورية للذرات تنتج النبات والحيوان والانسان وكلها مدمومتحرك: اما انها طفرات لاتعقل المناسبة بينها ولاالسنخية فى انتاجاتها: واذا كان التحرك الدورى للذرات و انتاجها لهذه الكثرات بكيفياتها التى هى عليها من ذاتياتها كان ذلك مغنياً عن التلاقح و التوالد والاستنماء بل لا يكون لهذه الامور موضوع بالمرّة وهو خلاف الواقع المكشوف: و يقول الماديون فى وجه انكار كون الانسان مخلوقاً مستقلاً فى خلقته وانه نوع خاص مبدء ومعاداً ان فى بنيته الفعلية زوائد اثرية كالعصعص فى جميع الافراد و الاثناء فى الرجال مما لافائدة فيه بل بعضه دليل على تحوّل هذا العنصر من عنصر آخر من ذوات الاذئاب وان الاستغناء عن الذنب بعد التحول هو الذى حذفه لعدم الحاجة اليه وبقى منه اثره فقط .

لكن هذه المزاعم تافهة لدرجة بعيدة فان الاستغناء عن الشىء انما يوجب اهماله والاهمال يستلزم عدم التربية والنمو لاأزيد فما اكثر من عطلت بعض اعضائه بالفالج وغيره فبقيت مهملة معه عشرات السنين لايستفيد منها بالمرّة ولكنها لم تنحذف

منه واذا انحذفت الاذئاب عن نوع الانسان عند تحوله لاستغناءه عنها فلم لم ينحذف العصص معها فان ملاك الاستغناء عنه كما حذف منه الذيل كان من لازمه ان يحذف العصص منه ايضاً فلم كان الانسان منذشهد نفسه ذاعصص بلا ذنب واستمر على هذه الصفة وما الداعي لهذا التفكيك بين هذه الزوائد : وكون الثدى فى الظاهر وسيلة للارضاع لا يستنبط منه بالقطع زيادة كل ثدى لا يتوسل به لذلك فانه تخرص محض ومن احاط بدقائق الموجودات و فوائدها حتى يبرم حكمه فى ذى الفائدة منها وما لا فائدة فيه و للاخر لا تزال الموجودات كثيرة المجهول فيها قليلة المعلوم منها على رغم توسع العلم .

ولا يقف الناشئة المتعمدة بآراء الغربيين واقوالهم و كلمات الماديين و ميولهم على اعتراف مراجعهم بالعجز عن معرفة كل ما فى الكون من اسرار نذ كر ما يلى .
يقول الفيلسوف (اجوست سباتيه) فى كتابه فلسفة الاديان : ان العلماء اول المعترفين فى كل فرع من فروع العلم انهم لم يدركوا منه الاجزاء محدوداً وان اكثرهم تواضعاً اكثرهم علماً على ان كلهم يعترفون بان ما حصلوه للان من الاكتشافات وما درسوه من هذا الجزء من الطبيعة ليس الاعدماً بالنسبة لما يجهلونه فهم مستعدون لتنقيح القوانين التى قرروها وتوسيع الفروض التى فرضوها و اوضح كل ما يشاهدونه من المشاهدات الصحيحة الى ما لديهم منها نعم انه يوجد من بين هذه المشاهدات ما يدعشهم ويشوش أفكارهم كما تراه كل يوم ولكنك لو تلاحظ موقف العالم الحق امام هذه الظواهر الجديدة تراه لا يشك فى انها تابعة لنواميس مجهولة ولكنها حقيقية وموجودة وتراه لا يأس من امكان عزوها الى تلك القوانين : دائرة معارف وجدى مادة اله ص ٥١٣ .
وقال العلامة (بيو) فى كتابه (شذرات علمية وادبية) بقدر ما تدبر فى نظام هذا الوجود وسعته وفى جميع عجائبه اعجب من هذا الابداع المدهش وارانى فى حالة عجز عن تفسيرها وتعليلها وانى لأتجاسر بان اقول انى جربت ذلك بنفسى فان تلك التفسيرات الناقصة والتعليقات الكاذبة او المبهمة التى يريدان يقنعنا بها بعض الكتاب العصريين بصفة مدركات سامية لا تظهر مجحفة وتافهة الا اذا قورنت بالطبيعة نفسها وان الذين

تشرّفوا بمعرفة بعض جمال الطبيعة واحسوا بها وجدوا أنفسهم مرغمين لأن يعتبروا الذين يريدون ان يشوهوا هذا الجمال بتدليسهم القبيح كفاراً ملحدين فان كل الكائنات العضوية متمتعة بوسائل حياتها الذاتية المتنوعة في اختلاف أجهزتها مثل تنوع الكواكب والزهرة في القبة الزرقاء زيادة على هذا فأنا لانشاهد الا ما يظهر لنا من ذلك في الخارج وقد حجب عنا ما هو اعجب وأغرب بعيشك قل لي من هذا الذي استطاع ان يفهم الاعمال الكيميائية الخاصة بالاعضاء الحية لهذه الكائنات والتي هي السبب في حررتها الارادية وغير الارادية - ماذا اقول - من هذا الذي استطاع ان يفهم سر طيران الذبابة وسر الاعيب الفراش : اذا وصل بنا ادراكنا الى معرفة القابليات الخارجية لهذه التراكيب الجسمانية والى تحديد العلائق المقصودة الموجودة بين الاجزاء التي تتألف هي منها قلنا اذا وصل ادراكنا الى هذا ثم عمينا عن رؤية الحكمة التي امرت بها ونظمتها وعشينا عن تنورها في صميم هذا المجموع نكون قدنا قضنا ضمائرنا مناقضة تامة : اما انا فأريد على الاقل ان اتعلم من هذا المشهد العظيم بأني جاهل لا ادري شيئاً (وجدى مادة أله ص ٥٢٥)

وقال العلامة الانجليزى (استوارميل) تبدوا لنا الحياة الانسانية محاطة بغوامض الاسرار فترى دائرة تجاربنا الضيقة كأنها جزيرة صغيرة ضالة في بحر لانهاية له ومما يزيد ذلك السر غموضاً ان مجال حياتنا الدنيا ليس كجزيرة في فضاء غير متناه فقط بل في زمان غير متناه ايضاً (وجدى مادة اله ص ٥٢٥ و ص ٥٢٦).

وقال الدكتور شبلى شميل في مجموعته ان مجرى فكر الانسان سيكشف له اسراراً كثيرة في الطبيعة ليس المعلوم منها اليوم الا النزر اليسير : وقال فيها ايضاً : لعدم امكان الانسان ان يحيط علماً بكل شيء (انوار الهدى ص ١٣) وقال ايضاً ليس في طاقة الطبيعى ان يعلم الحقائق والماهيات : وقال بخبرانه ليصعب او يستحيل علينا ان نعرف كم يخص كلا من هذه الاسباب ويظن دارون انا غالباً لانعرف النواميس : وكثيراً ما تستغلق دوننا وجوه الرشد في اكنهاته دستور محكم نسترد بهديه في ظلمات هذه الابحاث : انوار الهدى ص ٢٦ : وقال العلامة الفرنسى (لوجيل) نحن لانعلم ولا نرى الا الظواهر والقشور اما الحقيقة والعلة فتأبى ان تنكشف لنا : وجدى مادة مدد ص ٥٠٦.

وقال طمسن بالنسبة الى تكون طبقات الارض بعد ان لم تكن : ان يبس قشرة الارض لا يمكن ان يكون قد تم في اقل من عشرين مليون ولا اكثر من اربعمائة مليون سنة وانه يقتضى ان يكون بين ثمانية وتسعين مليون سنة وبين مائة مليون سنة: نقد فلسفة دارون ج ١ ص ٢٠٤ .

ولان احد الخواصين فاه بمثل هذه الكلمات المتفككة الاطراف جداً كنسبة العشرين الى الاربعمئة : حيث يقول في خرص مزرعة مثلاً ان نتاجها يتراوح بين العشرين كيلواً والاربعمئة كيلواً لعد مجنواً بالجنون الحاد اذ لا رابطة بالمرة بين العشرين والاربعمئة : ولا بين العشرين والثمانية والتسعين ولا بينها وبين المائتين لكن صاحبنا الغربي بانتسابه للغرب وللمتمدن الحديث والفلسفة الجديدة تمكن ان يقول ذلك بكل هدوء من اعصابه وان يعد بمقاله هذا في جملة الفلاسفة الطبيعيين وان تذكر اقواله في ضمن الحجج التي يستدل بها العصر الحاضر على تركيز الحقائق الكونية .

وحسنا ما قاله دارون نفسه في ملاحظته على هذا الكلام : ان الفرق بين هذه الحدود يدلنا كم هي الادلة الضعيفة (نقد فلسفة دارون ج ١ ص ٢٠٤ و ٢٠٥) بل يدلنا على مبلغ الضعف الذي اناخ على هذه الفلسفات التي تشاد بمثل هذه الادلة ولكن دارون احب ان يفر عن هذه المؤاخذات التي اعتورت طمسن فأوهنته وعن نظيرها الى رأى جديد يشرح به كيفية التحول من المبدأ الاولي الذي اعتبروه - حركة الجواهر - الزوبعية في الخلاء : او غيرها : فقال يمكن ان الارض كانت في اطوارها الاولي معرضة في احوال الطبيعة لتغيرات اسرع وواشد مما هي الآن فحصلت تغييرات اسرع كذلك في الاحياء التي كانت تغطي سطحها في تلك الازمان البعيدة : نقد فلسفة دارون ج ١ ص ٢٠٥ .

ولكنه وقع في ورطة بشكل آخر وهي ان الامكان وحده ليس دليلاً لا لاثبات المطالب التي يرام اثباتها في فلسفة جديدة بل ليس دليلاً لا لاثبات بالمرة : ثم ما هو الذي اثار خاطرة تصور هذا الامكان للاطوار الاولي خلافاً للاطوار التي بعدها فانه محض القول بالتشبهى انصافاً : نعم الذي اثار خاطرة تصور الامكان باللون الانسف للاطوار الاولي خلافاً للاطوار التالية ان تلك الادوار و الاطوار

بعيدة عن يد المتناول و عن حسه فلم يتفهمها احد ولذلك لا تكون في الاحالة عليها مؤاخذة الاحالة على القريب تناول المشهود للموجدان كما يقال في خرافيات القصاص ان حبة الحنطة كانت في العصور القديمة بقدر الحمصة ولكن المعاصي الفاشية في الخلق هي التي اهزلها الى القدر المشهود في حال انالانعهد انساناً ادعى روية ذلك في كافة الادوار والقاص لا يعدم الالتفات نسبة فاذا قيل له لم نرماتقوله كما لم يدعه آباؤنا ولا اجدادنا اجاب لا هذا الموضوع كان قبل ذلك بكثير عندما كانت الحيوانات تتكلم ففيلسوفنا المزبور اخوالقاص المذكور يرمى بحوائته الى حيث لا ادار ولا ديار حتى يواجهها به بتكذيب مزاعمه على ان معرف شرح بخنرال دكتور شبلي يقول في هذا المقام : والحق يقال ان مذهب الانتقال وان كان تعلل به اشياء كثيرة لا تفهم بدونه لكن لا ينكر انه ناقص كما بسطه دارون : و لخصوم هؤلاء معهم مجال واسع في المناظرة حتى التجأ بعض هؤلاء المنفيين - فراراً عن المؤاخذة - الى القول بالتحول الفجائي ولم يبعد عنه : وقال (كروبتكن) في تضعيف دارون انه لم تبق آراؤه على ما كانت عليه بل تساهل فيها عندما اخذ يبحث في تنوع النبات والحيوان بحثاً مسهباً وارتاب في كفاية الانتخاب الطبيعي .

وقال (كروبتكن) في موضع آخر ما هو ادهى من ذلك و هو ان دارون لم يكن يعتقد بالانتخاب الطبيعي و انما اراد ان يسد به باب القصد على القائلين به يعني المؤمنين وهذا لفظه : راي دارون ان (لامرك) ذهب الى ان في الاحياء ميلا الى التقدم من نفسها وان عند الحيوانات شيئاً من الارادة يساعدها على الارتقاء فخشي ان يفتح بذلك باباً للقائلين بالقصد فيقفوا في سبيل العلم (نقد ج ١ ص ٢٠٦) ومن هنا يظهر ان من اهم دواعي القوم الى الالحاد هو هناك حجاب العفة وتدمير الشرف الانساني و قذف الانسان الى ابعده هو من هوات الحيوان النازل الفاقد لشوب الشرف والفضيلة .

وصراحة شبلي شميل في كلامه هذا : ولا خصلة محمودة الاحب الذات ولا سعادة الا التمتع بالشهوات و ما الناس جميعاً الا بنوا الارض فجميع ما فيها مشاع للكل و

الملكية الشخصية والاختصاص ببعض المنافع ضرب من الاستبداد وما غيرة الانسان على محارمه الامن البخل والحسد الى آخر ما قال : كافية في الاصحاح بمنوياتهم وانهم يريدون من وراء هذه الفلسفات اموراً انتهائية لاتحرير حقائق واقعية او نظام اجتماعي . ذلك انهم رأوا من المستحيل عليهم الانقلابات من قيود الانسانية الى صحراء الخلاء والاستهتار والعيب بحقوق الاعداء ابعد أن ينددوا بالدين و مبادئه و ينقضوا بناءه من بين الناس حجراً حجراً ليخلولهم كل ميدان من قلوب الناس و ادعتهم وليشبعوا اذهان الجميع بان الانسان كواحد من هذه القرود التي يقفز بعض منها على بعض في الشوارع والمشارع من دون قيد ولا حرجة وان كل المفاهيم الاخلاقية والقيم المعنوية مزورة مكذوبة وان الجميع من وادي الشعوذات والاساطير : فصالوا وجالوا وساعدتهم على ذلك كل من يحب التأمير على الناس بلا مؤاخدة والسيطرة عليهم بالامسؤولية ونهب حقوقهم بالاخوف والاغارة على شؤونهم بالاخذر وبلغ هذا التفكك الاخلاقي البغيض مبلغاً اجتراف في طريقه نفائس علوم الاخلاق وتهذيب النفوس و انحنى على كل مثالي بار .

نعم لم تحاول الفلسفة الالامبدئية بعد سحقها للمبادئ الفاضلة الاسحق الانسانية بالمرّة وان يعيش الناس هملاً لانظام لهم ولاراعى يرعاهم وان الحكومة للشهوة والقوة كنامن طريق عصر الحرية والتمدن نحسب ان زمن الارهاق قد انصرم وانا جئنا الى عصر قد سلم من تلك الهنات التي واجهها اجدادنا لكننا وجدنا ان التاريخ يعيد نفسه فاذا فقدنا النسخة الاصلية لاولئك المرددة ومشوهى منظره الحياة فهامى نسختها الثانية دثارنا والشعار .

نحن حتى لو صرفنا النظر عما وراء الطبيعة وما عليه الاذيان الصحيحة من فضائل نفسية وقيم معنوية لانجد عذراً لعقلاء الجوامع بما انهم موجودات ذات حياة واحساس قوى به تميزوا مضارهم من منافعهم واسباب تقدمهم وانحطاطهم حيث اخلد الكل منهم للسكوت امام هذه النوازل الفاضحة والبلايا الجارحة بل اين مدونوا منشور حقوق البشر وضمناء اجراءه عن هذه الانتهاكات التي اقامت قيامة الدنيا و

اقتدتها فهل المنظور بهذا المنشور خبره وورقه اذن فكلم له من نظير قدماء الرؤوف
وخزائن الكتب بل انما يريد الاجتماع العاقل عملاً ايجابياً يكسر من شر هذه المفاسد
ويقوم بقمع هذه الضلالات.

أليس من الغريب جداً ان اقرأ في صفحات العرفان مقالا لا حد المسلمين
المصريين ينعى فيه على مصونات المسلمات في ليبيا و يهرأ فيه بهن و يعدهن من
بقايا الوحوش للقرون الوسطى و يعتبر ان الاسلام وراء ما هن عليه من التخدر
والعفة وانه يدعوا الى تحطيم الحجاب و خلع الثياب وانا لا اعرف الاسلام الذى يعنيه
أهو فى القرآن حيث يقول الله تعالى : قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم و يحفظوا
فروجهم ذلك ازكى لهم : وقل للمؤمنات يغضن من ابصارهن و يحفظن فروجهن و
لا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضرن بخمرهن على جيوبهن و لا يبدين زينتهن الا
لبعولتهن - الى آخر الاية - حيث يقول فيها - ولا يضرن بارجلهن ليعلم ما يخفين
من زينتهن - سورة النور - ويقول ايضا فى آخر هذه السورة : والقواعد من النساء
اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة و
ان يستعفن خير لهن : الى غير ذلك وهو كثير.

ام فى السنة عن نبى الاسلام حيث روى مسلم و الترمذى و ابو داود والنسائى
عن جرير قال سألت النبى عن نظر الفجأة فقال اصرف بصرك : وحيث روى ابو داود
والترمذى عن على عن النبى انه قال يا على لا تتبع النظرة النظرة فان لك الا ولى
وليست لك الاخرة : وحيث روى ابو هريرة ان زنا العينين النظر الى غير ذلك وهو من
الوفور بمكان .

ام فى شريعة الاجتماع الصحيح والنظام الفاضل الذى فيه احترام الحقوق وحفظ
الحيثيات ومصونية النواميس ولازيب ان التبرج قرين الخلاعة وهتك الصون اخو
الميوعة و خلع الثياب رائد الشر و اذا قال احمد شوقى .

نظرة فابتسامه فسلام
فكلام فموعد فلقاء
فقد عبر عن امر عادى وتلازم طبيعى ونحن اذا حذفنا الحلال والحرام والمشروع

وغير المشروع من برنامج البحث وقصرناه على حفظ النظام وضبط النسل و مصونية العوائل رأينا من واجبه أيضاً ايجاب التحفظ ولزوم الاحتياط وايجاد الحدود فلا يجوز اختلاط العنصرين وليس بوسعنا التحدث فعلاً عما اباح الاختلاط بينهما من اعراض وفنك بنواميس واسقط من أجنة ولاغرابة في ذلك بعد ان انتجت الاديرة المعدة للترهب نظيراً لما تحدثنا عنه : ام في شريعة الطبيعة التي فاوتت بين العنصرين بما جعلت كل عنصر غير الآخر في الشكليات والجوهريات جميعاً وبرهنت على ان خلقة الانثى في جميع اشياءها غير خلقة الذكر في جميع اشياءه : وستقوم في فصل نستقبله بالبحث بتوضيح هذه المطالب توضيحاً علمياً ان شاء الله : وهذا الذي امليناه لا يكاد يتردد فيه عاقل غايته ان صبغة العالم صارت جنونية وقد تسرب هذا الجنون الى عموم الطبقات فلا يكون الوقوف أمامه من قلائل المثاليين واهل الهمم العالية والعقلاء الكبار الا كالوقوف امام السيل الجارف الذي لا يطاق و كذلك فعل التمدن الحاضر فانه ضرب ضربته القوية على كل دين و مبدأ وعنصر عقلي لامغمز فيه واصبح التهنك و الخلاعة و الميوعة والاستهتار من الصفات التي ان همزت بشيء لا يعود يؤثر فيها الهمز والغمز .

واما ما ذكره شبلى شمیل من ان الملكية الشخصية والاختصاص ببعض المنافع ضرب من الاستبداد فهو باطل من طريق الطبيعة الساذجة التي بنى عليها الشرع الاسلامي قاعدته في الملك الشخصي ولا نمط الحجج في جواب الاشتراكيين بل نقصر على ذكر دليل واحد بسيط وهو انا اذا زوينا الانسان عن كل شيء يحيط به فلا نستطيع ان نزويه عن جهوده واتعابه و كد يمينه و عرق جبينه فهذا العامل المالك لاتعابه ربما أجهد قواه في العمل الذي تسمن اجرته فاقتصد في صرف شيء منها على ضروراته واستبقى الباقي في مدخراته حتى اجتمع عنده من فاضل اجوره مبلغ يعتد به وعلى مرور السنين ربما يتورم هذا المبلغ الى مادة قوية من طريق صحيح فاي عاقل يقول ان هذا المال ليس ملكه وای انسان تحدثه نفسه من طريق معقول ان يزاحم هذا العامل على ماتحت قبضته وان يشترك معه فيه ولو كان بائساً لاقصى درجة وكم من هذا الرديف : فادعاء

الشركة في مثل هذه النتائج ادعاء ساقط مآله الى الغضب المفتضح والتلصص المكشوف والاسلام لا يمضى التمول الناشى عن الربا وعن الغش والتدليس والاحتكار والغبن غير المتسامح فيه وعن المعاملات السفهية والمكاسب المحرمة على اطلاقها والجملة الوافرة من المتمولين في دنيا اليوم وأمس انما جمعوا اجل اموالهم من هذه الطرق غير النزيهة وليس لهم منها الا النزر القليل فالاسلام والمنطق جميعاً بعيدان عن تايد هؤلاء وتصحيح اعمالهم.

فصل : وبما ان الطرق التى حاول الماديون الاتصال منها لربط كافة الانواع الكونية على تشتهاها بعضاً ببعض حتى يجتمع الجميع فى اصل طبيعى واحد كطرق الشوء والارتقاء وتنازع البقاء والانتخاب الطبيعى ونظائرها لم تقم بالواجب الذى اريد منها بل ولا ببعض يعتد به مال كثير من الطبيعيين الى الاعتراف بجهلهم بالطرق التى درجت منها الكائنات العالمية الى الوجود بهوياتها المشهودة فعلا .

فقد اعترف (ليل) بان تولد الانواع حتى العليا منها كان - رأساً - تولداً ذاتياً فى كل الادوار بطرق غير معروفة من طرق الطبيعة (نقد ج ص ١٠) لكنهم مؤاخذاشد المؤاخذة بقوله بطرق غير معروفة من طرق الطبيعة فانه اذا كان يعترف بجهله بالطرق التى مشت بمواليد العالم الى الوجود فمن اين جاءه ان هذه الطرق المجهولة لديه طرق طبيعية : هذا وقد برهن باستور حساً وتجربة ان الوجود الحى لا يكون الامن حى ولهذا وقع الطبيعيون فى مأزق حرج لم يهتدوا فيه الى تعليل الكائنات الحية من الطرق الطبيعية التى تنهيههم الى اصلهم الاول و هو حركه الجواهر الفردة فى الخلاء حر كة لولبية ولاجل ذلك جاءت اقوالهم لاتواجه الا بالهزء العلمى فقد قال (طمسن) بمجىء بذوراتها من كرات اخرى محمولة على ظهور النيازك والشهب (نقد ج ص ٢١٦) اقرأ واضحك ملاء فيك : وقال (اغاسنر) انه يظهر من احافير الدور الاول ان انواع الحيوان كانها ظهرت كلها فى برهة وجيزة لان تلك الطبقة رقيقة لم يقترض تكونها زمناً طويلاً (نقد ج ص ٢١٧) وطالما تعلق الطبيعيون بالاحافير واستندوا الى هذا الرمز فى كل شىء تعيينهم الحجج الصادقة مذهباً فيه فى حال انهم يدفعون بالوجود الكونى الى ما قبل ملايين الملايين من السنين ونحن لانرى لमितنا السدى

نحترمه في دفنه واختيار المكان الجيد لحفظه بعد مرور عشرات السنين عينا ولا اثراً وان يوجد منه في بعض عظيمات محطمة لا يستدل منها على شيء فكيف استطاع هؤلاء ان يجدوا في الاحافير حيوانا ينسبون وجوده الى ما قبل ملايين السنين ثم يفيضوا في اوصافه الدقيقة بنحو لا يستطيع المشرح للجنة التي توجد امامه ان يفيض بمثل ما دققوا فيه وغاية ما يدعمهم في قدم الوجود هو تحجّر بعض الاجسام الا ان هذا التحجّر كما لا يستطيع ان يؤرخ زمان المتحجّر لا يستطيع ان يحتفظ بكل خصوصيات الموجود الحي الحافظ لكافة جهازاته وسماته اذن فكل ما يدعون انه من طريق هذه المتحجرات مجازفات لا يبررها منطق .

ثم من المستحيل ادعاء ان البشر سبق لوجوده آلاف الملايين من السنين وسيبقى الى ما لانهاية لفان المشاهدات الحسية برهنت على ان البشر يزداد على مرور السنين المحدودة زيادات مهولة فالامة ذات المائة مليون نسمة بمرور مائة سنة عليها قاربت ان تبلغ خمسمائة مليون انسان وهانحن انفسنا نعرف آباء في العشائر وفي البيوت العلمية لم يمر على موتهم اكثر من مائة سنة ومواليدهم اليوم يعدون بالالوف على ما سبق هذه الفترة من تناوب الطوائف المبيدة وكثرة موجبات الفتك بالطبيعة من حروب وغارات وامراض : وان مرور مليون واحد من السنين على التوالد البشري كاف في ان يملأه من كافة وجه الكرة الارضية بلاغراق .

ومن طراز المجازفات الآتفة المذكور قول (هويت الامريكى) ان انواع النبات ظهرت دفعة واحدة في العصر الكربوني (نقد ج ١ ص ٢١٧) أما يخجل هؤلاء من ارسال هذه المزاعم الحاكمة على اهلها بالتهور في الافتراض والوقاحة في التحكم والصلاح في ابتداع البدع : ثم العجب من حال هؤلاء فيبينما ترى الرجل منهم يرسل الكليات المبهمة جداً زاعماً وضوحها لديه ارسال المسلمات اذابه يظهر التلدد والتردد في عين ما زعم وضوحه لديه قال (بخنر) اذا تذكرنا بان ثلثي الارض او ثلاثة اقسامها تحجبها البحار وان قسماً كبيراً من الثلث الباقي تغطيه الجبال الشاهقة علمنا انه تمنعنا عن الابحاث العلمية مواع طبيعية (نقد ج ١ ص ٢١٨) وقال بعض العلماء الذين يعترف لهم الدكتور

شبهلى شميل بالفضل فى شأن هولاء الماديين : انهم يوردون من الحقائق ما يؤيد رأيهم بحسب الظاهر ويتعاضون عما يفتيه ويتخذون المفروض كمر مثبت ويفسرون الحقائق على ما يوافق آرائهم : وقال ايضاً : ان التسليم بمذهب النشوء يقتضى ايماناً بصحته اعظم جداً من الايمان الذى يقتضيه الدين والحق ان اهل هذا المذهب يعتقدون انه بالتسليم لالبالغين كانهم عايشون بالايمان لبالعيان (نقد ج ١ ص ٢٢٠ و ٢٢١) .

وزعم العالم (ماييه) من كبار علماء القرن التاسع عشر ان البحراصل كل الكائنات الارضية على اختلاف انواعها واجناسها : قال : ان البحر قد عم سطح الكثرة الارضية فى عصر من العصور الخالية وبهذه الوساطة انتقلت المخلوقات التى فيه الى الارض و عاشت فيها وعلى هذا فكلما يشاهد على الارض من أحقر خلية نباتية الى اكمل حيوان وهو الانسان اصله البحر اى انهم كانوا حيوانات بحرية : قال : ولا يوجد فى الارض حيوان سواء أكان ماشياً على قدميه ام طائراً بجناحيه ام متسحباً على بطنه الا وفى البحر انواع مشابهة له او قريبة منه وان انتقال هذه المخلوقات من الماء الى الهواء ليس انه ممكن فقط بل هو امر ثابت بجملة ادلة ونحن هنا لانريد ان نتكلم فقط على الحيوانات البرية او البحرية او الثعابين والسلاحف و كلاب الماء والاجناس المختلفة من نوع كلاب البحر ولا على الحيوانات العديدة التى تعيش فى الماء والهواء على حد سواء او تارة فى البحر وتارة فى البر ولكننا سنتكلم على الحيوانات التى لا تستطيع ان تعيش الا فى الهواء فنقول اننا نعلم ان الحيوانات البحرية تنقسم الى قسمين حيوانات سابحة فى بطن الماء وعائمة فيه تسرح وتضطاد وحيوانات اخرى تمشى على بطنها فى القاع لا تنفصل عنه او تنفصل نادراً ولا استعداد لها على العوم وبناء على هذا فمن الذى يستطيع ان يشك فى ان طيورنا التى تسبح فى الهواء لم تأت من نوع السمك الطيار او فى ان حيواناتنا الارضية التى لا استعداد لها على الطيران و لم تقدر على العلو عن سطح الارض لم يكن أصلها تلك الحيوانات البحرية - ٥١ : و جدى مادة أله ص ٥٢٧ .

اقول التشبهيات فى كل شىء غير محدودة فان اشتبهى هذا الانسان ان يرى كائنات

الارض قد انتقلت اليها من البحر بافترض ان مائه عم سطح الكرة الارضية في عصر من العصور الخالية فنحن نشتهي ان نعكس هذه الدعوى بكافة اجزائها ونقول ان كائنات البحر قد تسربت اليه من الارض في عصر من العصور الخالية ايضاً وعاشت فيه فان طالبنا بمدرك هذه القضية طالبناه بعين ماطلبه منا وهو فاقد لكل مدرك سوى الادعاء المجرد ونحن مثله فان كل ما ذكره مجموعة مدعيات مفترضة لاقيمة لها اصلا بل انه خيال يطفح مرة ويرسب أخرى .

وقال الاستاذ تليامد : يوجد في البحراسماك تشبه اشكالها كل شكل من اشكال الحيوانات الارضية حتى العصافير ويوجد في البحر نباتات وازهار واثمار وان الورد والقرنفل والشمام والعنب لها في البحرامثال (وجدى مادة أله ٥٢٨) .

وكما أشعرنا آنفاً ان مجرد وجود المتشابهات - على فرض تسليمها - في محيطين لا يستلزم اولاً ان يكون احدهما منشئاً للآخر كما لا يستلزم ثانياً ان يكون احداً المتشابهين بخصوصه كحيوان البحر منشئاً للثاني بخصوصه كحيوان البر ومدعى ذلك مجازف . وذكروجدى عقيب تلك النقول التي حكيناها عن دائرة معارفه معبراً الوجوه التي استدلو بها على مزاعمهم فقال ان دهشت من هذا الامر واظهرت استبعادك لحصول الانتقال من البحر الى البر لتباين الطبيعتين واختلاف البيئتين قالوا لك هو ان عليك وثق ان هذا الانتقال لا يجافى العلوم الطبيعية في شىء فان الهواء الذى يحيط بالكرة الارضية يحتوى على كثير من الجزئيات المائية وليس الماء الا هواء فيه جزئيات مائية اكبر حجماً واكثر رطوبة فهو اذن اثقل من هذا السيل العلوى الذى الصقنا به اسم الهواء : اه .

اقول اذا تم فرض ان ليس الهواء الاماء وان ليس الماء الا هواء فمن الغلط تصدير المطالب بقوله لتباين الطبيعتين و اختلاف البيئتين فان هذا الفرض الذى زعموه انتج في الواقع اتحاد الطبيعتين واتفاق البيئتين واصبح تصوير انتقال الحيوان من البحر الى البر كتصوير سفر الانسان من بلد الى بلد آخر سهلاً يسيراً : ولكن هذا الفرض يكذبه الحس وان البر والبحر من هويتين وان حياة اكثر الاحياء في

البيئتين تنعدم في الانتقال من احدهما الى الاخرى بمهلة طفيفة .
ثم قال وجدى ويضيفون الى ذلك : اى الى ما ذكره من المقربات لتثبيت
مزايمهم : ان الضرورة نفسها لها اليد الطولى فى تسويغ هذا الانتقال فقد يحتمل
ان طائفة من هذه الحيوانات كانت فى قاع بحيرة من البحيرات فاخذماء هذه البحيرة
يجف شيئاً فشيئاً فوجدت هذه الكائنات نفسها مجبورة على المعيشة فى الجواهوائى
ويحتمل ان تكون قد حاولت القفز من تلك البحيرة الى البحر المجاور هرباً من
حيوان مفترس فسقطت فى غابة اودغل من القصب فهمت بالرجوع الى مستقرها الاول
فاجهدت نفسها فى القفز فلم تستطع ان تدركه ولكنها تحصلت بهذه المحاولة على
خاصية الطيران .

اقول اذا كانت الضرورة المقترنة بالمضطر تسبغ له الانتقال من حال الى
حال وتخلق له طريقاً يتخلص به من الاضطرار الذى هدد حياته بالا نزاعات
والاحتياجات الملحة فما اكثر المضطرين فى العالم ضرورة واقعية بحيث ربما اعجزت
بعضهم فانتحر خلاصاً من اذيتها المقلقة و لم نجد للضرورة اقل مساعدة لمثل هذا
البأس الشقى : ثم ما بال الضرورة اعرضت بكشجها عن هذه الاسماك التى نراها
تقفز من الماء احياناً باختيارها فتقع على الارض ويعجزها العود الى مستقرها فتموت
بعد بضعة دقائق فهلا خلقت لها اجنحة او مكنتها من المعيشة فى الجواهوائى : ولم
كانت هذه الضرورات تفعل الافعال المحيرة للعقول فى العصور الخالية ثم نراها
هدأت عن كل حركة بعد ما طلع نوع البشر على محيط الارض انها لعمر ك الصلافة
فى ارتجال الاقوال .

ثم قال عقيب ذلك وفى هذه الحالة : اى حالة القفز التى تحصلت بسببها على
خاصية الطيران - تشققت عواماتها من الجفاف الذى احرق بها لفقده الماء ثم انها
وجدت فى تلك الغابة ما يغذيها من المواد فلم تمت بل بقيت حية ولكن الا نابيب
المحرقة لعواماتها انفصلت بعضاً عن بعض واستطالت واكتسبت ريشاً وبعبارة اوضح
تحولت جدرانها التى كانت متلاصقة الى حالة اخرى ثم اكتست اجسامها بريش

دقيق ملون بالوانها الاصلية فكبر هذا الريش شيئاً فشيئاً حتى استحال الى اجنحة :
 اما الاجنحة الصغيرة التي كانت تحت بطونها والتي كانت تساعد على السباحة في
 البحر فقد استحالت الى اقدام سمحت لها بالمشي على الارض و حصل ايضاً تغيير
 غير ما سبق في سائر اجزاء أجسامها و بذلك ظهرت بهذا المظهر الذي عليه الطيور
 كلها الآن .

اقول هنا نقطة ينبغي التريث عندها اولاً ويلزم تحليلها ثانياً - اما اولاً - فان
 (ماييه وتليامد) زعما ان كل ما في الارض من حيوان سواء أ كان ماشياً على قدميه
 ام طائراً بجناحيه ام متسحباً على بطنه الا و في البحر انواع مشابهة له او قريبة منه
 وهذا الزعم ان ثبت اغنى عن هذه الفلسفة الباردة : انها اجهدت نفسها بالقفز لمالم
 تستطع العودة الى مقرها الاصلية فتحصلت بهذه المحاولة على خاصية الطيران فخلقت لها
 الضرورة الملحة اجنحة وريشاً وارجلا : فان المشابهة التي يدعونها بين حيوانات
 البر والبحر تكون اشبه شيء بما يقال ان انسان الحبشة يشبه انسان العراق فاذا ساق
 الضرورة انسان الحبشة الى سكنى العراق اجبرته فقط على تغيير بعض الرسوم والعادات
 ولم تزد على ذلك لان انسان الحبشة يملك ما يملكه انسان العراق من اجهزة واعضاء وليس
 بحاجة الى عضو جديد يفقده انسان الحبشة ويتمتع به انسان العراق حتى تخلق له
 الضرورة عضواً مثله : واذا كذب هذا الزعم من هؤلاء القوم و كان هدفهم تحليل كيفية
 تحول السمكة الى طير يطير في الفضاء فذلك فيه من المؤاخذات ما لا يأتي عليه حساب
 اما اولاً فليس كل ما يهرب من حيوان مفترس يقع في غابة تحميه منه فان وجود
 الغابات ليس لازماً لكل هارب وفرض صدفة عشور هذه الاسماك بالغابات فرض مجرد
 تحكمت به القرية : هذا والاسماك غايمة ما تستطيع ان تقفز مترين او ثلاثة امتاراً شيئاً يقارب
 ذلك لانها تستطيع القفز مسافة بعيدة وهانحن نشاهد السمكة تقفز من الماء فتقع على
 جرف النهر بمسافة امتار معدودة فتعجز عن العودة الى الماء ولا ترى لنفسها حيلة
 الا التسليم لداعى المنية في حال ان على حافات اكثر هذه الشطوط والا نهار كثيراً
 من الاشجار الملتفة والغابات الواسعة ومع ذلك لانراها تقفز اليها او انها تكثر من القفز

حتى تحصل بهذه المحاولة على خاصية الطيران وكم بودها ذلك ولكن قصور طبيعتها يقعد بها دون الاقل من هذا المرام .

و (ماويه وتليامد) يعترفان بهذه المشاهدات التي نلمسها بحواسنا للاسماك ولكنهما اشتها ان يفرضا بعض خيالاتهما على العالم فيقولان جملة من الاسماك ملئت من بقائها في البحر فرفعت امرها الى الضرورة فسرعان ما حولتها طيوراً ذات اجنحة وريش ورجلين وحواصل وقوانص وصياصي وغير ذلك مما في الطيور من اعضاء لا يعرّفها نوع السمك وليست هي من اجهزته اصلا .

واما ثانياً فليس القفز مما تترتب عليه خاصية الطيران و الالطارت حيوانات كثيرة لا تبارح القفز في طول حياتها . واما ثالثاً فلم تشققت عواماتها من الجفاف الذي أحرق بها فقد الماء فان اجبت لعدم الحاجة اليها حينئذ قلنا فلم لا يقولون ذلك في اثناء الرجال و العصص الموجود في كافة الناس فانهم يدعون ان اثناء الرجال اعضاء اثرية حدثت فيه عندما كان الرجل يشارك المرأة في ارضاع اطفالها و ان العصص بقية ذنب القرد الذي تحول عنه الانسان فهاستحالت اثناء الرجال بعد بطلان الحاجة منها الى اعضاء اخرى يحتاجها الرجال و هلاستحال العصص ايضاً الى عضو عامل يستفاد منه : واما رابعاً فان القفزان يكن حصل لها خاصية الطيران لتخلص من مطاردة الحيوانات المفترسة فلم كسى انايها المحركة لعواماتها بعد ما انفصل بعضها عن بعض واستطالت بصورة اجنحة ريشا دقيقا ملونا فان الطيران لا يلزم ان يكون بريش فان الخفاش يطير من غير ريش و اذا كان المنظور من القفز هو تحصيل خاصية الطيران طلبا للسلامة فما الداعي الى التغييرات الكلية الموجودة في الطيور المفقودة في الاسماك مما لا يربط له بعالم الطيران اصلا كالقوانص و الحواصل و الصياصي وغير ذلك بصورة مباينة تمام التباين لما يجده هذان العنصران فهل هذا كله نتيجة القفز المحصل على خاصية الطيران هرباً من الكواسر .

ولقد اجاد العلامة (كوفيه) حيث قال في حق هؤلاء ان بعض الماديين من اصحاب المبادئ المادية قد رزوا بان يكون النصر المقلدين لنظر (ماويه) وذلك

انهم لمارأوا ان كثرة استعمال عضو واهماله يزيد او يقلل من قوته و حجمه توهموا ان العادات والمؤثرات الخارجية يمكنها ان تغير تدريجاً اشكال الحيوانات لدرجة انها اوصلتها على التعاقب لما نراه الان في انواعها المختلفة و هذه نظرية اكثر بعداً عن الحقيقة من كل النظريات التي خضناها آنفاً انهم يتوهمون ان الاجسام المتعضونة تشبه كتلة من العجين وتقبل التشكل بين الاصابع : بمجرد ان ابتداء هؤلاء العلماء بالدخول في تفصيل نظريتهم جلبوا على انفسهم السخرية و الاستهزاء بان الذي يستطيع ان يتجاسر على القول بان السمكة بمحاولتها واجتهادها لان تعيش في الجفاف ترى اصدافها تتشقق وتستحيل الى ريش فتصير عصفورة او ان حيواناً من ذوات الاربع لشدة ميله للمرور من طريق ضيق يقلب الى ثعبان قلنا ان الذي يستطيع ان يتجاسر على هذا القول لا تكون نتيجة علمه الا الدلالة على جهله المطلق بعلم التشريح- اه ووجدى مادة الص ٥٣٠ . اقول ما قاله هذا الرجل فضلا عن انه و ارداتم ورود على نظريات هؤلاء قليل في ردهم زهيد في حقهم : هذا ما لزم تحريره في تهية هذه الرسالة .

(٢ - نهج البلاغة و تعريفه للإسلام)

ومقدمة نقول : من اللؤم انصافاً ان يقصر الانسان نظره على نفسه والاعتداد بما يمت اليه ولا يسمح لنفسه ان تنظر في مصالح المجتمع الذي هو بعض من ابعاضه كما تنظر الى خاص شؤنه : ومن الغريب ان نرى هذا اللؤم الذي نتحدث عنه مستشريا بين عموم العناصر والطبقات متمسكاً الى كافة الافراد ولم ينبج من هذه البلية الامن نشأ على المثالية واخذ اليها وما اقل عدده فنحن على طول الزمان لانزال نرى العربي في مغارة عن الشرقى والابيض بعيداً عن الاسود والعربي مترفعاً على الفارسى بل وحتى تصل النوبة بعدمسافة ساحقة من هذه المقارنات الى اعتزاز ساكن البلدة ببلد سكناه وانحطاط ما سواها في نظره واعتداده ببيته الخاص في قبال كل ما خلق الله واعتناؤه بنفسه حتى كأن عامة المخلوقات لاتعيش الاعلى الهامش وانه هو وحده الاصل الاصيل في مادة الكون . وليس هذا الابتلاء قائماً بالعوام ولا بالسذج البسطاء ولا بقليل المعرفة بل هو داء تخلص

حتى الى المعروفين بالفضيلة وتغلغل حتى فى احشاء الفلاسفة و مضى يغد حتى فى اشباه المثاليين والدليل على كل هذا وذاك قديماً وحديثاً فى العهد الحجري والعصر الذهبي ما نراه من مغالبة الغربى للشرقى الى آخر الحديث الذى اسلفناه على حساب الانانية وحب الذات واعتزاز كل انسان بنفسه واحتقاره لغيره لاعن داع معقول ولو كان هناك بعض الحاجة الى ان يفترس الفرد منأخاه لضرورة تدعوه لكان له بعض العذر بان الانسان حيوان يغالب فى سبيل احتياجاته كل من يتمكن عليه .

غير ان القضية وراء ذلك بمراحل ووراء ما يقال من تنازع البقاء لنيل حاجة القوى من الضعيف و ان اهم بواعثها الشره المحض و التعدى الممقوت و كلاهذين الباعثين ليسامن نتائج الاحتياج وانما هما حرص وطمع وانانية لايشوبهاشى عن المنطق والعمدة من بين كافة هذه الدواعى هى الانانية التافهة الى ابعدهد والا فما محصول البيض من احتقار السود وتعدى الغربى مع ما هو عليه من نعيم و سعادة على الشرقى البائس كماالامحصول ايضاًمن ازدراء الفارسى للربى وبالعكس وهلم الى آخر سلسلة المنافسات السمجة التى اشرنا اليها .

ومن الغريب جداً ان يجيء العصر الحاضر على ما فيه من عقول واجهت الواقع وجها لوجه وعرفت غث الكون والكونيات من سميتها وحذفت عن الدنيا اغلب فضولها الذى كان يعد من سنن الكون ومن جملة الحقائق حتى فى نظر فريق من علماء الماضى مؤيداً- فكرة الانحياز والعنصرية فيرى العربى انه يجب ان يكون عربياً قبل اى شىء آخر من لوازم الروح والجسد وهكذا التركى والفارسى الى آخر ما خلق الله ويرى العقائد والاخلاق امرين تابعين للمزاج العنصرى لانهما متبوعان و هذا من غلط التفكير بمكان لعلم الجميع ان البشر ومهما كان فى بدء نشوءه فهو بالاخرة يتصاعد الى سلالة واحدة ويملك اجهزة متمثلة فى الانتاج فالحمى و السامى فرعان من اصل واحد و عقول الشرقيين والغربيين من واهب فذلّم يفاوت بين واحد وآخر فى مادة الهبة ولايكاد يؤثر على هذا المعنى تجزء هذه الكليات الى افراد منتشرة فى طول الكون وعرضه وليس الماء والتراب بماهما ماء وتراب من المؤثرات على صميم

الحقيقة قطعاً: غايته ان جودة المناخ وردائه تعدان من جملة الاقترانات التي تقترن بحياة الكائن الحي فربما ساعدته على تقدمه ونضجه واغبطاه وربما تقهقرت به عن اصل الاعتدال الذي فطر عليه وهذا كله عرض لايمس بجوهر الحقيقة .

اذن فعالم العقائد والاخلاق عالم بجماليه يتصل بالعقول بماهى عقول فالمبدأ العلمى والخلق الفاضل لايفاوتان فى مادتهما بين الابيض والاسود والغربى والشرقى والعربى والفارسى اذلاعرض لهما فى هذا التحيزو ليس هو من شأنهما بالمره والى هذا دعت الاديان السماوية فانها استهدفت الجميع بالدعوة الى رمز العدالة واحقاق الحقوق والتضامن الاجتماعى وكل خلق فاضل وذلك الرمز هو - الله - محور دعوة الرسل والانبياء والمثاليين .

واما تحزب الاسرائيليين لموسى وحده والغربيين لعيسى فقط وجهلة المسلمين لمحمد دون غيره من الانبياء فهو مخلوق عواظهم ولا تمت الى الواقع بصله كما ان تنديد كل ديانة بقبيلها تنديد فارغ منشؤه حب الامتياز لالاصحار بالحقيقة حتى انك لترى مالك احد الانائين من مصنع واحد ومادة واحدة يفتش على مزايا و لو وهمية لاناءه حتى يميزه على الاناء الاخر: وقد اصحرا القرآن الكريم من بين كافة الكتب المنسوبة للسماء الموجودة اليوم بالنص الذى عبرنا عنه فقال (الاية ٢٨٥ من سورة البقرة) آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احدهم رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير .

وهذا المعنى من حسنات دين الاسلام بما لا يوجد فى دين سواه : ولا يريد بالاسلام كلا من نزعات المنتسبين اليه بل اريد به الدين الذى كان على عهد مشرعه ديناً له ولا تبعاه . ونحن الان بصدد تركيز هذا المبدأ على قواعد المنطق ليكون فريضة على العقول كلها وليكون دين الحياة والاحياء باسرههم فنقول كليات دين الاسلام هى ما يدور على محور .

(١) التوحيد .

(٢) والاعتراف بالعدل والقيام به .

(٣) ومساواة الجميع امام القانون .

(٤) ونزع القشر الطبقاتى وتوحيد العناصر امام الدعوة والغاء فوارق الانساب

والالوان .

(٥) وتساوى الحقوق بين الافراد

(٦) والقضاء على الفقر والخنوع .

(٧) وتحديد المكاسب ونتائجها وتعديل الثروة من طريقها .

(٨) واحترام العلائق المشروعة .

(٩) والزرع من المفسد والتشديد فى اقامة الحد عليها .

(١٠) والغاء التوسيط فى اتجاه العبد نحو المعبود .

(١١) وترويج العلم الى أبعد حد .

(١٢) والدعوة الى الاعتدال فى كل شىء على الاخص فى القصد المعيشى .

(١٣) وتحريم الظلم والانحياز الى الظالم .

وفى أطار هذه الكليات تنطوى مضامين نفيسة لها قيمتها فى تسيير المجتمع على

الخطة العادلة بما لا وجود له فى كافة الاديان السماوية والقوانين الارضية بالشرح التالى .

(١- التوحيد بالمبدأ)

ويراد به لزوم الاعتراف بكون مبدأ جميع الكائنات واحداً وهو اصلها الاصيل

وباعت حلقاتها الى الوجود وهذا على اجماله اصل لا ينكره ذوشعور فى الكون وان

تفاوتت الآراء فى تفسيره فمقصر منحرف يراه الاثير المزعوم و متوسع الى أبعد

حدود الشذوذ كما يراه ابن تيمية وأصحابه لكن الحق لا هذا ولا ذاك : واما انه

الشمس او القمر او الكوكب او النار او النور او ما الى ذلك من شتات الكونيات فهو

جهل عار هو انحطاط فى العقل يرثى له واحسن معبر عن المبدأ الصحيح ما جاء فى جملة

من آى الكتاب العزيز يصريحاً فى مضمونه ظاهراً فى معناه مقبولاً للمعقول الناضجة

والموازن العلمية نظير هذه المقطعات (من الآيات ٩٥ وما بعدها من سورة الانعام) .

ان الله فالق الحب والنوى يخرح الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، فالق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ، وهو الذى جعل لكم النجوم لتبهتوا بها فى ظلمات البر والبحر ، وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شىء فاخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه ، وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ، بديع السموات والارض انى يكون له ولد ، ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير : هذا نموذج قليل مما فى القرآن وفى السنة طوائف مهمة لتثبيت هذا الاصل من طريق العقل .

واما الرب الذى شوهته الديانات الاخرى الموجودة اليوم فليس هو الرب الذى دعا اليه الانبياء واعترفت به العقول واضطر الى قبوله العيان الصريح ، وفى القرآن دليل واضح وتنديد فاضح لما يقوله معاصروا نزوله من المنتسبين للدين السماوى يهوداً كانوا ام نصارى ام غير هذين الفريقين : ونظرة الى قوله تعالى (الاية ١٧٠ و ١٧١ من سورة النساء) يا اهل الكتاب لاتغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله الواحد سبحانه ان يكون له ولد : لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ، والى قوله تعالى (الاية ٢٠ من المائدة) وقالت اليهود والنصارى نحن ابناؤه واحبائه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق : تكفى فى طرد مزاعم القوم وتصحر بجلاء ان الاسلام دين الفطرة ولا منقذ للانانيات فيه .

والتوحيد بلونه الآنف فى القرآن وفى دين الاسلام طارد للشرك بجميع اقسامه كما ان التوحيد فى العقيدة يرمز فى هذا الدين الى التوحيد والتكاتف فى العمل وقد اُعربت عنه نصوص جملة فى القرآن منها قوله (الآية ٣/١٠٣) واعتصموا بحبل الله

جميعاً ولا تفرقوا ، ولا ريب ان المطاف اذا كان واحداً و المحور فذاً جاء المجتمع كتلة واحدة يطوفون حول هدف واحد ولا ينقسمون على أنفسهم الا اذا تعاكست الجهات وتعدد المحور الذى يدورون حوايه: وفي الانقسام ما فيه.

(٢- العدل)

واما العدل وتأصله فى دين الاسلام فهو الاعتقاد بان المبدأ الفياض الذى صدر عنه شتات ما فى الكون لاتيحيز فيه الى طرف من الكونيات دون طرف فهو فى كل نوع من انواع المخلوقات أفادما وهبه اياه هبة متساوية الحصص فى افراده متمثلة النتائج فى الانتاج ، والشذوذ فى الخلقة احياناً لا يهدم الكلية المتحدث عنها : و فى القرآن آيات تنص على هذا المعنى : منها (الآية ٨ من سورة الروم) اولم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق (والآية ٧ من سورة السجدة) الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين (والآية ٣٨ و ٣٩ من سورة الدخان) وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعين : ما خلقناهما الا بالحق (والآية ٢٠ و ٢١ من سورة الجاثية) ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون : وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون : الى غير ذلك مما هو كثير .

والعدل اصولاً قوام طبيعة اى شئ يفرض لان الانحراف عن نقطته يفضى الى واحد من طرفى الافراط والتفريط : ونتيجة كل منهما الانهيار المحتم ولذلك شامت منظرة الانسان فى دنياه لما انجرف وضعه عن الوسط فى كل ما يمت اليه وتذبذب الى واحد من جانبي التقصير والاسفاف ، ومن الغريب ان كل فرد من افراد الكون ذاق وبال امره من هذا التلوى المزعج ، ومع ذلك نراه اذا اراد الانتقال عنه لم ينتقل الا الى الطرف المعوج الآخر : و كم سأم المتهتك من تهتكه واسترذل نفسه من اجله و احب ان يرى شخصه متيناً و قوراً فها بت به غريزته الانحرافية الى التزمت و البيوسة فلم يقلع من ذنب حتى وقع فى ذنب يحاذيه فى انتاج السوء .

وقد ألهم الإسلام في أفراد روح العدل والانصاف والاتزان والاعتدال جهد مستطاع القول والعمل فأثر في البيئات الاسلامية اثرأ له قيمته وثمرته وعززت وقعه تعاليم اهل البيت عليهم السلام وكان يوجد في كل قطر وجيل افراد مرموقون في حلية التخلق باخلاق الله وعباده المخلصين .

ولم ينهدم ما بقى قائماً من هذه المعالم العالية الا بعد أن ضاقت المادية و الالحاد الجاف ابناء الدنيا و سيقوا الى الكفر بكل المبادئ الفاضلة سوقاً اجبارياً بعوامل شتى ادت بالتخلق الفاضل ان يعود اضحوكة بين الناس يستخرون منه وينددون به و يهرجون وراء صاحبه صياحاً و نعيقاً حتى ادى به توحش الوضع ان ينبحجر في بيته و ينكمش في زوايا الخمول ، و ان يحتمس وجوده و حيايته عند الله فيموت تأثراً و لا يعود يخلفه في طريقته من شاهد هذه الظاهرة الكالحة والطلعة الشوهاء، اما اقوال الاسلام في ذلك فأيات وروايات لها حظها من التجليل و التبجيل منها قوله تعالى (الاية ٣ من سورة النساء) فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع فان خفتم ان لاتعدلوا فواحدة : و قوله (الاية ٢٨ من السورة المزبورة) يا ايها الذين آمنوا لاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم : و قوله (الاية ٥٧ من السورة الانفة) ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها و اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل : الى غير ذلك وهو كثير .

و اما اعمال الاسلام القائمة بالعدل المطلق فنظرة استعراضية لا فعال النبي صلى الله عليه وآله و على (ع) و الاجلة من تلاميذ مكتبتهما توقفك على ما لا يحصيه كتاب من مجالى الخير والمعروف والعدل والانصاف بل والايتار وما به هذا المختصر ان يقوم بقليل من ذلك فضلا عن كثيره .

(٣ - المساواة امام القانون)

صرح القرآن وفقاً للطبيعة بان السنخية البشرية من نوع واحد لعنصر واحد (هو الذى خلقكم من طين : ٦/٢) وهو الذى انشأكم من نفس واحدة : ٦/٩٨ :

يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى : ٤٩/١٣ : ومن لازم ذلك ان يكون القانون للجميع واحداً وان الناس فى قبالة سواسية لا يفترون : وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص : ٥/٤٨ : و لم يتعظم على وحدة القانون نبى ولا وصى بل كانا فى ذلك للسائرين قدوة كما قال تعالى : لكم فى رسول الله اسوة : ٣٣/٢١ : واما مبهرجات الغلاة فبدع خلقتها الحماقة او السياسة للغض من مكانة الدين وتفريق اهله شيعاً : وما محمد الارسل : ٣/٤٤ : قل انما انا بشر مثلكم : ١٨/١١١ : والكرامة الاخرى على ميزان الجهود المبذولة فى سبيل الله وصالح عباده امروراء القانون التشريعى لاقامة النظام : قال على عليه السلام لعبدالله بن زمعة ان هذا المال ليس لى ولا لك و انما هو فىء للمسلمين وجلب اسيا فيهم فان شر كنهم فى حربهم كان لك مثل حظهم والافجناة ايديهم لا تكون لغير افواهم : وقال على عليه السلام ايضاً فى فصل آخر : ان حكمه فى اهل السماء والارض لواحد وما بين الله وبين احد من خلقه هوادة فى اباحة حمى حرمة على العالمين : وعن النبى صلى الله عليه وآله : انه قال انا و امرءة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة و اوماً بالوسطى و السبابة : وفى المجازات النبوية المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم : وقد اشعر الله نبينه صلى الله عليه وآله ان يصحر للناس عن هويته فى المجتمع حتى لا يغتر بعظمة مقامه الافراد فقال : قل لا اقول لكم عندى خزائن الله و لا اعلم الغيب و لا اقول لكم انى ملك ان اتبع الاما يوحى الى ٦/٥٠ .

(٤ - نزع القشر الطبقاتى)

واما نزع القشر الطبقاتى وتوحيد العناصر امام الدعوة والغاء فوارق الانساب والالوان فقد ألمع الى جماع ذلك كله قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن : ٤٩/١١) و : يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم : ٤٩/١٣ : انما المؤمنون اخوة : ٤٩/١٠ : وخطب النبى (ص) الناس

يوم فتح مكة فقال يا ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم عبية (١) الجاهليه وتعاضمها
 بآبائها فالناس رجلا ن برتقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله والناس بنو آدم
 وخلق الله آدم من تراب : وقال ﷺ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً
 وشبك بين اصابعه : وقال ﷺ كلكم ابناء آدم طف الصاع لم تملؤه لافضل لعربي
 على عجمي الا بالتقوى :

هذا كله و الذى سبق عليه من سنن الطبيعة و كنوز العقول الموهوبة و ليس
 الاسلام بمبتدع امراً و راء ذلك و لكن فضله فيه كفضل من فلا الطبيعة و توغل في اسرارها
 فجاء بالعجب العجاب كشفاً و اختراعاً و الا فالجميع كائن و حاصل و المرحلة الاولى
 اشد خفاء و اليق بالاحتفاء من المرحلة الاخرى فان طلسم تفاوت الطبقات و الانساب
 و الالوان بقى كما هو حتى عندمكتشفى الذرة و نافثى الصاروخ و مرسلى السفينة الى
 الفضاء لمانراه من احتقار بيضهم لسودهم و امتياز الاشراف بانفسهم عن سواهم و هلم
 دوايك في كافة شؤون الامتيازات الطبقاتية الدارجة في اجد عهد للحضارة .

اما الاسلام فقد كانت اولى نزعاته تحطيم هذه المباني الظالمة و لقد حظى في
 دولته الاحلاف و الموالى و الجالون و من يسميهم الناس عبيداً من طريق الكمال المعنوى
 بأقصى ما يحاول انسان ذو آباء و امهات و غطرسة بياضه و جماله و ماله و عشائره و ذخائره
 و اعداده المادى فسمى سلمان المجهول المستعبد الجالى سلمان المحمدى و سلمان
 الخير و سلمان منا اهل البيت و انه احد السباق الاربعة و هكذا فعل بصهيب الرومى
 و عمار حليف مخزوم و بلال الحبشى و بمقدار ما شاد من اقدارهم حط من كيان طواغيت
 القبائل المعتزين باعراض واهية و صور شكلية فاقدة لشوب الجوهريات .

هذا عصر النور و عصر التمدن و عصر الذهب و الذرة و الصاروخ و السفينة الفضائية
 و عصر جامعة الملل و منشور حقوق البشر و ارقى عهود الحرية فيما يقال و عصر الكليات
 و الجامعات للمساعة التى نحن فيها لم يستطع ان يسخف فكرة اللون فهو يرى البيض
 فوق السود و فوق اى لون آخر و لافكرة ابن الحضارة و البادية و ان المدينة لافضل
 لها على القرية اذا كان منتوج الاثني شيئاً واحداً و لافكرة الاشراف و طبقة العمال

وان الفريق الاول اذالم يجلب الشرف الى نفسه بالكمال الروحي فهو انما يز يدعى
الثانى ببراقعه الشفافة وثيابها الحريرية الرفافة وقصره الشامخ البنيان ولافكرة المتمول
على غير المتمول ولاصاحب الرتب الحكومية على فاقدها وباجملة هو يدعى الحرية
ولاوجود لها عنده الا بشبح ضئيل لا يشف عن خير وراءه .

ولا يوجد على ظهر الكرة من يدعى المساواة بين شعوبه الا المرام الشيوعى و
نظامه والاحرية المتبسطة الانوع دول الغرب الكبار الحامية لنفسها والقائمة بشؤون
التمدن لافرادها وكلا الفريقين منحرف ضال ومنافق دجال .

اما المرام الشيوعى فاقصى ما يعرفه السلب والاغارة و خنق الاصوات و كبت
العواطف وحكومة الارهاب واشهار السيوف الحمر و الاستبداد الماحق . واما الدول
الرأسمالية المتحررة فيوجد فيها من حرية التصرف الشىء الكثير الا ان عيوب التفاوت
الطبقاتى وامتيازات العناصر وزنة الشرف بميزان الاعراض التافهة فيها اكثر وقضية
السود والبيض فيها لا تنكرو فيها من الهمجية والوحشية ما لا يعدو لايحصر .

اما الاسلام ففى حذفه لهذه الزوائد الانحرافية علماً وتحقيقه عملا مع ما هو فيه
من المقارنات الزمانية والمكانية و الاحتفافات الاخر فقد ابدع الى حدود الاعجاز
يقيناً فان الدار التى تحقق فيها الغاء هذه الفوارق والامتيازات هى جزيرة العرب
مهبط الانانيات والتفاخر والتكاثرت حتى بالتوافه فضلا عن الكماليات التى قد يعترف
لها بشىء من القيمة ومسقط رأس حب الذات والتعاليات الفارغة والكبرياء الممقوت
وما جزرت الحروب اهلها جزر الغنم الاعلى حساب هذه المكاثرة والمهاترة .

والزمان الذى ولدت فيه هذه الفكرة كان زماناً اكثر اتجاره باسترقاق البيض
للسود وبيعهم فى الاسواق بيع الحمير وكان فيه التفاوت الطبقاتى على حساب الآباء و
الامهات والاموال والسلاح والكراع بالغاً اقصى غاياته .

و الخلق الذى انبثقت فيه هذه الفكرة هو الوحش الضارى الذى لا يعرف
للمعنويات اى ثمن ولا يعتبر امثال هذه الفكر الاجنوناً مطبقاً ويعد الاصحاح بها من
هذيان المجانين .

والباعث لهذه الفكرة انسان من هؤلاء في محيطهم وزمانهم وفصائلهم العشائرية ولم يك انساناً خارجاً عنهم في ذلك جالياً عليهم من امة اخرى او ارض منقطعة عن أرضهم كما لم يك عالماً في نفسه ولا متعلماً من انسان سواه اذ لا مظنة للتعليم والتعلم في ارض اهلها بالمائة مائة عاميون لم تتسرب اليهم من خارج محيطهم فكرة ولا صنعة : و الدليل عليه ان مكة ام القرى هي اعرف بلد في بلدانهم واقدس مكان في زمانهم بل هي الصفوة في كل شىء من اشياءهم وهي هذه التي نتحدث عنها - اقامت قيامة الانكار في وجه النبي محمد ﷺ وأذته جهدها المستطاع ونفته الى الشعب عدة سنين و طاردهه مطاردة عنيفة لم تبق عليه ولم تذر ولم تؤمن بفكرته الا عام الفتح خوفاً من انتقاص قواه عليهم وذلك بعد واحد وعشرين سنة من نهضته بدعوته وبعده حروب شعواء شنوها عليه مرة بعد مرة اكلت منهم ومنه ارواحاً لا يستهان بها .

بعث بهذه الفكرة لسانا و قام بها عملا جاهراً فكان يندد بالصنم و عابده و بشرف المال وصاحبه و بالاباء و الامهات الفارغين الا من قعقة الالفاظ و بفوارق الانساب و العناصر و الالوان فهرع اليه المستضعفون من بنى آدم و قاومه الطغاة ولكنه مع فقده لكافة الوسائل المادية قام بفكرته و قاوم بالعزم الراسخ والتصميم الجدى كل مقاومة و ووجه بكل اذية فقبل سلمان الفارسي و صهيباً الرومى و بلا لا الحبشى و عماراً حليف مخزوم قبل ان يقبل غيرهم من اهل العناوين و الالقب و عد هؤلاء المنقطعين المستعبدين سباً قافاً الى الاسلام من عناصرهم و ممثلى الالوان و القوميات المنشعنة على ظهر الكرة يومذاك : و جعل في طليعتهم علياً ذاك الشاب المقتبل العمر فقال السباق اربعة على من العرب و سلمان من الفرس و صهيب من الروم و بلال من الحبشة : و لم يكتف بهذا القول حتى سوّد علياً لسابقته و ذبه عن الاسلام على بنى عبد المطلب و اخيراً جعله ابا لهذه الامة : و قرب سلمان حتى غبطه اجلة الصحابة على مقامه من نبى الاسلام : و اختص بلال مؤذناً حتى عرف بانه مؤذن رسول الله : و بهذه الموازين شخص عمار و ابوذر و خباب و مقداد و نظر اؤهم و قد كان هذا الفريق من النكران و ضئالة السمعة بمكان سحيق و لكنهم جاؤا بوسيلة هذا الداعى العظيم صدوراً فى الامة

لهم كيانهم ومقامهم .

فهذا العمل الجبار قام به انسان منقطع لا يملك اهبة سوى عزمه الراسخ و تصميمه القاطع قبل اربعة عشر قرنا و حققه فى الخارج قبل ان يموت بسنين و لم يكن عمر دعوته الا ثلاثاً و عشرين عاماً ذهب اكثرها ضحية النفى و التشريد و الازعاج والمطاردة .

وهذه الامم الجبارة اليوم على ما فيها من جوامع عالية و اساتذة كبار و حرية مرموقة و قوى هائلة لم تستطع ان تحقق لهذه المفاهيم العظيمة الشان اقل رسم و لا اسم بل نراها زادت فى طنبور الجاهلية نغمات فاخذت تعد الوثبة على الضعيف لتستعبده نفساً و تستثمره مالا و تسعى السعى كله لتهدمها و تحكمتها و تخريبها و تدميرها و افسادها للمخلقة باسرها و اضاءة الاخلاق الحسنة كلها حتى احوالت دنيا البشرية الى بر كان صارخ يتموج بشروبه و اشاراه و رذائله و ضلالاته و صاحت بالمجامع صيحة مشعرة بالتلف و الانهيار العام .

(٥- التساوى فى الحقوق)

و اما تساوى الحقوق بين الافراد : ويراد به الاسهام للمسلمين فما يعود عليهم من نفع : فان الاسلام فى هذا الشأن ركز نظامه على مركز الحياة فاعتبر ان الحياة ذات وجهتين و جهة مادية تقوم بتجهيز الموجود الحى ليقطع اشواط عمره باستقامة و اعتدال و وجهة معنوية تعتبر المادة أعداداً لتحصيل الفضل و الكمال و ان الهدف و الغاية من نشأة الانسان و جهته المعنوية لا المادية لكن المادة وقعت فى طريق المعنى فكانت لزماً من اجل ذلك : و مهما كان الطريق متسعاً معبداً فانه يكون اقرب فى الايصال الى المقصد و من اجل هذا منع الاسلام عن الرهبانية لانها امانة للسعى و العمل و انجحار عن الفكر و الاعتبار و انزواء لا يثمر سوى الر كود و الخمود و طبعاً ليس المقصود من خلق الانسان هو ذلك لانه خلاف المنطق .

كما حرم التكالب على تحصيل الحطام و التقانى فى سبيل الشهوات لانه يخلق

فى الانسان ضراوة يعود معها حيواناً محضاً لا يعرف خيراً ولا شراً ولا فضيلةً ولا رذيلةً وهذه الضراوة تحطم الاجتماع و تحيله الى بر كان صارخ بحوادثه و خطوبه و قد برهنت دنيا المادة فى جميع ادوارها على ذلك عملاً ومن جملتها هذه العصور الشوهاء وعلى هذا الاساس فقد جزأ الاسلام ثمن سعى المسلم الى عدة اجزاء ، خدمة النفس والعقيدة ، والاجر الاخرى ، والمال المنقود ، فهو بخدمته لنفسه و عقيدة يرضى ضميره ، و بخدمته للدين العام القائم بالمصلحة العامة يرضى ربه ، و بأخذه بسهمه من المال يقيم صلبه ويعد حياته للسعى المتواصل فى المستقبل .

وعلى هذه القاعدة المتركة لم يمش الاسلام فى توزيعه المال بين افراده مشى من رأى ان المرء وايمانه، المرء وسابقته ، المرء وبلاعه، المرء ونتاجه، وان التسهيم يكون على حساب هذه القابليات : بل رأى ان المشى على حساب القابليات امر مقبول بل لامعنى للانحراف عنه فى بادئ النظر الا ان تحقيق المطلب وراء ذلك لعلل جمة .

(١) ان الفضيلة متى لوحظ بها المال والوجهة المادية عادت متاجرة لا كسب كمال فهى اذن ليست قرينة للمادة وعن هذا الداعى قال تعالى ورضوان من الله اكبر .

(٢) ان الضرر الاقتصادى الذى يتوجه من مراعاة القابليات فى التسهيم اكثر من

النفع الملحوظ فى ايجاد التوازن بين مقام ذى المصلحة وسهمه فاذا كانت عليا الطبقات تأخذ مقررهما فى الشهر مثل اثنتى عشر الف درهم و دنياها تأخذ مقررهما فى الشهر خمسمائة درهم او ما هو على هذا الملاك حيث يقال فلان يعد بالف رجل فان ذلك ينجر بعد مرور زمان الى تكدس الثروة فى اما كن خاصة و شيوع الفقر المدقع فى اكثر الافراد . بتوضيح ان آخذ الاثنى عشر الفاً انما يتناول منها ببلغته فى الخرج وهى لاتزيد

على ربع مقرر او ثلثه و الباقى يفضل ذخيرة عنده اما صاحب الخمسمائة فهو حتى لو اقتصد لا يعود مكثفياً بها فيلتجأ الى الاستدانة ليحبر قصور حاضره من حقوق مستقبله فلا يمر عليه من المستقبل شهور ثلاثة او اربعة الا وقد استنفد جميع ما يستحقه فى الشهر القادم قبل ان يدخل الشهر القادم فالطبقة الدنيا وهى الاكثر لا يعود مشيها مع الحياة الاتقهرقياً والطبقة العليا وهى الاقل تعود من خزان الاموال و كنوز الثروات الهائلة :

وهنا يحصل التفاوت الطبقتي الفاحش: كما حصل في الزبير بن العوام وطلحة ونظيرهما من الذين كانوا يختزنون اموال المسلمين من طريق السابقة بشتى العناوين حتى أثروا اثرها ثلثا وفي المسلمين يومذاك من كان في بؤس ما حق ومشقة مؤلمة في حياته. والتسليم على حساب القابليات اسسه عمر بن الخطاب وبعد مرور عدة سنين من هذا التأسيس التفت الى غفلته فيه حيث رأى من اوعزنا اليهم قدا تسمعت دائرة تملكهم اتساعاً مدهشاً ورأى الطبقات الدنيا من المسلمين صفر الاكف معوزين من كل شىء فصمم على تغيير خطته لكن اجله لم يمهل: وجاءت نوبة عثمان بن عفان وفيها كان الخطب الفادح في التبعض والتفاوت ومن هذه الفجوة اخذ وقتل .

ولما جاء دور على عليه السلام ابطل كل هذا وذاك وقسم الحقوق بالسوية واحال اهل السوابق والفضائل الى ما عده الله للمتقين : ومن بعض مقاله (ع) في ذلك : أأمر وني ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا اطوره ما سمر سميرو ما ام نجم في السماء نجماً ولو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله : وانما ذهب على ضحية هذه المساواة المشروعة التي لم ترق في عين طلحة والزبير ومئات نظائرهم بعد ما اكلوا الدنيا بخافقيها فقاموا في وجهه يثيرون القلاقل عليه حتى امتلأت حياة على عليه السلام بالحوادث السود ولولا انه بطل من اعظم ابطال الوجود لتهافت في اوائل ايامه ولكن استمرت سنين الخمس لبطولته واجتماع اشده .

(٣) ان توقع صاحب الفضيلة من المال اذا كان بميزان فضيلته فقد هدم الدين الذي يسعى لتأييده وابطل وسائل ترقيه ووقف في سبيل تقدمه لان غمار الناس لا يزنون الحياة والمعنويات الا بميزان المادة لنبوهم عن معرفة غيرها فاذا تكدس المال في اصحاب السوابق والفضائل شغل الجانب الاخر وبقى على بعده عن الدين من كان بعيداً : ومن هنا شرع رسول الله مسألة التأليف وجعل للمؤلفة قلوبهم سهماً وافرأفي اموال المسلمين ليكسر من شرهم على الدين واهله ويقلل من شر استهم ويقرب بهم الى منطقة الحق والانضمام الى حوزته : ودونك الحديث التالي .

قال ابن سعد في الطبقات . وهو يتحدث عن اموال هوازن وغنائمها - واعطى المؤلف

قلوبهم اول الناس فأعطى اباسفيان بن حرب اربعين اوقية ومائة من الابل قال ابني يزيد قال اعطوه اربعين اوقية ومائة من الابل قال ابني معاوية قال اعطوه اربعين اوقية ومائة من الابل واعطى حكيم بن حزام مائة من الابل ثم سأله مائة اخرى فأعطاه اياها واعطى نصير بن كلدة مائة من الابل واعطى اسيد بن جارية الثقفي مائة من الابل واعطى العلاء بن حارثة الثقفي خمسين بعيراً واعطى مخرمة بن نوفل خمسين بعيراً واعطى الحارث بن هشام مائة من الابل واعطى سعيد بن يربوع خمسين من الابل واعطى صفوان بن أمية مائة من الابل واعطى قيس بن عمرو مائة من الابل واعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الابل واعطى هشام بن عمرو والعامري خمسين من الابل واعطى الاقرع بن حابس التميمي مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن مائة من الابل واعطى مالك بن عوف مائة من الابل ويقال خمسين - الى ان يقول هو وغيره - ان قائلاً قال لرسول الله ص من اصحابه يا رسول الله اعطيت عيينة بن حصن والاقرع بن حابس مائة مائة وتركت جعيل بن سراقه الضمري فقال رسول الله ص اما والذي نفس محمد بيده لجعيل بن سراقه خير من طلاع (١) الارض كلهم مثل عيينة بن حصن والاقرع بن حابس ولكنني تألفتها ليسلما ووكلت جعيل بن سراقه الى اسلامه .

و عن ابى سعيد الخدرى قال لما اعطى رسول الله (ص) ما اعطى من تلك العطايا فى قريش وفى قبائل العرب ولم يكن فى الانصار منها شيء وجد هذا الحى من الانصار فى انفسهم حتى كثرت منهم القالة وحتى قال قائلمهم لقد لقي رسول الله قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال يا رسول الله ان هذا الحى من الانصار قد وجدوا عليك فى انفسهم لما صنعت فى هذا الفىء الذى اصبحت قسمت فى قومك واعطيت عطايا فى قبائل العرب ولم يك فى هذا الحى من الانصار منها شيء قال فأين انت من ذلك يا سعد قال يا رسول الله ما انا الا من قومي قال فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة قال فخرج سعد فجمع الانصار فى تلك الحظيرة فلما اجتمعوا له اتاه سعد فقال قد اجتمع لك هذا الحى من الانصار فاتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال يا معشر الانصار

(١) طلاع الارض ما يملؤها ويطفح عليها .

ما قاله بلغتنى عنكم وموجدة وجدتموها على فى انفسكم الم انكم ضلالا فهذا كم الله وعالة فأغنا كم الله واعداء فألف الله بين قلوبكم قالوا بلى الله ورسوله أمن وفضل ثم قال الاتجيبوننى يامعشر الانصار قالوا بماذا نجيبك يارسول الله لله ولرسوله المن والفضل قال ﷺ اما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم و صدقتم اتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فأويناك وعاءلا فأسيناك أوجدتم يا معشر الانصار فى انفسكم فى لعاعة (١) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم الاترضون يامعشر الانصار ان يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله الى رحاكم فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرء من الانصار ولوسلك الناس شعباً وسلكت الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار قال فبكى القوم حتى اخضلو الجاهم وقالوا رضينا برسول الله قسماً وحظاً .

(٦- القضاء على الفقر والخنوع)

واما القضاء على الفقر والخنوع فقد أعد الاسلام له اهبتة من عدة نواحي [ا] ففرض الزكوة على اهم محاصيل الناس [ب] والخمس من الغنائم عند كافة المسلمين و على الغوص والكنوز والمعادن وما زاد على مؤنة السنة من ارباح المكاسب عند الخاصة بالخصوص [ج] و الكفارات على تعدد مواضعها [د] و ردود المظالم [هـ] و اللقطات المجهولة المالك فى بعض شقوقها [و] و كل مجهول المالك من اى شىء يفرض [ز] و الصدقات المندوبة التى لاهمية ما ورد فيها من صاحب الشرع كاد يكون المتخلف مسؤلاً عنها لربه [ح] و زكوة الابدان يوم عيد الفطر : وموارد سوى ذلك كثيرة وللإستشهاد على بعض ذلك نذكر ما يلى .

قال تعالى (الاية ٢ من سورة البقرة) فى وصف المتقين : ومما رزقناهم ينفقون و(الاية ١٧٧ من سورة البقرة) من جملتها : وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكوة : و(الاية

٢٥٤ من سورة البقرة) يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة : (الاية ٢٦١ و ٢٦٢ من السورة المزبورة) مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء : الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منها ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم : و في القرآن الكريم مئات من امثال هذه الآيات وفي السنة اضعاف ذلك فلا تطيل .

(٧- تحديد المكاسب)

واما تحديد المكاسب ونتائجها وتعديل الثروة من طريقها فقد اهتم به الاسلام غاية الاهتمام ورتب له عناوين منفردة وفصولا منحاذة ذكر فيها المشروع من غيره وحبب الكسب المشروع لاهله غاية التحبيب حتى انه جعل الكد من عرق الجبين افضل من كل كسب يفرض وندد بغير المشروع تنديداً ما عليه مزيد : ولم يحرم الاسلام من المكاسب الا ما فيه غائلة اخلاقية تفسد الاجتماع و تخل بميزان النظام وقد عقد فقهاء الاسلام للمكاسب المحللة والمحرمة كتباً بحيالها بسطوا فيها القول غاية البسط ولا يحتمل هذا المختصر الاجمال القول في الجميع .

فالاسلام يحرم كل استثمار يجيء من طريق الكسب بالنياحة الباطلة والهجاء والغناء والرقص وعموم اللهويات والغش والتدليس والخيانة وتوظيف المكاييل والموازن والربا والسحر والشعوذة والعمل للمظالم والرشوة والاجرة على الواجبات والزنا واللواط والمساحقة والقيادة ومن طريق الخمر وكل مسكرومن بيع العذرات والميتات وسائر الاعيان النجسة - الا ما استثنى - والاصنام والصلبان وما الى ذلك وما فيه اعانة على اثم وعدوان وبيع السلاح على اعداء الدين وزمرة مناوئيه بما يوجب الوهن بالحق والترفيه عن الباطل وبيع كل ما يوجب الضلال والاضلال واخذ جوائز السلطان الجائر في جملة من صوره والكهانة والقيافة والتنجيم وامور سوى ذلك لامجال لتفصيلها الان وملاكها الاهم ما يوجب الفتنة والفساد والخلل في النظام والهضم من حقوق المستحقين واكل المال بالسفه والباطل .

والحلال عنده ما سوى ذلك مما يقوم بأمور معاش الناس وحفظ تعادلهم في البقاء ولا تترى في حلاله ما يوجب الحيف والاجحاف والاحتكار والاستثمار غير المشروع ولم تتكسد الثروات في بني آدم قديماً وحديثاً الا من طرقها غير المشروعة اذ المشروع لا منقذ فيه لضخامة المال بالحد الذي يرى في اكثر الخزائن : واما الملكية الفردية التي تنازع فيها الناس فمثبت وناق فلا بد من الاعتراف بها لبداهة تقررها في العقول من طريق المنطق الصائب . وذاك - هوان اوضح نقطة تتصور في تجردها عن كل شبهة هي نقطة اتعاب الانسان نفسه اذ لا يسترىب احد في ان اتعاب الانسان ومواهبه الفكرية واعماله الجسمية ملك خالص له لا يتجاوز مزاحمته عليه فكل مادة تستثمرها اتعاب الانسان بالعمل ومواهبه الفكرية بالفن فهي حق لكاسبها بلا مماراة فلو استخدمت هذه المادة في دجن الحيوانات وتنميتها والاستفادة من عوائدها وانتاجها او الخدمة عليها بر كوب وحرث ونحو ذلك او استخدمت في الزرع والغرس او في جهة اخرى من جهات الكسب الصحيح لكان ذلك عملاً مشروعاً - اولاً - ونما آتة ملكاً خالصاً لمستثمرها - ثانياً - والجملة المهمة من رؤس اموال الناس انما تكونت من الطريق الانف نعم انما يعترىبها الرب في دائرة توسعها وعدم مراعاة القانون الصحيح فيها فلوروعى في جريانها القانون لكانت كل الاموال خالصة من شوب الغصب والحرام وصدفة ان الشرع الاسلامى لا يعد المال الحلال المختلط بالحرام حلالاً بكله وله فيه احكام خاصة تتبع عناوينها من الغصب ومجهول المالك وما الى ذلك فالفكرة التي عليها الشيوعيون فكره خاطئة وانما نفذوها بحرارة السيف ليمثلوا خزائنهم من اتعاب الناس ويصرفوها في مشترياتهم الخاصة وحفظ حكوماتهم المستبدة .

(٨- احترام العلائق المشروعة)

واما احترام العلائق المشروعة فيعده الاسلام من اعظم مقدساته ويعتبر صاحب العلاقة المشروعة سلطناً على ماتحت يده ولذلك قال - الناس مسلطون على اموالهم - و - لا يحل مال امرىء مسلم الا عن طيب نفسه - و من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه

سلطاناً - و - الطلاق بيد من اخذ بالساق - و - على اليد ما اخذت حتى تؤدي : الى غير ذلك وهو كثير .

(٩ - الزجر عن المفاسد)

واما الزجر عن المفاسد والتشدد في اقامة الحد عليها فالاسلام فيه بلغ الغاية القصوى في حفظ حقوق الناس وحدودهم وحيثياتهم وحررياتهم ونواميسهم واعراضهم و بالاخرة بلغ الغاية في تطبيق النظام العام في حق العموم فحرم الزنا واللواط والسحق والقيادة والقمار وشرب الخمر والاطلاع على عورات الناس والسرقة وقطع الطريق والغيبة والمبهتان والتجسس والنميمة والقاء الفتنة والقذف والشتيم وكل ما يستلزم تعدياً على حقوق الاغيار و سلباً لحريةتهم وتشويشاً في سبلهم واجتماعاتهم وما الى ذلك .

فقال تعالى (الاية ٢ من سورة النور) الزانية و الزاني فاجلدوا اكل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين .

وقال (الاية ٤ من السورة المز يورة) والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً و اولئك هم الفاسقون .

وقال (الاية ٢٧ من السورة السابقة) يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون (٢٨) فان لم تجدوا فيها احداً فارجعوا هو اذكى لكم والله بما تعملون عليم .

وقال (الاية ٣٠ وما بعدها من سورة النور ايضاً) قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك اذكى لهم : وقل للمؤمنات يغضن من ابصارهن و يحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن - الى ان يقول تعالى - ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن .

وقال (الاية ٥٩ من سورة النور) واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا
 كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم .
 وقال (الاية ٣٢ من سورة الاسراء) ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء
 سبيلا وقال (الاية ٤١ من سورة المائدة) والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء
 بما كسبا نكالا من الله .

وقال (الاية ٣٦ من السورة المزبورة) انما جزاء الذين يحاربون الله و
 رسوله و يسعون فى الارض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم و ارجلهم
 من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم .
 وقال (الاية ١١ وما بعدها من سورة الحجرات) و لاتنازروا بالاللقاب بئس
 الاسم الفسوق بعد الايمان : يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض
 الظن اثم و لا تجسسوا و لا يغتب بعضكم بعضاً أ يجب احدكم ان يأكل لحم اخيه
 ميتاً فكرهتموه .

وقال (الاية ١ من سورة الهمزة) ويل لكل همزة لمزة : وقال (الاية ١٠ و١١
 من سورة القلم) ولاتطع كل حلاف مهين هما زمشاء بنميم : وقال (الاية ١٩١ من سورة
 البقرة) والفتنة اشد من القتل .

وقال (الاية ٣٥ من سورة المائدة) : من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل
 انه من قتل نفساً بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعاً ومن احياها
 فكانما احياى الناس جميعاً : وآيات الكتاب و احاديث السنة فى هذه الابواب
 كثيرة لا تحصى .

١٥ - حذف الوسائط فى توجه العبد الى المعبود

واما ان العبد فى توجهه الى ربه لايحتاج الى توسط احد من عباده فهو من
 صميم الاسلام و ما الوسائط الا عباد مخلوقون نظير الباقين و محتاجون الى المبدأ
 احتياج السائرين والذى يكون من الانسان اقرب اليه من حبل وريده لا يكون معه

مجال للغير وحديث الوساطة خلقه الغلو في كافة الأديان والمذاهب على الأخص في دين النصرانية الذي بلغ في التوسيط أن جعل الله في طرف سحيق عن عباده وعلى العبد أن يطوى مراحل شاسعة من الخورى والشماس والقسيس الى غير هؤلاء حتى يحتمل في حقه أن يتصل بربه الذى خلقه كل ذلك للحيازة على المنصب والجاه واستغلال المال. واما نبى الاسلام والاعاظم من اهل بيته والاجلة من اصحابه فقد أصحروا قولاً و عملاً صارماً بلزوم الفناء فى الله مهما امكن من طريق العبادات الصادقة و التوجهات الخاصة وجاؤا فى الخفاء والعلانية من اعبد خلق الله و ازهدهم فى حطام الدنيا ولم يدعوا يوماً من ايام الله بانهم وسائط بين العبد والمعبود لا ينال القرب من الله الا بتوسطهم ولا يمكن الوصلة به الا من طريقهم :

واما حديث الشفاعة فانه مقبول فى حدود خاصة و تحت شرائط معينة لا على ارساله كما عليه نوع العوام وقد جاء فى القرآن تكذيب ما هم عليه و نقضه بصورة لا مدخل فيها للاحتمال.

فقال تعالى (الآية ١٦ من سورة ق) ولقد خلقنا الانسان و نعلم ما توسوس به نفسه و نحن اقرب اليه من حبل الوريد: وقال (الآية ١٨٦ من سورة البقرة) واذ اسألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعانى : وقال (الآية ٢٥٥ من سورة البقرة) من ذا الذى يشفع عنده الا بذنه : و(الآية ٣/١٠) يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه : و(الآية ١٨/٤٠) ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع : و(الآية ٤٤/٣٩) قل لله الشفاعة جميعاً : و (الآية ٤٨/٢) و اتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة : و(الآية ٢٥٤/٢) من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة : و (الآية ١٩/٨٨) لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الله عهداً : الى غير ذلك وهو كثير صريح فى مفاده واما الذى اتخذ عند الله عهداً فلان عرفه بشخصه والملاك الذى يعقل معه اتخاذ العهد لامصداق له فى الخارج الا فيمن يعرفه الله نفسه بالاستحقاق و اللياقة على ان هذا المصداق لا تكون منه الشفاعة الا حيث يرضاها الله منه فكم فى ذلك من حدود ضيقة وشروط صعبة وملاكات لم تتضح لنا تفصيلاً : وعلى كل حال فهى ليست كما يلو كها العوام

ويمانون انفسهم بها الاستلزام ذلك ابطال اصل التكليف.

(١١ - ترويج العلم الى ابعد حد)

واما ترويج العلم الى ابعد حد فالاسلام فيه هدم كل الحواجز التي نصبها الدجالون ليستغلوا من وراء جهل الجاهل وجوده و كل ما ينطوى عليه : فقال تعالى (الآية ٩ / ٣٩) قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون انما يتذكروا لولا الالباب : و (الآية ٢٨ / ٣٥) انما يخشى الله من عباده العلماء : و (الآية ٤٣ / ٢٩) وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون : الى غير ذلك وهو كثير في الكتاب والسنة والاسلام هو الذي خلق من الامم العامية الرامية في الجهل الى ابعد حد يتصور المحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين الى سائر ما للعلوم من شعب بصورة مدهشة وان المعاجم الكبرى لتعجز عن ضبط اسمائهم وانواع معارفهم ومؤلفاتهم والحرارة العلمية التي قاموا بها والمدارس التي بنوها والخزائن التي ملؤها باسفار العلم والحكمة والتأثيرات التي اثروها على المحيط في كل زمان ومكان : هذا هو كله من بعض نتائج الاسلام في ترويج العلم واهله .

(١٢ - الدعوة الى الاعتدال)

واما الدعوة الى الاعتدال في كل شيء خصوصاً في القصد المعيشي فقد اهاب بها الاسلام ليكسر من شررة التغطرس والتكبر والاندفاع الى الافراط الماحق والتفريط الشائن في كل شيء على الاخص عالم المعيشة التي تدور على محورها الحياة : فقال (الآية ٣٧ / ١٧) ولا تمش في الارض مرحاً انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا : و (الآية ١٨ و ١٩ / ٣١) ولا تصعردك للناس ولا تمش في الارض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور : واقصد في مشيك واغضض من صوتك : و (الآية ٢٩ / ١٧) ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً : الى ما سوى ذلك وهو كثير .

(١٣) - تحريم الظلم والانحياز الى الظالم

واما تحريم الظلم والانحياز الى الظالم ووجوب قطع الصلة به فللإسلام فيه مواقف تكبرها الإنسانية و عموم بني الانسان فكل انواع الظلم الفردى والاجتماعى حرام فى دين الاسلام قل أم كثر ظهرا مبطن مع الانسان او الحيوان بل كل ما تجاوز حدود المنطق فهو عبث و سفه عنده يفند عليه و يؤخذ به ويلام على فعله و لو كان طرف الانسان تراباً او حجارة .

وادب الاسلام ذويه بهذا الادب الراقى حتى انتجت مدرسته امثال على (ع) حين يقول والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهدا أو أجر في الأغلال مصفداً أحب الى من ان القى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من الحطام : و ابى عبدالله الصادق حين يقول لبعض الشيعة و قد سأله فقال له اصلحك الله انه ربما اصاب الرجل منا الضيق او الشدة فيدعى الى البناء يبنيه والنهر يكرهه او المسناة يصلحها فما تقول فى ذلك فقال ابو عبدالله ما أحب انى عقدت لهم - يعنى امراء الجور - عقدة او و كيت لهم و كاء وان لى ما بين لابتيتها لاولامدة بقلم ان اعوان الظلمة يوم القيامة فى سراق من نار حتمى يحكم الله بين العباد : والاصل فى هذا الانتاج قول الله فى كتابه (الاية ١٠/٥٤) ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به و اسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون (والاية ٣٩/٤٧) ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (والاية ١١/١١٤) ولا تتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون .

ولا بدع اذا قال الله و قال اولياؤه بذلك فان العدل كرسى الحياة و مع الظلم تعود الحياة وبالاعلى الاحياء ويكون الموت خيراً منها يقيناً والفرق بين الحياة المنظمة والحياة التى يتمنى معها الموت شىء كثير جداً : هذا وما اشعرنا به آنفاً هو كلييات الدين الاسلامى تتبعها نقاط مهمة يجب ان نلم بها لانها اصبحت ما بين الدينين والمتمدين

نقطة نزاع فنقول تحت عنوان : قالوا ونقول .

من المهازل انصافاً ما يقوله اعداء الاسلام في حقه وحق نبيه انهر كثر نفسه بالسيف ودعا الى الاعداد من القوة جهدا المستطاع وهو خلاف ما توحى به العقول الصحيحة وما تدعوه اليه من السلام العام .

وهي دعوى بالاراحيف اشبه منها بالنظر الواقعي فان دين الاسلام لم يك من بدء حياة زعيمه الى نهايتها رامياً الى التغلب والتحكم على الناس ونيل السيادة فيهم والنفوذ عليهم وانما كان دعوة حرة من ناهض حراً استنكف للانسانية مما عليه الانسان من روح متطرسة ونفس منحطة وضمير منافق وباطن متجهم وحر كات رعناء شوهدت منظره الحياة و ارخست سوق الاحياء واطلعت من الانسان حيواناً ضارياً تشمئز النفوس من منظره وتنقبض القلوب من ممارسته ولم يقعد في كسر بيته قابلاً بالخموم يصبص الى ما يجري في الكون من انحراف هائل وتذبذب باهت من دون أن يبدى امامه استنكاراً ومن معارفه البناءة نوراً يغمر به ذاك الحلك الدامس والجهل العارم فهو لقا بلياته الجبارة هذه بل لتفانيه في سبيل الحق واحساسه من نفسه النبوغ الرامى الى ابعدا غاية تتصور اهاب بالكون حتى مـاج على جنباته وصاح فيه صيحة نذير مشفق ومبشر غير ما يوس وعالج بمفرده دنيا من الاندفاعات المدمرة فقاومها كما يقاوم الجبل الراسخ زعازع الصرصر ولم يعدد لذلك من قوة سوى تصميمه الذى لا يتشظى بالعوامل المخيفة وايمان به بمعارفه ومبادئه وحبه للانسان والانسانية وللخلق الفاضل والشيم الراقية وببانه الشجاع الذى غالب به كافة الناس فغلبهم بقوة المنطق وهيمنة الحججة وتحدى الدنيا بأسرها فلم يستطع ان يقارعه انسان وكان الانانيون من كافة العناصر والمذاهب يترصدون به نقطة الضعف فلا يجدونها وبكتابه المناقضة والمقابلة فلا يستطيعونها ولو وجدوا واستطاعوا القالوا وأطالوا ولكن العجز قعد بهم كما قعد المأجورون المرموزون من متفهيقي هذا الزمان لعجزهم امامه .

ان يكن قرآن محمد (ص) من تلقيقه و ليس بوحي اوحى به اليه فهو من اول ايامه دعا الناس الى أن يأتوا بسورة من مثله ومعنى التحدى ازعاج للطرف فلم

انخذل عن المعارضة كل بنى آدم منذ ذلك اليوم الى هذا اليوم فما الذى أعيا
البا با والكردينال والقسيس وما الذى اعجز الخطباء المصاقع والعرب المتشدين وما
الذى اسكت نامّة الكتاب المرموقين والشعراء المجيدين وما الذى أخدم اساتذة
الجامعات وشيوخ اهل الادب فان ميدان المعارضة كان ولا يزال واسعاً ان كان هناك
من يجيدها .

وهانحن نتمنل بالاعتراف لكل طاعن يريد فصل محمد عن السماء و نقول له
هب ان محمداً كان يقرؤ ويكتب وفوق ذلك انه ما انفصل ساعة عن ممارسة الفلاسفة و
المتحشّنين وعن دراسة الكتب سماويها وارضيتها وعن ملازمة الدير والرهبان و القسس
وعن كل مظنة تعطى فائدة وتأتى بعائدة وانه لذلك استطاع من طريق اختفائه
فى غار حراء ان يؤلف القرآن ويخرجه الى الناس بوضعه الفعلى وبزته الحاضرة و
لكن كيف قعد عن تحديه الفلاسفة واهل الكتاب والرهبان والقسس و كيف انقطع عنه
الدكاترة فى الادب واللغة و كيف أخرس عن جوابه اللسنون المتشققون نعم أقعدهم
وقطعهم وأخرسهم بالعيان المكشوف ومن شاء فليتقدم وهذا هو الاعجاز فى حال ان
عوالم البشرية لا اعجاز فيها من نفسها بضرورة العيان .

فكم فيلسوف بارى فيلسوفاً فساواه او غلبه وكم خطيب جاول خطيباً فما ثله او
زاد عليه وكم شاعر نازل شاعراً فجاء بمثل شعره او اربى عليه وهلم دوايك اذن فيكفى
صدق محمد ﷺ فى دعواه اعجازه للبشرية كلها على انه بضرورة التاريخ ما كان
يقرأ ولا يكتب ولا التقى بفيلسوف ولا تلمذ على قسيس ولا دخل ديراً ولا عرف الرهبنة
الى غير ذلك من هذا ونظيره .

ولكن المبدأ اختار محمداً لتبليغ رسالة السماء لما انطوى عليه محمد ﷺ
من نبوغ قهار وتصميم قاطع وهمة عالية وضمير طاهر وروح اقوى من الحديد و جلد
يطيح بصمّ الجبال ولا يتشظى وعن هذه الروح تحدى الدنيا كلها من صادق ومن عاداه
بكلمته الوحيدة : والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى لما انقطعت عما
انار اصد ولا انثنت عن هدفى الذى اليه اهدف ومقصدى الذى اليه أقصد : و مثل هذا

التصميم يمزق جلود النمر ولا يتمزق وتتكهم له حدود السيوف ولا يتثلّم ولولا هذا وذاك لما اجترأ ان يتحرك من مكانه قيد شعرة لانه يفقد كل جهاز به يشور الثائر فلا قوة سلاح ولا خزان مال ولا اعمام ولا احوال يساندونه ويدعمون صرخته ولا اتباع بهم ان يشيدوه او يمدوه الا قليل ليس به تأمين مقصد ولا توطيد أساس محكم كل هذا بضرورة العيان لم يكن والكائن منه كما اشرنا اليه طفيف في قبال غايته العظمى وهدفه الاسمى فهو ﷺ لما اعذر الى الخلق زماناً طويلاً لا يقل عن ثلاثة عشر عاماً ولم يحصل منه على اقل طائل وجد كما يجد كل محق لزوم احقاق الحق وابطال الباطل بالقوة الهدامة البناء متى استطاع اليها سبيلاً .

ولاغرابة في كل ذلك فان الطعام والوحوش بعد ان تسدى اليهم يد الرحمة ما هو واجبها من اللطف والعطف ولا يعود يؤثر ذلك اقل اثر بل يزداد الجاهل على مديد الدعوة عتواً وطغياناً وتمرداً وعصياناً واخلاداً الى الباطل لا يكون بد من قمع تغطرسه وتفرغ رأسه من هوى الكبر والعتو والطغيان لاصلاحه اولا ولحفظ الانسانية من تعدياته ثانياً ولتعديل جنات الكون لاجل كل كائن له حق الحياة فيه ثالثاً و كل ذلك بدافع اقامة العدل والمعروف وازالة الباطل والمنكر عن مجامع الحياة الاحياء رابعاً .

نعم لما استطاع محمد الى القوة سبيلاً من طريق المخلصين له المتفانين في نشر دعوته وفي طليعتهم البطل المؤمن الذي تربى في حجره وتلمذ عليه تلمذاً اختصاصياً امير المؤمنين على بن ابي طالب جرد السيف وجعل الجنة تحت اقدام الشهداء وحث على الجهاد بكل ترغيب صادق ورفع لوائه الخفاق وتقدم في صدر كتائبه لم يفرو ولم يتقاعس قط وعنه اخذ البطولة ابطاله المرهوقون حتى ان بطل الاجيال علياً كان يقول كلما أشد البأس لذنا برسول الله - فعل كل ذلك ولم يتحاش عنه لان الحق من دون قوة تسنده او هن بين الناس من بيت العنكبوت واقل شاهد لذلك أنه ﷺ رأى بعينه كيف تعتصب المرأة الجميلة في حرم الله بالعسف والقهر لان حمايتها يضعفون عن مقاومة الجبارين وكيف تؤ كل الحقوق بالباطل علناً في الحرم الذي يأمن فيه الطير ولا يستطيع صاحب

الحق ان يدفع عن نفسه ورأى كيف يغلب الاحرار على انفسهم ويتخذون عميداً فى بيوت الاقوياء ومتى شأوا باعوهم بثمن بخس ازهد ما يكونون بهم : رأى ﷺ ذلك واضعافاً مثله كما رأى غيره الاضعاف المضاعفة مما هو اشد وانكى فلا جرم اذصح من دون مغالاة قول القائل .

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم
ان العقوبات حادها وخفيفها لا بد من تطبيقها على مواقع الجريمة حتى لا يثقل كابوس الحياة على الضعفاء : اذن فمحمد ان سل سيفه فلتر كيز العدالة الاجتماعية بين الناس ولتحكيم المباني الفاضلة فى المجتمع البشرية ولم يحاول بذلك غطرسة ولا اثره والالما قال هاضماً لنفسه انما انا ابن امرءة من العرب كانت تأكل القديد انا واحد منكم لولا النبوة - وددت ان اكون واحداً منكم لولا الهجرة - يقول ذلك للانصار - ولمامات عن لاشيء ولما عاش وهو يعد حجر المجاعة لبطنه : هذا هو محمد بن عبدالله وليس هو بخت نصر ولا الاسكندر المقدونى ولا جنكيز ولا تيمور ولا نين ولا هتلر . هو ابو الفضائل والفواضل ابو الرحمة والعاطفة ابو الانسانية والبشرية جمعاء صدق كلمة الرسل قبله ودعا الى الحق الذى يدعو اليه وتمنى للانسان كل خير وسعادة : ولو ان الاسلام الذى جاء به محمد ص وتدرع به الصحابة الذين خلق فيهم روح النشاط والفتوة والايمان والعلم والحكمة والعدالة والمعروف والانسانية مشى به المسلمون كما جاء و كما طبق عمالسين عديدة فى كل عصورهم لآكلوا الدنيا بخافقيها راضين مرضيين ولخضع لهم عقل كل عاقل وقلب كل ذى قلب .

ولكن يا للأسف على الاهواء المردية والميول المغوية والنزعات الفاسدة والمقاصد الشخصية والانذفاعات النفسية كيف جاءت بعد موته ص تخفف من حدتهم وتفكك بين جماعتهم وتقلل من ايمانهم حتى ذابوا فى القرن العشرين بالمرّة فجاءوا من حيث القوة أو هن من بيت العنكبوت ومن حيث التشتت اضع من قوم سبأ ومن جهة الايمان المبدأى اشد الحاداً بالدين من هواة دارون ومن جهة الشرف اهون من لاشيء زعيمهم عميل ورئيسهم اجير وهم فى طريقهم الى التلاشى بالاريب الآن يشاء الله خلاف ذلك .

وينبذ الجدد الدين الاسلامى بانه جوز الرق من طريق الغنيمة فى حال ان البشرية تعتبر ذلك مقياساً اعلامن الوحشية لكنه انتقاد باهت ودجل مفتضح نعم جوز الاسلام الرق من طريق الغنيمة فى المعارك التى تقوم للقضاء على الشرك والوثنية و بعبارة اخصر للمتديد بالحيونة الجافة والمادية السوداء فان كل مبارز للحق ناهض عليه هادم لمباني الانسانية مصر على انهيار الجامعة مؤيد لحكومة الباطل راغب فى تمشية المفاسد مقيم لسوق الرذائل مطيح بالفضائل والفواضل لاقيمة لدمه اصلا فضلا عن استرقاقه ومن هذا الطريق حكم الشرع الاسلامى بنجاسة المشركين طرداً لهم عن الاجتماع المرکز على التقوى والفضيلة القائمتين بالدين فقط فان فاقد المبدأ لا يفترق عن البهيمة الضارية فى انه الى اين امتدت يده وضعها عليه ولو كان محطة شهواته امه فى النواميس وحق اخيه الشقيق فى الاموال والحقوق وهلم دوايك .

نعم يبقى الاشكال فى سراية الرق فى اعقابه اذا طوعوا الحق و مالوا اليه و عملوا به وفى المسترق ايضاً اذا اعتدل وتاب ودان للحق واناب وهذا قد نذب الشارع المقدس الاسلامى الى تحريره فى مواطن عديدة وصور كثيرة وجعل اعناق الرقاب من افضل الاعمال وخص لشرائه واعتاقه زاوية كبيرة من بيت مال المسلمين و مراجعة ابواب الفقه فى شتات فصوله تغنيانا عن الاسهاب فى هذا الباب : يقول المتجدد هذا وارقى افراده يبارز السود لسوادهم والضعفاء لضعفهم ويلح عليهم بالاستعمار الماحق والاذلال المرهق والعبث بمصالحهم والعيث فى كافة شؤونهم ولا اصدق من العيان شاهد على ذلك فان تحكم الامم الراقية فى الضعاف من بنى آدم اليوم مما اثار عاطفة كل انسان غيور فقام يناهض بيدنه العارى اسراب الصواريخ المبيدة جزعاً من حياته واحرازاً لحرية ان استطاع اليها سبيلا والاسلام فضلا عن ندبه المسلمين لتحرير الارقاء بشتى اساليب الدعوة الى عتقهم لم يتسفل بهم ولم يحتقرهم فجعل العبد كالمولى فى اهم معالى الحياة ومجالى العيش الصحيح وصف الجميع فى صف واحد و بما فضل العبد بتقاه على سيده و مولاه و كم حكم السود والعبيد فى الدول الاسلامية حتى وصل بعضهم الى درجة السلطنة فان هذا مما عليه التجدد والمتجددون .

وينبذ الجدد الدين الاسلامى ايضاً بانه فاوت بين الرجل والمرأة و اوجب عليها التصون وهو يرى ان ذلك من الاغراق فى الوحشية ونحن قبل كل شىء نعرض كلمة الاسلام الراهنة فى حق المرءة ونقول قال الاسلام فى زمان توعده فيه البنات - الجنة تحت اقدام الامهات - وهى كلمة قد ضربت مقياسها الاعلا فى الفضيلة وتقديم المرءة الصالحة التى هى ام الاجتماع البشرى على من سواها تلك المرءة التى عرفت صلاحيتها وقامت بوظيفتها الملقاة على عاقبها من طريق الطبيعة فضلا عن الدين و بعبارة أخصر تلك الام التى انجبت اولادها وربت افراخها تربية ناجعة لمستقبل الجميع لانتلك التى اخذت تخف بها النزوات وهى طفلة غريرة واتخذت هذا الالتواء فى السير طريقة لها حتى شبت ثم أيسست وقعدت ثم شاخت وهرمت فكانت نقمة على ابويها و بلاءاً افتتن به الشبان والكهول والشيوخ و بالآخر كانت، و ذرة متعفنة فى الهيكل البشرى : ان الاسلام و كل عاقل ليعرف هاته المستخفات الاعاراً على الوجود و دنسا فى ثوب الانسانيه النقى .

ان الطبيعة التى يحترم المتجددون نوا ميسها فى كل ماهب و دبّ هى التى فاضلت بين الصنفين فخصت كل صنف بموايز لا توجد فى الآخر ولهذه الامتيازات فى الخلقة خواص طبيعية ليس بالمقدور حذفها او ترتيب اضدادها مكانها فكل من حدثك بلزوم المساواة بينهما فقد حدثك لوشعرت بايقاع المقارنة بين طبيعتين منفرتين وهذا المعنى يجب ان يججده الطبيعيون قبل رجال الدين لان رجال الدين يزنون الجنبه الاجتماعيه قبل كل جنبه سواها اما الطبيعيون وهم اولئك الذى ميزوا بين العناصر حتى الخفيف الطفيف منها وسجلوا لكل منها احوالا وشؤناً خاصة فكما حكموا على كل فضيلة من فضائل الخلايا القائمة ببنيان الجسم الطبيعى باحكام خاصة اوحث بها الطبيعة نفسها فليحكموا على الاناث التى امتازت بمجموعاتها الخلوية عن الذكران بما فى محوطة اجسامهم من خلايا خاصة هى غير خلايا الاناث بالاحكام الطبيعية الخاصة و كلها مسطورة فى الابحاث الفيزيولوجية الحيوانية بسطاً مسهباً وهكذا فليحكم علماء النفس الجدد و علماء التشريح وغيرهم من العلماء الطبيعيين والرياضيين باحكامهم التى دونوها

للأشياء على ميزان الطبيعة التي هم مقيدون بها أكثر من غيرهم .
ولنلو عن الفن جانباً ونقبل على وجداننا الذي لا يفارقنا لحظة واحدة فهل ترى
المرءة نفسها غير ربحانة طرية قد أعدت للاستشمام والاستمتاع قطعاً لتعرف نفسها بغير
هذه المعرفة ولذلك تصرف همتها في كل أوقاتها لمطالعة الأزياء الجديدة والاقمشة
المستحدثة وانواع الزينة الجالبة وكل ما يقوم بتطرية البدن وتحسين الوجه وتلطيف
الحر كات والسكنات وهواية عرض ذلك على كل احد و هذه الروح المندلعة على
شراش وجودها مبعوثة عن اعماق نفسها الطبيعية وليس ما وصفناه شعار واحدة واثنين
من النساء بل شعار كل امرءة في الدنيا حتى العجائز : وليست هذه الروح بمجلوبة الى
هذا الصنف بالتصنع ولكنها روح طبيعية تفعل فعلها القهار من دون مخايرة .

اذن فالمرءة ربحانة وليست بقهرمانة بحكم الطبيعة وهذا الشذوذ الذي تواجهه
الطبيعة من مواليدها ليس باول شذوذ شاهده منهم فقد حكمت الطبيعة ان الافيون سم
ما حق وبرهن الوجود الخارجي عملا عليه ومع ذلك نرى ابناء الطبيعة يتهافتون على
تناول هذه السموم وهلم دوا اليك نظير ذلك وما اكثره :

فيجب على المنجد الاعتراف بانه شان فيما دعا اليه لانه عالم اجتماع فيما قال
او عالم نفس ومر بي جيل : هذا وكل ما واجهته المرءة في دنياها من اعنات الرجال
بها آنفاً وحاضراً في بعض الاصقاع فهو خلاف الدين خلاف الحق خلاف الطبيعة
والانصاف : اما الدين فكما اعتبر المرءة ربحانة في طبيعتها فقد حكم لها بما هو من شأن
الرياحين من حسن المعاهدة وطيب المعاشرة ونزاهة الاستمتاع وما الى ذلك ولم يفرض
عليها حتى ارضاع ولدها لو ابت ارضاعه واوجب لها النفقة بما يليق بشأنها كائناً من
كان الزوج في فقره وغناه .

نعم لما جاء الطبيعي عملاً كافراً حتى بالطبيعة جاء يغالط مجتمعه الذي تولى
تثقيفه وتأديبه فتراه في الصف يحاضر في علوم النفس والاجتماع والسياسة الشريفة
والعدالة الاجتماعية وما يوجب حفظ البشرية ويؤمن لها حقوقها اللازمة ويقوم بسعادتها
الثامة ولكنه لا يبارح موقفه من مواجهة التلاميذ حال التعليم الى خارج هذا الحد

الاجراء المفسد الهاتك لحيثية المجتمع الما حق للحق والعدل الاجتماعى فلم يكتر اللواط والزنا والسحق والقيادة وعب المسكرات وتناول سموم الافيون وانتشار الربا وخنق الحقوق وشيوع الرش والتعدى القوى على الضيف الامن طريقه وعلى يده وليس وراء العيان الذى لمسه كافة سكان الارض شاهد على ما قرءنا بعضاً منه وسكتنا عن الباقي تأدباً .

اذن فالدين لم يخص الرجل بمميزات حذفها من المرأة الا لصالحها فقد اوجب الاسلام الجهاد على الرجال المجتمه على الاشد واعفى النساء منه لان القابلية الجسمية والغرائز الروحية فى الرجل تمضغ هذه الوظيفة بقوة الساعد والعضلات والنشاط العصبى وغريزة الجرأة والمقاومة والشجاعة فيه نوعاً واما المرأة فهى فى غالبها لا تملك من هذه الاعدادات لاقليلا ولا كثيراً .

ولم يخص الرجل بالنقر الى طلب العلم الا لانه لامزاحم له على ناموسه فى الاعم الاغلب والمرء مظنة المزاحمات الناموسية فى كل زمان ومكان: واما اللواتى يسافرن حيث اردن اليوم فيجلبهن لا يعرف للناموس معنى ولا للعفة مفهوماً بعد ان اباح وجود المرأة للعاب والمستطرق بلا عقد ولا شرط : واما انه جعل سهم الرجل ضعف الانثى فى الموارث فلان المرأة غالباً تعيش الى جنب من يعول بها من آب او زوج او ولد والرجل فى الاعم هو العائل فمن الحق ان يسمن سهمه ويوفر عليه حقه وهاته المطالب من مسلمات العقول والمناقش فيها هازل لا يؤمن قلبه بما يقول لسانه .

اذن فمحاولة ايقاع التعادل بين الصنفين فى جميع وجوهه كمحاولة ايقاع المساواة فى اللوازم الطبيعية بينهم ما غلط واضح ومن المستحيل ان ينتج القياس الفاسد نتيجة صحيحة لهذا ولذا نجد الحيونة ضاربة اطنا بها على محيط البشرية ونرى كل انسان متفلاً على حده الذى هو له فلم تصبح المرأة ربة بيت ولا اما الطفل ولا عميدة اسرة كما لم يصبح الرجل اباً ولا زوجاً ولا مستشاراً يرجع الى رايه بل جاء الناس اوزاعاً لاناظم لهم ولا يعرفون سوى تأمين الشهوة وافرغها من اى طريق آمن لهم ذلك وهذه ظاهرة العنصر الحاضر الذى كفر بكل شىء حتى بالمحسوسات والوجدانيات :

اما الدين فقد ادب اهله بأداب عادت عليهم بالبركات التي لاتعد ولا تحصى فقد كان الانسان المتدين يخاف من خاطرة الزنا اذا جالت في ذهنه و من خيال اللواط اذا توهمه و من شبح الخطيئة اذا انتصب لفكره فكان الجيل المؤمن راضياً مغتبطاً بما هو فيه وهذا الادب الراقى مستحيل الحصول من طريق التجدد وما يسمى بالثقافة الزمنية .

ان لهيمنة الايمان على النفوس اثرأ قهاراً فى توجيه الانسان المؤمن فى حال انا نرى فاقد الايمان ومهما حصل على شهادات راقية من جوامع الدنيا جلفاً او قريباً منه مستهتراً او مستخفاً لساً او شبيه لص جاهل الحركات قليل الاناة : و لم تجر اقلامنا بفرض فرضناه وانما هى انعكاسات اعطاها الواقع الملموس من نفسه فصورناها على رقعة القرطاس كماهى .

واما ان الاسلام اسند الامامة والقيام بشؤون الناس الى الرجال فلان المرأة تغل عن ذلك بطبيعتها ونحن يكفيننا عن الاطالة بياناً ما نراه عياناً .

واما انه اوجب عليها التصون فلان تعرى المرأة قرين تبدلها وهو بابها الذى يفضى بها الى الانحراف ونحن نحيل بالترجمة عن هذا الموضوع الى ما يعبر عنه الخارج نفسه نعم خفف كل هذه الحركات النابية وازاح العار عنها تعارف الناس فى عصر الحضارات - كما يقال - لها بل اعتقادهم بوجود نيل الوطرن اى باب افضى اليه فلا قبح عندهم فى كل ما يقال له قبيح لافى الاعراض وحدها بل فى كل صفات النفس وعندهم ان كل ما قاله الاخلاقيون ويقوله المثاليون سفسطة تقف امام الميول النفسية لاعن داع معقول فى نظرهم : اذن فهم والانسان على طرفى نقيض فى المبادئ و المفاهيم والقيم المعنوية : هذا من ناحية المنطق العام .

واما القرآن فقد حدد موقف المؤمنين والمؤمنات بقوله (الاية ٣٠ وما بعدها من سورة النور) قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم : وقل للمؤمنات يغضن من ابصارهن و يحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها و ليضربن بخمرهن على جيوبهن - حتى يقول - و لا يضربن بارجلهن

ليعلم ما يخفين من زينتهن: واما السنة فيكفي منها قول الحجة : ان زنى العينين النظر: ولا يستكثر على الاقلام المأجورة من متجددى المسلمين أن يطيحوا بكرامة المرأة المسلمة بعد ان شارطوا الاجانب على الاطاحة بكرامة الاسلام نفسه لكن هلم الخطب فيمن نصب نفسه لتمثيل الاسلام ثم جاء يساند هؤلاء المـأجورين زاعماً ان الاسلام دين انطلاق حتى في هذه الموارد مجتهداً في قبال نص صريح : نعم ان الزمان دار دورته ونال بعيمته حيث أهيت الموازين العلمية بيد اهلها واندر الواعيين وبنثور امسهم الغابر .

واما انه اجاز تعدد الأزواج للزوج الواحد وجعل حق الطلاق بيده فللمقضية بيان وشرائط وليست هي على ارسالها- اما تعدد الأزواج للرجل الواحد فجوازه في الاسلام ممتن على شروط .

(١) ان تكون عند الرجل قدرة مادية يتمكن بهامن القيام بحقوقهن طبق شؤونهن

(٢) ان يعدل بينهما وان خاف ان لا يعدل فواحدة .

(٣) رضاء كل زوجة في حينها بالازدواج منه فالزوجة الثانية ومن بعدها برضاء

منهن اقدمن على الاقتران به واما الاولى فما يمنعها عن الاصاخة بعد ان توضع في حقلها اللازم لها وتستوفي حقوقها كاملة فان المرأة كما اسلفنا ربحانة وحقها على الزوج حق الرياحين على غارسها من السهر على صالحها والقيام بواجبها واما نخوة الاستبداد والاستئثار فلاقيمة لها في سوق المنطق : وكل ما اشكل به المشكلون على جواز التعدد ناشيء عما يرونه من تخلف الكثيرين عن القيام بالوظيفة المحتمة وهذا الاشكال لا يختص بتحقيقاً بهذا الفريق بل يعم اغلب الافراد في نوع شؤونهم الاجتماعية فانه قل أن يوجد قائم بوظيفته فاعل لواجبه مطيع للامر المتعلق به معط للمحق من نفسه بالاتفاوت في هذا الملاك بين الملك والسوقة في جميع شؤون الحياة : اذن فلا اشكال على القانون في حد ذاته ولاعلى مقنن القانون مع تلك المقدمات المأخوذة. اما الدواعى التي تهيب بالرجل ان يتزوج اكثر من واحدة فهو تتصور في امور: الغلطة الجنسية فيه بحيث لا تقوم الواحدة ببلغته : كون زوجته فروكاً لاتحب مباشرة

الرجل : ابتلاؤها بمرض مزمن او نحافة جسم يزعان عن مباشرتها : وما الى ذلك : وهذه الدواعي معقولة عند المتجددين وانما يقبحون بزعمهم التعدد للتنوع بالشهوة الجنسية والتفكه بذلك وما استبحوه ليس بقبيح فان جملة من اللاتي يرضين بالشرك يحاولن من وراء ارضاء النفس تيسر المعيشة المفقودة لديهن فيقدمن على الشرك لذلك كما تقدم الشابة المعوزة على التزوج بكبير السن الذى يقوم بواجبها المادى وهو امر معقول لاحزاة فيه .

اما المتجدد الذى يعنى على المتدينين هذه الخطة فهو ان ضم فى بيته زوجة واحدة فقد اطلق سراح نفسه قبل زواجه وبعده الى فضاء من نيل أوطاره غير مضبوط الحدود ولوان تطرقاته غير المشروعة تحصي عليه لزادت على المئات وهى التى تهيب بزوجته ايضاً ان تطارد الشبان نظير مطاردة زوجها للشواب وهذه الغائلة مفقودة بالمرّة بين المتدينين وقد رتب الاسلام عليها اشد العقوبات .

واصولا ان دعاة التحريم باللون الذى صبغوه به انما حاولوا من وراء نيل ذلك بغيتهم كما يشتهون بلا عقد ولا شرط وما هذه الفواحش الخارجة عن حدود الاحصاء اليوم الا نتيجة هذه الاغواءات يفكك بهن الشباب من طريق المغازلة وادعاء العشق بادئاً فاذا قضوا منهن وطراً سيبوهن الى هذا الاهمال المحزن فهذه الخطط العوجاء عند المتجدد من الثقافة فيما يراه : اما تعدد الأزواج للزوج الواحد بشرطه السالف فمحدور كبير عنده .

واما العلة فى اصل تشريع الطلاق فهى لمرعاة الحوادث التى تقترب بعد الازدواج بحياة الزوجين بما تجبرهما على المفارقة لامحالة ولولا شريعة الطلاق لعاشا معلقين لا المرأة ذات بعل ولا الرجل ذا زوجة وهو اضرار كبير لا يتحمل .

ومن الغلط محاولة جعل الطلاق بيد الزوجة او برضاء الطرفين وبدون ذلك لا يشرع كما يقولون فان عين الاشكال الذى يوردونه على جعل الطلاق بيد الزوج وارد على تصويرهم هذا عند جعلهم الطلاق حقاً بيد الزوجة فكما ان الميول تدفع ذاك الى ان يطلق اعتباراً تدفع هذه الى ذلك ايضاً : واما احراز رضاء الطرفين فى صحته فهو

بالاخير حاصل ذلك لان الزوج اذا اجتوى الزوجة لاي داع يفرض وهكذا اذا اجتوت الزوجة زوجها كان من المستحيل بقاء عقدتهما على ما انعقدت عليه اولافان العواطف اذا لم تتبادل بين الطرفين عز بقاء الالفه بينهما ومتى حدث ذلك انتفت الزوجية اساساً وايجاد العلقه الواقعيه ليس من الامور الاختيارية حتى يفرض عليه بالنقى والاثبات اذن فالطلاق ليس امراً تشريعياً معمولاً بالاقتراض وانما هو منجمل بالذات تبعاً لارتفاع الوثام اولعدم حصوله من اول الامر .

واما انه جعل الطلاق بيد من اخذ بالساق فقد جعل الاله من بيد المرء وهو عقد الزواج فقد جعل البالغة الرشيدة حرة في تزويج نفسها بمن تريد على ان دخالة اوليائها في ذلك لصالحها وتأمين مستقبلها حتى لا يعثب بها الدجالون الذين يدسون السم في العسل مضافاً الى ان سلطان الرجل في الطلاق ليس تاماً له في كافة الصور بل له محدوديات ان تمرد عليها قام الشرع مقامه اما الزواج الذي هو حق المرء وبيدها فليس كذلك .

هذا والطلاق له مراتب في نظر الشرع فالطلاق المقصود به الاضرار بالزوجة حرام ودون ذلك مكروه مبغوض وانه لاشىء ابغض الى الله منه وفي الكتاب والسنة طوائف من الآيات البيّنات والروايات المفصلات قامت بتحليل هذه المواضع التي تكلمنا عنها ولا مجال للإطالة بعد تحقيق اصل الموضوع .

واما دين التجدد فهو في الحقيقة فوضى لا محدودية معها وهانحن بشر القرن العشرين نلمس بكافة حواسنا ما عليه البشرية جمعاء من تهافت وتناقض على رغم تدوين منشور حقوق البشر وادعاء التنور الفائق فما نحن الا بين قوى متمرد وضعيف خانع وفاقد للوسيلة خاضع وختاماً بما ان عالم الروحانية هو الممثل الوحيد لعالم الاسلام وجب علينا ان نذيل الفصل الذي اسلفناه بالفصل الذي تلاحظ تالياً بعنوان : روحانية اليوم وامس وكيف يجب ان تكون غداً : فنقول :

(١) ماهى الروحانية .

(٢) وما هو مورد لزومها في المجتمعات البشرية .

- (٣) بدء نشوعها .
- (٤) ما المقصود بها ومن هم رجالها .
- (٥) مادعوتها وكيف كان الدعاة إليها .
- (٦) مشيهم بأنفسهم آنفاً وحاضراً .
- (٧) مشى الزمان وبنى الانسان معهم سابقاً ولاحقاً .
- (٨) تأثيرهم في الدعوة وآثارهم في المجتمع .
- (٩) الروحانية في الماضي .
- (١٠) الروحانية في الحاضر .
- (١١) كيف يجب ان تكون في المستقبل .

(١ - ماهى الروحانية)

الروحانية كلمة قيلت وتقال على ما هو خارج المادة واشتقاقها من الروح العاقلة فمجالها الذى تتهادى فيه هو عالم العقول والافكار و الضمائر ولا تمت الى المادة السوداء باية صلة .

(٢ - ماهو مورد لزومها فى المجتمعات البشرية)

مورد لزومها فى الحياة العامة هو القيام بضبط الاحياء عموماً بجهد المستطاع ليتصل كل موجود بحقه اللازم له وليرتفع النزاع بين الاحياء على حساب التغالب المادى ولترتاض النفوس العاقلة رياضة تتجاذب اليها المحاسن وتتباعدها الرذائل ليحصل من ذلك اعتدال الحياة فى عالم الاحياء الذى يدور محوراً على الانسان .

(٣ - بدء نشوئها)

نشأت الروحانية العامة على محذب الكرة الارضية منذ نشأ الانسان عليها وكون له مجتمعاً ولم يعهد دور بشرى خلت ازمانه من وجود روحى يقوم بنشرها بين الافراد جهدهم استطاعه وتسلسلت مع الاجيالها بطة مرة وعالية اخرى حسب الملابس الزمنية واما روحانية الملائكة فهى على ما نطقت به الشرائع عريقة الى ما لا يعرف له حد .

(٤ - ما المقصود بها ومن هم رجالها)

المقصود بها حذف فضول الحيوان والكسر من شرته وتقويم بنية هداة الغريزى

و تعزيز جانب العقل وتقوية ما يوحى به الضمير حتى لا تثقل الحياة على الاحياء ولا تستشرى ويلايتها المتعاسة على حساب تنازع البقاء مرة وعلى حساب العنجهيات المحضة مرة اخرى وحتى يعود كل شيء مطابقاً للصورة التي يستطاع تمشيته عليها بما ينفع ولا يضر : واما رجالها فهم الانبياء المعظمون والعلماء العاملون والمثاليون النزيهون وكل من انتجته مدرسة هؤلاء المقدسين .

(٥ - مادعوتها وكيف كان الدعاة اليها)

جماع دعوتها رياضة النفوس على الطريقة المثلى والاخلاق الحسنى حتى يبنى الجميع لسعادة انفسهم مدينتهم الفاضلة ويعيشوا فى كنفها آمنين مطمئنين لا يشكون من اوضاعهم قليلاً ولا كثيراً : وقد أطال الكتاب والسنة القول فى تشقيق هذا العنوان وعلى مضمارهما استن الفقيه والاخلاقى فكتبوا الكتب المبسوطة الحافلة بكل ما يقوم بمعاش الانسان ومعاده على آخر طرز حررته العقول الناضجة والافكار السديدة والضائر المؤمنة وطردت عن ساحتها البدع والاهواء والدسائس والرموز التى خلقها للمجتمع من اراد ان يعيش من طريق الانحراف والدجل والتدليس : وليس بوسعنا فى هذه العجالة أن نسوق حتى النماذج عن وحى الشرائع فان المسلمين قاطبة بل وغيرهم ممن دعاه لبه الى التعرف بالحقائق لا يجهلون ما احتمى به القرآن بين دفتيه من تعاليم لها وزنها فى العلوم التربوية والاجتماعية فضلا عن العقلية الفلسفية فممن سورة ولا آية لم تأخذ حظها البليغ من لغات النظر وطرح الصور الى ما فيه سعادة الفرد والمجتمع : وما اسف به مخربوا الاجتماع من المسائل الماحقة التى نهبت الاعمار وراء الاموال وأطاحت بالقيم المعنوية وراء العناوين المادية فأمر لم يدع اليه علم ناجع ولا نظر صائب بل السر فى الدعوة اليه هو افلات الناس من كل قيد و لاريب ان الافلات عين التوحش ولا يستسيغ عاقل من الناس ان يعود بعد انسانيته وحشاً هاملاً يسرح لا الى مقصد و يندفع لا الى غاية .

وهلم القول فيما صح عن نبي الاسلام واهل بيته الاطياب من حديث وسنة فان الناظر اللبيب لا يجد نفسه بين مجتمع هاتيك الحقائق الا كما يجدها فى احفل روضة

قد ضمت الورد والريحان والنبع الطرى في احضانها فلا ترى العين منها الا كل جميل ولا يستاف الانف منها الا عطر شميم ولا يلمس منها الا كل عطف ولين وعلى مثل هذا :
واما ما يوجد من الاسفاف والخرافات النابية في بعض مدونات الحديث فليس ذلك من الشريعة ولا من شارعها ولا من اهل بيته الذين عرفهم الدهر بكل فضيلة عالية وانما هو تزوير واختلاق دسهما اعداء الحقيقة للاطاحة بها وباهلها وكيف تأتلف الدر مع البعرة والسمين مع الهزيل ام كيف يختلط الحق بالباطل فان ما يقف عليه من جزالة الحديث النبوى الصحيح وفخامة السنة الواردة عن اهل البيت لا يشك معه في تزوير الهنات التى دسها الدجالون في الكتب الحديثية .

ولا ريب ان ما اشرفنا اليه من تيك الصور العالية لو طبقت على الحياة كما هي ملتقطة عن الواقع لرأى الناس الزمان والمكان والانسان بل وحتى الحيوان على غير ما يرونه الان من تبلبل وانحراف وسماجة ولرأوا كل ما يرونه بمرائيه البهية التى يعلق بها كل ناظر اليها ولمشت الحياة بالاحياء مشياً سجعاً لا تعثر فيه : لكن : يا للأسف لم يكن فى الخارج من ذلك شيء وان كان جميعه لمصلحة الجميع فان التحيزات الجنوبية والانتهازات المرهوزة اخذت تتحيز بالفرد تلوا الفرد لنيل رغبة ملعوننة لومشى بها صاحبها على الجادة لحصلها من طريق صحيح ولما اضر بالآخرين غير ان الانسان لم يتح له ان يعرف معنى نفسه وانه وجود ممتاز يستطيع بسهولة ان يحقق له مصيراً غير مصير الحيوانات الهاملة الرامية الى الضلال البعيد : كما يستطيع : ومهما كانت عقيدته فى الخلقة : ان يرى نفسه بالفعل انسانا اى موجوداً لاربط له بخواصه بل بذاتيته وغرائزه بأى موجود سواه لكنه على الاخص لما شككه المشككون فى اصله وهويته راح لا يجد بينه وبين الحيوان الضارى اقل فارق وانه هو الذئب مثلاً فى مسلاخ آخرو اخذت هذه العقيدة تأخذ منه ما خذها القوى فبينما تراه من ترقى مواهبه الصناعية جاء معجزة القرون تراه فى اخلاقه ساقطاً لدرجة مردولاً لأبعد غاية متسفلاً بنفسه لالى نهاية بعيداً عن كل خير قريباً من كل شر وعاد لا يفترق فى هذه الروية الرعناء فليسوف وعامى ومملك وسوقه بل حتى سرت هذه الروح الموبوءة الى جملة

من الانتهازيين وان طلعا بسيماء الروحانيين فأخذوا يساندون كل جلف جاف ومخرب مدمروياً كلون - كما يقولون - الخبز بسعروقتة حتى في العقائد والآراء الفلسفية المتأصلة - فكانوا رداء للظلمة واعواناً للخونقوش كعافي الجريمة على مخلوقات الله.

وهكذا جال الدهر جولته فخلقت الرموز نمرود لابراهيم و فرعون لموسى واليهود لعيسى ووحوش الجاهلية لمحمد و معارفة لعلى و يزيد للحسين و هلم مشياً على حلقات الزمان حتى يومنا الحاضر وللمستقبل صورة تشاطر بمعناها ما سبقها من الصور التي عايناها ولمسناها : تيك هي دعوة الروحانية .

واما ما كان عليه دعائها فقد كانوا طاهرين من كل لوث بريئين من كل عاهة سالمين من كل مرض مخلصين اشد الاخلاص لله ولعباده لم تعلق بهم المطامع و لم تنشب بهم مخالب الرموز قاوموا كل عنف وعنيف حتى غلبوه بالصبر والمقاومة وبارزوا الباطل و المبطلين الى ابعد حد ممكن حتى نجحوا في نهاية المطاف و ابدوا من البسالة ما لا يوجد حتى في المستميتين و بذلك فرضوا انفسهم على الوجود فرضاً لا يستطيع التشكك فيه حتى الملحد الحاد في الحاده : و لقد قص الله في كتابه قصصاً الباعن سيرتهم العالفة وانهم كيف ضحوا بانفسهم في سبيل المصلحة العامة .

و لقد ترصد علماؤنا الاخير المشى على هذه الخطط فكانوا فيها من اشد المثاليين : فقد كان الشيخ مرتضى الانصارى قدس سره على نيله لمقام المرجعية العليا وفيها من القدرة ما شهده كل انسان في مرجع عصره الوحيد من ازهد الناس واورعهم واتقاهم لا يأخذ لنفسه من جزيل المال الملقى بين يديه الا ما يتبلغ به لضرورة رمقه و يصرف الجميع في مصارفة الحق حتى مات عن لاشيء بالضبط : وهكذا كان العلامة المقدس الشيخ محمد حسين الكاظمى فقد كان على جلالة قدره متقشفاً لأبعد حد مواسة لافقر الناس وعلى هذا المنوال درج العلامة المقدس الشيخ محمد طه نجف والحاج آقارضا الهمداني صاحب مصباح الفقيه وغيرهما :

و يعسر علينا تحقيقاً لم هذه الصور البارعة و تحلية هذا السفر بها والحق ان الرياضة التي ارتاض بها هذا الفريق المؤمن من اطول الشقق في الجهاد النفسى

ومغالبة الشهوات وكبت الميول : وقد جاء القرن العشرون : عصر التمدن والمعرفة و التنور فيما يقال عنه : نسخة معكوسة فيها الجرائم الشوهاء والاستئثار البغيض و الاستبداد الشائن والحيونة الساقطة حتى صار حديث اولئك الاماثل فيه من اعاجيب القصص التي تروى .

(٦- مشى الدعاة بانفسهم آنفاً وحاضراً)

اسلفنا ان الروحانية اقترن وجودها بوجود جامعة البشر لليوم لها بقاء ودعاة غيران بين لوني الدعاية و سنخية الدعاة في الغابرو الحاضر فروعاً جمّة كانت سبباً لقوتها أمس ووهنهما اليوم وتلك الفروق هي ان النخبة الصالحة من رجال الدين في امسنا الدابر كانوا على درجة من المفاداة في طريق الحق -

- لا تنقل عما يضحى به الابي الغيور الشجاع في مقابل من يروم عرضه وناموسه وحيثيته وشرفه بسوء فكما أتت هذه المناهضات على الاباة بالمآتى المرة كذلك اتت مناهضات المتدينين على خصوم الدين بمآتى مرة على رجاله وزمرة أبطاله فقد دعانوا لتمسكهم بالحق وانغماسهم فيه مرارة كل شيء .

والذى يستعرض الواقع يرى من هذه الويلات والمآسى الشىء الكثير ومع ذلك فقد هضمه رجال الدين هضماً عن رضاء بقضاء الله وأساعة عن رحابة نفس علماء منهم ان ذاك تحقيق للميثاق الذى أخذ عليهم فى قبيل تحملهم لابعاء هذه الرسائل فما استكانوا ولا وهنوا وكذلك فعل الاحرار قبلهم من انبياء عظام و اوصياء كرام فكانوا لهم اسوة .

اما وقد اُجلب القرن العشرون بخيله وخيالاته وداروينيته وماركسيته وشهواته ورغباته وناهض شأن بقية العصور كل دين و متدين فهناك رأينا باحدنا كيف تدوبت تيك الصباية الباقية من الجيل الماضى فجاء اخلافهم بين من طفر من الميدان ظفرة واحدة القى فيها ببزته وروحيته فجاء عارياً فى ظاهره وباطنه وبين من داهن و دلس فلم يربأساً وهو من دعاة الدين كما يدعى ان ينضوى تحت راية ماركس ويشفع ذلك بصلافة ووقاحة قائلاً ان من الوظيفة المحتممة على كل عاقل فى كل زمان ومكان ان

يأكل الخبز يسعروقتة فهو اسان ينيط مقاييس العلم وموازن الاخلاق والمبادئ الصحيحة والقيم المعنوية بما توزن به اللحوم وتباع به الشحوم وتعتبر به كمية الخبز ويرى ان الالتحاق بحزب الملاحدة على حساب تشويش الوضع لا يمانع البقاء على دين محمد بن عبد الله وان العمل بأراء مار كس لا يناقض النظام الذى شرعه الاسلام و ان الاخلاق الدينية مع الاعتراف بصحتها ولزوم تطبيقها على المجتمع لا تصادم هذا التبذل الخلاعى والاسترسال فى ميادين اللأأبالية وبالآخرة هو يرى ان الجمع بين التقيضين والعمل بكلا الضدين فى عرض واحد امر ممكن و واقع .

الى مثل هذه الخطة الرعناء انجر أمر الدين وعلى هذا المهاد القلق تربع الدجالون من المنتسبين اليه فماترى يكون الوضع بين هذا وذاك ولولا أن فى اطباق هذه الثمالة من رجال الروح بقية صالحة تحدث الوضع بالصبر الجميل لكفر الناس بأسرهم بكل مبدأ ما يرون من شذاذ هذا الفريق من هنات موجعة لا تقبل الهضم .

على ان زافة العصور اخذت تتسرب الى الالحاد افواجا فافواجالا لأنها وجدت فى الزندقة بلاغاً لارواحها بل لانها وجدت المقام على الدين طارداً لها عن الاجتماع والتمتع بمزاياه المطردة : فنحن نعيش اليوم فى دنيا ملأى بالمخازى طويلة الذيل بالجرائم وهذا كله نتيجة تقلص ظل الروح الصحيحة عن دنيا بنى آدم فالناس على الاطلاق من ناحية حيوانيتهم سواسية لافرق بين قديم وجديد ولا فى زمان دون زمان .
(٧- مشى الزمان وبنى الانسان معهم سابقاً ولا حقاً)

الروحانية لما كانت دعوة الى الروح دعوة الى الخلق الفاضل دعوة الى نزع قشور المادة والاتصال بلب المعنى لاجرم كان هواتها على فضلها قليلين بالنسبة الى جفاتها الكثيرين : فمنذ الاول كان اشياع الانبياء فى الاقلية و منازعهم فى طرف اكثرية حتى هيمنت دعوتهم على هؤلاء فخضعوا لها اذ لا بد من الخضوع لجهات حيوية تدعو الى الاستسلام : وفى درس ما لاقاه نوح من قومه وهود من امته وصالح من مجتمعه ولوط من معاصريه وابراهيم من الوسط الذى قام بهدايته وموسى من جيله وعيسى من اهل زمانه ومحمد من الجاهليين كفاية للتدليل على الدعوى التى آنفهاها : وقد

كان الالحداد على تغلغله في طبقات البشر في كل زمان ومكان غير عصى المبارزة على من يريد مبارزته من نبي ووصى وعالم رباني لانه لم يكن متر كزاً الا على استبعدادات عامية لاتقاوم الموازين العلمية : اما الالحداد في عصوره الاخيرة فقد اخذ حظه من التركيز في اعماق القلوب لما اقيم عليه من ادلة وان كانت مبتورة في واقع البرهان الا انها ذات روعة في مظاهرها الفتانة فمشت تغذ في ارواح الناشئين و ساعدتهم عليهما يرونه من انحطاط الوضع العام في كل يوم درجة بما يأتلف مع الزندقة و لا يلتئم مع الايمان فكان هذا الجرى مورد اعتراض لهم بأن الدين ان كان حقاً ومبدء مستنداً الى ما وراء الطبيعة فاين مكان الاعتزاز به والتدرج به من خفض الى عال و اين امدادات الغيب له و كيف ازرى به وبرجاله الخنوع والذلة الى امثال هذه الاعتراضات التي لها وقعها الظاهري .

لهذا ولذا كان مشى الزمان مع دعاة الايمان سابقاً ولاحقاً على طرفي نقيض فقد كان في سابقه يزاحم الدين و يناقض رجاله لالتر كيز الالحداد مكانه بل لنيل الرغبات من طريق اضعافه وتقليل نفوذه اما اليوم فهو يزاحمه و يبارز الدعاة اليه من عدة جهات اساسية :

(١) تر كيز اصل الالحداد باعتباره من النقاط الفلسفية التي يجب تر كيزها لانها حقيقة من حقائق الكون والفلسفة من شأنها ذلك .

(٢) القضاء على الدين والدعاة اليه اطلاقاً لكافة البشر من كل قيد فلا يعود ذوالنهمة من كافة الطبقات محدود التر كاض بنزعاته و اراداته بل يصحر بها طبق ابحاث الزمن آمناً لا يخاف من احد كائناً من كان .

(٣) توسيع مدار المادة واستنزافها من اهلها ولو كانوا عجزة بؤساء من طريق ماخور المومسة و حانة الخمار و رقص الراقصة و غناء المغنية و تمثيل الممثلة الى عشرات من شعب هذه الرذائل في جوهرها المطاردة من طريق الدين و رجاله المباحة في شرع الالحداد اباحة غلت في تبذرها واستشرائها حتى عادت جليلات النساء لا يأنفن من الانتساب الى تيك الاعمال الساقطة : والنقطة النهائية التي فقدتها خصوم

الدين سابقاً ووجدتها أعداؤه لاحقاً هي الوسائل الفتاكة التي لا تحتاج في استخدامها الى جلبة رجال وايدى ابطال كما لا تنحرج عن الابداء والاهلاك ومهما كان طرفها فلا بدع اذا تقلص ظل الدين عن وجه البسيط وقل رجاله و اخذ يتدوب شيئاً فشيئاً و يأنف من الانتساب له الا الطبقة النازلة من الناس او الذين لا وسيلة لهم في الانتباز عنه الى غيره : ذاك وهذا مشى الزمان وبنى الانسان مع الدين و رجاله سابقاً ولاحقاً .

(٨ - تأثيرهم في الدعوة و آثارهم في المجامع)

لومشت البشرية في تمام ادوارها غافلة عن فطرتها بعيدة عن شعورها منتحية عن مداركها في جانب عن معارفها الكامنة فيها وعزلة عن روحها المبنية في شراشر وجودها لما رأيت الدنيا على طول عمرها في يوم من ايام الله حافلة بانسان واحد ولوجدت كل مادب عليها وهب حيواناً ضارياً قد اعد برائته وحدد مخالفه للاطاحة بكل ما يقدر عليه هذا هو الانسان في تجرده عن لباس المعرفة وبعده عن مستوى الاخلاق الفاضلة : فان سمعت او وجدت انساناً عرف المعروف وعمل به وتميز الخلق الفاضل من المرذول فأخذ بالاول وترك الاخر وشخص ان الانسان موجود بحيماله مرتهن بفضله و كماله موزون بحيائه ووفائه وصدقته ورفقه وعدله وفضله و احسانه و امانه وورعه وايمانه وصفائه ونقاؤه ومواساته للضعفاء وحده على البؤساء وتنكبه عن موارد الشرالى مناطق الخير : فماذاك : الا من نتيجة دعوة الرسل وتبليغ احرار المبلغين وعلماء المثاليين ومن ثمراته انتشار المقدسين والبررة الطاهرين بين حدى الماضى والحاضر وفي طول سلاسل الانسان .

واكبر برهان على ذلك ان جيلنا الحاضر على ما احتوى عليه من تمدن وحضارة وتوسع فى الكماليات وابداع فى الظواهر الفتانة لما فقد الخلق الفاضل واعوزه العلم بالمعروف و العمل به اخذ يتسفل الى الوحشية تسفلاً زاد فيه على عهد الانسان الحجري فانك ترى اليوم امهات مدن الحضارة والامم المتحضرة قد ارتكست فى شرور يعجز عن توصيفها اللسان ومديد البيان بيضها تعبت بسودها وغنيها بفقيرها و

قويها بضعفها وحاكمها بمحكومها والتمايز الطبقاتي الفاحش من طريق اللون والعنصر والمقام والجاه والقدرة والنفوذ ضارب بجرانته على حالة بشعة جداً تمتعض منها اقل النفوس دركاً وابطؤها امتعاضاً والتهتك والاستهتار والخلاعة من اجلا مظاهر الانسانية اليوم فلا ترفع طرفك او تضعه الا وتجد الفسق والفجور ملاء الشوارع والمشارع وفي كل مكان حتى اصبح التعفف عاراً على الرجل والمرءة - وبالجملة - لا يرى المتشوف اليوم المستشرف على هذا العالم الاحياء هائجة صاحبة عابسة كثيرة الويلات مستشرية السيآت بعيدة عن الرحمة قريبة من القسوة كابوساً ثقيلاً على الاحياء وهذا كله من نتيجة الانحراف عن مناهج الرسل و طرائق الاخيار الابرار من الروحانيين و ان يوجد في زوايا الخمول حييٌ وفي صديق رفيق محسن مواسي محب للخير مبعض للشرف ما هو الامن بقية السلف الذين انتجت مدارسهم كل بر طاهر ونزيه مؤمن .

(٩- الروحانية في الماضي)

ونعني بالماضي طول الزمان الى اوائل القرن العشرين فالقسمة الاولى كلها فصل واحد والقرن العشرون في فصل مقابل : الروحانية في الماضي كانت تدور على محورين اصولي وفروعى ونريد بالاصولى ما يتكفل بالبحث عن العقائد وان المكلف لا بد وأن تشبع روحه من مقاييسها العامة وهى لا تتجاوز الاعتقاد بوجود ما وراء الطبيعة وانه حى عالم عادل قادر مختار بيده مقدرات الكون وان ارساله للرسل و توظيفه الدعاة الى دينه حق وحاصل وان وراء هذه النشأة نشأة أخرى يجازى فيها المحسن على احسانه والمسيء على اسائه: ونعنى بالفروع ما يتكفل النظام العام للحياة الانسان وغير الانسان ووضع كل شىء فى نصابه اللائق به ويتبع ذلك ادب المعاشرة والمجالسة والبحث عن الفضائل والردائل هذا جماع ما كانت تدور حواليه روحانية امس وهذا المقدار متسالم عليه مقبول للعقول والاعتبارات الصحيحة .

وهذا العلم الصحيح الذى ورثناه عن ماضينا سواء فى الاعتقادات ام فى الفروع جدّ جزيل وبه قوام الحياة الصحيحة وقد سهرت عليه عيون وافكار وانامل لا تؤخذ عليها بادرة دجل وتدليس او جهل و خداع انصافاً وقد ازدهر كل قرن من قرون الزمن الماضى

بفحول أفذاذ كرسوا حياتهم لخدمة المجتمع جهداً المستطاع ولم يألوا في تنميته وترقيه حتى آل الأمر بكثير منهم ان يبارز الطغيان مبارزة عنيفة و من طريق هذه المبارزات استطاع الدين ان يحتفظ برمقه من قضاء فراغته الدهر عليه.

نعم نحن نوجه من اللوم على مدرسة الماضي ما يعود على تشكيلات دروسه و محاضراته وطريقة التدريس فيه بما اصبح التفهم لواحد من فنونه المطروقة عسراً جداً مع استلزامه لعمر مديد وهذا المعنى هو الذي ار كس معارف اليهود الماضية في قبال خطط المستحدثين واخذ يزويها عن الوجود شيئاً فشيئاً حتى يؤل الامر بها الى الذوبان مرة واحدة : لكنه في الواقع ان يقض فانما يقضى على القشور اللغزية واما بدائع الاراء ومنتجات الافكار فهي لاتزال موضع تقديس و اكبار لما فيها من دقائق عالية وحقائق ناصعة : ونظرة عميقة في علوم الفقه والاصول والفلسفة والكلام والحديث والرجال والبلاغة والنحو والصرف و اللغة تكفي للاستدلال على ما قلناه و كل هذا من تراث القديم والجديد فيه متطفل محض انما يعيش على فتات مائدته فحسب .

(١٠ - الروحانية في الحاضر)

مع ان العصر الجديد لم يدون لنفسه سوى ما بذل له من عنايته الخاصة كثير أمن التنقيب والتمحيص كعلوم الفيزياء والكيمياء والهيئة والهندسة والحساب والطبيعات والجغرافيا ونقد التاريخ ولم يكن له في علوم اللغة والبلاغة والفقه والاصول والفلسفة والكلام والحديث والرجال والتفسير وما الى ذلك الا الاخذ من الماضي غير انه فيما دون رتب وهذب ووضح وصرح وجاء بصور تقبل عليها النفوس لانسلا كما مع الطبيعة وخفتها على الروح ومن هنا سميت كتبه كتباً كلاسيكية واقبل الجمهور عليها كمكتفين بها على انها لاتقوم بالكفاية الا فيما تخصصت له وبقى الجانب الآخر الذي لم يتخصصوا له على حاله من الصورة القديمة في الاطالة و الغموض و التشويش الذي لا يقف معه الطالب على محصل الابدع معاناة شديدة تنبوعها النفس ويكل عنها الذهن .

ولم تتأثر بقية السلف من الروحيين بمثل هذا التجديد الصحيح فتهذب كتبها و تنتفع بحوثها وتبوب مطالبتها و توضح مقاصدها و تحدد لكم وكيف دراستها حدوداً

منطقية كما حدد المتجددون ادوار دراستهم بالادوار الابتدائية والثانوية والجامعية و اعطوا لكل دور برامج خاصة وشهادات تتفق مع ميزانية التحصيل فيه فكان المحصل قبل وروده في اصل الدراسة يعرف الادوار التي يريدان يطويها والمالك الذي يريد ان يحصله في نهاية كل دور كما يعرف الغاية التي يتوخاها لكل نوع من انواع التخصص اما الدراسة الروحية فانك تجدها اليوم كما كانت قبل اربعة عشر قرناً عند ما كان الحسن البصرى او ابن سيرين يستند الى سارية من سوارى المسجد ويلقى على حاضريه كل ما سنع بهاله وفوق كل هذا ان حياة المحصل الدينى اليوم كلها تسبب واهمال فلا بدع اذا جاء عاراً على نفسه يتخطفه العابرون والمستطرقون بل والطارقون والاسقاط من الناس من كل جانب ومكان .

واللطيف انه مع هذا وذاك نراه ماضياً على طريقته الاولى غير مكترث به - هذه الحوادث الجارحة ولا معتد بنفسه ولا بالغاية التي يرمى اليها حاسباً ان هذه الادوار من فلتات الزمان وانه سيعود بعد لى الى الوضع الذى كان يسيطر عليه الحسن البصرى وابن سيرين فحقاً اذا قيل ان الجنون فنون : لكن السير الطبيعى الحثيث على ما فيه من غثائفة آخذ بالتقدم طال وهؤلاء المستضعفين طى السجل للمكتب ولا ريب ان خطتهم هذه اذا بقيت على ما هي عليه ستكون هامة اليوم او غد وسوف تفوز عليها حتى البدع و الضلالات والمذاهب الساقطة كانهم لا يدرون عفا الله عنهم ان الاحاد ضرب ضربته القاضية وان الانتهاز تحين بهم الفرص حتى اوردهم الى هذه الموارد الوبيلة وان ابنائهم اصبحوا من اعدائهم فكيف بالاجانب والايثار .

(١١ - كيف يجب ان تكون في المستقبل)

نحن في هذا الفصل مصورون فقط لاننا على رجاء اكيد من تغير الحال و تحسن الوضع وأن ابناء الروح سيلتفتون الى مستقبلهم كالتفات كل حى حساس اخفق في مساعى ماضيه فهو يعد العدة لادامة حياته بالتشبث بكل ما يوجب بقاءه ويضمن له مستقبله : والتصوير الذى نحاوله ينحل الى مواجئنا لثلاث طوائف بما يلزم كل طائفة منها .

(١ - رعييل الناس والسواد الاعظم) وهؤلاء يجب ان يعلموا كما وجب على

غيرهم في ماضيه أن يعلم ان حياة البشر منذ انتشروا على محذب الكرة حياة مضطربة لان الاحياء منهم في كل دور لم يحاولوا ان يعيشوا على ضوء المنطق حتى تطرد الحياة امامهم محفوفة بالهناء والراحة بل حاولوا وراء تامين الحياة ان يجمعوا بين اضدادها ومتناقضاتها: حاولوا البقاء لانه منية كل حي وحاولوا معه مغالبة الاحياء على أعمارهم ونفائسهم ونواميسهم بالترأس عليهم والسير معهم بكل سير يوحى به الهوى النفسى ولو كان جنوناً والغرض الشخصى ولو كان جهلاً ولا ريب ان هاتين المحاولتين ومحاولته لتحقيق ضدّين متعاندين في عرض واحد ونقيضين يستحيل عليهما ان يجتمعا في عرصة الوجود ابدأ ولهذا رأى الاحياء دنياهم مائجة ها ئيجة لابقاء فيها ولاراحة : ولاجل الوقوف امام هذا التيار المزعج بعثت الروحانية من مرقدتها لتحدد موقف الجميع لسعادة الجميع ولهذا السرزهدت الانغماس في الدنيا المادية صوتاً للاحياء عن التلذذ اذا التلذذ والانغماس فيها مقرونان في قرن فعينت الوظائف لكافة الناس من دون ان تستثنى منهم احداً ووحدت القانون لمصلحة الجميع كما وحدت الجميع امام القانون ولم تعرف العظمة في الجاه والمال والنفوذ المادى حتى لا تفتح للشرا بواباً او صدها العقل وسدها المنطق في وجوه الناس بل عرفتها في البر والاحسان والعدل والايمان ومزاولة الفضائل ومجانبة الرذائل ولقد اصحح القرآن في كثير من آيه وسوره عن هذه النزعة اصحاحاً ما عليه مزيد وعرف الناس بانهم عبيد الله بالخلقة وانهم في عرض ذلك احرار في انفسهم تجاه اى احد يفرض وانه لاسبيل لاحد على احد الا بالحق وعلى هذا الاساس حرمت الظلم ولعننت لظالم ومنعت من الركون اليه والتعاون معه لان الظلم رأس كل فساد ولان الظالم لاجل تركيز نفسه وتمهيد الطريق لظلمه لا يبالي من ارتكاب اية سيئة تفرض ذلك لان الظلم توأم مع الكذب والنفاق والارشاء والارتشاء وسحق المقدسات والقضاء على جامعة الفضائل والافاضل وهو ابوالدسائس والرموز واعدى اعداء الحق والحقيقة .

فمن هنا كان لزاماً على كل انسان يحب ان يعيش بهناء غير حامل لوزر او مشترك في جريمة ان لا ياتمن ظالم على اقل شيء من اشياء الحياة ولا يصدقه اذا حدثه بحديث

ولايركن الى وعوده اذا وعده .

(٢ - طائفة المراجع الدينيين)

وهؤلاء من وظيفتهم ان يصمدوا للحق صموداً يكون جزاء للعظمة التي ينوشونها من طريقه وباسمه وان لا يكون همهم توسيع نطاق رياستهم الا لمصلحة العموم و معنى صمودهم للحق تحريمهم لكل مظنة يتقدم بها الدين والمتدينون فلا يفتحوا أبواب مدارسهم في وجه من لا يعرفونه وان لا يكتفوا من الطالب بصرف الانتساب الى مدرستهم بل تجب محاسبته على كافة اوضاعه ومراقبته في حر كاته وسكناته .

وبالاحرى يجب ان تكون حاشية الزعيم الروحي من الطبقة المثلى المأمونين فلا يخلد الزعيم الى لصوص المادة القابعين بشباب التملق والخنوع للقطع بان هؤلاء يتاجرون بخضوعهم واستخذائهم و يموهون بتصاغرهم وانقيادهم ولا يصدون لسوى جعل الزعيم الحافين بهقنطرة لتنفيذ ميولهم كما حصل ذلك في جملة من رؤساء الدين الذين شخصوا وتسنموا عرش الرياسة العظمى : ويجب على الزعيم ايضاً ان يواكب الزمن بالاعداد اللائق و السلاح النافع فيعدل التعديلات المهمة في كتب الدراسة وطريقة التدريس ولون الدروس وحذف واطافة ما يلزم حذفه واطافته في البرنامج الدراسي كما يجب تحديد ادوار الدراسة واعطاء الشهادات على حسب الكفاآت وتعيين مصير كل طالب منتهى وبذل الوجوه الشرعية في مصارفها الحققة حتى يخرج معطى الحق وموزعه وآخذه من مسؤولية الله .

(٣ - طائفة المحصلين)

ان الشبيبة التي تتوارد على الحوزات العلمية الدينية في اربان صفائها وسلامتها من دخائل النفوس من اطهر ما خلق الله نفساً وعاطفة و قدسية ضمير و من هذا المنشأ نراها تجمع قواها للقيام بالوظيفة فلا يصلى الطالب صلاته الاجماعية ويكثر من تلاوة القرآن والاذكار الماثورة وينتجع حوزة الدرس اينما تكون ويشمر للمتحصيل جهد مستطاعه وهكذا يمشى ويمضى تواءً غير مبال بالفقر و الاعواز ولا يعير طرفه للشهوة و اية كانت : لكن تعثر طريقه في الدراسة وارتباك وضعه في السير الدراسي و الهنات التي تتواكب

امام عينيه الواحدة تلوا الاخرى مما يقلل من حماسه ويضعف من نشاطه حتى اذا توسط ميدان عمره وحياته وتلبس بالحياة العائلية ورأى الانهيار والتشويش والاضطراب في كل شأنه دب اليه السأم والملل واعتزكت به خواطر جمّة تتضارب به نحو اليمين مرة والشمال اخرى : اذن يا طالب العلم الدينى من مصلحتك قبل كل شىء ان تتعرف بمصيرك قبل حلولة فأما ان ترى نفسك خاضعة للحق ولومزقت حياتها فى سبيله كل ممزق فمن اللازم عليك حينئذ استمراك فى المسير الى منتهى غايتك و آية كانت نهايتك فى علم الله واما ان تنصرف قبل كل شىء الى ما تراه ضامناً لسعادتك من المشاغل التى تقوم بواجب معيشتك .

ونختم هذا الفصل بالمقارنة الاجمالية بين دين الاسلام وسائر الاديان فنقول :
الاديان السماوية كلها دين الله منذ ابثعث الله اول نبي من انبيائه الى ان ختمهم بنبي الاسلام والمبدأ الاعلى سبحانه فى تشريعه لاي دين منها لم يكن متحيزاً الى طرف دون آخر حتى يكون نسخ الاول بالثانى من ناحيته كاشفاً عن عدم عنايته بالمنسوخ منهما : غايته ان مراعاة قابليات الاجيال والاقترانات المختلفة باهل كل زمان والمصالح الوقتية لتسيير المجامع كانت منظورة لديه فانه تعالى وان كان قادراً على تحوير كل شىء بالارادة الحاسمة الان فى ذلك خروجاً عن مدار سير الاسباب والمسببات وعن مشى الطبيعة بموايدها باللون الذى تقرؤه قريباً ولولم يكن لهذا السير اثر عنده لعجن فى طينة كل انسان روح الايمان بالمبادئ الفاضلة ومنع حتى الحيوان عن التجاوز والتعدى فلا يعوذي يرى الانسان دنياه الا كما يرى الروضة الحافلة بشتى الرياحين و الورود من دون ان يعترىها أفرول او ذبول ولكنه شاء ان يبسط الطبيعة كماهى وان يتبارى فيها الافراد على حساب الحقيقة الملموسة لعقولهم لاعلى حساب الميول النفسية القائمة بأوامهم ولذلك جعل الديناميدان نضال وكفاح بين الميول النفسية والعقول وارتهن السعادة بالعقول والشقاء بالميول وأصحر عن ذلك بتكرار واستمرار على لسان انبيائه وممثليه بين خلقه فكانت سعة دائرة النبوة وضيقها بحسب المحيط والزمان والبيئة الدراجة حين تشريع الشريعة وارسال الرسول : قرب زمان بمقتضى اقتراناته يدعو

الى اختصار الدعوة ولمها في برامج محدودة وزمان آخر لاتسع عقول أهلهم ومساعدة
الوضع فيه يقضى بلزوم التوسع في التشريع وتفصيله .
وما عر بناعنه سنة كونية جارية في تشكيل الدول وسن القوانين وعالم الدراسة
والتبليغ وما الى ذلك : والنبوات في فرضها على الجوامع لاتعد هذا المقياس فلا بدع
اذا كانت نبوة نوح بلون غير ما كانت عليه نبوة هود وما كان عليه هود غير ما كان عليه
صالح وبمثل هذه المقارنة يقال في نبوة ابراهيم وموسى وعيسى وما بينهم من سلاسل انبياء
مؤسسين : وقد أصحح القرآن بجملة مما كان عليه الامم من الرذائل في عهد كل امة
ونبيها فمرى القرآن عندما يذكر لوطا ير كز دعوته في الغالب على التنزه من فعل
اللواط وتفنيد قومه على ارتكابهم لهذه الرذيلة الشنعاء ويلوح لنا من ذلك انها من ابرز
الظواهر المرذولة التي كانت بينهم : ونراه عند ما يذكر شعيباً ير كز دعوته في الغالب
ايضاً على النهي عن تطفيف المكاييل والموازين حتى كأن هذا الخلق الفاسد كان شارة لهم
يعرفون بها بين الامم والاقوام الى غير ذلك مما يقف عليه فاحص آيات الذكر الحكيم
في هذا الشأن .

ثم ليعلم ان الله الذي صنع الطبيعة لم ينزل بسطانه عليها لاقهومة والامباشرة في
التاثير المستمر ذلك ان انرى بالعيان المكشوف لنا ان عوالم الاحياء وبخاصة فصيلة
الانسان منها لم تتمش في مواليدها على سنن طبيعية ونظم كونية خاصة فهذا الانسان الذي
نلاحظ كافة مجاريه بحواسنا لانراه في توليد امثاله الاعداداً خالصاً ونرى كافة مواليده
كلا بهوية خاصة فلا الشكل متحد أو لا التخطيط الهندسي متماثلاً ولا الغرائز والادراكات
فذة بل ولا الاجهزة متوازبة فيولد من الابيضين الاسمر ومن الطويلين المتناهي في القصر
ومن الوسيمين الدميم ومن الولودين العقيم ومن الشجاعين الجبان ومن المؤمنين الغريق
في العصيان ولا نطيل عليك بسر هذه الامثال بعد ان برهن العيان جلياً على انشعاب كافة
المواليد حيث لا ترى انساناً وآخر متشابهين في كل شيء : كما ان العلوم الطبيعية
اثبتت ذلك بالفحص الدقيق واصحرت على ان من معجزات الخلقة عدم توارد اثنين من
كافة البشر في خطوط الاصابع ولذلك اعتبرت دوائر الكشف ان اثر الاصبع لا يعادله

شئ في تعيين الشخص المراد تشخيصه : وهكذا اصحرت العلوم الطبيعية بانه لا توجد ورقتان من غصن واحد متماثلتين في الخطوط الهندسية ونظائر هذا وذلك في الانسان والحيوان والنبات ما لا تحصى .

فلو كانت هذه الانتاجات طبيعية محضة ولا دخالة لقوة وراء ذلك فيها لاستحال ان ينتج تأثيرها هذه الانشعاعات غير القابلة للجمع واللمم اذن فالطبيعة لانظام لها في انتاجها و يستحيل ان تأتي هذه الكثرات المتفاوتة لا عن علل قامت بتوجيهها هذا التوجيه الذي نلمسه حيث لا يلتقي فيه فرد بفرد آخر الا في ظواهر عامة لا قيمة لها امام الانشعاعات المستشرية في الطرفين من صورية وجوهرية و لا علة بعد الطبيعة الا ما وراء الطبيعة : فهذا نوع من الدخالة المستقيمة لعلل في الطبائع .

ثم اننا نرى لجملة من حصص الطبيعة نظاماً سيالاً واثراً مستمراً نظير حصول الارتواء عقيب شرب الماء والشبع بعد تناول الغذاء ثم نرى لما وراء الطبيعة لداعي الاعجاز احياناً تعقيماً لهذه المؤثرات مرة كجعل النار برداً على ابراهيم خليل الله و احالة لهويتها مرة اخرى كاستحالة ماء النيل دفعة دهاً بحقيقة الدم في فم القبطي مع بقاءه على رسله ماء في فم الاسرائيلي .

ولله تعالى دخالة في التكاليفيات ايضا وذلك امداده للعبد باللطف الخفي في طريق عبوديته لان اهمال العبد منه الى نفسه حتى مع تقرير برامج لحياته و نظم خاصة لحر كاته وسكناته يطيقه في معثور المشكلات الكونية امام امداده باللطف بما يسد عنه جملة من ابواب المفساد فانه يعود في راحة من كثير من الموهنات و مثل هذا اللطف لا الجاء معه اولا و وارد في نص القرآن ثانياً : انهم فتيمة آمنوا بربهم و زدنا هم هدى : الاية ١٣ من سورة الكهف : و نظيره في العرفيات انشمار الانسان باهله و اولاده من سكنى المدن التي تكثرفيها المغريات الى الاماكن المصونة منها سداً لابواب الفساد في وجه من يعز عليه للعلم بان النصيحة والارشاد لا يؤتيان نتائجهما المرادة في محيط فاسد تواجهه الحواس منه ما يوجب الانحراف والفساد بخلاف المحيط الآمن فان النصيحة فيه لا تواجهه معاكساً ولا صارفاً .

وقد وردت الرواية ان سائلا سأل ابا الحسن الرضا في مجلس المأمون فقال يا ابا الحسن الخلق مجبورون قال ان الله اعدل من ان يجبر ثم يعذب قال فمطلقون قال الله تعالى احكم من ان يهمل عبده ويكله الى نفسه : كما انه تعالى يطبع على قلوب المتمردين المغرقيين في المعصية المتجافين عنه البعيدين كل البعد منه حتى بعد الانذار والاطار وقد وردت في ذلك عدة نصوص قرآنية منها (الاية ١٠٠ من سورة الاعراف) تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين : و العقل يؤبد هذا المنطق تمام التأيد فان اولياء النعم من العقلاء مهما بلغت بهم الشفقة والعاطفة اذا وقفوا على تمرد من ينعمون عليه و اغراقه في المعصية و انحرافه باستمرار عن الطاعة التي هي بمصلحته ومعيار ادبه و نظام حر كاته و سكناته و اعلانه بالخلاف و المعاندة نراهم لاتجيز لهم عقولهم و وجداناتهم مسائرة مثل هذا المنحرف بالمعروف بل يجدون من اللازم تأديبه و مطاردته حتى لايسرى داؤه الى غيره و حتى يصل الى جزائه من كفران النعمة و المجاهرة بالمعصية .

وليعلم ان كل مشرع احاط علمه بالمصالح و المفاسد الواقعية و كان في تمام الاستغناء من كل جهة عن كافة الخلق و كان في أعلام مراتب الحكمة حيث يضع الهناء مواضع الثقب يستحيل عليه ان يغش او يدلس او يشرع غير الواقع الصريح و الحقائق الراهنة الا ان يرى من المصلحة المؤقتة تشريع ما هو بدل الواقع لامد محدود او تشريع اعتبارات عقلائية و ان لم تكن من سنخ الحقائق الراهنة لان الاجتماع بعقلياته السائرة يحترمها و لامزاحمة فيها لحق ثابت او واقع رهن و ذلك نظير ما ورد في الشريعة في تشاح ائمة الجماعة من تقديم الاقرأ فالافقه فالاقدم هجرة فالاسن فالاصبح و جهأفي حال ان صباحة الوجه و ان كانت في نفسها كما لا الا انها لاتستطيع ان تكسب صاحبها فضيلة واقعية يحمد من أجلها و يمدح عليها لانها ليست من الامور الكسبية غير ان النفوس البشرية تندفع لاحترام صبيح الوجه و لاتكون بهذه الحالة في مقابل غيره و الشارع لم يخالف الناس في امثال هذه الموارد لعدم الاجفاف في تقريرها بحق احد

من اهل الفضائل الكسبية ولذلك قدم الاقرأ فالافقه فالاقدم هجرة فالاسن لما فى السن من البعد عن الهوى النفسى والقرب من التقوى.

ثم ان الحقيقة لاقديم فيها ولاجديد والخلق الفاضل كالرذيلة المنقورة لايفترق فيهما زمان وزمان والعقول السليمة متناصرة منذ خلقها الله على تحسين الحسن وتقبيح القبيح اذن فالحقائق الراهنة لاتنسخ ولما كانت الاديان السماوية والشرائع الالهية قائمة على الواقع الصريح ناهضة بأعباء الحقيقة لانها من الله والى عباده و الله سبحانه اجل من ان يغش او يدلس او يفاوت فى دعوة الافراد الى الحق الذى هو جادته وسبيله لم يعقل فيها ان تنسخ شريعته شريعة وان تكذب الدعوة الثانية منها الدعوة الاولى : نعم لما جرى فى ناموس العقل جواز اتخاذ خطط وقتية لرفع حاجة وقتية حتى يتسع المجال لرسم خطة واسعة واقعية قد علمت هويتها له غير ان الظروف لم تساعد على فرضها الا فى ظرف خاص جاز تشريع حكم خاص قائم بمصلحة وقتية تناسب الظرف الذى شرعت فيه وترفع الحاجة المرادة وتسد الفجوة الشاغرة حتى اذا تمهدت المقدمات اللازمة كشط هذا اللون المؤقت لتثبيت صبغ دائم ونظيره فى الماديات اقامة الجسور المؤقتة لرفع الضرورة الفعلية ثم تبديلها بجسور حصينة ثابتة للاستفادة الدائمة : اذن فالنسخ فى مادته صحيح ولا يستدل منه على ان النسخ لتبدل جهله بالعلم نسخ ما شرعه اولا بماقننه ثانياً بل القانون المتأصل ثابت فى علمه من الاول ولكن منع عن تشريع وتطبيقه ظرف غير مساعد .

فما يراه المكلف من تطوير و تغيير فى الشرائع بعضها بالنسبة الى بعض وفى الشريعة الواحدة فى زمان بالنسبة الى زمان آخر هو من هذا القبيل الذى تحدثنا عنه : وبما انه ليس لدينا معلومات صادقة عن الاديان السابقة لم يكن لنا طريق للموازنة بين بعض منها وبعض وبين دين الاسلام والكتب المنسوبة الى السماء الموجودة اليوم لايجوز التعويل عليها لكثرة الغث الموجود فيها المقطوع بعدم صدوره عن الله خصوصاً فى نسبتها الى الانبياء النسب المفتوحة والا كاذب المشوهة :

ولما كانت شريعة الاسلام ببركة القرآن والسنن المتواترة القطعية الصدور

والسير المتسالم عليها حاوية لكل ما يعزز جانب الانسان في نشأته قائمة بجميع ما يتصل به مادة ومعنى في اصولها العقائدية ووظائفها الفرعية واخلاقها الاجتماعية كما يستطيع أن يتعرف على ذلك من نصب نفسه لفحص آيات الذكر الحكيم والسنن المأثورة عن النبي الكريم واهل بيته عدل الكتاب وخلفاء الرسول المنزلين بمنزلة سفينة نوح وهكذا الكتب الفقهية المقتبسة من ذلك و الجوامع الاخلاقية المركزة على اقوال وافعال اولئك الصفاة والقواعد العامة الثرية بموازينها العادلة الصادرة عن زمرة التشريع السماوى - لاجرم - كانت كافية لتسيير جماع البشرية على انطلاقها مع الزمان لكن مع المحافظة على وزنها العقلى وسيرها العلمى .

واما قول من يقول كان الزمان يمضغ حجاب المرعة والتجافى عن اللهو واللعب والترفع عن مزاولة الفجور والخمور فكانت شريعة الاسلام فيه ضربة لازب : اما اليوم حيث تحرر سكان الكرة من كل قيد فلا مجال للشريعة المزبورة : ماذا تفعل البشرية في قبال تموجات الراديو و اشاعات شاشة التلفزيون والكمان والكمنجة وافلام السينما آت وما هو موقفها امام هذا الجمال البارع المطرز بانواع الملابس الغرارة والاصايغ الفاتنة : فهو اسفاف : ساقط لا يوزن من المنطق بشيء فان النفوس الحيوانية منذ كانت والى ان تتلاشى واجدة لهذه الارواح المغتلمة بالافرق فيها بين قديم وجديد : وما قامت الشرائع السماوية ولا انتدب المثاليون لتمويج اصواتهم فى دنيا بنى آدم مبشرين و منذرين الالوقوف امام الجهل العارم والانحراف المشوه والاستهتار المستهجن : وما ثورة العصر الحاضر على المثل المقدسة بهدع بين الاجيال فكلم لعبت البشرية ادواراً فى هذه المراكز القدرة وعبت من المفاصد ما تفسخت له اعضاؤها واستردلت اخلاقها .
واما موقف الجيل الحاضر امام الراديو و التلفزيون والسينما فكموقفه امام درهمه حيث يستطيع وضعه فى شراء سم قاتل او شراب نافع فكما تمثل الشاشات والافلام رقص الراقصة العارية تمثل الرواية الاخلاقية الشريفة التى تضمن سعادة المجتمع بتربية اولاده على التربية الصحيحة القائمة على الايمان بالمبادئ الفاضلة : اذن فلا منطلق للمجدد غايته انهم يستدلون بانتشار الفحشاء على ان لامفهوم للعفة وبكثرة الاراجيف

على ان لا وزن للمقاييس العلمية وبشروع التهتك على ان لا ميدان للوقار والامتانة وبخروج الظلم والتعدى عن مدارهما القابل للهضم والتحمل على ان لا مجال للعدالة والانصاف وهلم دواليك واستدلّاهم هداماً يزيد في ظهور جهلهم والجهل ذو مراتب : ومن مراتبه ان انرى في دنيا البشرية اليوم عقولا وافية وحواس قوية قد استخدمها اهلها في مجالين لم يقصد بأحدهما الاذك البشرية وقتل الانسانية وبالآخر الاستطلاع على ما هو زهيد في قبال امر خطير .

اما الذى قصد به ذلك البشرية وقتل الانسانية فهو الاستمرار فى اختراع الاسلحة الفتاكة والمواد المخربة والآلات الهدامة وتغالب الدول وعقلاء اممها على الاكثار من ذلك والتنوع فيه وهذا مما يدل على سقوط البشرية روحاً وارتكاسها عقلاً و تنزل ضامئها الى اخص ما عليه الحيوان الضارى الذى لا يعرف عنه غير الافساد : واما الآخر الذى قصد به الاستطلاع على ما هو زهيد فى قبال امر خطير فهو تخصص اساتذة لهم وزنهم فى التبحر والتفكير لصد الكواكب والنجوم والكرات الاخرى حيث لا طائل وراء ذلك للحياة البشرية فى قبال هذه الجهود المبذولة فى هذا السبيل : وليس هذا العلم بهذا التوسع وهكذا غيره من العلوم التى أفنيت على حسابها أعمار و اتلفت اوقات و صرفت اموال غزار مما يتصل مباشرة بحياة الانسان بل هو دائماً على الهامش منها كما هو مشهود محسوس .

اذ لا يستريب عقل بشرى ان الحياة البشرية العامة قائمة على دعامين الدعامة الاولى تأمين الحياة المادية عن الانهيار والتلف والدعامة الثانية حفظ حقوق الانسان واستقلاله بخاصة شأنه ولا تقوم الدعامة الاولى الا بتقويم الثانية لها اذ مع انهيار الوضع الحقوقى تنهار الحياة المادية قطعاً لفقدان المؤمن و كلمتاها تين المرحتين لا تقومان بعلم النجوم ولا بعلم الحساب ولا بأمثالهما وان تكن اليهما حاجة فبنمط قليل او متوسط : نعم لا تقومان الا بالشرائع الصحيحة القائمة على تحديد حر كات الانسان فى كل المجالى المقربة لهم من الخير المطلق والسعادة العامة والمبعدة له عن كل شر و بوس وشقاء الباذلة كل عناياتها فى فرض المثل الراقية بين الافراد والمطبقة لذلك عملاً كل التطبيق .

فلوان تيك العقول الجبارة التي تصامدت في صنعة الآليات المدمرة و الاخرى المغربية و قفت صفاً واحداً لهداية الانسان من الضلال الى الكمال و هكذا تيك الافكار الضخمة التي صرفت قواها في رصد العوالم العلمية اوالمطالب القليلة النفع في الحياة البشرية من مسائل حس-ابية وهندسية وفيزيائية وكيميائية وما الى ذلك لوصفت الشطر الوافر من جهودها العظيمة في مصالح الانسان الاخلاقية والتربوية لرأيت جامعة الافراد اليوم بصورة اخرى غير ما تطفح لعينيك ولوجدت الصدق والرفق والحياء والوفاء والايمان والاحسان والانصاف والعفاف والمواساة والمساواة وغير ذلك من الاخلاق الشريفة التي بها قوام الحياة البشرية الفاضلة ضاربة اطناها على ساحة الكون حيث ترى كل شيء في نصابه و كل انسان راضياً بنصيبه .

وما هذه الدنيا الزاخرة اليوم بويلاتها الطافحة بسيئاتها البعيدة عن العقل والفضل القربية من الوحشية والجهل الانتيجة انصراف عقلائها عن تربيتها : وما عبرنا عنه نسخة طبق الاصل لما يراه كل انسان عاقل من نفسه التي بين جنبيه ومن محيطه الذي يدرج عليه : وان يكن لهذا التصوير الذي صورناه محقق في الخارج فهو الاسلام الذي استكمل كل مؤهلات التقدم بمعتقديه لو اطاعوه ومشوا على ضوءه ولكن من سوء الحظ انهم لم يرابطوا موقفهم منه ولذلك خارت بهم الحياة .

هذا ولنقض فيما جاء عن امير المؤمنين عليه السلام في تعريفه للاسلام وثنائه على نبيه صلى الله عليه وآله وتجليله لكتابه : قال عليه السلام من خطبة له (ج ٢ ص ٥٦٥ من النهج الحديدي) ثم ان هذا الاسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه ، واصطنعه على عينه ، واصفاه خيرة خلقه واقام دعائه على محبته ، اذل الاديان بعزته ، ووضع الملل برفعه ، واهان اعدائه بكرامته ، وخذل مجاديه بنصره ، وهدم اركان الضلالة بركنه ، وسقى من عطش من حياضه ، وأتاق الحياض بمواتحه ، ثم جعله لانقسام لعروته ، ولا فك لحلقته ، ولا انهدام لاساسه ، ولا زوال لدعائه ، ولا انقلاع لشجرته ، ولا انقطاع لمدته ، ولا عفاء لشرائعه ولا جذب لفروعه ، ولا ضنك لطرقة ، ولا وعوثة لسهولته ، ولا سواد لوضوحه ، ولا عوج لانتصابه ، ولا عصل في عوده ، ولا وعث لفجعه ، ولا انطفاء لمصايحه ، ولا مرارة

لحلاوته : فهو دعائم اساخ في الحق أسناخها ، و ثبتت لها أساسها ، و ينابيع غزرت عيونها ، ومصاييح شبت نيرانها ، و منار اقتدى بهاسفأرها ، و اعلام قصد بها فجاجها ، و مناهل روى بها و رادها ، جعل الله فيه منتهى رضوانه ، و ذروة دعائمه ، و سنام طاعته ، فهو عند الله وثيق الاركان رفيع البنيان منير البرهان مضيء النيران عزيز السلطان مشرف المنار معوذ المثار فشر فوه و اتبعوه و أدوا اليه حقه و وضعوه مواضعه .

ثم ان هذا الاسلام ، اشار عليه السلام بهذا الى النظام الدينى الذى كان مخيماً فى عهده على اهم ارباع الكرة و على اكثر اهلها و الاسلام مصدر اسلم يسلم و وجهه و نفسه اذا فوض بهما و التفويض هنا للعقيدة الخاصة التى و ظف الله بتر كيزها و نشرها بين عباده نبينه محمد بن عبد الله ، دين الله ، فى هذه الاضافة نوع خصوصية لدين الاسلام فى انتسابه الى الله من بين سائر الاديان ذلك لان الاديان السماوية و ان كان كل منها فى وقته ديناً خالصاً لله لاشوب لاحد فيه لكن موقفها من الاجتماع تحدد ب مجرد أن صدع الشارع الاسلامى بدينه فلم يبق لها استمرار معه هذا على ما اصابها من تحريف و تشويه بعد رحلة دعائها المرسلين صلوات الله عليهم اجمعين و على هذا الاساس قال تعالى فى القرآن (٣/١٩) ان الدين عند الله الاسلام (٣/٨٥) و من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه : ثم ان الاسلام انما يصح ان يقال فى حقه انه ناسخ لجميع الاديان قبله فى الفروع القابلة للنسخ باعتبار تغير المصالح المؤقتة ليس غير : و اما الاصول المركزية فى جميع الديانات من التوحيد و العدل و النبوة و المعاد الجسمانى و هكذا الفروع المتسالم عليها بين العقلاء من تحسين الحسن و تقييح القبيح و مامت الى هذه العناوين فهى ليست من مقولة النسخ فالاسلام بشرائعه قرر كل ذلك و لم ينسخ الا ما انتهت مصلحته المؤقتة و جاء بما يستمر بقاءه مع الاجيال و الادوار و نظرة مطمئنة الى المقدمة التى اسلفناها تكفيينا عن الاستدلال لما قلناه فى حق الاسلام ، الذى اصطفاه لنفسه ، اى اختاره من بين الاديان فان قيل ان الاديان الاخرى هو الذى اختارها ايضاً اذ لا دين يوظف به المكلف من سوى الله قلنا ليس المنظور من ذلك انها كانت اوهى الآن زائفة بل كلها محترم و صادر من عنده غايته انها روعى بها فى وقتها مصالح مؤقتة لم

يكن من المصلحة الوضعية مراعاة ما هو اعلامنها تشريعاً لقصور آفاق تلك الاوقات عن التشريعات العالية فلا بدع اذا اقتضت المصالح بعد ذلك ما هو أعلا تشريعاً واطول عمراً ومعنى لنفسه هو النسبة المجردة والافاللة تعالى في غنى عن الدين يكون لنفسه ، واصطنعه على عينه ، اصطنعه وصنعه هنا بمعنى واحد وهو ما يعطيه اللفظ من الصنعة ويقال اصنعه على عيني في مقام التأكيد على الصانع بحسن الصنعة حتى كان المصنوع له حاضر لديه من اول عمله الى آخره فكما ان الصانع يلاحظ جانب المستأجر عند حضوره لديه فيجيد صنعته ويتقنها كذلك يريد منه الموصى بحسن الصنعة حينما يقول له اصنعه على عيني والمنظور من هذه الفقرة انه تعالى بذل من عناياته في تشريعات دين الاسلام ما لم يبذله في غيره من الاديان للعللة التي اوأنا اليها آتفاً ، وأصفاه خيرة خلقه ، أصفاه بالشىء اذا خصه به والخيرة من الشىء او القوم الافضل فيجوز ان يراد من خيرة الخلق نبي الاسلام ويكون المراد انه تعالى خصه بتبليغ هذا الدين من دون كافة الناس كما يجوز ان يكون المراد الامة المسلمة ويستأنس له بقوله تعالى (٣/١١٠) كنتم خیرامة اخرجت للناس : باعتبار ما يؤل اليه امرهم بعد الاسلام لاحين البعثة و اول ازمة الدعوة ولاريب ان الامة المسلمة بمجموع ما انتجت من صالح ومصلح و عالم و متعلم و واعظ و متعظ و مواس و محسن خير من كافة الامم المنتسبة الى سائر الاديان ، واقام دعائمه على حبه ، اى جعل قاعدة دعائمه الاسلام هي محبته تعالى الناشئة من مزيد التعرف به والدعوة اليه وكونه تعالى هو المبدأ والمنتهى لكل امور الخلق وكل الاديان الصحيحة على هذا المنوال نعم هي بعد تحريرها فاسدة لاقيمة لها بالمرّة وميزة الاسلام على الصحيح منها سعة دائرة الدعوة والافصاح عن دقائقها بطرزا وفيها واشمل لاقتضاء الحال فيه دونها كما اشعرنا بذلك آتفاً ، اذل الاديان بعزته ، والمراد بها الاديان الراجعة في زمان تشريعه هولانها كانت حينذاك محرقة مشوشة ليس فيها من الحق الاما لا يعتد به والمنظور بعزته تقدمه عليها في انظار الكمّل من الناس الذين يزنون الاشياء بجواهرها القيمة، ووضع الملل برفعه، يقال الوضع في مقابل الرفع والملل جمع ملة وهي الطريقة والشريعة ، واهان اعدائه بكرامته ، كرامة الاسلام

هي قدسيته وموقعيته في قلوب معتمقيه ومحبوبيته عندهم هي التي اطاحت باعداءه وفرقتهم وقهرتهم على الاصاخة له ، و خذل مجاديه بنصره ، المحاد هو المخالف المبعد في خلافه اى جعل اعداء الاسلام بانتصاره له منقطعين عن المقاومة لذلتهم وقلبتهم عن ذلك ، وهدم اركان الضلالة بركنه ، الاركان هي زوايا اضلاع البناء وتكون اقوى ما فيه يعنى ان الاسلام لما اشد وقوى اثر على الضلال وهو حيرة الجهل والتخبط في العمى حتى ازالها بانواره العامرة وهدهاه الواضح ، وسقى من عطش من حياضه حياض الاسلام علومه ومعارفه والعطشان هنا هو الجاهل الحائم حول ما يرويه ويرفع اوامه وسقيه هو تعليمه وتعرفه ، وأتق الحياض بمواتحه ، أتاقه بمعنى ملاءه حتى فاض والمتح هو نزاع الدلو من البئر ومن كل ماء انخفض سطحه والمواتح هي الدلاء والمراد انه تعالى ملاء حياض الاسلام بالتعاليم الوافرة العامرة فالمواتح هي الوسائل التي تظهر العلوم وتبرزها من الكمون الى الظهور ، ثم جعله لانقسام لعروته ، لقوتها وشدتها وذلك كناية عن تاصله وتصامد قواه ، ولا فك لحلقة. الحلقة هي العروة والفك هو تباعد ما بين طرفيها المتلاقين ، ولا نهдам لاساسه ، الاساس هو قاعدة البناء فاذا قوى وثبت اعطى البناء قوة وثباتاً ، ولا زوال لدائمه ، الدعامة ما يدعم بها الشيء اى يسند ويقوى والزوال هو الاضمحلال ، ولا انقلاع لشجرتة ، الانقلاع هو الانقطاع من الجذر ، ولا انقطاع لمدته ، الانقطاع هو الانتهاء وباعتبار ان دين الاسلام هو آخر الاديان وانه شرع للابد لا جرم ان لا تكون لزمانه نهاية ولا غاية ، ولا عفاء لشرائعه ، العفاء هو الانداس والشرائع هي الاحكام. ولا جذ لفروعه ، الجذ هو القطع والفروع جمع فرع وهي النواتي التي تكون في الاصل اى ان دين الاسلام فروعاً واصولاً باق مستمر لا يبلا ولا يندرس ، ولا ضنك لطرقه ، الضنك هو الضيق والمراد بطرقه ملاكاته وقواعده وذلك لان الاحكام الاولية اذا تعذرت و تعسرت انتقلت حالة المكلف الى دورة الاحكام الثانوية واذا تعذر في حقه الجميع سقط عنه التكليف رأساً ، ولا وعوثة لسهولته ، الوعوثة كثرة في السهولة تولد للماشي جهداً لان اقدامه تسيخ في التراب او الرمل فهو لا يعود يستطيع المشي الا بصعوبة مجهدة يقول عَلَيْهِ السَّلَام انه سهل لكن لا بنحو تقتضى سهولته الفوضى والارتباك

وعدم الانضباط ، ولاسواد لوضحه ، الوضح هو البياض يريد ان اشراقه كما هو سيبقى فلا يتغير بالحوادث والسوانح . ولا عوج لا نتصابه ، اى و كذلك قيامه و اعتداله لا يعتبر به انحناء ولا اعوجاج ، ولا عصل فى عوده ، العصل هو الالتواء و المراد ان عوده مستولا تلوى فيه ، ولا وعث لفججه ، الفجج هو الطريق والوعوثة زيادة فى السهولة كما اسلفنا ، ولا انطفاء لمصايحه ولا مرارة لجلالته فهو دعائم اساخ فى الحق اسناخها ، اى فالاسلام فى تأصله كالدهامة التى حفر لها فى بطن الارض و اقيم اصلها حتى لا تتضعع على مرور الزمان و فاعل اساخ هو الله تعالى و الاسناخ جمع سنخ هو الاصل ، و ثبت لها آساسها و ينابيع غزرت عيونها ، الينبوع ما ينبع من الارض و الغزارة الكثرة و العيون جمع عين و هى الثقبة فى الارض حيث يدفق منها الماء و هو كناية عن ان الاسلام قابل لان تستنبط منه معارف كثيرة و فنون غزيرة : و مصاييح شبت نيرانها ، شبت النار ارتفعت ، و منار اقتدى بها سفارها ، و المنار الشواخص التى ينار عليها لاجل ان يهتدى بها الحائرون و السفارهم المسافرون و المنظور بذلك فى هذا الباب هو ان معالم الاسلام قائمة تهدى الى الحق من تحير فى طريقه او ضل عن هداة ، و اعلام قصد بها فجاجها ، الاعلام هى الشواخص المرتفعة و مفردا علم و قصد بها اى بسبب الاستدلال بها و الفجاج جمع فجج و هو الطريق و المسلك ، و مناهل روى بها و رادها ، المناهل جمع المنهل و هى الموارد التى يورد منها الورد اذ جمع الوارد و هو الذى يرد الماء ليستقى او يشرب ، جعل الله فيه منتهى رضوانه ، اى ان المكلف اذا اتبع ملة الاسلام فقد حظى بالغاية من رضوان الله تعالى ، و ذروة دعائمه ، الذروة هى القمة و الضمير فى دعائمه يرجع الى الرضوان و المعنى بالغاية و الذروة هنا واحد و دعائم الرضوان هى الامور التى تقوم بمرضاة الله و ليست هى الاشرائع الاسلام و القيام بها ، و سنام طاعته ، السنام حذبة البعير و سنام الطاعة اعلاها اى ان الله سبحانه جعل فى اعتناق الاسلام اعلا طاعته ، فهو عند الله و ثيق الاركان ، الوثيق هو المحكم ، رفيع البنيان ، الرفيع هو العالى ، منير البرهان ، اى ان دلائله واضحة مشرقة لاسترة عليها ، مضى النيران عزيز السلطان ، السلطان هو التسلط و

التفوق و عزة السلطان مزيد في القوة ، مشرف المنار ، اى ان شواخصه النيرة مشرفة يراها كل احد ، معوذ المثار ، معوذ اسم فاعل من اعاذنى الله يعيذنى اى منعى وحصنى والمثار يجب ان يكون بضم الميم من اثاره يثيره اثاره فهو مثار وذاك مثير والمنظور ان الاسلام يحصن من ازعجته الشكوك والاهام و انه لقوته يحفظ الضعيف اذا ثار عليه من هو اقوى منه ليبتره حقه وما الى ذلك من المعانى ، فشر فوه ، اى شيدوا شرفه ، و اتبعوه ، اى اجعلوه اماماً لكم ، و ادوا اليه حقه ، بالقيام بوظائفه ، وضعوه مواضعه ، التى عينها الله له فلا تحرفوه ولا تشوهوه .

ثم ان الله سبحانه بعث محمداً ﷺ بالحق حين دنا من الدنيا الانقطاع وأقبل من الآخرة الاطلاع وأظلمت بهجتها بعد اشراق وقامت بأهلها على ساق وخشن منها مهاد وأزف منها قياد فى انقطاع من مدتها واقتراب من أسراطها وتصرم من اهلها وانفصام من حلقتها وانتشار من سببها وعفاء من اعلامها وتكشفت من عوراتها وقصر من طولها جعله الله سبحانه بلاغاً لرسالته وكرامة لامته وربيعاً لاهل زمانه ورفعة لاعوانه وشرفاً لانصاره .

بعد ما استعرض ﷺ شيئاً من اوصاف الاسلام تعرض لذكر نبىه ﷺ فقال ، ثم ، التراخى هنا باعتبار ما قبل زمان بعثة النبى الاعظم ، ان الله سبحانه بعث محمداً ﷺ بالحق ، اى بالشرائع الحقة التى لا شوب للباطل فيها و كل الانبياء بعثهم الله بالحق ولا خصوصية لنبى الاسلام فى ذلك الامن جهة اتساع دعوته وقوانينه طبيقاً لما يرام فى شريعته من البقاء المستمر المواجه لتسلسل الاجيال وتدرج العقول من نقص الى كمال ، حين دنا من الدنيا الانقطاع واقبل من الآخرة الاطلاع ، الانقطاع هو الفناء والثور والاطلاع هو الاقبال والطلوع ومفاد الفقرتين ان بعثة النبى ﷺ حصلت والدنيا فى آخر زمانها والآخرة فى قرب طلوعها وهذا امر لانعلم منه شيئاً من طريق الطبيعة ولذلك نحيل به الى خاصة سر الله وموضع امانته و تشير الفقرتان ايضاً الى اختتام النبوات بنبى الاسلام وقد صرح من طريق المدارك الاسلامية انه لانبى بعد محمد ابن عبد الله ولعل السر هو احتواء شريعة الاسلام على برامج لم تبق شأننا من الشؤون

البشرية الا و تعرضت له كما يقتضيه المنطق لا كما تحاوله الرغبات الخاطئة فان الرغبات المجردة عن المقاييس المنطقية لحرمة لها ولا وزن لاهلها ، وأظلمت بهجتها بعد اشراق ، الابتهاج هو انشراح النفس وانبساطها يلوح من هذه الفقرة ان الدنيا قبل ازمان البعثة بمسافات كانت مبهتجة مشرقة والذى يلوح على طول سلاسل الزمان منذ عهد البشر نفسه ان الدنيا كانت ولا تزال على طرائق متقاربة جناتها اكثر من محسنيتها وأشوارها أوفر عدداً من ا خيارها وشروطها تتضاعف في الكثرة على خيراتها فهل يشير بذلك الى ما قبل العهد البشرى بما هو ع واهل سر الله أعلم به اوانه يشير الى ما هو احسن بالنسبة الى عهود الجاهلية المظلمة ولا ريب في تحقق هذا المعنى فان عهود الجاهلية عهود منحطة لآخر درجة و كل من كان فيها من افراد البشر نازل الكفة مظلم الروح بعيد عن الانسانية قريب من الضراوة منحرف الى صوب الحيوان المهمل ، وقامت بأهلها على ساق ، يقال قامت الحرب على ساق اذا اشتدت وطأتها فيكون المنظور من الفقرة ان اهل الدنيا تكالبوا فيما بينهم حتى اشتدت وطأة الدنيا على اهلها فسأم الحياة فيها كل احد وهكذا كانت حياة الجاهلية ، وخشن منها مهاد ، المهادما يكون تحت الانسان في مضجعه فاذا خشن امنع النوم على صاحبه او تنغص على النائم نومه والمنظور ان الدنيا اذا خشن مهادها لم تكن قابلة للاستقرار ، وازف منها قياد ، اى قرب رحيلها ، في انقطاع من مدتها ، في انقطاع متعلق بقوله آنفاً بعث محمد أ و ضمير هدتنا راجع الى الدنيا والمراد مشاركة عمرها على الانتهاء ، واقترب من اشراطها ، اى من علامات فنائها بطلوع الآخرة والاشراط هي علامات القيامة ، و تصرم من اهلها . التصرم هو الانقضاء والمنظور ان تصرم الناس شيئاً بعد شيء وان كان مقروناً بحدوث مواليدهم الا انه بالآخرة ينتهي الى فناء عام وما صادفته بعثة النبي ص من ذلك هو من طرف السلسلة الرامى الى الانتهاء ، وانقسام من حلقتها ، انقسام الحلقة يكون بحدوث فجوة بين طرفيها وذلك ما يدعو الى عدم الاستفادة منها ما بقيت على حالها . وانتشار من سببها ، اى من سبب فنائها وتلاشيها ، وعفاء من اعلامها ، العفاء هو الاندثار يقال عفت الدار اذا اندرست والاعلام هي الشواخص الناهضة والمنظور ان ما هو علامة نهوض الدنيا واستقامة امورها

قد انهار وتلاشى ولا ريب ان المستهدف بذلك امورها المعنوية ، وتكشف من عوراتها ، العورات هي القبايح وتكشفها ظهورها فاذا راجت المفاسد في الدنيا وخفت الاخيار و قل الايرار الاطهار فقد تكشفت قبايح الدنيا ، وقصر من طولها ، اى من عمرها ، جعله الله سبحانه بلاغاً ، اى مبلغاً استعمل المصدر مكان اسم الفاعل تأكيداً فى مبلغيته ، لرسالته ، اى لما يريد سبحانه ابلاغه الى عباده لأتمام الحججة عليهم ، و كرامة لامته ، لاشبهة ان نبي الاسلام محمد بن عبدالله كرامة للامة المسلمة لوعظت وتدبرت ، وربيعاً لاهل زمانه ، يطلق الربيع على الارض المخضرة ذات الماء والكلأ والهواء الطيب ولا ريب انه ص كان باعظم من هذه المثابة لمعاصريه ، و رفعة لاعوانه ، اى شرفاً لهم بل هو مجمع فضائلهم ونظام اجتماعهم وقاعدة حياتهم ، و شرفاً لانصاره ، و الناهضين معه لتأييد دعوته .

(القرآن واهدافه الراقية)

هذا الكتاب الكريم اذا استعرضه الفئان بدقة نظر ونزاهة ضمير ومراعاة لمصالح الكون والكائنات وجده من ارقى المثل العقلائية ومن اعظم قوانين الانسانية مع كمال ادب فى التعبير وبلاغة فى اىصال المقاصد و اصابة الاهداف و فصاحة ما ورائها محط فى المفردات والتركيب عاصر الفصحاء والمتشدين ونسلت عليه قرون انتجت فى مضاميرها الخطباء البارعين والكتاب المرموقين والشعراء المبدعين والناطقين اللسنيين فبذ" الجميع وقهرهم وملك اعجابهم به وللآخر سيبقى كذلك .

فهو فى فصاحته وبلاغته آية وفى استدلالته العميقة الظاهرة معجزة وفى احكامه وقوانينه منقطع النظير وفى مواعظه وزواجره لاند له ولا قرين وفى آدابه واخلاقه عز" عن البديل وفى قصصه وعبره وامثاله جل عن المثل وهو بمجموع ما احتوى عليه يملك السمع ويدهر النظر ويستعبد القلوب ويسترق العقول ولا يعترى قارهه و مطالعه سأم ولا ملل وليس للاعجاز حد بعد هذا وكل ما تطورت الدنيا اذداد رفعة فى النفوس و تمكن حبه من القلوب : واما هذه الحيوانات الضارية المملوءة جهلا وشهوة وعمى و ضلالة وتحيرا فى الحياة فهى لا يجوز ان يعتبر لها رأى او يعتد لها بعقل بعد ما انحطت

كفة اخلاقها عن الحيوانات العجم السارحة بلاراع ولا واع .
 ونظرة عميقة يقوم بهاراتد الحقيقة للموازنة بين ما احتوى عليه من كل اشياءه و
 بين كتب فلاسفة الروح والاجتماع من متقدمين ومتأخرين الذين احتلوا لانفسهم
 من الاجتماع مكاناً مرموقاً خوّلهم سمعة عالمية تكفى للحكم له بالسبقة في كل مظنة
 روحية واجتماعية فضلاً عما فيه من اضافات قيمة خارج موضوع الفلسفة التربوية و
 الفلسفات النظرية الاخرى .

وهكذا نظرة ثانية يقوم بها المتعطر لانتهاج الحقائق في مقام المقارنة بينه و
 بين الكتب الاخرى المنسوبة للسماء كالتوراة والانجيل الراجين بل والحقيقيين ايضاً
 فان صاحبها يجد فيها من الفروق الاساسية بينه وبينها ما لا يحيط به القلم فان كتب العهد
 القديم والجديد لاتملك روعته اللفظية ولا سبكه التركيبى الخاص ولا معارفه البناءة
 ولا اخلاقه العالية ولا تشريعاته العظيمة ولا ولا .

ذلك لالآن الله سبحانه لم يعتد بكتبه الاخرى التى انزلها فى حينها والتى
 امر الناس بالخضوع لها ولكنه تعالى انزل ما انزل لادم محدود ولاناس معدودين وعلى افهام
 لم تتوسع فى المعرفة : والامة التى عاصرها النبى محمد ﷺ وان كانت عامية فى
 كل ما يعود لها الا انها لم تكن وحدها محط النظر ولا الهدف الوحيد من الدعوة
 بل كانت حلقة من ملايين الحلقات التى شاء الله لها السعادة بهذا الكتاب المنزل
 متى تا بعت خطوه وهذا هو الذى دعى ان يكون القرآن بمكان فوق العلو المتصور .
 ولا غرابة فيما قلناه ذلك لان الناقد البصير البليغ اللسن لا يجوز له ان يعطى
 نفسه لجميع من يكون طرف الخطا به على نحو قد بل له مع القروى الساذج البسيط موقف
 ومع ساكن القصة المثنور شيئاً ما موقف غيره ومع سكنة المدن المتمدينين موقف ثالث
 ومع العلماء الافذاذ موقف آخر وهلم دوا اليك وهو فى كل حالاته مصيب بل فاعل
 للواجب المحتم عليه والله سبحانه لم يتخط هذا الملاك فى كل ادوار البشرية وعليه
 تفاوتت الرسالات السماوية والكتب المنزلة من لدنه .

وقد قال على عليه السلام فى الافصاح عنه : ثم انزل عليه الكتاب نوراً لاتطفأ مباحه ،

وسراجاً لا يخبو توقده ، وبحراً لا يدرك قعره ، ومنها جأ لا يضل نهجه ، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه وفرقاناً لا يخمد برهانه ، وتبياناً لا تهدم أركانه وشفاء لا تخشى اسقامه ، وعزاً لا تهزم انصاره ، وحقاً لا تخذل اعوانه ، فهو معدن الايمان وبحبوخته ، وينابيع العلم وبحوره ، ورياض العدل وغدرانه ، واثافي الاسلام وبنائه ، واودية الحق وغيطانه ، وبحر لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها الماتحون ، ومناهل لا يغيضها الواردون ، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون . واعلام لا يعمى عنها السائرون ، واكام لا يجوز عنها القاصدون .

ثم انزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحہ ، كثيراً ما يقال العلم نور وهو حق لان النور يكشف الوهدة من النجدة ويميز الطريق المعتدل عن المعوج وما الى ذلك والى ذلك العلم يشخص الضلال الموجب للانحراف والسقوط والهدى الموصل الى الحق وكتاب الله لما احتوى على اهم المعارف العقلانية كان نوراً يستضاء به وهدى يهتدى بوسيلته وانما لا تطفأ مصابيحہ لمرکز حقائقه ، وسراجاً لا يخبو توقده ، خبت النار اذا هفتت والحقيقة المر كزة لا قديم فيها ولا جديد ولا تعمر بها كهولة ولا شيخوخة والتوقد هو الاشتعال ، وبحراً لا يدرك قعره ، لان الفنان الوارد في العلوم يستطيع ان يستنبط من مضامينه ما يشاء ، ومنها جأ لا يضل نهجه ، المنهاج الطريقة فاذا وضحت وبانت وانكشفت امتنع ان يحصل لنا هجها ضلال في سلوكه ، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه ، لا استمرار شعلته ، وفرقاناً لا يخمد برهانه ، الفرقان ما يفرق بين الشيء والشيء والمنظور بذلك هنا ما يوجد من الفرق بين الحق والباطل وانما لا يخمد برهانه لانه قائم على اليقين لاعلى الشبهات والاعوات ، وتبياناً لا تهدم أركانه ، التبيان هو البيان والبيان هو الايضاح والاصحار وكل حقيقة اذا اتضحت وانكشفت وانجلت لا تقبل الهدم بالسفسطة والمعميات ، وشفاء لا تخشى اسقامه ، اى لا تخشى مع الاسقام لانه يقضى عليها . وعزاً لا تهزم انصاره ، لان العزيز حافظ لجرمته طارد للذل عن ساحته وكل من كان كذلك كان ثابِتاً غير منهزم ، وحقاً لا تخذل اعوانه . من طريق المنطق وان استطاعت القوى الهدامة ان تشتتهم و تسحقهم ، فهو معدن الايمان وبحبوخته ، الايمان هو الاعتقاد الجازم بالشيء و متدبر

القرآن يجيء مؤمناً بحقائقه غير متزلزل في عقيدته وبجوحه الدار وسطها المرموق يقال فلان في بجوحه الشرف و يراد توسطه فيه و تركزه عليه ، وينابيع العلم وبحوره ، ينبوع هو الماء المنفجر من تحت الارض والقرآن يبعث في العقول كوامن الحقائق فكان نظيراً للينبوع فيما يعطيه ، ورياض العدل وغدرا نه الغدران جمع الغدير وهو الانخفاض في الارض الجامع لماء المطر والرياح جمع روضة وهي القطعة المعشبة من الارض والقرآن بالنسبة الى محافظته على العدل واصراره على العمل به حق فيه الوصف الأنف ، واثافي الاسلام وبنائه ، الاثافي جمع اثفية وهي الحجارة التي توضع تحت اسافل القدر لتقوم عليها كالأعمدة للبنىا ولاريبان القرآن عماد الاسلام وعليه قام بناؤه ، واودية الحق وغيطانه ، الاودية جمع الوادي وهو الانخفاض العميق الذي يكون بين الجبال والغيطان جمع الغائط وهو ما انخفض عن سائر القطع المجاورة له واطمان والمنظور ان القرآن مسير ومسيل للحق وموضع اطمئنان له ، وبحر لا ينزفه المستنزفون ، النزيف في الاصل يقال لجريان الدم من البدن الى خارجه باستمرار ثم استعمل في نظائره والبحور المادية عقلاً قابلة للاستنزاف الا ان خزائن العلوم لا تقبل ذلك بل هي على استمرار البحث تفيض و تزداد ، و عيون لا ينضبها الماتحون ، نضبت العين اذا فرغ ماؤها وجفت والماتح هو المستقى بالدلاء والمعنى بهذا ما عنى بالفقرة السالفة ، ومناهل لا يغيضها الواردون ، غاض الماء اذا انقطع والمناهل جمع المنهل وهو المكان الذي ينهل منه اى يورد والواردون جمع وارد وهو الذي يريد الاستقاء او الشرب ، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون ، اى لا يثيه المسافرون عن جادتها لانها منازل عامرة و الطرق المؤدية اليها شارعة ، و اعلام ، اى شواخص مرتفعة ، لا يعمى عنها ، اى عن رؤيتها و الاهتداء بها ، السائرون و اكام ، جمع اكم وهي الهضبات، لا يجوز عنها القاصدون ، بل يؤون اليها للاستراحة لطهارتها عن الادران فان الروابي مظنة النظافة والطهارة : وجماع كل هذه الاوصاف بالنسبة الى القرآن انه مجمع كافة الفضائل .

جعل الله رياً لعطش العلماء و ربيعاً لقلوب الفقهاء و محاج لطرق الصلحاء و

دواء ليس بعده داء ونوراً ليس معه ظلمة وحبلاً وثيقاً عروته ومعقلاً منيعاً ذروته و
عزاً لمن تولاه وسلمأ لمن دخله وهدى لمن ائتم به وعذراً لمن انتحل به وبرهاناً لمن
تكلم به و شاهداً لمن خاصم عنه وفلجاً لمن حاج به و حاملاً لمن حمله ومطية لمن
اعمله و آية لمن توسم وجنة لمن استلاءم وعلماً لمن وعى وحديثاً لمن روى وحكماً
لمن قضى .

جعلله الله رياً لعطش العلماء ، الرى هو الارتواء من الماء غيران المراد من
العطش هنا هو العطش المعنوى وهو الاحتياج الملح الى تفهم الغوامض والذى يرفعه
هو القرآن ، وربيعاً لقلوب الفقهاء ، الربيع هو الفصل الذى يكثرفيه الماء والكلاء
ويتحسن الهواء وهو مطلوب للطبيعة لامتيازه بهذه الامتيازات المرغوبة و لذلك شبه
عليه السلام القرآن لامتيازاته الجالبة بالربيع وقلوب الفقهاء بالطبيعة التى تستفيد منه و
من آثاره اتم استفادة والفقهاء هو المتخصص باحكام الشرائع ، ومحاج لطرق الصلحاء
، المحاج جمع محجة وهى الجادة الشارعة والصلحاء انما يحتاجون السير فى مضامين
القرآن لانه بمواعظه و زواجره و ارشاداته يوفى بهم على المقصود الصالح الذى
يتوخونه ، ودواء ليس بعده داء، اى هو دواء اذا استعمله المريض شفى و لم يعاوده
مرضه ، ونوراً ليس معه ظلمة ، فان نور المعنويات لاينطفأ ولايقل بليزداد ، وحبلاً
وثيقاً عروته ، فالتمسك بعروته قابض على ماينجيجه ولايفلته ، ومعقلاً منيعاً ذروته ،
المعقل هو الحصن والملجأ و ذروته القباب العالية التى تشاد عليه توفيراً للراحة و
الاحسان ، وعزاً لمن تولاه ، اى اتخذه وليأله ، وسلمأ لمن دخله ، اى مأمناً لمن
طلب الامان فيه ، وهدى لمن ائتم به ، اى ان القرآن امام هاد لمن استهدى به ، و
عذراً لمن انتحل به ، اى من اتخذه شريعة له كان عذراً له عندالله . وبرهاناً لمن تكلم
به ، اى لمن تكلم بمضامينه فانها تغنيه عن اقامة البرهان عليه لانها كالتقصايات التى
قياساتها معها ، و شاهداً لمن خاصم عنه ، اوبه فكما ان الشاهد فى الخصومة يكون
بينه يحكم من طريقها على الخصم كذلك القرآن بالنسبة الى من يتخذه شاهداً فانه
يكون بينه له على مدعاه ، وفلجاً لمن حاج به ، اى سبباً للغلبة لمن حاج خصمه به لماتاة

ادلته وقوة برهينه ، وحاملاً لمن حملة : اى ان من يحمل القرآن بالحفظ والفهم له يعود محمولاً به لانه يريحه وينجيّه ويخفف عليه كثيراً من المشاق ، و مطية لمن عمله ، اى اعمل مضامينه واحكامه والمطية هى الحامل المريح المنجى و الكلمة استعارة ، وآية لمن توسم ، الموسم هو المتفرس فى الشىء لاجل التعرف عليه و المنظوران من يتفرس فى الاشياء لاجل ان يقف على الغث والسمين منها فالقرآن نعم العون له على ذلك لانه علامة فارقة بين الحق والباطل والغث والسمين ، و جنة لمن استلأم ، الجنة هى الوقاية و استلأم لبس لامة الحرب التى تقيه من ضرب السيوف و وخز الرماح اى ان من يتدرع بالقرآن يكون له وقاية من كل ضلال ومكروه ، وعلماً لمن وعى ، اى ان من حفظ القرآن وفهمه وتدبره كان له علماً لا يحتاج معه الى شىء آخر ، وحديثاً لمن روى ، اى هو احسن الحديث لمن يريد ان يروى شيئاً من العلوم و الفنون و الاحاديث ، و حكماً لمن قضى ، اى هو الحكم القاطع للمقضى .

وقال عليه السلام فى تكريمه ايضاً (ج ٢ ص ٥١٠ من النهج الحديدى) واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذى لا يغش و الهادى الذى لا يضل و المحدث الذى لا يكذب و ماجالس هذا القرآن احد الاقام عنه بزيادة او نقصان زيادة فى هدى و نقصان من عمى و اعلموا انه ليس على احد بعد القرآن من فاقة و الا احد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من ادوائكم واستعينوا به على لأوائكم فان فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر و النفاق و الغى و الضلال فاسئلوا الله به و توجهوا اليه بحبه و لاتسالوا به خلقه انه ما توجه العباد الى الله تعالى بمثله و اعلموا انه شافع و مشفع و قائل مصدق و انه من شفيع له القرآن يوم القيامة صدق عليه فانه ينادى مناد يوم القيامة شفيع فيه و من محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه فانه ينادى مناد يوم القيامة الا ان كل حارث مبتلى فى حرثه و عاقبة عمله غير حرثة القرآن فكونوا من حرثته و اتباعه و استدلوه على ربكم و استنصحوه على انفسكم و اتهموا عليه آرائكم و استغشوا فيه أهوائكم .

واعلموا ان هذا القرآن ، اى الكتاب المتداول بينكم يجب ان تعرفوا حقه تمام المعرفة فانه ، هو الناصح الذى لا يغش ، لانه انما انزل لتعديل نظامكم و تدبير

امور اجتماعكم ، والهادى الذى لا يضل ، لانه من عند الله الذى لا يشوب علمه جهل ولا كماله نقصان ، و المحدث الذى لا يكذب ، لان الكذب وسيلة العاجزو القرآن انزله اغنى الاغنياء و ابعث كل الموجودات عن الحاجة ، و ما جالس هذا القرآن احد ، اى ما تدبره انسان عاقل ، الا قام عنه بزيادة ، تحصل له ، او نقصان ، يزول عنه ، زيادة فى هدى ، لا حتوائه على النصائح الكافية والمواعظ الشافية ، و نقصان من عمى ، اى من جهل لان الجاهل اعمى . واعلموا انه ليس على احد بعد القرآن ، والتدبر فيه واستجلاء مضامينه ومعانيه ، من فاقة ، اى من حاجة لا ستجماعه جميع ما يقوم بزد الدنيا والاخرة ، ولا لاحد قبل ، ان يتعرف و يتزود من ، القرآن من غنى ، ومهما حاول تهذيب نفسه فان كمالات القرآن فوق ما يتصوره المتصورون . فاستشفوه ، اى اطلبوا منه الشفاء الروحى و الصحة المعنوية ، من ادوائكم ، و اسقامكم النفسية ، و استعينوا به ، اى بجيل ما احتوى عليه من حلول مشكلات و كشف شبهات ، على لاوائكم ، اى شدائدكم التى تتعور حياتكم الفردية والاجتماعية ، فان فيه شفاء من اكبر الداء ، فكان قائلاً يقول و ما هو اكبر الداء فقال ، و هو الكفر و النفاق و الغي و الضلال ، اما داء الكفر فلان الملحد على حد الحيوان الضارى لا يزعه ولا يمنعه عن ارتكاب المنكرات اهم و اذع و اقوى مانع من وجهة الاخلاق وما اضرمثل هذا على الاجتماع : واما النفاق وهو الدجل والتدليس فما اضرم وقع فى الاجتماع وما اكثر افساده فى الافراد وما شد نكايته فى النفوس و من طريق التدليس العلمى والعملى كم ضاع حق و اشيد بماطل و اميتت حقيقة و احيت بدعة و للتفصيل مجال آخر واما الغي و الضلال فهما الانحراف عن الجادة المعتدلة وذلك يستلزم التجاوز والتعدى على حقوق الاغيار والاهتداء بانوار القرآن يشفى من كل هذه الادواء ويداوى كافة هذه العلل و الامراض ، فاسئلوا الله ، الهداية و الايمان و الصلاح ، به ، اى بسببه و من طريقه ، و توجهوا اليه ، اى الى الله ، بحبه ، اى بحب القرآن لان القرآن عزيز على الله كريم عنده جليل لديه ، ولا تسالوا به ، اى بسببه ، خلقه لان الله اغنى من الخلق و كتابه اعز عليه بالنسبة اليهم ، انه ما توجه العباد الى الله تعالى

بمثله ، لقر به منه تعالى ، واعلموا انه شافع ومشفع ، وشفاعته انما تكون لمن يعطيه حقه ويوفيه احترامه ويقوم بمسئد عيائه ولا ريب في قبول شفاعته حينئذ لانها في الحقيقة شفاعاة العلم النافع والعمل الصالح ، وقائل مصدق ، فيما يخبر به الله تعالى من وفاء من وفي له وجفاء من جفاه ، وانه من شفيع له القرآن يوم القيامة صدق عليه ، من ناحية الله ، فانه ينادى مناد يوم القيامة ، شفيع فيه ، اى ان القرآن يشفع في حق من يشفع له ويقول عنه خيراً ، ومن محل ، محل به يمحله اذا قال في حقه ما يوجب ضرره ويوجه سوء اليه ، القرآن ، بان قال ان هذا الانسان كان جافياً له غير معتد به مكذبا فيه ، يوم القيامة صدق عليه فانه ينادى مناد يوم القيامة الا ان كل حارث مبتلى في حرثه ، اى مسؤل عما حرث وزرع ، وعاقبة عمله ، الذى صدر عنه في دنياه ، غير حرثة القرآن ، الذين اتخذوه عملا لهم وحرثا في دنياهم فان هؤلاء ينالون من ورائه كل الخير ويستثمرون من طريقه كل بركة فكونوا من حرثه واتباعه ، والآخذين عنه والمعتبرين به ، واستدلوه على ربكم ، اى اجعلوه دليلا على الله فانه يوصل اليه ، واستنصحوه على انفسكم ، فانه اصدق ناصح واعلم من كل منذر ومبشر ، واتهموا عليه آرائكم ، فان اشارت عليكم آراؤكم بشيء و اشار عليكم بخلافه فخذوا عنه واتهموا آرائكم في قبالة ، واستغشوا فيه أهواءكم ، وميولكم فان الهوى النفسى والميل الشخصى يدفعان الى كل مضرة ويوقعان في كل معرفة اما القرآن فهو بعيد عن جميع الاتهامات قريب من كل الخيرات .

وقال **عليه السلام** في نعت نبي الاسلام (ج ٢ ص ٤٧٣ من النهج الحديدى) ابعثه بالنور المضىء والبرهان الجلى والمنهاج البادى والكتاب الهادى أسرته خير أسرة وشجرته خير شجرة اغصانها معتدلة وثمارها متهدلة مولده بمكة وهجرته بطيبة علا بها ذكره وامتد منها صوته ارسله بحجة كافية و موعظة شافية و دعوة متلافية أظهر به الشرائع المجهولة وقمع به البدع المدخولة وبين به الاحكام المفصلة فمن يبتغ غير الاسلام ديناً تتحقق شقوته وتنقص عروته وتعظم كبوته و يكون مأببه الى الحزن الطويل و العذاب الوويل .

ابعثه ، وبعثه بمعنى واحد ، بالنور المضىء ، يجوز ان يريد به دين الاسلام كما

يجوز ان يريد به القرآن و كلاهما لما تكفلا يصال الناس الى السعادة وتمييز الحق عن الباطل و كشفاعن المصالح والمفاسد كانا نوراً للمكلف يضيئان له طريقه الذي يمشى فيه لادامة حياته ، والبرهان ، هو الدليل القاطع على الشيء ، الجلى ، لان البرهان الغامض لا يستفاد منه بالمرة ولا يستفيد منه الا الخاصة من الناس واما البرهان الجلى فهو مما يستفيد منه العموم وبذلك تكون له ميزة على كافة البراهين والاسلام والقرآن كلاهما بمضا مينهما العالية وتعاليمهما الفطرية واصابتهما الاهداف الواقعية بما يفهمه عامة الناس بالتدبر لهما وامعان النظر فيهما من اجلا الاديان والكتب المتداولة اليوم بعوانها ادياناً و كتباً سماوية برهاناً و اقومها ميزاناً ، و المنهاج البادى ، وهو الطريقة المكشوفة التى لاتعمية فيها ولا غموض نظير ما يوجد من المعميات فى جملة من الاديان الرائجة والمذاهب المتسترة مما هو دليل تزويرها ودجلها، والكتاب الهادى ، وهو القرآن الذى لا يأتية الباطل من خلفه ومن بين يديه ، اسرته خير اسرة ، بالنسبة الى غيرها من الاسر الدارجة واستعراض التاريخ يصحح بجلاء ان بنى هاشم بمجموعهم من حيث المجموع لهم تفوق على الاسر الباقية فى المعنويات والملاسات العشائرية ، وشجرته خير شجرة اغصانها معتدلة ، والمنظور باعتمداها انها عريقة فى الحياة غير متهافة ولا ذليلة ولا ساقطة ولا مبتلاة بتشويه ، وثمارها متدلة ، اى متدلية فان الثمرة اذا كثرت فى الشجرة هدلت اغصانها لثقلها وذلك من صفات المدح والمراد ان سجايها الطبية كثيرة ، ومولده بمكة ، حرم الله وهو جهة اعتبار عقلائى نظير سائر الاعتمادات العقلائية المأخوذ بها بين العقلاء بما هم عقلاء ، وهجرته بطيبة ، وهى يثرب فى الاصل والذى سماها طيبة هو النبى الاكرم لانها مظهر دين الاسلام ومناخ رجاله الافذاذ وبلد انصاره الاجلاء ، علاها ، اى بطيبة ، ذكره ، بعدما ضايقه قومه وضيقوا عليه رحب الارض الواسعة ، وامتد منها صوته ، الى سائر البقاع وبقية الاصقاع وبذلك يثبت شرف عظيم للانصار جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ، ارسله بحجة كافية ، لتثبيت الحق وفرض الواقع على الناس وموعظة شافية ، لامراء فى تركها وواقعيتها ، ودعوة متلافية ، لكل المفاسد الدارجة بين الناس بالاصلاح ، اظهر به الشرائع

المجهولة ، اى الحقائق المغمورة التى جرت عليها ذيل النسيان والاهمال . وقمع به البدع المدخولة ، اى الفاسدة التى احدثها الدجالون لاجل ان يستثمر وامن طريقها بغيتهم فى الحياة المادية، ويبن به الاحكام المفصلة ، اى الفاصلة بين الحق والباطل وانما صارت مفصلة بديانه لانها كانت مفصلة قبله ، فمن يبتغ غير الاسلام ديناً ، بعدما كان بهذه الهوية العريقة فى الصلاح والرشاد والصحة والسداد ، تتحقق شقوته ، قطعاً اذا لاشقاء امض بالانسان من انحرافه عن الطرق اللاحبة الموصلة الى المقاصد الصالحة ، وتنقسم عروته ، اى انه ينهار فى الحياة انهيارا غير قابل للجبران ، وتعظم كبوته ، يقال كبا الجواد اذا عثر فسقط الى الارض والكبوة العظيمة مآلها الى التلاشى المحتم ، ويكون مآبه ، ومآله ومصيره ، الى الحزن الطويل ، والندامة المضنية ، والعذاب الوويل ، اى ذى الوبال والهلاك .

وقال ﷺ فى شأن النبى ص (ج ٢ ص ٤٦٦ من النهج الحديدى) ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجمة من الامم وانتقاض من المبرم فجاءهم بتصديق الذى بين يديه والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه الان فيه علم ما يأتى والحديث عن الماضى ودواء دائكم ونظم ما بينكم .

ارسله ، اى ارسل نبى الاسلام ، على حين فترة من الرسل ، اى بعد مرور زمان على انقطاع الرسالة السماوية عن الارض ، وطول هجمة من الامم اى ومن بعد نوم طويل عن الحق والعمل به من ناحية المكلفين ، وانتقاض من المبرم ، المبرم المقتول وانتقاضه انحلاله اى ومن بعدما اهملت الشرائع الحققة ونقضت الاصول الدينية وحرقت احكام الله وتلوعب بدين الله ، فجاءهم بتصديق الذى بين يديه ، اى الذى كان امامه فان الاديان السابقة على الدين اللاحق باتجاهه لها تكون امامه والامام يكون بين يدى المستقبل ولا ريب ان اديان الله كلها حققة وكلها ترمى الى غاية واحدة وكلها تدور على محور فذلا بدع اذا جاء القرآن مصدقاً لها جميعاً لكن سوء الصدف قضت بان الدين النزيه عن كل فضول وتشويه لا يمضى من عمره الا القليل بعد فوت الداعية المشرع له وبعده تبدأ الانحرافات تعتوره من كل جانب ومكان فلا تراه بعد ازمان الاشياء

آخر لا ربط له بنفسه في اول تشريعه ، والنور المقتدى به ، عطف على قوله بتصديق اى وجائهم ايضاً بالنور الذى يجب ان يكون قدوة لطالب النجاة ، ذلك، هو ، القرآن فاستنطقوه ، ليتكلم فتستفيدوا من نطقه ، ولن ينطق ، بلسان ذى صوت ولكن بحقائق شاخصه بنفسها ومضامين عالية في عيارها ، ولكن اخبركم عنه ، مجملاً ، الا ان فيه علم ما يأتى ، اما غيب المستقبل فعلمه عند الله يطلع عليه من يشاء من أمثائه ، والحدوث عن الماضى ، لا بداعى قص الاخبار بل بداعى العظة والاعتبار ، ودواء دائكم ، اى كل اوجاعكم الروحية وادوائكم الاخلاقية هودوائها الوحيد بجميل ارشاداته وبلغ ابلاغاته ، ونظم ما بينكم ، اى هو الناظم لكم نظم السلك للمخربات حيث لا تصادم معه ولا تراحم مع المشى على سنته مضافاً الى عظمة قوانينه واحقاقه الحق الواقعى وابطاله كل زائف و منحرف .

وقال عليه السلام فى شأنه صلى الله عليه وآله (ج ٢ ص ٤٢٧ من النهج الحديدى) فبعث الله محمداً ص بالحق ليخرج عباده من عبادة الاوثان الى عبادته و من طاعة الشيطان الى طاعته بقرآن قدينه وأحكمه ليعلم العباد ربهم اذ جهلوه وليقرؤا به بعد اذ جحدوه وليثبتوه بعد اذ انكروه فنجلى لهم سبحانه فى كتابه من غير أن يكونوا رؤه بما أراهم من قدرته وخوفهم من سطوته و كيف محق من محق بالمثالات واحتصد من احتصد بالنقمت .

فبعث الله محمداً ص بالحق ، اى بما هو الواقع البعيد عن كل أضلولة وتلبيس ، ليخرج عباده ، تعالى ولو جحدوه رأساً فان كافة الكائنات و من جعلتها الانسان مخلوقة له ولوضلت عقول جملة فاعتبروا انفسهم كائنين من غير مكون وموجودين بالاموجد ، من عبادة الاوثان ، جمع وثن و هو الصنم و هى اراء العبادات انصافاً ومن الادلة الجاهرة على اغراق عبادها فى الجهل والاهام ، الى عبادته ، هو تعالى حيث يلفت انظارهم العازبة الى ان ما يفعلونه بعيد عن المنطق فان الانسان انما يجوز له عقله ان يعبد من بيده نفع و ضرر و تغيير الامور و تحوير و من بيده الشدة والرخاء والعافية والبلاء والسعادة والشقاء وهاته النصب المنصوبة المصنوعة من حجارة او مادة اخرى من

أحقر الموجودات لوقوعها آلة للتلاعب والهازل وناحتها أقوى منها وصانعها متصرف بها فكيف يليق بها ان تنتصب معبودة للإنسان الذي هو اشرف منها ومن اكثر الكائنات. وليعلم ان وظيفة الرسول ومهمة الفيلسوف هي ابراز كوامن العقول واجالة الصور المندكة في الازهان فانه ما من شيء بقدره العقل ادراكه وما من مفهوم باستطاعة الذهن ان يتجول فيه الا هو موجود في العقول البشرية ودفائن الازهان الانسانية غايته انه موجود ليس بمكشوف فالرسول في دعوته الى الله انما يلفت العقول الى ما عرس فيها واستكن في كوامنها ولذا ترى المدعو بعد الفات نظره تماماً كأنه كان ناسياً فتذكر وغافلاً فتنبه وبعيداً عما هو موجود عنده فأدنى منه وهكذا الفيلسوف في كافة ما يعزى اليه من ابتكار فانه لم يخلق شيئاً لا وجود له في العقول غايته انه انما يبجل ويمجد لالتفاتة قبل غيره الى كوامن عقله الموجودة في سائر العقول ايضاً كما هي موجودة في عقله فتنبه لها قبل ان يتنبه الغير وهكذا يقال في المخترعين والمكتشفين فانهم لم يوجدوا من انفسهم مالم يكن موجوداً بل كل ما اظهروه موجود في بطون الطبيعة بلا زيادة او نقصان ولكن ميزتهم على من سواهم انهم التفتوا الى هذه الغوامض التي لم يعرها الغير اقل التفات حتى يحظى بها كما حظي بها هؤلاء .

ومن طاعة الشيطان ، ومتابعة الميول النفسية ، الى طاعته ، هو تعالى حيث السعادة في ذلك لهم لاله لفقيرهم الى من يسعدهم ويهديهم الى الطريق الموصل للنجاة وغناه عن كل ذلك لكامله ، بقرآن ، يجوز ان يكون قوله **تعالى** بقرآن بياناً لقوله آناً فبعث الله محمداً **عليه السلام** بالحق فيكون المراد بالحق هو القرآن كما يجوز ان يكون متعلقاً بقوله ليخرج عباده بقرآن اي بكتاب جامع لكل ما فيه خير وسعادة للبشر ، قد بينه ، اي اوضح ما فيه ليستفيد منه كافة العقلاء فان القرآن للناس جميعاً وهم المخاطبون به وقد ضل عن القصد من زعم ان القرآن انما تعرف مقاصده وتستفاد معانيه من طريق تفسير النبي والائمة له وبدون ذلك لا ينعقد له ظاهر من نفسه ولا يستفاد منه شيء ؛ وضلال هذا الزاعم من عدة نواحي .

(١) ان هذا القرآن حين انزل لم يكن نبي الاسلام مصدقاً بالنبوة عند معاصريه

حتى يكون كلامه حجة ومدر كاً على تفسيره وتأويله وانما كان الكتاب المذكور آية صدقه وبرهان نبوته ومعجزة دينه فلو كان معمى المقاصد مستورا المعانى لم يكن فيه اقل تأثير فى عضد النبى ﷺ وتأيدته.

(٢) ان هذا القرآن قد تحدى به الله كافة معاصرى نزوله من العرب الاقحاح الجاحدين له ولمن جاء به فاذا كان معمى المقاصد مستورا المعانى خرج عن كونه قابلا لان يتحدى به.

(٣) ان هذا القرآن معجزة محمد والاسلام الخالدة وليس هو كتاباً للمعتقدين بالاسلام فقط بل لكل مكلف سواء كان مسلماً ام كتابياً ام مشركاً ام ملحداً ام حياً فاذا كان معمى المقاصد مستورا المعانى سقط عن هذه الحيثية .

(٤) ان هذا القرآن هو الحجة الاولى فى الدين الاسلامى فاذا كان معمى المقاصد مستورا المعانى و كانت مقاصده ومعانيه قائمة بما يروى عن النبى (ص) وآله (ع) لم يكن معنى لهجتيته ولا استقلاله بالمدر كية بل كانت الحجة هي السنة فقط و بطلان هذا الوجه من ضروريات الدين الاسلامى .

(٥) اذا كان هذا القرآن معمى المقاصد مستورا المعانى من حيث نفسه لم يكن معنى لماورد فى السنة المتواترة من وجوب عرض الاخبار عليه فما وافق منها كتاب الله يؤخذ به وما خالفه يطرح .

(٦) اذا كان القرآن بالوصف الآنف لم يكن معنى لدعوة على ﷺ مناوئيه الى الوقوف على مضامينه للفيصلة بينه وبينهم بالحكومة اليه وقد فعل ذلك فى حرب الجمل وغيرها .

(٧) اذا كان القرآن بالوصف المزبور سقط عن جميع حيثياته و كان ملاكهم ملاك الطالسم و المعميات التى تجدها فى كتب الادعية والاحراز فكما ان هذه لا يستفاد منها اقل شىء ولا يجوز ان تعرض على مخاطب او مكلف كذلك يكون حكمه و هو خلاف الوجدان المكشوف .

(٨) ان العارف باللغة العربية بما هو كذلك يفهم منه كل محكماته بحكم

معرفة بلغة القرآن بلا توقف على شريعة أو تفسير نظير للذكري مثل حظ الاثني عشر و
لاتقربوا النساء في المحيض وما الى ذلك .

(٩) ان القرآن حكم على نفسه بانه كتاب مبين والمبين في غنى عن التفسير .

(١٠) ان الظواهر خارجة عن مادة التفسير موضوعاً لان التفسير معناه فلق

باطن الشيء واخراج مكنونه والظاهر ظاهر بنفسه من دون حاجة الى فلق واخراج .

(١١) تصريح امير المؤمنين في خطبته هذه وفي غيرها بان القرآن من مجالى ظهور

الله لعباده وانه تعالى بينه وأحكامه وهكذا تصريح بقية الائمة (ع) بالمفاد المزبور .

اذن فكل ما ورد في السنة من حرمة التفسير بالرأى فان المنظور به تفسير ما لا ظاهر

منعقداً له كالمتشابهات وهي موارد قليلة لاتمس بكرامة القرآن ولا يقال فى شأنها

والاشكال عليها انها لم انزلت مشابهة فقد تكون هناك علل خفية و مصالح واقعية

دعت الى ذلك فى حينه ، كما ان الذى هو مظنة للتفسير منه بطونه السبعة او السبعون

التي وردت فيها الاثار ونظمت عنها الاخبار و ذلك ما لا ربط له بظواهره المنعقدة

كما لا يخفى .

وفيما يأتى من فقرات هذه الخطبة دليل واضح على ما اسلفناه ، وأحكامه ،

المحكم هنا فى مقابل المتشابه و المنظور به ما استحکم ظاهره بحيث لا منقذ فيه

للتأويل ، ليعلم العباد ربهم ، من طريقه ، اذ جهلوه ، تعالى قبل نزوله و لم يعطوه

حقه من المعرفة فان هوية الله المرئسة فى اذهان الجاهلين بل والكتابين وسائر

الملل هوية بعيدة عن المنطق كل البعد قريبة من الجهل والضلال و لكن القرآن

فى آيات شتى من سورة أبان حقيقة الله لعباده بانه لاتدر كه الابصار للطافته المتناهية

وهو يدرك الابصار لعلمه الواسع وانه واحد للاثلاثة كما عليه النصارى و انه اقرب

الى الانسان من جبل وريده الى غير ذلك مما سلف شطرواسع منه ، وليقروا به بعد

اذ جحدوه ، لان العاقل اذا وقف على الادلة و المناظرات التي تضمنها القرآن فى

مقام اثبات الصانع لا يعود يشك من نفسه بان العالم له صانع من وصفه كذا و كذا ،

وليثبتوه بعد اذا نكروه فتجلى لهم سبحانه فى كتابه ، تجلى الامر المبرهن عليه فى

اظهار برهانه وظهور المدلول من استعراض دليله ، من غير ان يكونوا رأوه ، باحداقهم بل ، بما اراهم من قدرته ، التي قامت بخلق هذه الاكوان العظيمة الشأن وخوفهم من سطوته ، على العصاة المتمردين ، و ، ضرب لهم مثلاً في ذلك بانه ، كيف محقق من محقق بالمثلات واحتصد من احتصد بالنقمة ، اى ان ما ترونه من سقوط قائم وذلة شريف وخضوع متعطرس وزوال ملك سلطان وما الى ذلك كله من نتيجة العقوبات التي اطاحها بهؤلاء حتى يعتبر بهم غيرهم و امثال هذه العقوبات الجسم لا تتأتى الا من طريق متصرف بالكون والكوائن و ليست هى من فعل البشر الموسوم بالعجزو مهما بلغ من القدرة المؤقتة : والسطوة هى الحملة على الطرف بشدة والمحقق هو الابطال والمثلات بفتح الميم وضم الثاء المثلثة جمع مثلة كذلك وهى ما اصاب القرون الماضية من العذاب والحصد هنا هو الابداء العامة والنقمة جمع نقمة وهى الانتقام فى مقابل الذنب والعصيان .

وقال عليه السلام فى شأن نبي الاسلام ايضاً (ج ٢ ص ١٩٩ من النهج الحديدى) اما بعد فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ وليس احد من العرب يقرأ كتاباً ، ولا يدعى نبوة ولا وحياً فقاتل بمن اطاعه من عاصه يسوقهم الى منجاتهم ويبادر بهم الساعة ان تنزل بهم يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته الاها الكأ لاخير فيه حتى اراهم منجاتهم و بوأهم محللتهم فاستدارت رحاهم و استقامت قناتهم و ايم الله لقد كنت من ساقتها حتى تولت بحذا فيرها واستوسقت فى قيادها ما ضعفت ولا جينت ولا خنت ولا وهنت و ايم الله لأبقرن الباطل حتى اخرج الحق من خاصرته اما بعد فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ص وليس احد من العرب يقرأ كتاباً ، اى انهم كانوا حينذاك متهمضين فى العامية عريقين فى الجهل لان الدراسة و المطالعة مهمات تكن نزره قليلة فانها تعطى صاحبها شيئاً من الثقافة ولذلك كان فى ضمن مئات الالوف من عرب الجزيرة بعض المثقفين من طريق ممارستهم لاهل الفضل والكمال و من هذه الجهة عرفوا ببعدهم عن عبادة الاوثان وانشمارهم عن اكثر الخرافات : اما العامى العريق فى الجهل فلا يكون الامغراً فى التوحش جافاً فى اخلاقه سمجاً فى

حر كاته وسكناته ثقيل الظل بعيداً عن الرحمة قريباً من القساوة ولذلك اغذت الرذائل
بشئات انواعها في عرب الجاهلية فقد كانوا سفاكين للدماء عائشين على الغارات و
الانتهاكات يطاردون الانسان والحيوان جميعاً على ارواحهم الى غير ذلك من الهنآت
النابية عن الذوق الانساني ومن هنا يعرف ان نبي الاسلام كم طوح بنفسه في سبيل
انقاذهم من هذه الضلالات وطلع بهم الى شارع النجاة ، ولا يدعى نبوة ولا وحيًا ، لا
حقاً وصدقاً كما هو واضح وما كان من امر هود و صالح وشعيب فيرجع عهده الى زمان
قديم جداً لربط له بعصور النبي ص كما لم يدع النبوة قبل نبي الاسلام احد من عرب
الجزيرة لجهلهم بمادتها اساساً وما حدث من امر مسيلمة وسجاح فقد كان بعد عصر النبوة وبعد
أن عرف العرب ماهي النبوة وكيف تدعى والمنظور من الفقرتين ان بعثة النبي ص صادفت
احتياجاً مبرماً للدعوة الاسلامية لانها واجهت امة مغدنة في الجهل الموجب للعناد و
المبارزات السخيفة كما حصل كل ذلك امام وجه النبي ص ، فقاتل بمن اطاعه
من عصاه ، بعد ان قضى من عمر بعثته ما يقرب من خمسة عشر عاماً في التبشير والانذار
فلم ينجح تبليغه الا في عدة معدودة لم تستطع ان تحتفظ بدينها الا بالهجرة الى ديار
الغربة او بالاصاخة للعذاب المزعج و كل جامعة تبلغ وحشيتها وتمردها على السعادة
الى هذا الحد لا يكون بد من سوقها الى الحق بعصا التأديب ومن هنا يعلم ان دين الاسلام
كم ساير هذه الشعوب المتعنتة بلين ورفق وسمح فلم يثن من حدتها اقل شيء كما لم
يؤثر فيها اقل شيء وبقيت الدعوة منحصرة بافراد ليس باستطاعتهم القيام بوظيفتهم ،
يسوقهم الى منجاتهم ، اى انه ﷺ لم يستهدف بقتاله اياهم ان يسود عليهم ويمص
من دمائهم ليشيد من شخصيته ويقيم من مقامه وينال من دنياه العيش الرخي والتصرف
غير المحدود كما يحاول ذلك كل زعيم بل انما فعل ما فعل وزاحم حياته وراحته و صرف
العزيم من عمره لاجل ان ينقذهم من الهلكة ويركبهم سفن النجاة : والمنجاة مصدر
ميمى وهو النجاة بنفسها ، ويبادر بهم الساعة ان تنزل بهم ، المبادرة هي الاسراع في
تحصيل المقصود والساعة هي انحلال الحياة الدنيا بقيام القيامة ومعنى الفقرة ان نبي
الاسلام من شدة شفقته على هذا المخلوق كان في هم مزعج ان يفاجمهم الله تعالى بانقضاء

هذه الدنيا الى الحياة الاخرى وهم على ضلالهم الموجب لشقائهم الابدى فكان يصل
 ليله بنهاره فى اىصال الدعوة اليهم واشباع ارواحهم بالحق الذى هم مسؤولون عنه و
 مأخوذون به فهو صلى الله عليه وسلم فى اصراره هذا كأنه يسابق الساعة بهم حتى يدخلهم فى
 رضوان الله قبل حلول آجالهم ليفدوا على ربهم بعقائد صحيحة واعمال مثمرة و هذا
 المعنى غاية فى رأفة النبي صلى الله عليه وسلم و حنانه على الناس ، يحسر الحسير ، يقال فلان
 حسر عن الشيء اذا عجز واعى والحسير هو العاجز الكال ، ويقف الكسير ، وهو من كسر
 عضوه الذى يمشى به فيقف حيث لا وسيلة الى المشى والحركة ، فيقيم ، اى النبي صلى الله عليه وسلم
 ، عليه حتى يلحقه غايته ، يقول عليه السلام ان نبى الاسلام من مزيد رأفته بعامة الناس ان
 من يعى ويعجز عن تدبر الحقائق لا يرسله ارسال المهملات كما يفعل سائر الدعاة بل
 يقيم عليه ويعلمه الشيء بعد الشيء مكرراً ومقرراً حتى يلحقه بغايته وهى التعرف بالحق
 والاعتناق له ، الاهاكأ لاخيره ، اى الا انساناً بلغ به الجهل والعناد مبلغ المكابرة
 والمهاترة ومثل هذا الامجال معه للمجاملة فهو هالك لاخيره فالى فعله رسول الله
 من كل هذا وذاك مزيد من الرأفة والحنان وسعة الاخلاق وكثرة التحمل ، حتى
 أراهم منجاتهم ، اى ماينجون به ، وبوأهم محللتهم ، اى اسكنهم مكانهم الذى كان
 من لازمهم ان يكونوا فيه : فاستدارت رحاهم ، استدارت الرحى اذا اخذت حظها من
 الدوران الصحيح بسلامة من جميع آلاتها وذلك كناية عن استتمام امور المسلمين و
 اعتماد اوضاعهم بعد اضطرابها ، واستقامت قناتهم ، والمعنى الكنائى لهذه الفقرة مثل
 الذى قلناه فى الفقرة الانفة : واستقامت القناة اى اعتدلت بعد اعوجاجها ، وايم الله ،
 كلمة يقسم بها ، لقد كنت من ساقتها ، الساقة جمع سائق كالقائد والقادة والذائد و
 الذادة ويرجع الضمير فى ساقتها الى ما يتصيد من مضامين الفقرات السابقة اى كنت فى
 هذه المناورات والمبارزات بين اهل الحق واهل الباطل سائقاً اسوق الكتائب الى الجبهة
 واقود الجيوش الى المناضلة ، حتى تولت ، تلك الغيوم المتلبدة فى وجه الحق ،
 بحذافيرها ، اى بكلمها واصبح الدين لله وحده ، واستوسقت ، اى تنظمت الامور واجتمعت ،
 فى قيادها ، اى فى النظام الذى يقودها الى الغاية كما تنظم الازمة قطار الابل فى سيرها

الى الجهة المقصودة لمسيرها ، ماضعت ، اى ما ابدت ضعفاً وانا اجد قوة ، ولا جنت ، اى ولا نكلت عن التقدم و للتقدم مجال ، ولا خنت ، دينى و ما ألقى على عاتقى من تكليف فى الذب والذيد ، ولا وهنت ، اى ضعفت عن القيام بواجبى ، وايم الله لا بقرن الباطل حتى اخرج الحق من خاصرته ، بقر بطنه اذا شقها و خاصة الانسان جانبه وبما ان الباطل فى الاعم الاغلب من شيم النفوس وديدن اكثر الناس لاجرم اذا كان رواجه واستيلاؤه على الازواض العامة البشرية موجبا لانغمار الحق تحت ركامه فيكون الحق دائماً مقهوراً باشتغال الباطل عليه ومعنى بقر الباطل شق ركامه المنشور واخراج الحق من بين اطباقه كشق خاصرة الجبل لاجرا جبينها: وهنا يليق بنا ان نشير الى خلاصة ما قام به على فى دعم الاسلام و تأييد الدعوة الاسلامية منذ طفولته الى آخر ساعة من حياته : فنقول :

لم يخدم الدعوة الاسلامية بعد النبي الاعظم اى انسان يفرض مثل ما خدمها على بن ابي طالب فقد وقف على هذا المشروع المهم حياته وكرس لتقويمه جميع قواه واذاب فى سبيله كل مهجته حتى سقط فى محرابه على حساب هذه الدعوة قتيلاً .

قال ابن حجر فى الاصابة ولد على قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح فربى فى حجر النبي ﷺ ولم يفارقه وروى غيره اكثر من ذلك حتى اوصله الى الستة عشر عاماً: وقال ابن كثير فى البداية والنهاية (ج ٣ ص ٣٥) قال ابن اسحاق حدثنى ابن ابي نجيم عن مجاهد قال و كان مما انعم الله به على على ان قریشاً اصابتهم ازمة شديدة و كان ابوطالب ذاعيل فقال رسول الله لعمه العباس و كان من ايسر بنى هاشم ان اباطالب كثير العيال وقد اصاب الناس ماترى من هذه الازمة فانطلق حتى تخفف عنه من عياله فأخذ رسول الله علياً فضمه اليه فلم يزل معه حتى بعثه الله نبياً : وعلى ان لم يكن بالغاً عند البعثة فهو انسان تام التمييز لمتابعته النبي ﷺ فى جميع حر كاته وسكناته وقيامه معه فى صلاته حيث لامصلى غير محمد و خديجة يومذاك فهذا القرب اللاصق معشراً ووشيجة رحم مع اتحاد المنزل والمأوى قاض باتصال على بدعوة ابن عمه اكثر من سواه على الاطلاق .

ومن هذا الباب ما جاء في نهج البلاغة (ج ١ ص ٣٥٥ من النهج الحديدى) من كلام كلّم به أصحابه: اما انه سيظهر عليكم بعدى رجل رحب بالبعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه الا وانه سيأمركم بسبى والبراءة منى اما السب فسبونى فانه لى زكاة ولكم نجاته واما البراءة فلا تتبرؤا منى فانى ولدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة .

وقال فى ذم اهل العراق (نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٧) من فصل : بلغنى انكم تقولون على يكذب قاتلكم الله تعالى فعلى من أكذب على الله فانا اول من آمن به ام على نبيه فانا اول من صدقه .

وفى فقرة اخرى (ج ٢ ص ٣٧٨ من النهج الحديدى) اللهم انى اول من اناب وسمع واجاب لم يسبقنى الا رسول الله بالصلاة .

ومن جملة كلام له عليه السلام ايضاً: انا وضعت فى الصغر بيكلا كل العرب وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضروقد علمتم موضعى من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقراية القريبة والمنزلة الخصيصة وضمنى فى حجره وانا وليد يضمنى الى صدره ويكنفنى فى فراشه ويمسنى جسده ويشمنى عرفه وكان يمضغ الشىء حتى يلقمنيه وما وجدلى كذبة فى قول ولا خطله فى فعل ولقد قرن الله به من لدن ان كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لى فى كل يوم من اخلاقه علماً ويامرنى بالافتداء به ولقد كان يجاور فى كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيرى ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد ايس من عبادته انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبى واكنك لوزير وانك لعلى خير (نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٠) .

وفى كتاب له الى معاوية (ج ٣ ص ٣٠٤ من النهج الحديدى) فيا عجباً للدهر اذ صرت يقرن بى من لم يسع بقدمى ولم تكن له كسابقتى التى لا يدلى احد بمثلها الا ان يدعى

مدع ما لا أعرفه ولا اظن الله يعرفه.

وقال ابن الاثير في الكامل (ج ٢ ص ٤١) عند تعرضه لآية : و انذر عشيرتكم الاقربين : ان رسول الله بعد جمعه لبنى عبدالمطلب تكلم فقال يا بنى عبدالمطلب انى والله ما اعلم شاباً فى العرب جاء قومه بأفضل مما اقد جئتمكم به قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة وقد امرنى الله تعالى أن أدعوكم اليه فأياكم يؤازرنى على هذا الامر على ان يكون اخى ووصىى وخليفتى فيكم فأحجم القوم عنها جميعاً فقال على وهو احدتهم سناً وارمصهم عيناً واعظمهم بطناً و احمشهم ساقاً انا يا نبى الله اكون و زيرك عليه فأخذ برقبته ثم قال ان هذا اخى ووصىى وخليفتى عليكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابى طالب قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع - اهـ - وعلى هذا الحديث تعليق مهم نوافيك به فى بحثنا عن الامامة قابلاً فانتظر.

وذكر الحديث الآنف الطبرى فى تاريخه (ج ٢ ص ٢١٧) وابن سعد فى الطبقات (ج ١ ص ١٧١) والنسائى فى الخصائص والكنجى فى كفاية الطالب والمتقى الهندى فى منتخب كنز العمال (ج ٥ ص ٤١ وما بعدها) وابوجعفر الاسكافى فى رد الجاحظ (الشرح الحديدى ج ٣ ص ٢٦٣) والخازن فى تفسيره المعروف والقندوزى فى ينابيع المودة (ص ١٠٥) والقوشجى فى شرحه على التجريد والطبرسى فى تفسيره واحمد بن حنبل فى مسنده (ج ١ ص ١١١) الى غير ذلك وهو كثير.

ومن كلام لامير المؤمنين عليه السلام اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبى ص ثم لحوقه به : فجعلت اتبع ماخذ رسول الله ص فأطأ ذكره حتى انتهيت الى العرج (ج ٣ ص ١٨٤ من نهج الحديدى) علق الشارح المعتزلى على ذلك فقال قال محمد ابن اسحاق فى كتاب المغازى لم يعلم رسول الله احداً من المسلمين بما كان عزم عليه من الهجرة الا على بن ابى طالب و ابا بكر اما على فان رسول الله اخبره بخروجه وأمره ان يبىت على فراشه يخادع المشركين عنه ليروا انه لم يبرح فلا يطلبوه حتى تبعد المسافة بينهم وبينه وان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدى عن رسول الله الودائع التى عنده للناس .

وروى احمد بن حنبل في مسنده (ج ١ ص ٣٢٠) عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال وشري على نفسه لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه وهو يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله : وفي الفصول المهمة : وذهب من الليل ماذهب وعلى نائم على فراش رسول الله والمشركون يرمونه : وذكر هذه الواقعة كل كتاب السيرة والمؤرخين وحررها باستيفاء في (ج ٣ من نتائج الفكر فليراجع من ص ١٥٩ الى ص ١٧٥) .

وروى الحاكم في المستدرک عن علي (ج ٣ ص ٥) قال لما كانت الليلة التي امرني رسول الله ان ابني علي فراشه وخرج من مكة مهاجراً انطلق الى الاصنام فقال اجلس فجلست الى جنب الكعبة ثم صدر رسول الله علي منكبي ثم قال انهض فنهضت به فلما رأى ضعفي تحته قال اجلس فجلست وانزلته عنى وجلس لي رسول الله فقال لي يا علي اصعد علي منكبي فصعدت علي منكبيه ثم نهض ﷺ بي فخيلى لي ان لوشعت نلت السماء وصعدت علي الكعبة وتنحى رسول الله فألقيت صنمهم الاكبر وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد فقال لي رسول الله عالجهم فعالجت ومازلت اعالج ويقول رسول الله ايه ايه حتى تمكنت منه فقال دقه فدققته فكسرتة ونزلت : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وقال المتقى الهندي (ج ٥ ص ٥٤) من منتخب كنز العمال واخرجه ابن ابي شيبة : وابو يعلى في مسنده : واحمد في المسند : وابن جرير : والخطيب في التاريخ ايضاً .

وفي كتاب التاج الجامع للاصول (ج ٣ ص ٣٣٢) عن ابن عمر انه قال آخى النبي ﷺ بين اصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين اصحابك ولم تؤاخ بيني وبين احد فقال له رسول الله ص انت اخي في الدنيا والاخرة : وعلق عليه فقال : وبهذا الحديث امتاز علي عن بقية الاصحاب : وقال ايضاً (ج ٣ ص ٤٢٠) فما اربحه وما ارفعه بهذه المؤاخاة : وفي قصة المؤاخاة حديث واسع لامجال للتبسط فيه الان .

وروى احمد في المسند (ج ٢ ص ٢٦) عن ابن عمر قال لقد اوتى ابن ابي

طالب ثلاث خصال لأن تكون لى واحدة منهم احب الى من حمر النعم زوجه رسول الله ﷺ ابنته وولدت له وسد الابواب الاباه فى المسجد واعطاء الراية يوم خيبر اه وكانت راية المهاجرين فى الوقائع كلها مع على بن ابى طالب . راجع لذلك ما ذكره ابن اسحاق والتمقى الهندى فى منتخب كنز العمال (ج ٤ ص ١٠٢ و ص ١٥٧ و ج ٥ ص ٥٠) واحمد فى المسند (ج ١ ص ١٩٩) والحاكم فى المستدرک (ج ٣ ص ١١١ و ص ١٣٧) ومحج الدين الطبرى فى ذخائر العقبى (ص ٧٥) و الحافظ الكنجى فى كفاية الطالب فى الباب ٩٥ وغير ذلك .

وقال ابن ابى الحديد فى كلامه على غزوة بدر (ج ٣ ص ٣٥٨ من شرحه على النهج) جميع من قتل ببدر فى رواية الواقدى من المشركين فى الحرب وصبراً اثنا و خمسون رجلاً قتل على ع منهم مع الذين شرك فى قتلهم اربعة وعشرين رجلاً : اه : و نظير ذلك ترا فى حديث ابن اسحاق وغيره .

وذكر اهل الحديث عن انس وغيره باستفاضة انه قال كنت عند النبى ص فغشيه الوحي فلما سرى عنه قال يا انس اتدرى ما جاءنى به جبريل من عند صاحب العرش قال ان الله امرنى ان ازوج فاطمة من على (راجع لذلك منتخب كنز العمال ج ٥ ص ٣١ وما بعدها) واقراً ما كتبه المحدثون والمفسرون فى شأن نزول آية التطهير وان احدا ساطينها على بن ابى طالب : راجع حد الاقل : مسند احمد (ج ١ ص ٣٣٠ و ج ٤ ص ١٠٧ و ج ٦ ص ٢٩٨) والحاكم فى المستدرک (ج ٢ ص ٤١٦ و ج ٣ ص ١٤٧ و ١٤٨ و ١٥٨) والقندوزى فى ينابيع المودة (ج ١ ص ١٠٦) والمحج الطبرى فى ذخائر العقبى ص ٢١ وما بعدها : والتاج للاصول (ج ٣ ص ٣٦٣) والشوكانى فى فتح القدير (ج ٤ ص ٢٧٠) وغير ذلك مما لا يحصى .

واقراً أيضاً ما كتبه فى آية المباهلة : راجع حد الاقل الشوكانى فى فتح القدير (ج ١ ص ٣١٦) والزمخشري فى الكشاف : ومسند احمد ج ١ ص ١٨٥ : والحاكم فى المستدرک ج ٣ ص ١٥٠ : والبيهقى فى السنن ج ٧ ص ٦٣ : والخازن فى تفسيره ج ١ ص ٣١٥ : والتاج للاصول ج ٣ ص ٣٢٩ و ذخائر العقبى ص ٢٥ و ينابيع المودة ج ٢

ص ١١٩) الى غير ذلك وقال ابن الاثير في تاريخه (ج ٢ ص ١٠٧) عند تعرضه لوقعة احد وكان الذي قتل اصحاب اللواء على قوله ابو رافع قال فلما قتلهم ابصر النبي ص جماعة من المشركين فقال لعلي احمل عليهم ففرقهم وقتل فيهم ثم ابصر جماعة اخرى فقال له احمل عليهم فحمل عليهم وفرقهم وقتل فيهم فقال جبريل يا رسول الله هذه المواساة فقال رسول الله انه منى وانامنه فقال جبريل وانامنكما قال فسمعوا صوتاً .

لا سيف الاذو الفقار ولا فتى الاعلى

وراجع لذلك كافة من كتب عن السيرة والتاريخ والحديث : هذا وجميع من قتل من المشركين يوم احد ثمانية وعشرون رجلاً قتل على منهم ما اتفق عليه وما اختلف فيه اثني عشر انساناً : وعلى هو الفاتح الاول للمخندق بقتله عمرو بن عبدود : وهو الذي احرز النصر في خيبر : ولقد صح متواتراً ان النبي ص قال يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتناول الناس فقال ادعوا لي علياً فاتي به ارمد فبصق في عينه ودفع الراية اليه ففتح الله عليه وللقضية تفصيل ليس محلها الآن .

وقال القاضي عياض في كتابه الشفا (ج ٣ ص ١٠) من طبعته بمصر مع شرحه نسيم الرياض وشرح علي القارى ونحن نذكر هنا ما عن الشفا وشرحه نسيم الرياض جميعاً

خرج الطحاوى وهو الامام الجليل القدر المحدث ابو جعفر احمد بن محمد الأزدي المصرى فى مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين مختلفين فى روايته هذا الحديث عنها ورواه الطبرانى باسناد مختلفه رجال اكثرها ثقة ان النبي ص كان يوحى اليه ورأسه فى حجر على فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله أصليت يا على فقال لا فقال رسول الله اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فقالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الارض والجمال وذلك بالصهباء وهى قلعة بقرب خيبر واليه الاشارة بقوله فى الهمزية .

رددت الشمس والشروق عليه لعلى حتى يتم الاداء

ثم ولت لها صرير وهذا لفراق له الوصال دواء

ثم قال وادعى ابن الجوزى ان هذا الحديث موضوع وقد قال الحافظ السيوطى

وكذا السخاوى ان ابن الجوزى فى موضوعاته تحامل تحاملاً كثيراً حتى ادرج فيه كثير من الاحاديث الصحيحة كما اشار اليه ابن الصلاح وهذا الحديث صححه المصنف و اشار الى ان تعدد طرقه شاهد صدق على صحته وقد صححه قبله كثير من الائمة كالطحاوى واخرجه ابن شاهين وابن منده وابن مردويه والطبرانى فى معجمه وقال انه حسن وحاكاه العراقى فى التقريب اهـ اقول وقد خرج هذا الحديث والقصة كثيرون جداً تعرضنا لتقولهم فى كتابنا نتائج الفكر ولا مجال لتفصيل ذلك هنا : ثم ان ما فيه من اشكال رد الشمس من حيث المجارى الطبيعية نتعرض له فى آخر بحثنا عن علوم وفنون نهج البلاغة قابلاً .

وعلى هو صاحب حديث المنزلة المتواتر حيث خلفه رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك وقال له اما ترضى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبى بعدى : وعلى هو الموجه بسورة براءة الى مكة وهو المقول فيه من ناحية النبى ﷺ لا يؤدى عنى الرجل من اهل بيتى : او لا يؤدى عنى الا انا او رجل منى : وعلى هو اقضى الصحابة وهو الاخيشن فى الله وهو الاولى بالمؤمنين من انفسهم بعد النبى بما صح متواتراً من حديث الغدير : وعلى هو الذى تخلى عن روحه وتجر دانصرة الاسلام عن نفسه وكل ما يخص ذاته فى طول ماعمر وعاش وعلى لا يدانيه فى معاليه اى انسان بعد رسول الله ولذا جاء محبواً للنفوس معجوناً حبه فى القلوب عظيماً فى انظار الكمل من الناس جليلاً عند كافة بنى آدم وحقاً ان هذا الرجل خدم نفسه خدمة يعجز عن مثلها اربط الناس جاشاً واصدقهم رياضة واشدهم شكيمة واقواهم عزيمة ولقد شق على طول حياته عاباً من الحوادث ور كما هائل من النوائب ولم يعط من متانتها مقدار شعيرة وفى ذلك من الدلالة على بطولته ومضغه للحوادث بالرجولة ما لا يخفى ولا مجال فى هذا المختصر للكلام عن حياته اكثر مما اسلفناه .

واصولاً يجب ان يعرف ان العظمة التى طلع بها فريق من بنى الانسان على مسارح هذه الحياة على اقسام (١) مجرد نسبة العظمة الى الشخص من دون ان يكون هناك كاشف ينير للباحث مدى صحة هذه النسبة و انها عن اى ملاك حصلت

وما أكثر العظمت التي تختلق بالرضائح للرواة والمؤرخين و المترجمين ثم تأخذ عنهم الطبقات اللاحقة ما حرروه كإرسال المسلمات فكم عظيم نقرؤه في بطون الكتب عظيماً ولكن الواقع لا يعترف لهذه العظمة بادنى طرف (٢) وعظمة لها واقع الا ان احجارها التي شيدت عليها كلها مظالم ومجازر وتخريب و تدمير و خنق للانسانية و كبت للمعواطف و تحطيم للمباني الفاضلة وهي كل عظمة طلع بها فاتح شهير وقائد كبير وزعيم خطير على طول سلاسل التاريخ (٣) وعظمة لها واقع ايضاً واحجارها التي شيدت عليها ليست مظالم ومجازر الا ان مبادئها التي اعطتها ونتائجها التي حصلت عنها ليست للناس عموماً وانما هي لفريق دون فريق وهي العظمة التي اقترنت بمحررى بلادهم وكاسبها الاستقلال و مخلصى مواطنيهم من الاستعمار و الازلال كغاندى الهندي و پاتريس لومومبا ونظيرهما (٤) وعظمة لها واقع واحجارها شيدت على الفضيلة و تربية العلم للعموم الا انها لم تقرن بعمل مثالى فاضل و هذا ككشأن النوابغ فى العلوم و الصناعات الذين كان همهم ترقية شخصياتهم فى المجتمع و فرضها على الوجود و النيل على منصة الزعامة فى نهاية المطاف (٥) وعظمة لها واقع و احجارها قامت على الفضيلة و لم يكن الداعى اليها حب الشهرة و انتشار الصيت و لكنهم انما افادت صاحبها فقط كشأن الصالحين الكبار الذين راضوا انفسهم على المحاسن فكانوا معجزة فى الدهور من دون ان يسخروا من طريق مـثـاليتهم جيلهم الذى عاشوا فيه (٦) وعظمة لها واقع كالسوابق واحجارها قامت على كافة الفواضل و الفضائل و كان الداعى اليها تخطيط المدينة الفاضلة وبعث الاجيال الحاضرة و القادمة الى اعتناق الفضيلة والاحتذاء حذو ما عليه هذا الداعى المبلغ من المثالية و نبل و انسانية مع اجهاد القوى فى سبيل تحقيقها و فرضها على الوجود حتى تاتى العوالم بأسرها عوالم كما يريد الله و يتمناها الانسان الكامل فى دنياه وهذه العظمة لامصدق اهل الانبيون و اوصيائهم الطاهرون بخاصة على الذى من احدى كلماته المعربة عن روجه قوله : ان قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وان قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الاحرار (نهج البلاغة ج ٤ ص ٣٤٦) ومن

هذه الروح القهارة يعرف مدى عظمتها الجبارة وكفى .

وقال عليه السلام (النهج الحديدى ج ٣ ص ٢٤٠ وما بعدها) يخاطب المسلمين بما من الله عليهم بالاسلام من رفعة بعدضة وعز بعدذل وسعة بعدضيق وأمن بعدخوف وغنى بعدفقر وكثرة بعدقلة وحاكمة بعدمحكومة وبكل خير بعد كل شر لوالفتفتوا الى ما كانوا عليه فى ماضيهم وما هم الآن عليه فى حاضرهم و يسرد لهم العبرو الامثال محذراً و منذراً .

وتدبروا احوال الماضين من المؤمنين قبلكم كيف كانوا فى حال التمحيص والبلاء ألم يكونوا اثقل الخلائق اعباء و اجهد العباد بلاء واضيق اهل الدنيا حالاً اتخذتهم الفراعنة عبيداً فساموهم سوء العذاب وجرعوهم المرار فلم تبرح الحال بهم فى ذل الهلكة وقهر الغلبة لا يجدون حيلة فى امتناع ولا سبيلا الى دفاع حتى اذا رأى الله سبحانه جد الصبر منهم على الاذى فى محبته والاحتمال للمكروه من خوفه جعل لهم من مضايق البلاء فرجاً فأبدلهم العزمكان الذل والامن مكان الخوف فصاروا ملوكاً حكاماً و ائمة اعلاماً و قد بلغت الكرامة من الله لهم ما لم تذهب الآمال اليه بهم .

من اهم فوائد العقل للموجود الانسانى هو الاعتبار بما اقترن بالكائنات والتمرن على التجارب ولوان الانسان فى نوع ما يأخذ ويندرى طبق افعاله وتروكه على المقاييس الالفة الذكر لكان فى سلامة من اكثر ما يحيق به ولعاش ارغد ما يكون بالنسبة الى غيره ولكن الانسان فى اكثر افراده حيوان خالص يمشى وراء اندفاعاته النفسية و نزواته الشهوية ولو ادت به الى فناء جارف وبلاء ما حق ونوع التموجات الدنيوية نتيجة هذه الاندفاعات الجنونية ، و تدبروا احوال الماضين من المؤمنين قبلكم .

هذا خطاب للمسلمين باعتبار اعتناقهم للدين ابتدروهم ^{بالبلاء} بهذا القول ليسليهم عما نزل بهم من الاحداث الجارحة لعواطفهم وليقوى عزيمتهم على الصبر و التحمل وان المؤمنين قبلهم اصيبوا بأكثر مما اصابهم من بلاء وعناء ، كيف كانوا فى حال التمحيص والبلاء ، يقال محصه تمحيصاً اذا قلبه على جميع وجوده ليستخلص حقيقته و البلاء هو الاختبار والامتحان والمراد من التمحيص هنا وفى كل مكان يسند الى الله سبحانه فى

في قبال مكلفيه هو اقتران المكلف في دنياه بما لا يرضاه من خوف وفقر ومرض وسائر الملبسات المؤذية الجارحة للعاطفة ويستهدف من كل ذلك قليله وكثيره ثقيله وخفيفه اثاره كـ وامن الانسان بهذا الامتحان فمن صبر وخلص وشكر على كل حالة كان له عاقبة محمودة ومستقبلاً نيراً ومن التاقت به العلة فانحرف عما ووظف له كان وخيم العواقب سىء النتائج مستحقاً للغضب من الله مطروداً عن ساحة عزه محكوماً عليه بالويل والثبور : والتكليف من المكلف انما وضع على عواتق المكلفين ليكون محكماً لطبقات البشر في مضامير هذه الحياة : نعم لاشبهة في غموض السرفى بعض الابتلاآت المستنزفة للصبر الشديدة الوقوع العظيمة للذع المنجرة الى العقوق لاستئصال النفس من شديد ما تعانیه من محنة وهذا المعنى هو الذى جرف الكثيرين الى جانب الضلالة وحرف الوافرين عن طريق الهداية ولاريب ان الاصاخة على مثله ثقيلة ولكن الله استصلح ذلك وهو أعلم بما رآه : وقد اسلفنا البحث عن غموض الاسرار الكونية فلانعيد ، الم يكونوا اثقل الخلائق اعباء ، الابعاء جمع عبء وهو الحمل ومعنى كونهم اثقل الخلائق اعباء ان ما تحملوه من التكاليف والمحن والبلايا كان اثقل مما حمل عليكم ومع ذلك صبروا ابتغاء مرضاة الله ، واجهد العباد بلاء ، الجهد هو التعب والمشقة ومعنى ذلك انهم كانوا اكثر الناس تعباً من طريق ما اثقلهم الامتحان بالبلايا والرزايا ، واضيق اهل الدنيا حالا ، من كل جهة فلان بساط رزق ولا بسطة يد ولا حسن حال ، ثم انه **عليه السلام** شرح بعضاً مما عانوه فقال ، اتخذتهم الفراعنة عبيداً فساموهم سوء العذاب ، ليس اتخاذا الانسان عبداً بمجرد ضائراً كل الضرر اذا كان باحسان نظير ما يفعله الموالى المعتدلون في سيرتهم مع عبيدهم ولكن ما فعله فراعنة الدهر مع سائر المخلوقين وراعد ذلك بمراحل وأيسر ما يقال فيه انه عبث مجنون هائج وحيوان ضارى ولا فرق في جوهر هذه الروحية الساقطة بين فراعنة القرون الاولى وهذه القرون الاخيرة ولا بدع فان رأس الانسان اذا اختمر بالجهل من ناحية وبالغرور من ناحية ثانية اخرج صاحبه عن كل الجواد معتدلها ومعوجها وصيره يجول في صحاري جرداء لا يقصد جهة خاصة ولا هدفاً معيناً وانما هو الطيش والعبث المجردان

المخربان وحذراً من وقوع الامم في مثل هذه المخازي المغرقة في الانحطاط والتسفل اشترط الشرع في امامة السلطان الشرعي اغلظ الشروط واحال انتصابه الى الله الذي يقول لاينال عهدي الظالمين : ومعنى سامه سوء العذاب اوقع به العذاب السيء وكل عذاب سيء الا ان المنظور بسوءه حيث يوصف به هو بعده عن الشرف وقربه من الاسفاف والرذيلة وكم ارحص انسان حر نفسه وأسألها على الاسل حذراً من مواجهة متحكم مستهتر وامير ساقط وملك جلف لايزن الانسان بأدنى وزنه ولا يقيمه في حدود ارضه وفي ذلك من النكايمة ما لا تتحمله العاطفة الشريفة اعاذنا الله من امثال هذه المواقف المحرجة ، وجرعوه الممرار ، شجر مر الطعم هذا في أصله ثم استعمل في كل كربه ثقيل على العاطفة والتجرع هو شرب الشيء جرعة بعد جرعة وذلك يكون اما لنبو الذائقة عنه وكرهتها له و تحملها اياه بمشقة و اما للذيذ تذوقه وشهى طعمه فتريد النفس بتذوقه ان تستفيد منه جهد المقدور و تبليغ من لطافته اكثر من المعمول ، فلم تبرح الحال بهم في ذل الهلكة ، اى ان البلاء استدر بهم على اشق احواله و اشدها فعاش من عاش منهم في محنة ومات من مات منهم اذل ميتة . و قهر الغلبة ، اى كانوا مقهورين للمتغلب مرغمين على الاطاعة له و الاصاخة لحكومته . لا يجدون حيلة ، و لا وسيلة ، في امتناع ، اى امتناع يفرض من تجاوز هؤلاء المتغلبين ، و لاسبيل الى الدفاع ، لانغماسهم في الذلة واعيانهم امام هؤلاء العفاريت ، حتى اذا رأى الله سبحانه جد الصبر منهم على الاذى فى محبته ، اى رأهم مثابرين على الصبر لا يتضععون بالحوادث ولا تزلزلهم النوائب خاضعين لحكمه راضين بقضائه كل ذلك نزولا على رضاه و تأثراً بمحبته ، و الاحتمال ، منصوب بعطفه على جد الصبر ، للمكروه من خوفه . اى ورأهم ايضاً يتحملون المكاره من اجل خوف مؤاخذته اياهم اذا سايروا الظلمة بالطاعة و الاجابة او انشروا من ضيق التكليف الى سعة التفلت على الوظيفة ولا ريب ان الصبر على بلاء الله سواء أ كان بداعى محبة الله ام كان بداعى الخوف منه محمود ومشكور ، جعل الله لهم من مضايق البلاء فرجاً ، المضايق جمع مضيققة وتفريج الشدة معناه كشف موجباتها ، فأبدلهم العزم مكان الذل والامن مكان الخوف فصاروا ملوكاً حكاماً ،

بعد قضائهم على الفراعنة بأذن الله ، وائمة اعلاماً ، الاعلام جمع علم وهو الشاخص اى انهم جمعوا بين معالى الدين والدنيا فكانوا هم حكام الناس وائمة دينهم ، وقد بلغت الكرامة من الله لهم ما لم تذهب الامال اليه بهم اى ان الله اكرمهم اكراماً ما كان يخطر ببالهم انه يكون نصيبهم فى الحياة ولا ريب ان من جمعت له زعامة الدنيا والدين فقد بلغ من الاكرام مرتبته القصى خصوصاً بعد ان كان ذليلاً مضطهداً .

فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء مجتمعة و الاهواء مؤتلفة و القلوب معتدلة والايدي مترادفة والسيوف متمنصرة والبصائر نافذة والعزائم واحدة اله يكونوا ارباباً فى اقطار الارضين وملوكاً على رقاب العالمين فانظروا الى ما صاروا اليه فى آخر امورهم حين وقعت الفرقة وتشتت الالفة و اختلفت الكلمة و الافئدة و تشعبوا مختلفين وتفرقوا متحاربين قد خلع الله عنهم لباس كرامته وسلمهم غضارة نعمته وبقي قصص اخبارهم فيكم عبرة للمعتبرين منكم .

ثم عقب عليه السلام ما افاده اولا بهذا الفصل مشيراً الى ان كل نتيجة تابعة لمقدماتها فكما ان جد الصبرا كسبهم الفرج فصاروا بعد الذلة اعزاء وعقيب البؤس الماحق سعداء كذلك تشتتهم بعد الائتلاف اعقبهم الانتكاس فى العافية والانتكاث فى الامور المبرمة حيث قال .

فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء مجتمعة ، الاملاء جمع ملاء وهى الجماعات والمنظور باجتماع الاملاء تصامدها على الرأى وتعاونها على البر وتكاتفها فى مصالح المجتمع وحساب كل انسان اخاه عضواً من بدنه وهذا هو الذى يشد الاسر ويقوى العزم لانتقارب البيوت فى المساكن و تراحم المناكب فى المجالس ، و الاهواء مؤتلفة ، الاهواء جمع هوى وهو الرغبة والطلبه اى كانت الرغبات تهدف الى منوى واحد والطلبات ترمى الى مقصد ذى الائتلاف هو الاتفاق ، والقلوب معتدلة ، اى لا ميل فيها ولا نفاق والايدي مترادفة ، بحيث تكون كل يد ردفاً لليد الاخرى والى جانبها ، والسيوف متمنصرة ، كل سيف منها ينتصر للسيف الاخر ، والبصائر نافذة ، البصائر جمع بصيرة والمراد بها المشاعر الباطنة ونفوذها هو اصابتها للمواقع ، والعزائم ، جمع عزيمة ،

واحدة ، اى متحدة و يراد بوحدها تضامدها على منظور واحد ، الم يكونوا ارباباً فى اقطار الارضين ، نتيجة اجتماع املائهم ، وملو كأعلى رقاب العالمين ، من ناحية ائتلاف أهوائهم واعتدال قلوبهم وترادف ايديهم وتناصرسيوفهم ونفوذ بصائرهم واتحاد عزائمهم ، فانظروا الى ما صاروا اليه فى آخر امورهم حين وقعت الفرقة ، بين جماعاتهم ، وتشتت الالفة ، بين رغباتهم ، واختلفت الكلمة ، فيما بينهم ، والافئدة من افرادهم ، وتشعبوا ، اى صاروا شعباً و فرقاً ، مختلفين ، فى مذاهبهم و تفرقوا متحاربين ، يوقع بعضهم ببعض ، قد خلع الله عنهم . من طريق انحرافهم وانشعائهم لباس كرامته ، فذلوا بعد العزة ، وسلبهم غضارة نعمته ، الغضارة هى الطراوة والجدة اى سلبهم ما كانوا متمتعين به من العيش الطرى و الحياة الهنيئة فألوا بعد النعمة الى شقوة وبعد الهناء الى عناء ، وبعد الوجود الى عدم ، وبقي ، منهم ، قصص اخبارهم فيكم عبرة للمعتبرين منكم ، الذين يمرون على الحوادث مرومتمأن مطمئن ليستفيد مما جاس خلاله علماً نافعاً ونصيحة ناجعة .

فاعتبروا بحال ولد اسماعيل وبنى اسحاق وبنى اسرائيل عليهم السلام فما اشد اعتدال الاحوال واقرب اشتباه الامثال تأملوا امرهم فى حال تشتتهم و تفرقهم لىالى كانت الاكاسرة والقياصرة ارباباً لهم يحتمزونهم عن ريف الافاق و بحر العراق و خضرة الدنيا الى منابت الشيحومها فى الريحونكد المعاش فتر كوهم عالة مساكين اخوان دبروو براذل الامم داراً واجدبهم قراراً لا ياوون الى جناح دعوة يعتمون بها ولاالى ظل الفة يعتمدون على عزها فالاحوال مضطربة والايدي مختلفة والكثرة متفرقة فى بلاء اذل واطباق جهل من بنات موؤدة واصنام معبودة و ارحام مقطوعة و غارات مشنونة .

فاعتبروا بحال ولد اسماعيل وبنى اسحاق وبنى اسرائيل ، المجموع من حيث المجموع بالنسبة الى ما سلف ع بيانها فى الفصول السابقة وما يتعرض له لاحقاً : اما بنو اسحاق وبنو اسرائيل فبعد ان طالمت مدتهم ملو كأوسلاطين انقرضوا التشتتهم انقرضوا حقيقتهم ولقد فعل بهم بخت نصر افعالاً ضاقت عليهم الارض من بعد رحبها كما شرح ذلك مبسوطاً فى التاريخ

العمومي : واما بنو اسماعيل وهم عرب الحجاز وما والاها فهم المعنيون بهذا الفصل الذي بأيدينا ، فما اشد اعتدال الاحوال ، المنظور باعتدال الاحوال هنا هو ايقاع المقارنة التامة بين حالتى بنى اسحاق واسرائيل من استعباد الفراعنة لهم وافراج الله بعد ذلك عنهم و عدم شكرهم للنعمة حيث ارتكسوا فى البلاء مرة ثانية و بين حالتى ولد اسماعيل حيث كانوا قبل الاسلام اذلاء صاغرين وبعده اعزاء منعمين وانتكات حالهم بهذه النعمة حين انقسموا على انفسهم وتفرقوا فرقاً واحزاباً اذن فالمنظور باعتدال الاحوال تعادلها بين هؤلاء وهؤلاء فى التقابل ويؤيد ذلك قوله فى الفقرة الثانية ، واقرب اشتباه الامثال ، فان المنظور بذلك مشابهة المثل للمثل والنظير للنظير ، تأملوا امرهم فى حال تشتتهم و تفرقهم لىالى كانت الاكاسرة ، ملوك الفرس . و القياصرة ، ملوك الروم ، ارباباً لهم ، مسلمطين عليهم تسلط الرب على مر بوبه ، يحتازونهم عن ريف الافاق وبحر العراق وخضرة الدنيا الى منابت الشيخ ومهافى الريح . يقال فلان حاز الناس الى مكان كذا اذا دفعهم عن سائر الامكنة و جمعهم فى المكان المذكور و الريف هى القرى ذات المراتع والمرايع وبحر العراق انهاره ومياهه العذبة المغدقة وخضرة الدنيا زهرتها والشيخ نبات معروف احسن ماترعاها الابل وهفا يهفو اذا خفق ومهافى الريح هى الامكنة التى تخفق فيها الرياح بكثرة وذلك نوعاً يكون فى الصحارى الجرداء حيث لا ماسك للريح من بلدان وجدران و رطوبة ارض و نبات متكاثف و حواجز اخرى تقلل من حدته وتخفف الكثير من عبرته : يريد ^{تعالى} ان دولة الاكاسرة لما استفحلت فى الشرق والقياصرة لما تمكنوا فى الغرب ملكوا كل بلاد العرب كل بنسبته اما الفرس فأنهم استولوا على العراق و الحجاز ومامت الى ذلك واما الروم فانهم ملكوا الشام و ما قرب منها و ليس للعرب مواطن غير ذلك و بطبيعة التنافر بين العناصر المتفككة و اختيار الحاكم المسيطر لنفسه كل ما لذ وطاب اخذ العرب يتسللون حذر المضايقة الى منابت الشيخ ومهافى الريح ، ونكد المعاش ، وهى المعيشة المستقدرة الضيقة، فتر كوهم عالة ، اى فقراء ذوى عيال ومفردها عائل كقادة وقائد و زادة وذائد ، مساكين ، اى اذلاء على فقرهم ، اخوان دبر و وبر ، الوبر

هو صوف الأبل والدبر هو الأثر الذي يخلفه القتب في ظهر البعير والمنظور انهم لا يملكون غير الأبل شيئاً والأبل لا تعنى إلا الغناء القليل ، اذل الامم داراً ، لفقدانها للعمران وكل دار تفقد ذلك لا تكون لها اية مكانة ، واجد بهم قراراً ، لان اغلب منازلهم آباط الصحارى ومثل هذه الارض لا تكون مظنة للخصب ، لا يأوون الى جناح دعوة يعتمسون بها ، المنظور بالدعوة هنا الدين اى لم تكن لهم جامعة دين تجمعهم بل كانوا اشتأ تأنفى طرائقهم الشركية كل قبيلة تعبد صنماً خاصاً : شبه الامام ﷺ الدين بجسم ذى اجنحة يحذب على افراده بضمها تحت جناحيه كما تفعل الدجاجة ونحوها وكل مبدأ دينى هو كذلك فانه يلف جميع معتمقيه تحت رايته واعتصم فلان بفلان اذا احتتمى به فصار ذاعمة من طريقه ، ولا الى ظل الفة يعتمدون على عزها ، كذلك شبه ع الالفة بشاخص عظيم تتسع ظلاله ويستراح الى بردها ولا ريب فى ان التآلف يوجد قوة ومنعة يعتز بهما صاحبه ، فالاحوال مضطربة ، مشوشة وكيف لا تكون كذلك والعرب اشتات فى كل اشياهم ، والايدى مختلفة ، غير متصامدة فى امتدادها . والكثرة متفرقة ، الى افراد وآحاد وهل يغنى الفرد عن نفسه شيئاً ، فى بلاء ازل ، الازل هو الضيق والبلاء هو المحنة اى انهم كانوا فى محنة ضائقة ، واطباق جهل ، الاطباق جمع طبق والمراد تراكم جهلهم ، من بنات مؤودة ، اى مدسوسة فى التراب وهى ذات حياة كانوا يفعلون ذلك اما من جهة الفقر او خوف العار حسبما يزعمون وكل ذلك جهل عارم ، واصنام معبودة ، ولا جهل وراء ان ينحت الانسان شيئاً بيده ثم يقع له ساجداً . وارحام مقطوعة ، وهو من اشد مراحل الجفاء . و غارات مشنونة ، اى متفرقة يقال شن عليه الغارات اذا فرقها عليه من كل وجه : وما كان يقر للعرب ليل ولانهار من أغارة بعضهم على بعض لدواعى تافهة لا قيمة لها .

فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم حين بعث اليهم رسولا فعقد بملته طاعتهم وجمع على دعوته ألفتهم كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها وأسالت لهم جداول نعيمها والنفت الملة بهم فى عوائد بر كتبها فاصبحوا فى نعمتها غرقين وفى خضرة عيشها فكلمين قدر بعث الامور بهم فى ظل سلطان قاهر وآوتهم الحال الى كنف عز غالب وتعطفت الامور

عليهم في ذرى ملك ثابت فهم حكام على العالمين وملوك في اطراف الارضين يملكون الامور على من كان يملكها عليهم ويمضون الاحكام فيمن كان يمضيها فيهم لاتعجز لهم قناة ولا تفرع لهم صفاة .

فانظر والى مواقع نعم الله عليهم حين بعث اليهم رسولا ، مواقع النعم محالها والمراد بالرسول هونبى الاسلام ، فعقد بملته ، اى طريقته ودينه ، طاعتهم . ومعنى ذلك انه نص ربط طاعتهم بدينه على اختلاف الانحاء فالانسان منهم بصرف التبليغ والتمتعن الجاهل بسوقه الى السعادة وان لم يرض بها ، وجمع على دعوته القتمهم ، فان الاسلام الغى حروب الجاهلية وغاراتها وابطل حزازاتها وقارب بين قلوب الناس و آخى بين المسلمين ، كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها ، فتفياوا ظلالها ، واسالت لهم جداول نعيمها ، لقد تغيرت الحال بالعرب بعد الاسلام بمالم يكن فى حسابهم من حيث السعة والنعيم فضلا عن الراحة و الانبساط والعزة والحضارة ، و التفت الملة بهم فى عوائد بر كتبها ، العوائد جمع عائدة وهى الفائدة التى تعود على الانسان ومعنى التفاف الملة بهم فى ذلك انها عمرتهم بالمنافع والبركات كما يغمر اللباس لابسها ، فاصبحوا فى نعمتها ، اى نعمة الملة التى هى دين الاسلام غرقين ، قدضفت عليهم النعم حتى غطتهم وغرقين جمع غرق اسم فاعل من غرق بكسر الراء يغرق فهو غرق على زنة فعل . بفتح الفاء وكسر العين ، وفى خضرة عيشها فكبهين ، خضرة العيش طراوته واخذايته للبصر والفكه هو البطر الذى انسته النعمة كل خاطرة سواها ، قد تربعتم الامور بهم فى ظل سلطان قاهر ، السلطان هو التسلط والقاهر هو الغالب وظل السلطان كنفه المطمئن ويقال تربع فلان فى جلسته اذا جلس على هيئة يأخذ فيها راحته فى جلوسه وهو هنا كناية عن استراحة المسلمين فى ظل الاسلام استراحة حاوية لكل مزايا الاطمئنان ، وآوتهم الحال الى كنف عز غالب ، آواه ضمه اليه وأحزله أمنه وسلامته والكنف هو الجانب والعز الغالب هو العز الذى لاعز الادونه والمراد بالحال ما كان عليه الاسلام زمان امتناعه وارتفاعه ، وتعطفت الامور عليهم ، اى تمايلت نحوهم واقبلت عليهم ، فى ذرى ، جمع ذروة وهى القمة ، ملك ثابت ، مستقر غير متزلزل ، فهم ، من طريق الاسلام ، حكام على العالمين ، ولقد كان ارفعهم مكانة بائسأفى دنياه من

جميع جهاته ، وملوك في اطراف الارضين ، خضعت لهم اغلب الممالك ، يملكون الامور على من كان يملكها عليهم ، من الفرس والروم ، ويمضون الاحكام ، اى ينفذونها فيمن كان يمضيها فيهم ، شأن كل حاكم ومحكوم ، لاتعمن لهم قناة ، من صلابتها و الغمز معناه تأثير الاصبع في المكان الذى يعصره والعبارة كناية عن تمام اشدهم و استكمال قوتهم ، و لاتقرع لهم صفاة ، الصفاة الصخرة الصماء الملساء وقرعها هودق شىء عليها فاذا هيب جانب انسان تبوعده عنه فلا تكاد الخطوب تصل اليه كما اذا استعظم الانسان جبلا او رجلا او بحراً فانه يهرب منه قبل ان يماسه فمعنى لاتقرع لهم صفاة ان حوزتهم مهابة لا يدنو اليها احد و كذلك كان الاسلام في صدره الاول بعيداً عن الادناس المخزية والنوايا المظلمة والروحيات الساقطة وبعدها استحال الى عالم آخر لاربطله بالدين ولا انتساب له بمحمد خاتم النبيين .

و قال عليه السلام من خطبة له في شأن الاسلام ايضاً (ج٢ ص ٢١٩ من النهج الحديدى) الحمد لله الذى شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده و اعز اركانه على من غالبه فجعله أمناً لمن علقه و سلماً لمن دخله وبرهاناً لمن تكلم به و شاهداً لمن خاصم عنه نوراً لمن استضاء به وفهماً لمن عقل ولباً لمن تدبر و آية لمن توسم وتبصرة لمن عزم وعبرة لمن اتعظ ونجاة لمن صدق وثقة لمن توكل وراحة لمن فوض وجنة لمن صبر فهو بلج المناهج و اوضح الولايج مشرف المنار مشرق الجواد مضىء المصابيح كريم المضمار رفيع الغاية جامع الحلبة متمنافس السبقة شريف الفرسان التصديق منهاجه و الصالحات مناره و الموت غايته و الدنيا مضماره و القيامة حلبته و الجنة سبقتة .

الحمد لله الذى شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده ، باعتبار ان الاسلام دين جامع لشمل المحاسن بعيد عن الانتحياز والانتهاز ضامن للسلام العام و احقاق الحقوق وتر كيز كل شىء فى نصابه لذلك كان من موجبات حمد الله و الثناء عليه بما شرع و نشر من تعاليم هذا الدين و سهل موارد على الظماء و العطاش حيث يستطيع كل عطاش ظمآن ان يرد منه بدون مؤنة ، واعز اركانه على من غالبه ، اى من حاول ان يدكه بالمؤاخذات و سوق الشبهات ، فجعله أمناً لمن علقه ، اى تمسك به والمراد من امنه ان من

تمسك به بعدمعرفته لا يخاف ان يفليح لانه سالم الشرايع ومرتهن بالواقع ، وسلمنا لمن دخله ، اى ان من يدخل في هذا الدين ويكون به من المتمسكين لامحالة يكون من السالمين وبرهاناً لمن تكلم به ، اى ان كل من يدافع عنه تكون شرائعه برهاناً له وودليلاً على ما يقول ، وشاهداً لمن خاصم عنه ، اى ان الاسلام بصحة نظمه من البيئات الصادقة لكل من يذب عنه ، ونوراً لمن استضاء به ، لا ببناء تعاليمه على المقاييس الصحيحة التى لا مغزى فيها ولا شبهة تعترىها ، وفهما لمن عقل ، اى تبصر وتفكر ، وللبالمن تدبر ، وتأمل فيما تصور ، وآية لمن توسم ، المتوسم هو الذى يلاحظ الوجود ويمعن فى التفرس فيها ليعرف من هى والاية هى العلامة اى ان الاسلام علامة واضحة من نفسه لمن يريد التعرف بالطريقة الحققة والدين الصحيح ، وتبصرة لمن عزم ، العزم هو عقد النية على المضى فى المقصود والتبصرة هو ما يعطى البصيرة اى ان الاسلام يبصر اهل العزائم بالواقع الذى ينبغى ان يقصدوه وذلك هو التدين به والاتباع له دون ما سواه ، وعمرة لمن اتعظ ، فان الاسلام بما فيه من اخلاق و آداب دافع قوى لمن اراد ان يصلح نفسه ويرعوى عن غيه وينتقل عن جهله ، ونجاة ، فى الشأئين ، لمن صدق ، به عن ايقان ودان له بأذعان ، وثقة لمن توكل ، عليه فى جميع ما يأخذ ويذر ويفعل ويترك ، وراحة ، من الموبقات ، لمن فوض ، اليه أعماله وطبقها على برامجها ، وجنة ، واقية ، لمن صبر ، على مشاق التكليف وكبح جماح النفس ومتطلبات الرغبة ، فهو أبلج ، اى واضح ، المناهج ، وهى المسالك التى ينهج عليها ، ووضح الولايج ، جمع وليجة فعيلة من الولوج وهى المداخل اى ان مداخل الاسلام واضحة لابهمة فيها لا ببناء تعاليمه على الفطرة ، مشرف المنار ، جمع منارة وهى الشاخص الذى يوضع على رأسه ناراً ونور ليضىء للمتحيرين والاسلام بتعاليمه النيرة يجذب اليه كل احد حتى البعيد اذا لم يصدده صاد عن وجهه ، مشرق الجواد ، اى ان طريقه لاجبة واسعة مضيئة لا يتخبط فيها سالكها ، مضىء المصابيح ، ومصابيحها هى تعاليمه وقوانينه ، كريم المضمار ، المضمار هو المكان الذى تضر فيه الخيل حتى يخف عليها الر كض فى السباق والمنظور بكرم مضماره ان ما يستهدف بهذا المضمار امر وراء مسابقة الخيول بمراحل وذلك هو المسابقة بالاعمال الصالحة

الاخلاق الراجحة، رفيع الغاية، لان الغاية منه فى الدنيا اصلاح الاجتماع وفى الآخرة الفوز بالنعيم المقيم وليست غاية فى الغايات ارفع من ذلك ، جامع الحلبة، الحلبة هى جماعة الخيل المعدة للسباق والمنظور بجامعة حلبة الاسلام انه يجمع افراده على البر والاحسان والتقوى والايمان وكل خلق فاضل، متنافس السبقة. اى ان احراز السباق فيه محل منافسة بين عموم المستبقيين لما فى ذلك من غايات رفيعة جداً، شريف الفرسان اى ان حلبته لم تحتو الاعلى اشرف الناس وهم الذين يزنون الحق بميزانه الراجح، التصديق منهاجه ، اى ان طريقة الاسلام قائمة على التصديق بالله وجماعة رسله ومجموعة نظمه، والصالحات مناره، اى ان شواخصه التى يناد عليها هى الصالحات من الاخلاق ، والموت غايته ، اى غاية هذا السباق بمعنى ان المسلم فى اهتمامه بدين الاسلام ينوى غايتين احدهما عرضية والاخرى طولية اما العرضية فهى تسيير حياته على برنامج صحيح واما الطولية فهى استحصال نتائج زحماته فى دنياه من طريق قيامه بمشاق التكاليف بعد موته يوم يقوم الناس لرب العالمين ليستوفى كل منهم حقه الذى يستحقه ، والدنيا مضماره ، اى مضمار السباق المذكور من طريق هذا المضمار يأتى السابق سابقاً، والقيامة حلبته، اى مكان اجتماع المتسابقين، والجنة سبقته، اى رهانه الموضوع ومنها فى ذكر النبي ﷺ: حتى اورى قبساً لقايس وانار علما لحابس فهو امينك المأمون وشهيدك يوم الدين وبعيئك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم اقسم لهمقسماً من عدلك واجزه مضغفات الخير من فضلك اللهم واعل على بناء البانين بنائه واكرم لديك نزل له وشرف عندك منزلته وآتة الوسيلة واعطه السنا والفضيلة واحشرنا فى زمرته غير خزايا ولا نادمين ولا ناكبين ولا ناكثين ولا ضالين ولا مضلين ولا مغتورين .

حتى اورى قبساً لقايس ، حتى غاية للكلام سبق منه ﷺ لم يذكره الشريف رحمه الله اى انه ﷺ أجهد نفسه طوال ثلاث وعشرين سنة راض فيها احوالاً صعبة واوضاعاً سوداً مدلهمة وبارز فيها حيوانات كواسر ووحوشاً ضواري حتى اطلع الحق من تحت ركام الباطل والنور الواضح من اطباق الظلمة يقال اورى الزند اذا قدحه فاشتعلت ناره واورى النار اذا الهبها والقبس شعلة النار والقايس هو

المترصّد للاستفادة منها ومعنى ذلك انه ﷺ انار الحق لطالبه بعد ان عزّطه عليه ، وانار علماً لحابس العلم هو الشاخص وانارته وضع النور عليه للاهتداء به والحابس هو السدى حبس مطيته عن المسير لحيث لا يدري اية ناس حية يقصد لاشتداد الظلام عليه فاذا أنير في وجهه انطلق لمقصده لاتضاح النواحي له ، فهو امينك المأمون ، الذي ائتمنته على شرائعك فقام في تبليغها خير قيام لا وانياً ولا وكلاً باذلا في سبيل ذلك كل حوله وطوله ، وشهيدك يوم الدين ، اى هو الشاهد المصدق على من آواه او آذاه ومن صدق به ومن كذبه ومن أجلك فيه ومن وهن به ، وبعيثك نعمة ، على الخلق ، ورسولك بالحق رحمة للناس ، اللهم اقسام له مقسماً ، اسم بمعنى المصدر اى اقسام له قسماً ، من عدلك ، وهو ايقاؤه حقوقه من جميع الجهات ، واجزه مضعفات الخير من فضلك ، اى ضاعف له ما يستحق تفضلا من عندك فانه اهل لذلك : اللهم وأعل على بناء البانين بناءه ، اى ارفع دينه على كافة الاديان ، واكرم لديك نزله ، اى ضيافته ، و شرف عندك منزلته ، اى اجعل مقامه عندك محترماً مكرماً ، وآته الوسيلة ، اى اجعله وسيلة يتدفع به غيره اليك ممن يستحق الشفاعة ، وأعطه السناء ، بالمد هو الرفعة والعلاء ، والفضيلة ، وهى التقدم على من سواه ، واحشر نافي زمرته ، اى جماعته ، غير خزايا ، جمع خزيان مثل سكارى وسكران و الخزيان هو الخجل مما طلع به من الخزى والعار اى وفقنا للاستئمان بسنته والامتثال لشريعته حتى لا نخزى عندك وعنده ، ولا نادمين ، يومذاك على ما فرطنا في دنيا نامن الانجراف عن طريقته ، ولانا كمين ، اى عادلين عن جادته ، ولانا كثيرين ، اى ناقضين لعهد الالزام وفاؤه ، ولا ضالين ، فى انفسنا عن دينه ، ولا مضلين ، لغيرنا عن ملتته ، ولا مفتونين ، بالاهواء عن شريعته .

هذا وما افتتح امير المؤمنين عليه السلام خطبة ولا رسالة بغير حمد الله و الثناء عليه فى كل احواله وأطواره من عسر ويسر و ابرام قضية او انتكاث امر ولا ذكر الله بما هو امله الا وعقبه بذكر رسوله محمد (ص) وأشاد بفضله وشرفه ودعاه ممجداً وكرر القول فيه مؤكداً بما لا يوجد لغيره من كافة الصحابة وبقية المسلمين اقل القليل من ذلك ومن الطبيعى ان يكون على (ع) على ما وصفناه ذلك لان علياً جمع من الصفات

والمؤهلات مالا يوجد منه في من سواه من كافة المسلمين بضرورة العيان .

فمن اوصافه الغر انه في طليعة المؤمنين بالله ايماناً ذوّبه فيه حتى احوال منه انساناً يشكر المبدأ الا علا على الضراء اكثر من شكره له على السراء معتقداً ان كل ما اصابه من نكبات الزمان وما اكثر اصابتها له من لدن ان ولد الى ان قتل فانما هو من تحبب الله اليه الموجب لمزيد قرب به وارتفاع درجته ومن هذا الطريق نراه فانياً في ربه فناء ما وجد في مسلم على الاطلاق و امارة ذلك زهده البالغ حد الاعجاز وما لزمته للعبادة ملازمة الظل للشاخص واجتنابه عن كل شائبة قد يحتمل من طريقها ان تجر الى ما لا يرضاه الله سبحانه وقيامه بوظيفة المواساة جهد المستطاع : وانه في طليعة العارفين بالله و كلامه الذي اثر عنه في مقام التوحيد لم يؤثر مثله عن اى موحد سواه على استجماعه للحق وابتعاده عن كل شبهة و شك و ما اسلفنا الحديث عنه في الفصل الآنف طرائف منه وما امسكنا عن ذكره اكثر من ذلك .

وانه في طليعة الدعاة الى الله والدار الآخرة ومحاسن الاعمال واقواله وافعاله في ذلك مالا يأتى عليه الشرح المبسوط ولقد كان في هذا المجال امة وحده فهو منقطع النظر حقاً .

وانه في طليعة الاوفياء الامناء و اقل شاهد على ذلك ملازمته للرسول من بدء حياته و ذبه عنه اكثر من ذبه عن نفسه على الاخص في المضائق المخرجة ولقد تخلى عنه ﷺ كل اصحابه جنازة لا يعباون بشأنه لاهين بمقاصد اخرى لسنا بصدها الان واقام على ﷺ عليه حتى دفنه ونقض بعد ذلك كلمتا يديه من كافة حقوقه بقاء على اسمه ﷺ وحفظاً لدينه ودعوته وهذا غاية الوفاء انصافاً و اضاف على كل ذلك انه ﷺ جعل ذكره ﷺ وتمجيده وايقائه حقه من التجليل والتكريم والتنويه والاشادة بفضل ونبله ورد لسانه لا يعزب عن ذهنه ولا يفارق اشداقه طرفة عين و يرى ذلك فريضة عليه اكثر ممن سواه - ولا جرم - فانه ﷺ خريج مكتبته و تلميذ مدرسته و غصن من دوحة و خالصة لنفسه و امين سره و خليفته بالحق و وصيه والولى بالمؤمنين من انفسهم من بعده و كانت هذه الروابط الخاصة بين الاستاذ

والتلميذ مشهودة لكل احد وهى التى اهابت بالمتحيزين ان يمتننوا فرص الاغتنام ليقطعوا هذا الفحل عن الجولان فى ميدانه وأسروا ذلك فى انفسهم واعملوا منوياتهم فى اول ساعة ممكنة واخذوا يطاردون هذا الرجل بشتى الصور والالوان ويدفعونه عن حقه فى آن بعد آن ورضيت لهم انفسهم ان يقدموا عليه اذ ناب الناس ويرشحوا لمقام الخلافة الاسلامية التى هى تلوا النبوة معاوية بن ابي سفيان ويزيد بن معاوية ومن الى ذلك ممن يضيق بذكره الفم وينبوع عن استحضار هويته الذهن وما وقائع مرج عذراء وعرصة كبر بلاء والحرة الاوليدة تلك التحديات التى قام بها القوم ازاء امير المؤمنين على عليه السلام واهل بيته الاجلاء وخلص اصحابه الامناء ، ودع عنك نهبا يصيح فى حجراته ، ولكن هلم الخطب فيمن مضت عنه هذه الادوار وتخلت عنه هذه الاعصار وفاته منهار ضائخ معاوية لابي هريرة الدوسى واضرا به يجىء بعد قرون من الزمان مدافعا عن هذه الطغمة اعداء الانسانية وجناة البشرية وفاتحى باب الظلم والاعتات فى وجه الامة المسلمة : وليت شعري ما ارتباط ما كان عليه بسر بن ارطاة وزيا بن ابيه ومسرف بن عقبه وعبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف بما جاء به النبى ص ودعا اليه : وعلى اى ميزان تطبق هذه الحركات النابية عن مذاق الانسانية ولكن قتل الانسان ما كفره .

اما على ان ضاع حقه بين معاصريه فلقد عرف له بعض الحق من جرد فكرته عن اوهام الدسائس واستخلص روحه من بين التعصبات البغيضة ولم تدر كه شنشنة من اخزم فقالوا عنه وكتبوا فى شخصيته ما يفرضه الحق عليهم تجاه انسان محق ونكتفى من هذا الفصل بما اسلفناه .

ثم لنختتم الفصل بكلمة عن ذات النبى محمد ص فنقول لا بدع ان يكون لارادة الله بانسان خيراً اثر قهار فى توجيه ذلك الانسان وتربيته وحسن نشأته فهل ترى ان الانبياء المرموقين الذين خلدوا انفسهم واصواتهم ودعوتهم وطلوعوا الى الدنيا باعظم ما طلع اليها نابغ له شأن وكيان عظيم ان كانوا كالعصا بيد الرجل الجلد ان أثرت ضربتها فى شىء فانما هو نتيجة قوة الضارب وهى فى نفسها آلة هامة لاقيمة لها وان تصوير القضية وراء ذلك بما الاربط له بمادة المثال .

نعم تصوير القضية خارج عن هذه الحدود اما اولاً فان لكل انسان في نفسه حدود اختيارات واسعة يستطيع ان يتسفل من طريقها نازلاً كما يستطيع ان يعلو فائقاً و قد ابدى العيان كلتا الصورتين وطبقهما على الخارج تطبيق تجسيم : واما ثانياً فكم من نبوغ طبيعي في الحاسة اوهب به صاحبها فمآعاره طرفة عين فكان في مطاوى وجوده كالكنز المدفون تحت الارض لا يستفاد منه واما ثالثاً فكم من نابغة تسعى لنبوغة وشعشع به آفاق جوّه ولكنه اكنفى من ادراكه للغايات البعيدة ببعض منها ووقف في مكانه مكتفياً بما حصل ونحن مهبا اشبعنا الموقف بالمتابعة ووسعنا نطاق الاعتراف لزمرة النابهن من الانبياء كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وقلنا انهم كانوا يملكون فوق الطاقات العادية للانسان نبوغاً وانهم شعشعوا آفاقهم من طريقه وان الغيب امدهم وراء ذلك بأمدادات هائلة حولتهم الصلاحيات الكبرى لمهمتهم الا ان ذلك لا يكفي في تعليل هذا الثغاني المدهش الذي قاموا به ووقفوا له حتى الثواني القصار فضلاً عن السنين الطوال من اعمارهم تجاه الهدف الذي رموه : ألم تكن ابدانهم كهذه الابدان التي تعبى وتعجز وتمل وتكل وتطلب الراحة من مظانها باغلا الاثمان نعم كانت ابدانهم كذلك الا ان ارواحهم اندلعت من بواطنهم فكانت عليهم كالدروع المسرودة تقصدها الحوادث و الغوائل بالمزعجات لكنها تنبو عند المصادمة حيث تجد سوراً حديدياً مضاعفاً قد رصد لحدودها فكلما لاقته بعنف تكهمت وهذه الروح هي التي انطقت محمداً ﷺ حيث قال لخصومه والله لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي لما انشيت عما انا قاصد له وهذا التصميم ما وراءه غاية لطالب واذا كانت الهمة بهذه المثابة فلاريب ان تنحط صم الجبال سائخة الى الارض اجابة لطلبها خصوصاً اذا اسعفها القدر الفعال : ومحمد بذل من نفسه من اول ساعة ابعث فيها الى آخر لحظة من حياته كل ما يقوى عليه من جهد في سبيل تقديم دعوته الى الامام وتطبيقها على العالم ولوان القضاء المحتوم افرج له عن نفسه بمقدار ما يعيش به الانسان الطبيعي لكان تأثيره في الوجودها ثلاً جداً كيفوها نحن اليوم نرى القوى الهدامة من مادية وتبشيرية تدلح السننها بالشهب الحادة حتى في اواسط ممالك المسلمين وعلى ايدى العملاء منهم

فتعبث وتعيث جهد ما تستطيع ومع ذلك نرى دعوته محلقة وفضائلها ظاهرة وعلومها قاهرة و اشراقها على رغم تلبد الغيوم في آفاقها واضح جلي قد ملاء قلوب حساده و اعدائه غيظاً لا يبوخ اواره فمحمد ﷺ ان كان نابغة فهو من هذا الطراز المنقطع النظير.

وفي الختام نجمع الكلام على علل تقدم الاسلام وانحطاط المسلمين ذاك في اول ادواره وهؤلاء في اواخرهم فنقول اما الاسباب الموجبة للمتقدم فهي .

(١) وجود الداعي المخلص المؤمن بدعوته الحر في عقيدته المتفاني في تركيز خطته و هذا الملاك قل ما يوجد في اطباق البشرية على سعتها الا في افراد قلائل جداً من ارقاهم مثلاً النبي محمد ﷺ فقد كان من اخلاصه انه لم يترفع بنفسه حتى على آحاد المسلمين في ازهر عصور رقيه و تعاليه ولم ينحز حتى عن صفوف السائرين منهم بل كان كاحدهم في كافة الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ولقد عبرص عن روحه هذه مراراً و كراراً و قال انا واحد منكم لولا النبوة كما انه عاش عيشة بسيطة جداً و ليس وراء اعداد حجر المجاعة لرد عاصفة الجوع غاية يقصد ها زاهد متكشف وانه مات حين مات عن لاشيء يعتد به و كفي ذلك مقياساً اعلا في النزاهة و الصدق و الخلوص : و كان من ايمانه بدعوته انه صرح خصومه كما صرح احبائه بانه لو وضعت الشمس في يمينه والقمر في شماله على ان يترك استمراره بدعوته لما فعل و مثل هذا التصميم لم يوجد في اي انسان سواه : و اما حريته في عقيدته فانه ماداهن عدوا و لا صديقاً و لا جامل انساناً بما يضر بالحق و تنجيز الدعوة : و اما تفانيه في تركيز خطته فانه لم يتأخر عن الشخصوس في صدر كتائبه و لم يفر عن حومة ميدانه و لم يتوان عن تقديم دعوته ساعة واحدة فضلا عن الاكثر منها و بعبارة أقصر انه اذاب وجوده من لدن بعثته الى آخر ساعة من حياته في تركيز خطته و تمشيت دعوته و تقديم دينه و اصلاح امته و اسعاد البشرية على طولها .

(٢) وجود الحواريين من نمطه في دعم دعوته فانه كما قال ص المؤمن كثير

بأخيه فان الحوارى المؤمن المستقيم المعتقد يعدل جيشاً جراراً من القناو القنايل
ويغنى غناء الآلاف من الناس ولقدسأل عماراً سائلاً من حضار صفين و كان قد دخله
الشك فى جواز مقاتلة اهل القبلة بمازورهم الدجالون من اتباع معاوية و هواة سياسته
عن موقفه الذى هو فيه فأجابه بكلمة هى غاية فى رصانة التعبير عن المقصد الواقعى
وقال والله لو هزمونا الى سعفات هجر لعلمنا ان على الحق وانهم على الباطل : ولا ريب
ان مثل هذه الروح اذا تبطنت جوف انسان صيرت منه قوة هائلة لك العدو وقد يسر الله لسوله
جملة من المهاجرين والانصار صدقوا فى مبايعته و كنفوا دعوته بالذود الكامل والعناية
التامة وفى طليعتهم سيدهم واميرهم على بن ابي طالب الذى بذل وجوده على ما فيه من
علم جم وشجاعة قهارة و كفاءة فى كل المطالب و المقاصد و لهذه البطولة من هؤلاء
الابطال القلائل فى عددهم الكثيرين بحولهم و طولهم اخذ الاسلام يتقدم الى الامام
خطوات واسعة حتى فرض نفسه على الوجود رغم كافة المحاولات التى صنعت لذكه .
(٣) سلامة الدعوة فى نفسها من الهنات الموبقة فان من يدرس القرآن درساً
عميقاً وهكذا ما صح من السنة النبوية و علوم اهل البيت يجد نفسه بين مجتمع من الحقائق
التي لا تنعمز بغامز ولا تمس بما يطيح بالكرامة و العقل البشرى مهما لوثته النفوس
الدينئة و شوهت منظرة المادية الساقطة فانه لا يعطى كل توازنه من يده ولا يفقد
هويته بالمرّة و اصولاً لا تعدم الحقيقة سامعاً واعياً ومنتصراً واقعياً على طول الاجيال
ومع كل الموهنات : فهذه الاصول الثلاثة بمنزلة الاثافى لرفع الاسلام وتأثيره الاثار
المرموقة فى الكون .

واما علل انحطاط المسلمين فانك تقرؤها فى المواد اللاحقة -

(١) قوت الداعى وعدم من يقوم مقامه ويسد فراغه كما يقوم مقام الرئيس معاونه
و كان ذلك اول ضربة هادة للإسلام فان نبيه (ص) لما اصطفاه الله اليه عبث حضار
السقيفة من مهاجرو انصارى بكرامة الحق وطلعت الى الوجود تلك الارواح المتناكرة
التي قضى عليها محمد ص حيث حقق الاخوة التامة بين عامة اصحابه جهداً استطاع فلم
تكن فى زمانه حزانات ساعرة تلهى القوم بعضهم ببعض عن ملاقاته المشا كل التي يواجهها

كل داع الى نظام جديد و كل اتباع داع واخذت تفعل مفعولها طبق ما ينفرج الزمان لها ولكن لم تعد تنفجر مرة واحدة بل بقي المخلصون للدين الاسلامى يعملون له ولو كانت في قلوبهم آلاف الحزازات من الحكم السائد غير ان هؤلاء المخلصين لما تقلصوا واحداً بعد واحد بالموت او الشيخوخة الهادمة او القبوع في زوايا الخمول اخذت دائرة ذلك التناكر تتمتع شيئاً فشيئاً حتى جاء دور عثمان و بالاحرى ان نقول دور مروان بن الحكم والوليد بن عقبة و معاوية بن ابي سفيان ومن الى هؤلاء فهناك جاءت هذه الوطأة تشد وتخنف كفة الافاضل واستفتح من جديد دور الالحد الحاد بين يدن معاوية الذى تشدق غير هياب ولا وجل بقوله .

ليت اشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا و استهلوا فرحاً و لقالوا يا يزيد لاتشل

وجاءت نوبة العنصرية العشائرية ترغم من بدة فبكر وتغلب و ربعة ومضروهم لدوا اليك وهذا التفكك المخزى هو الذى فتح باب النهضة لابي مسلم الخراسانى بعنوان الدعوة الى الرضا من آل محمد او بعنوان بنى العباس وهنا فهم الفرس ان القضا يا لم تعد قضايا عقائدية وانما هى عنصرية بحتة بين العرب وغير العرب وهم ان كانوا رضخوا بدوال الاسلام بقوة الايمان ومنطق البرهان فهم الان لا يجيز لهم الوقت ان يرضخوا لعنصر خاص يريد التغلب عليهم بجرارة السيف فقط وقد كانوا من سادات الامم آنفاً فلهدا اخذوا يدبون الديب الخفى والجلى ولو بشعار الرضا من آل محمد او بعنوان العباسيين الى ما هم راصدون له من الانقطاع عن غيرهم وتشكيل حكومة مستقلة او شبه مستقلة لهم حتى يأتى الدور المساعد تماماً لتمام الاستقلال وهكذا ثارت بالترك نخوتهم فمالوا لتشيد دويلات لهم بين الاستقلال والتابعة لمر كز الخلافة : اما الفرس فحصلوا فى اول نهضتهم الوزارة والقيادة والامارة والاعمال المرموقة ثم اخذوا يتكتمون لتشكيل ما كانوا يصدده من حكومات قائمة برأسها والترك نالوا سهماً من ذلك ايضاً حتى ادى بهم الامران ينصبوا الخليفة ببغداد ويخلعوه عن عظامه فى يوم واحد لتشبههم بالعرى القوية الحكومية وآل الامر فى نهاية المطاف بالخلع التام للخلافة الاسلامية من شرق الارض وغربها :

(٢) عدم الحواريين من نمط الداعى فى دعم دعوته وتر كيز خطته فان الذين خلفوا الجيل الاول من الصحابة المخلصين بعنوانهم ممثلين للدين الاسلامى كانوا باعة ضمائر اكثر منهم علماء ودجالين اكثر منهم ناصحين صادقين وكان فى طبيعتهم ابوهريرة الدوسى وعروة بن الزبير واشباه هذين ثم انتقلت بهؤلاء القضايا من صميم الاسلام الى خلق البدع والتناحر على امور تافهة فى نفسها ومسقطة لكيان الاسلام بصورة أهم وذلك كمسألة الجبر والاعتزال وكون القرآن مخلوقاً او غير مخلوق والقول بالقدر والارضاء وما الى ذلك مما لا يكاد يعد لكثرة تشعبه فى أناس يومذاك وهذه اللطمة قضت على جوهر الاسلام وأطارته شعاعاً .

(٣) ومن هذا التسفل فى النزعات الكلامية والاراء شبه الفلسفية فيما يدعى اهلها وجمود القوم عليها وانحياز الغرب لنفسه يعالج اوضاعه وقيام قادة الافكار فيه فى شتى المراحل العلمية والعملية منتهزين بغفوة المسلمين فرصة من اهم الفرص للقضاء على سلطانهم والاطاحة بكيانهم اخذ الغريون ينجحون فى تهيئة الوسائل يوماً فيوماً حتى قويت حكوماتهم واستعدوا للوثوب على خصومهم فأخذوا يهدمون الدولة المسلمة بعد الاخرى وليس فى المسلمين من يجيب الصريح ويردم الثغرة المنهارة حتى سقطت جميع دول الاسلام ما بين احتلال جاهر او تسلط قاهر هذا من الجنبه الاعدادية : واما من الجنبه العلمية فلما كان فى معلومات القوم ما هو بكر من ناحية وصحيح من ناحية ثانية وكان اعانهم على تحصيله استخدامهم للوسائل التى هياؤها لاستثمار العلم الصادق من طريقها تمكنوا من الطريق نفسه ان يشوهوا سمعة الدين بما فى جملة من احاديثه التى زورها الدجالون من الهنات وان يعدوها شعار دجله وافتضاحه : ولما تحقق فى نفوسهم انهم تر كزوا فى قلوب الناس بما أبدعوه واكتشفوه اخذوا يكيلون فوق الصادق من معلوماتهم دواهي الار تجالات الكاذبة ويدسونها فى كتبهم ونشراتهم فتمشى معذة فى اعماق القلوب من دون تأمل وبهذا العمل أطاحوا بالديانات عموماً والاسلام خصوصاً لمن يعدوا وتهم له إطاحات هشمت العظام تهشيماً وأحالت من دنيا الكرة الارضية الحاداً جاريماً فى النفوس جريان الدم فى العروق بسرعة مدهشة فان الله .

نعم ان الغرب والغربيين من اشد خصوم الاسلام والمسلمين ومن اعظم المولعين
 بتهديمهما وتحطيمهما فانهم لم يجردوا سيوفهم الباترة للمقضاء عليهم فقط ولم يدخلوهم
 في حوزة حكوماتهم فحسب ولم يسلبوهم السلطة الزمنية والحياة المادية ايضاً بل عبثوا
 بكراماتهم حتى اعادوهم من المهازل انصافاً يستخر منهم العابرو المستطرق : وشمرو
 المستشرقون للبعث بمعارفهم العظيمة الشأن وعرفوها بانها اساطير ولا احيلك على كتب
 عديدة من ذلك بل ارشدك الى مطالعة كتاب واحد هو دائرة المعارف الاسلامية فانك لا تبدأ
 تقرأ في مواد حروفها التي رتبت عليها سلسلة مواد الكتاب الا وترى في كل مادة تمت
 الى الدين الاسلامي منها ما يقيم المسلم الغيور العارف بتاريخ دينه ومقاييسه ويقعده
 فكم عبث هؤلاء الدجالون بكرامة نبي الاسلام وخصائص الدين الاسلامي وتراثه ورجاله
 وأظهروا كل ذلك بصورة الاساطير النابية والخرافات التي تشتمن منها اقل النفوس
 المتنورة ولا ريب انهم لم يكتبوا ما كتبوا الا بداع انتهازى خالص : وان فتك الانتهاز اعظم من
 فتك الصواريخ المبيدة لان الصاروخ اعظم ما يفعل هو التدمير في المواد التي يواجهها
 والارواح التي تقابله ويقابلها ولا يستطيع التأثير في العقول والافكار واما هذه الاقلام
 المأجورة فانها تعبت بالعقول وتمزق مجتمع الافكار وتلعب بالنفوس عبثاً ولعباً لا يحددان
 بمقياس فليس هؤلاء الستمائة مليون مسلم اليوم قد اعطوا عزتهم وحاكميتهم على
 انفسهم فقط بل اعطوا عقائدهم الاسلامية ومعارفهم الدينية وتاريخهم المجيد بر كونهم
 الى ما كتبه المستشرقون في تاريخهم ومعارفهم حتى انك ترى مسلم اليوم لاشيء
 في كل شيء.

وقديماً وقفت على رواية صادقة الموضوع من قلم غربي انسان في نزعاته الفكرية
 وهو برناردين الكاتب الفرنسي الشهير المتولد سنة ١٧٢٧ للميلاد يعلمنا فيها طريقة
 الاستثمار و كيفية غزوه للناس بصورة عامة فتأثرت بذلك اكثر مماستطيع ان أتأثر
 فلخصت تعريبها الذي قام به المرحوم مصطفى لطفى المنغلوطى تلخيصاً قرب الشقق
 بين مسافاتها ثم نظمت التلخيص بصورة مكبرة المعاني شهية فيما احسب واننى أثبت
 هذا النظم في هذا المكان من الكتاب لياًخذ محله من موضعه اللائق به فأقول :

الفضيلة

او : بول وفرجينى

رواية من اطرف الروايات لم اتصل بها فيما قرأت وطالعت الامن طريق بعض تلاميذى الذين يدرسون على الادب واللغة فرأيت فيها من الاتجاهات ما يتفق مع رأيى فى الحياة ولانها قصة صادقة حبرتها ريشة فنان بقلمه مما الى فى روحه آثرت أن اسكبها فى قالب شعري وأضيف اليها من شعورى ما يضمن لها البقاء لتكون من الدروس الثمينة عن الواقع الصريح وعن هذا الداعى المقدس انبعثت قريحتى فقلت

عند الدنيا او الدين	اذا أحببت أن تروى
معسول المضايق	حديثاً صادق اللهجة
عن بول وفرجينى	هلم اقرأ حديث الدهر
لدى الولدان والعين	فثم الفضل موفور



كاتب القصة كما اسلفنا (برناردين) الكاتب الفرنسى الشهير ولد سنة ١٧٢٧ للميلاد وشب على حب الفضيلة وتأثر لأول مرة جاس بها خلال الحياة بماتعانيه الطبقات المحرومة من حقوق الاجتماع البشرى ومن هنا اتجهت حياته لتشكّل بين حناياه حياة انسان لا كما يشب عليه النوع من ضراوة وشره لالتهم الدنيا من اى طريق اوفى بهم عليها : ومن حسن الصدف التى احتفت بحياته انه قارن فى مشاهداته العميقة بين ما عليه عائشوا الحضارة من حياة صناعية مزورة قد ألبسها الدجل والتدليس والتملق والشره وسائر الخلال الدنيئة طاقات غرارة المظاهر معتمة المواطن وما عليه عائشوا البوادي من حياة فطرية ساذجة قد تحالف ظاهرها وباطنها على اراءه الواقع مكشوفاً للعيون من دون أن تمس يد تزوير وتدليس فمن وقوفه بين هاتين الحياتين عرف الشئ الكثير مما اغلقته الطبيعة المدلسة على غيره واتجهت روحه للتحدث عن الحقائق الراهنة الكامنة تحت اطباق من القشور المادية الشوهاء : ومن هذا وذاك جاء انتاجه لرواية بول و

فرجينى انتاجاً ما خوداً عن صفحة الواقع نفسه وان يكن فيه مد شعري ففى رصف عباراته
لا اكثر وبالاخرة فما تقرأه فى الفصول الآتية حق لادجل فيه ونعمة من المعرفة يجب
تقديرها والشكر عليها والتنعم بها جهد المستطاع فان انسانية اى انسان منوطة بالتمرن
على هذه المعارف الراقية فحسب : ابطال هذه الرواية : هيلين : مرغريت : بول :
فرجينى : دومينج : مارى : فيديل : الشيخ : والمتحدث عن ذلك : برناردين : كاتب
القصة المشار اليه : والمنظومة كما تقرأها فيما يلى :

موقف الانسان بين عقله وشهوته

هو الانسان بين العقل	و الشهوة مولود
وما الفطرة الا العقل	والمعروف والوجود
هى الروضة تجلوها	رياحين وتغريد
هى الوردة فى الحقل	وفى الكرمة عنقود
هى المزمار للبلبل	لا الناي ولا العود
هى البسمة للشعر	وفى الخدين توريد
هى اللقمة للجيد	و للنعمة ترديد
هى العيش ومن دون	رؤاها العيش مفقود
هى الراحة للروح	و للفكرة تسديد
هى الاخلاص للعبد	وللمعبود توحيد



مجالى الشهوة العمياء	دوما اوجه سود
تبناها غناء الناس	لا الولدان والغيد
خلت منها الصراحت	وعمتها التقاليد
لديها العمر منقوص	وظل البؤس ممدود
وما هذى الحضارات	بها العالم منكود

فلا الشرق ولا الغرب به سعد و مسعود
سوى الشهوة يحدوها بعصر النور تجديد

☆ ☆ ☆

أ (بر نار) عليك الحمد تتلوه الانا شيد
فقد كنت رحيم القلب فيك العدل مرصود
درست الكون فى القصر وما فى القصر موجود
وتابعت السرى فى الريف تطوى ركبك البيد
لستلهم هل فى الكوخ ممدوح و محمود
فكان القصر كالقعر وان ازهاه تشييد
وكان الكوخ كالجنة فيها العيش منشود
به الانس به القدس وكل الخير محشود
به الغيد عفيفات وفتيان الهوى صيد
كفى بول و فرجينى بلاغاً فيه تأييد

☆ ☆ ☆

جزيرة موريس

أ (بر نار) لئن شطت بك الدار لموريس
ففيها متعة الانفس لا جنات باريس
بها الفطرة قد جمت بمعقول ومحسوس
بها الشمس تمد الكون فى سير و تعريس
ولا يحتجب البدر بأسفار وتغليس
وفيهما الروض مواج بالوان الطواويس
وفيهما الطل كالصهباء يسقى كل مغروس
بها كل البساطات بمأكول وملبوس

وفيها كل تنقيس
بمشهود ومدروس

بها ينحسر الهم
بها العبرة للكل



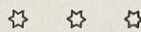
على ضفة ذا الوادى
مقيلاً هو كالنادى
فى أهليهما الجادى
فى لطف وامداد
عليها وعدا العادى
أباة الضيم أمجاد
الى الموت بميعاد
ونعمت هى من زاد

وفى أكناف ذى الارض
يرى الرائي اذا جاء
يرى كوخين قد طوح
فلا ديداد يغنى الدار
ديار أجرم الدهر
بها آثار اقوام
وفوا للموت مذرا حوا
بلا زاد سوى التقوى

الشيخ

فعند الشيخ تفصيل
وفى الخبرة تعويل
وأهليه متى اغتيلوا
زماناً وهو مأهول
وعنها القوم لم حيلوا
ام غالتهم غول
ففى التطويل تعليل
وأبكته التفاصيل
وهل بالدهر تأميل
فلم يثبت له حيل

أ (برنار) سل الشيخ
خبير مارس الدهر
عن الوادى متى جف
عن الكوخ وقد كان
عن الروضة لم حالت
أهم قد أزمعوا الترحال
وطول ايها الشيخ
هنا : حز به الوضع :
أ (برنار) هو الدهر
مشى اعصاره يوماً



والروض الذى حالا	فذا الوادى الذى قد جف
لبعد الاهل أطلا لا	وذى الاكواخ مذعادات
تبيح الزاد والمالا	وذى الدار التى كانت
وللمعروف تمثالا	مناراً كان للفضل
وكانوا فيه نزالا	اولوا مجد أقساموه
واسترعى له البالا	فما اروى لك الان
اولوا الصولة أبطالا	حديث لم يكن فيه
كرام زهدوا حالا	حديث قد تبناه
احساناً وافضالا	وان كانوا عظام النفس
اكباراً واجلالا	و (برنار) يعير الشيخ
وصافاً وقوالا	رآه واسع الفكرة
وللمعروف ميالا	محباً للكرامات
فلن تبرح مفضالا	أفدنا ايها الشيخ
ترتاح وان طالا	فكلتى اذن للقول

المسيودى لا تورومدام هيلين

وقد حزت به الذكرى	فعاد الشيخ للقول
وما بالكوخ قد مرأ	ليروى قصة الكوخ
على الفضل طوى الفقرا	فتى : قال : بباريس
بسام الرؤى ثغرا	نبيل النفس عذب الروح
فتستخذى له قهرا	تراه العين اخاذاً
بهيلين فما قرأ	المت عينه يوماً
وان لازمت الطهرا	رأى فـاتنة الدهر
وكانت فى التقى اثرى	رأى مثرية الحسن

وعنها لم يطق صبدا
 من المال غدت صفرا
 به قد شرفوا قدرا
 على من يسكن القصرا
 لما اظهر الامرا
 على العقد انطوا سرا
 ولم يذكر لها مهرا
 فقومي استعبدى حرا
 فكم من بلدة اخرى
 بلاد فالسرى اخرى
 لافريقية المسرى
 وخاض البحر مضطرا
 المجالى كبد حرى
 به الدهر وما اضرى

رآها فتمناها ها
 وما يصنع والكف
 وأهلوهها اولوا طول
 يرون العز مقصوراً
 طبيعياً اذا رده
 ولكن الحبيبين
 فأجرى صيغة العقد
 أهيلين انا المهر
 وباريس اذا عزت
 اذا ضاقت بانسان
 هنا صوب (لاتور)
 طوى البر بلا زاد
 طغت فيه ليرتاد
 هو الحر فما اقسى



والسيدة العذرا
 واختال بهم فخرا
 للعيش به وكرا
 تواسيها اذا اسرى
 يقوى بهم الظهرا
 ويالاتور واحرا
 ومات الموتة النكرا
 ولم يقض بها عمرا
 مآسى النكبة الكبرى

مشى هذا الفتى المقدام
 فمأحطاً بهذا السفح
 الأوجرى يختط
 فابتاع لها اختاً
 مضى يطلب أعواناً
 فيما بقيها لهيلين
 قضى من غير توديع
 قضى فى غربة الدار
 هنا حلت بهيلين

غدت من زوجها فقرا
 اذا شب اباً برا
 وفيها الدهر قدازرى
 الا المقلمة العبرا
 الا الزمن المرأ
 منذ اتسعت صدرا
 اذا هيح او استضرى
 وتستنبتها برا

فما تصنع فى ارض
 ومن للحمل يدعوه
 من الحامى من الدهر
 فتاة تفقد الاعوان
 وماذاقت من الايام
 ولكن ضاق منها الدهر
 فثارت ثورة اللبث
 وراحت تحرث الارض

مرغريت

بنا من قبل هيلين
 رماها الدهر بالهون
 ومن قسم المساكين
 صفيق الوجه والدين
 لختل الخرد العين
 فى حسن وفى لين
 وأخفى قلبه الدونى
 من كيد الشياطين
 فكانت شر مفتون
 لها يخطب فى الحين
 معاشاً غير ممنون
 فى عز و تمكين
 منها كل مكنون
 وتأمين وتموين

وقد حلت مرغريت
 فتاة ذات ايمان
 بريطانية الاصل
 سرى من ذوى المال
 أتى قريتها لصاً
 رآها غضة الروضة
 فأبدى وجهه الزين
 وهل ينجوسيطالروح
 فناجاها على امر
 اراها انه جاء
 ويصفىها من الدنيا
 وتقضى عمرها الواسع
 فما كان سوى أن نال
 بلا عقد ولا عهد

وعنها فرّ في ليل
فأضحت بعده تفرع
وما أبقى لها الجلف
وحمل بين أحشاها
ففرّت قبل أن تروى

فراراً غير مضمون
منها سن مغبون
سوى خزي وتوهين
له هامت كمجنون
حديثاً في الدواوين

☆ ☆ ☆

هو الاعواز والبؤس
فكم ضيّعت الرشد
وكم ازعجت البسال
ولم تخدع مرغريت
ولم يزن بها الجلف
يقولون مضى امس
وجاء العصر بالفضل
فلا قارون في مصر
هو العدل حمى الشعب
فلا الفاقة تشقيه
بهذا يصدح المذيع
خداع كل ما قال
فلم نعدم اذى امس
وما وعد السياسى

هو الاقلال والحاجه
على المرء ومنهاجه
وخلته وازعاجه
سوى البدره مواجه
اذا لم تك محتاجه
وما فى امس ادراجه
عليه عاقداً تاجه
ولافى الهند من راجه
: من العادى : وانتاجه
ولا تملك احراجه
مذ طيّر أمواجه
وشعباً وادعاً واجه
ولا نفقد حجّاجه
سوى رمزٍ له هاجه

☆ ☆ ☆

وما هذى القوانين
سوى فيخّ تبنّاه
لديه مات من مات

ودور العدل فى الدنيا
رجال الرتبة العليا
ويحيى فيه من يحيى

يراه المرء فى الرؤيا	وما العدل سوى طيف
اذا حولك قد أعىبى	مر غريت لك الله
عليك وجنى غيا	فما خصمك قد جار
ملايين وما استحيى	هو القاضى الذى أفنى
فيمشى بينهم حياً	يرى الافراد امواتاً



ضيف حلّ بالوادي	أ (برنار) استمع ياخير
من الحاضر والبادى	مرغريت التى فرت
تقيها صولة العادى	لمترتاد لها ارضاً
بلا مال ولا زاد	هنا اختطت لها داراً
بوضع يؤسه ببادى	و فيها ولدت بولا
بأسعاد و امـداد	وما كان يواسيها
لاصلاح و اعـداد	سوى زنجية تسعى
من عيش الورى العادى	لعيش وضعه أدون
عفوواً او لميعاد	وقد كنت ازور البيت
من سعى وارشاد	واقضى واجب الزورة
وارتاح لها الننادى	الى أن نزلت هيلين
فى موطنها الهادى	رأت اختاً تقرّ النفس
بأسكان و ارفاد	وآوتها مر غريت



ضيفاً جئتها زائر	ومذ حلت بها هيلين
حالى حالها القاصر	أواسيها بما يسعد
عليه مجده ظاهر	رأيت الضيف انساناً
الاحظه العاشر	ولم يجن له الغربية

ولمّا ان درست الوضع
أبت نفسي الأبدال
فأملت لما يأتى
وقلت الدهر قدسار
فطوراً يصدع البال
وما الدنيا سوى جسر
وما العاقل الامن
هلمّـا ننشر الآتى
هلمّـا نعمر الارض
فخطت لسكنى القوم
بكوخين ظريفيين
وقسمت الذى سهل
فقال القوم بالقسمة
وجاء الطلق هيلين
الى ان سرّها الله
وسمناها بفرجيني

ماضيه مع الحاضر
ما يمكن للقدار
وعزيت عن الغابر
عليه المثل السائر
واخرى يجبر الخاطر
عليه يعبر العابر
قضى أيامه صابر
ونطوى أمسا الدابر
ونحى ما بها بائر
داراً وضعها دائر
وروض يجلب الناظر
تعميراً على العامر
ارضاً خيرها وافر
فكنها عونها الساهر
بينت حسننها باهر
لدى ميلادها العاطر



هو الريف واهلوه
يرى الجاربه الخير
يقومون مقام الاهل
على الفطرة يمشون
يجودون على الضيف
وهل يلقي رقيق الحال
تري آهلها رذلا

اولوا المعروف والفضل
ويلقى واسع البذل
ان شط عن الاهل
بالاغدر ولا ختل
ويزرون على البخل
فى البلدة من نبل
على مال له جنل

الحياة الطبيعية والصدقة المتينة

حق المرءة النفسا
و ارتاحت له نفسا
وزادت انسها انسا
يجيد الزرع والغرسا
رمز العزة القعسا
وعنهم تطرد البؤسا
به كانوا لنا درسا
يقيم الفرش واللبسا
او ضرع به يحسى
بهاءء الحشا يؤسى
متى اصبح اوامسى
فلا تلقى به نحسا
وفى ساحلها ارسى
تمأ وكذا الشمسا
لاخمرأ ولا كأسا
بعز يرفع الرأسا
وفيهما لم يروا بأسا
وافضى لهمها همسا
ويهواها له عرسا
لماضى حزنهم انسى

ولما قد قضت هيلين
مشت للعمل المثمر
وجارتها مرغريت
ودومينج الذى كان
فتى الزنج عميد البيت
ومارى تسعد الجمع
مشى الكل الى قصد
فمن غزل الى نسج
ومن زرع يعد الأكل
ومن قطف لاثمار
وهذا ديدن الجمع
محيط يضمن العيش
على الفطرة قدسار
لديه يجتلون البدر
يعبون عصير الورد
يعيشون بالامن
ولما طابت الدار
اتى دومينج ربه
بمارى يطلب الوصل
فسر القوم فى عرس



مرغريت لهيلينا

ومذا اخلصت الود

رأت اختابها تحظى
فأطفت لاءج الهمم
وأصفت لمرغريت
وتغذو ودّها بولا
وكانت رؤية الطفلين
عن الماضي الذي صبّ
وللاتي الذي يرجوه
أدا أشقاها الدهر
ففى مستقبل الطفلين

وتلقى اللطف والليننا
وقلباً كان محزوننا
هوى بالروح مقروننا
بما تغذوه فرجيننا
للأمين تسكيننا
على مجديهما الهوننا
من اصبح مغبوننا
بازواج وأهليننا
ما يرضيهما حيننا

حياة الطفولة

وقد شاهدت فى الطفلين
من الخلطة ما نرويه
علوق مازج القلبين
وودّ طيب النشر
يعيشان على حبّ
هنيئاً لهما الدنيا

من بول وفرجينى
عن ليلى ومجنون
فى لطف وفى لين
كعباق الرياحين
بحب القلب مقرون
ودين الحبّ من دين



ولما أيفع الطفلان
مشى بول لدومينج
ومارى التزمت فرجين
لتدرى خدمة البيت
فشباً خير عونين
وخصّ الله فرجينى

واشدّ على الشغل
الى الزرع وفى الحقل
ذات العقل والنبل
وما واجبهما الاهلى
على المعروف والفضل
بحسن جلّ عن مثل

ذوات الاعين النجل	بعينين سبت حسناً
فى لين وفى دل	وممشوق كغصن البان
منسول بلا نسل	وشعر ذهبى اللون
فى الكل على الكل	لقد فازت بها الخلقه
بل فى الخلق الجزل	وبول مثلها فى الخلق
بل ما قيمة الشبل	هو الشبل اذا استصرخ
فى دنياه من خبل	ولم يعرف سوى فرجين
هوى عن همها يسلى	كما فرجين تهواه
على قرب وفى وصل	فلا تلقا هما الا
خليطين على الاكل	قريبين لى النوم
على الجامع للشمل	لهيف كل من تلقى



مرغريت وهيلين	وكم حدثت النفس
وزان الوضع تمكين	اذا شب الصبيان
به تشدو الدواوين	يقومان على عرس
وترتاح الرياحين	به ينعطف البان
وللبلبل تلحين	به الشحرور غريد
قداح و نسرين	به السوسن يستصبيه
وتختال البساتين	به يطرع الورد
وتشدو خرّدين	به ترقص ولدان
بيض الناس والجون	به يستبق اللذات
به بول و فرجين	هو العرس الذى يحظى
وفى الامال تسكين	هى الامال للام
لهيف القلب محزون	امان كم لها ارتاح

ومن ساوره اليأس

فذاك الدهر مسكين

هيلين تفكر في مستقبل فرجينى

وتخطأ في طريق تفكيرها

ومذلاح لهيلين	شباب البنت لمأعا
طغت فيها الخيالات	وعنها قصرت باعا
أبقى البنت فى ارض	بها تفقد أشياءعا
ولامال يقيها البؤس	ان خطب لها راعا
كفاها بؤسها الماحق	آلاماً وأوجاعا
وفى باريس أهلوها	غنوا مالا وامتاعا
حووا كل المسرات	ونالوا الخير انواعا
لئن سؤت بهم حظاً	وحقى بينهم ضاعا
فبنتى ماجنت ذنباً	ولا عافت لهم قاعا

☆ ☆ ☆

فلم يبرح بها التفكير	حتى صممت حتما
على ارسال مكتوب	الى عمها العظمى
به تشكو لها حزناً	ومن جارى القضا همماً
وان كانت جنت ذنباً	فلم تقصد لها هضمما
وان طاوعت الرغبة	فالجهل لها أعمى
على ان ابافرجين	كان الماجد الشهما
فلم يجن بها جرماً	ولا فى اهلها ظلما
وفى صالحها مات	بسهم قلبها آدمى
قضى فى طلب العزّة	لانكسأ ولا فدمما
فلا عار اذا خابت	مساعيه ولا ذمماً

ولا أرجو من الايام
 ولكنى على فرجين
 اذا جاءت ولاوالد
 بأرض قد غدت قفراء
 مضى المكتوب للعممة
 تلتها أعين عمى
 ولما لم تمل هيلين
 ولم تدر عن العممة
 رأته أن تتبع الخط
 بها كم ظننت الخير
 ومذ أعجزها اليأس
 أتى من جانب العممة
 فقد ضاقت له ذرعاً
 رأت غمماً به جمماً
 رأت ألكم مخلوق
 ابى الا المجافاة
 فالقت يدها المكتوب
 وطاحت للثرى شلواً
 فيجاءتها مرغريت
 رأت هيلين قد حممت
 فضممتها الى صدر
 وقالت ما دهاك اليوم
 فدو مينج غدا نضواً
 وبول يضرب الارض
 عقبى لى او نعى
 اخشى البؤس واليتما
 يرهاها ولا أمماً
 من اهل لهم تنمى
 لكن لم يشرغمماً
 وأصغت اذن صمماً
 من مكتوبها علماً
 ما يشبعها فهماً
 بما يوقظها عزماً
 فأضحى ظنهما رجماً
 وطاشت فى المنى سهماً
 مكتوب لها أصمى
 بما اوسعها شتما
 وكانت ترتجى الغنماً
 اليها ينسب اللؤماً
 فلا عطف ولا رحمى
 من خزى به جمماً
 كأن قد سقيت سمماً
 وصكت وجهها لظماً
 ولكن ما بها حمى
 على نار الغضا انضماً
 من خطب لنا عمماً
 ومارى تشتكى سقمماً
 ويوهى رأسه لدمماً

حتى شخصت عظاما

وفر جيني براها الخطب

☆ ☆ ☆

قد أوهنه الضعف

هناك انتفضت كالطير

والقلب بها يهفو

ومرت تقرأ المكتوب

من السخف به يطفو

فغاظ القوم ما فيه

وعنه يحسر الطرف

له تنزعج النفس

وفيه الشتم والقذف

به كل الدنآت

على ما وصف الجلف

ولم تقو مرغريت

ما كانت له تقفو

ولم ترض على هيلين

وداً من له يجفو

سفاهاً يوسع الانسان

به نرعاك او لطف

متى كنت ولا عطف

ولا من ولا عنف

وللساعة كم عشنا

على واجبنا يصفو

نعيماً وافرأ حزنا

حيث الناس لا تصفو

تصافينا على الايام

باخوان بك احتفوا

فقرى واهدئى روعاً

ماداموا ولم يعفوا

فلا تلقين غير العز

وهم في حفظها صف

ولا تحذر فرجيني

بصيد حولها التفتوا

فظابت نفس هيلين

به هادئة تغفو

رأت في القوم اخلاصاً

الانتهاز الاوربي

ليرى اطوار هذى الكائنات

ان من يسبر اغوار الحياة

أحرز السبق ما بين الجناة

يجد الانسان في افعاله

عن جواب فيه حل المشكلات

يسأل النفس عن السر فتعبي

أم لتحصيل مقام وسمات
 جاءمجنوناً بكل الحجر كات
 في شتات الخلق من غادو آتى
 فعتى بل جاء في رأس العتاة
 بل ليدعى طاغياً بين الطغاة
 فلماذا كان من اقصى الولاية
 امره ينفذ في كل الجهات
 فغدا يعبث حتى في العفاة
 وتحدث عن عصور الجامعات
 وفشى الفضل بكل الطبقات
 ما رآها احد طول الحياة
 وتولى الحكم أثبات القضاة
 من طغاة وعتاة وبغاة
 هو حكم الرأى لاحكم الكمات
 حاولوا تمويهه مكشوف الهنات
 كان من عصر الخنا والترهات
 غير اشقات بغايا وزناة
 فاسد النزعة في كل الصفات
 يرتعى في جنب هذى السائمات
 انها الدنيا ونيل الشهوات
 درجوا في الكون من ذئب وشاة
 هو الافلثة من فلتات
 وتولى الحكم فيه كل عاتى
 واتى يشكو الوجا كل الثقاة
 ألأحرار معاش يتجنى
 احرز المال مع الجاه فلم
 ما الذى يدعوه يمشى عابثاً
 قيل جهل قد تولاها قديماً
 قطع الدرب على غير احتياج
 وترقى والياً فى امّة
 وعلا شأنأ فاضحى عاهلا
 فعلام استردت أخلاقه
 دع حديثاً عن عصور دثرت
 عن عصور غلب العلم بها
 ملك الناس بهيـا حرية
 اجرى القانون فيها عادلا
 وعلى الامة لم يحكم سواها
 كما مال يمضه الناس جزاف
 هكذا قالوا ولـكن عبثاً
 ان مضى امس بما فيه فخيراً
 هو ما خور وما اهلوه فيه
 كاسف الطلعة باستهتاره
 لا يرى الانسان الاساءماً
 ليس فى الكون صحيح وقبيح
 وشتات الناس كالحيوان وضماً
 ليس فى العالم تدبير وما
 عاش من عاش على حنكته
 واستدل الدهر احواف التقى

ما طغى الغرب على كل الورى
انه المكر به استولى على
انها القوة اجراها بعنف
واتى يخلق للناس الرزايا
قيل ان الرق الغاه واجرى
حفظ الصحة والعلم معاً
أغدق الخير على كل الورى
كل ذا فحّ به اصطاد شعوباً
فعل الافعال فى تسخيرهم
سل عن السود فهل جاؤا بذب
وعن الشرق عموماً هل به
هو كالبركان يرغو مزبداً



الزنج فى افريقية

وجاءت تشتكى التبريح
فتاة من بنى الزنج
جرت تخدم فى البيت
ولا تلقى من العيش
وان زلت لها رجل
وفى يوم تولاهما
فقرت تطلب الغوث
فلم تلق سوى فرجين
فايدت جسمها الشاحب
والجوع لفرجينى
حواها ابيض دونى
وفى غرس البساتين
سوى الجوع مع الهون
غدت أتعس مسكين
بتبريح وتوهين
وتستعطف ذادين
ذات العطف واللين
من تعذيب مجنون

به للسطو آثار
ومرت تشتكى جوعاً
فآتتها من المأكول
وقالت اننى اشفع
عسى سعى بهذا الشأن
ولما لم يكن فى الدار
اتته تسأل الاذن
توافى السيد المولع
فأمضى رأبها لكن

كآثار السكاكين
على حالة مجزون
ما يكفى لتموين
فيك جهد تمكينى
يجديك ويجدينى
الابول فى الحين
على اسعاف مغبون
فى زجر المساكين
بسير فيه مقرون

☆ ☆ ☆

مشى بول وفرجينى
يجوبون الثرى الوعر
فكم غاصوا بغابات
وكم قدصعدوا نجداً
وكم قد قطعوا ارضاً
فما وافوا حمى السيد
راوا التسم مخلوق
رأوه كاسف الوجهه
رأوا جمماً من السود
ولولاهم لماساد
وما حكمه فيهم
وهل ينصر ذوالعقل
رموز قدر أيناها
نرى الحاكم مبعوضاً

وقدامها العبد
بالازاد ولا عده
على هول وفى شدة
ومروا هابطى وهده
بها يحسر ذواللبده
حتى واجهوا صده
وان جم الغنى عنده
وفى اخلاقه حده
وقد اعجزهم و حده
ولاشاد بهم مجده
سوى ان قدغدوا جنده
على اذلاله ضده
وام نحلل لها عقده
وكسل يتقى حده

سوى من ذمه جهده
ولكن نشترى وده
مجيباً داعى الرده

وما سواه ذاحكم
بغيش كله العيش
وكل يدعى الدين



امام الابيض الجانى
عن مملوكه العانى
سوى نظرة غضبان
فى الحسن بلا ثانى
من طرف له زانى
على تيه و طغيان
فيه روح شيطان
فى جد و امعان
و آلام و اشجان
والليل غدا دانى
و غابات و وديان
و اعىى كل امكان
بأخطار و أحزان
من أسد و ذؤبان

جنى بول وفرجينى
و رامانه ان يعفو
فما أولاً هما بدواً
ولكن منذرأى فرجين
أحد النظر الفاجر
ومناها بما رامت
و لما وجد الطفلان
أغذا السير للرجعة
على جوع و اعياء
و سارا يجهلان الدرب
يغوصان بأحراش
الى أن سقطا جهداً
و جاءت وحشة الليل
هناك استسلما للموت



نباح الكلب فيديل
عرا السمع بتخييل
بماوى الفيل و الغول
بمكتوم و مجهول
عن الصادق جبريل

ولكن سمعا و هنا
فظنا انه و هم
فمن علم فيديل
و من أخبره عنا
و هل قد جاءه الوحي

فماتمّ حديث النفس
الآ و أتى دو مينج
من قبال و من قيل
يقفو اثر فيديل

☆ ☆ ☆

فسر القوم من يسر
اذا هم أحسنوا فالدهر
فقد كاد يبید الجمع
طريق الخير - مذ كان -
و فعل الشر ميسور
هو العقل به يشقى
فكم انكى بفرجينى
لهم قد جمع الشملا
قد ساء بهم فعلا
طفلا كان ام كهلا
طريق لم يكن سهلا
لمن يختاره شغلا
من اغتر به جهلا
و أشقى معها بولا

☆ ☆ ☆

و لما أنس الجمع
و نالوا من شهى الزاد
غدا دو مينج مما حل
يرى الدرب غدا و عراً
و طفليه من الاعياء
و قد أنهكه السير
و من فى البيت قدامسى
فكم ضاق به الذرع
و قد كان يعير الحال
جماعات من السود
ففرروا فى شعاب الارض
فأمّوا جانب القوم
و قالوا نحن أعوان
بشمّل لهم التما
ما قواهم جسماً
بالطفلين مهتما
و أمسى ليلهم أعمى
و التبريح قد جمماً
و أوهاه الحفعاغز ما
لجهل الحال مغتما
وان كان فتى شهما
و العلم بها فهما
جنى البيض بهم ظلما
يتخفون لهم علما
و ألقوا لهم السلما
على بلواكم العظمى

الى اخت لنا نعى	فقد اسديتم اليوم
الى أعناقهم ضمًا	فخففوا بالصيين
والجهد لهم عمًا	الى أن وصلوا المنزل
على طول السرى طعما	وماذاقوا من النوم
وهيلين لهم سقما	وقد ذابت مرغريت
بالعاني وماتما	صبيان ارادا اللطف
وشخصاً ساقطاً أمًا	فكم جابا له وعرا
وعين بالأسى تدمى	وكم قلب إذا باه
بما يعقبه ذمًا	هو المعروف محفوف
لمن يوسعها لؤمًا	وكم تسخو المقادير
ولا آباؤنا قدما	طلسم ما عرفناه



التجاذب الطبيعي

الصبيان النبيلان	على الفطرة مذشب
لدى روض وبستان	وعاشا عيشة الورد
وقرب السرو والبان	على الحقل وفي الزرع
سوى ورد وريحان	ولم تشهد لهم عين
فى شدو والجان	يغنيهم هزار الروض
من أظهر غدران	يعبون زلال الماء
من كرم وألبان	ويحسون الطلا الطاهر
محفوفاً برمان	وما النقل سوى التفاح
من لحم وأدهان	ويقتاتون بالسالم
بكذب اوبهتان	وما خانوا الورى يوماً

قضوا ايامهم طراً
ولم يتبعوا حيناً
وما شاؤوا بالهم حباً
وعاشوا خير اخوان
على قدس وايمان
خطى رجس وشيطان
بأكدار وأحزان
على بر واحسان

☆ ☆ ☆

ولما بلغا الرشد
غدا كل وراء الحب
يرى في نفسه حالا
ولا يعرف ما الداعي
فقد كانا أليفين
ولكن يجدان الآن
هوى يعبث بالقلب
هيام قد تنهاه
به مس من الجن
وتمت فيهما الخلقه
يطوى في الحشا عشقه
وراء العطف والرقه
لهذا الشوق والعلقه
ولم تفصلهما فرقه
غير الحب ما فوقه
ويدعو دائماً شوقه
غرام واسع الشقة
فلا يصحو ولا ينقه

☆ ☆ ☆

و مدظال بفرجيني
مرغريت أتت هيلين
وقالت ان داعي الحب
و اللصبة اعنات
ألا ترضين ان نمضي
ونجلو عن صبيتنا
ونجسرى لهما عرساً
و بول كلف الحب
عن وضعهما تنبى
يسبى حينما يصبى
متى تطغو على القلب
لما فيه رضا الرب
اذى البأساء والكرب
على ما املا يربى

☆ ☆ ☆

فقال يا مرغريت لقد أسمعتني حقاً

ولكننى ارى الفقير
وبعد العرس مايشقى
فمن للفرخ ان صار
وكم ذقنا اذى الدهر
وها نحن تقاربنا
ودو مينج غداً شيخاً
ومارى ضعفت جسماً
كفانا ما لقيناه



فما العيلة ياهيلين
فقالتمادعا الشوق
فمن رأى ان ينشأ
الى الهند فكم منها
فيغدو هداء البال
هناك العرس مطلوب
به يزد هر العيش



ولما تم هذا الرأى
الى الشيخات هيلين
بان يرضى لها بولا
فأمضى رأياها فى بول



دعاه لينساجيه
وكم فى الكسب من خير
عن الكسب وما فيه
متى جمت مساعيه

على ما فيه من جهد
به كم راش مكدود
خض البحرالى الهند
هناك المال موفور
ومذا أنهى الى ببول
رأى منه اخارأى
فأصغى ليعى منه
الا يا ايها الشيخ
وفى كل المهمات
نزلنا هذه الارض
فقمنا نغرس الحقل
وكم درلنا الضرع
وبالزرع كم ارتشنا
وكم عشنا على العزة
وما المال سوى البؤس
به يهدم ما قام
كدود القز عقباه
من العقل اقتصاد المرء
وهل يعذره البحر
دع المال لاهليه

ففيه كل ترفيه
ولذ العيش فى فيه
ففى البحر دراربه
لمن بالسعى يبغيه
حديثاً ظن يرضيه
حكيماً فى معانيه
كلاماً جـل من ذيه
الذى نحن بواديه
يواسى ونواسيه
على لاشىء نزويه
ومنه الخير نجنيه
فنلنا ما نرجيه
بما يؤتى ويوليه
فى الحال وماضيه
اخوالمسال يعانيه
من العمر ليينيه
اذا القز يواريه
حيث القرص يكفيه
من النهر يالاشيه
ومن بالجهل يغريه



الرسالة

اتى هيلين مكتوب

وفى هذى الاحاين

به صدق و اخلاص
 و انماض عن الماضى
 من العمة تشكوفيه
 وعمراً آذن الترحال
 وتهوى أن ترى هيلين
 و اما بعث فرجينى
 ففى موريس ان جم
 فباريس بها العيش
 و عندى نعمة عظمية
 قصور شادها الفن
 حوت من كل تجهيز
 فملبوس به قد راق
 شهى الطير مأكول
 بها من كل مطلوب
 فحشى نحونا السير



و لما قرأت هيلين
 تلتته بين اهل البيت
 فكلم من لوعة حاجت
 رأوا أن اجتماع الشمل
 فأنت مثلهم هيلين
 فقالت هو نوا الخطب
 ثقوا انى و اياكم
 ففياكم لم يخن ودا

هذا الشرح بالدقه
 و استوفت لهم نطقه
 و كم فى القلب من حرقه
 قد آل الى الفرقه
 بل ذابت من الرقه
 فقد اكبرتم طرقه
 صديق ثابت العلقه
 و عنكم ما زوى صدقه

من محبوبه حقه
ولا أطوى له شقه
جميل الخلق والخلقه
من الريحان مشتقه

الى الآخر لا يغفل
فعنكم لأرى بعداً
ولما شاهدوا منها
بها طافوا بأرواح

☆ ☆ ☆

اذا جلبت أقدام
للمبيت بأعلام
بكم حاكمنا السامى
وحيوه بأكرام
من السامى الى الحامى
فأهوى قلبها الدامى
وما قصد له رامى
لباريس بأبرام
بدار ما بها حامى
على السير فالزامى
استعدت منذ ايام
لأمضى فيه أحكامى

فبينما هم على ذلك
و دو مينج اتى يسرع
لكم قد جاء معنياً
فلا قوه بأعزاز
ومذ وفأهم حقياً
دعا هيلين للنجوى
فلا تدرى بما ينوى
رأته يؤثر السير
ولا يرضى لها مكثاً
واما اخذ فرجينى
و ذى باخرة النقل
فبتنى محكم الرأى

☆ ☆ ☆

مالت نحو فرجينى
لها فى الصدر مكنون
فى عيش لنا دونى
قريبين من الهون
سوى جمع مساكين
وما الموت بمأمون

و مذفارقها الحاكم
و ناجتها على سر
أبنتاه قضينا العمر
بعيدين عن الاهل
وما نحن من الناس
قضت ايامنا مننا

وذا بول بلا حول
وما انت سوى انى
وان جئت بافراخ
فهذا ما يزيد الهم
فقومى استوثقى بالله
وأمنى قصد باريس
وان أغضبى البين

☆ ☆ ☆

ولما استقلت فرجين
وتهوى أن تراها الام
أجابتها بمعروف
وقالت كم رأيت عيناى
تعدين لنا البارى
واما العمل الحر
ومذرت الى اليوم
ومن احبنا الغر
مر غريت لنا ام
ودو مينج اب بر
ولا اعرف باريس
اخاف البحر يا ام

هذا الرأى والا مرا
دوماً ولداً برأ
وأبدت رأياها الحرا
منك الصبر والشكرا
على طول المدى ذخرا
فكم شدت له ذكرا
لديك لم أذق مرأ
كسبنا مغنماً وفرا
ومارى امننا الاخرى
وبول فوق ما يطرا
ولا هوى لها المسرى
فمكشى عندكم احرى

☆ ☆ ☆

وقد كان بهذا الصقع
تبسته السياسات
فكم اغوى لها غراً
لص اسمه راهب
ليقضى حقها الواجب
وعمى شارعاً لاحب

عدو الله فى السر
فقد كان يصيد الناس
ولما حل هذا الجمع
غداً يوماً يواسيهم
وفى البين اتى هيلين
فناجته على الامر
ومذ كان على رمز
رأى تلمية الامر
ومن يلو عن الرب
فخافت منه فرجيني
ومنها جم تصديق

☆ ☆ ☆

وبول طول مجرى الامر
سوى ظن له لاح
فلما أيقن الواقع
وقامت فيه الآم
فلم تدر مرغريت
سوى أن تشرح الماضى
فأدنته و ناجته
و منه طلبت عفواً
و لم تقصد به سوء
و لكن غرهما باغ
و هيلين بحالى قد
فظنى انها عاراً

لا يعلم ما المجرى
فلم يعرف له سرّاً
هاض الهيضة الكبرى
له كم از عجت فكرا
بما يوسعه صبرا
عليها طبق مامراً
بماضقت به ذكرا
اذا كانت جنت نكرا
به ان حملت غيرها
بها قد أوقع الشرّاً
أحاطت سالفاً خبيرا
ترى منك لها صهرا

و عش فينافتى حرّاً
 و انساناً بها برّاً
 من الحب و ماجراً
 لم يبق له عذراً
 متى هاجت به الذكرى
 به ذو الكبد الحرّى
 فيه البؤس و الضراً
 فسالت عينه العبرى
 ذكت فى قلبه جمراً
 فبى موتى هو الاخرى
 يا قلبى واحراً
 و منه لثمت نحرّاً
 بما اثلجه صدرّاً
 عتاباً فى الهوى مرّاً
 فى الدنيا و فى الاخرى
 و كنا اخوة دهرّاً
 و أغراك بنا هجرّاً
 من أطراك البحرّاً
 فاردى اهلـه طـرّاً
 و ما عشت بها شهرّاً
 من الترحال و المسرى
 اخأ لا يبتغى أجـرّاً

فدع ذل الهوى فيها
 فراضت منه ذاشوق
 و ظننت انه يسـو
 و لكن الهوى العذرى
 تراه طائش الفكر
 هو الحب فكـم ريع
 و لما شاهدت فرجين
 عليه شبكت عشرا
 و شبت فيه أحزان
 و نادى ليتنى مت
 فصاحت مثله فرجين
 وضمته الى الصدر
 فأولاها من الرشـف
 و ناغها على البين
 أفرجين غداء الروح
 متى حال بك الدهر
 و من علمك الصد
 تريدن ركوب البحر
 فكـم هاج به المـوج
 و ما انت وباريس
 و ان كان ولا بد
 فمنى اتخذنى عوناً

السفر

هنا قد انصت الشيخ
 لما استقبله بالسرد
 فايها ايها الشيخ
 تحدث عن سرى فرجين
 وعن بول وماعب
 هو الدهر على الاحرار
 و ابدى جزعا جما
 عن حادثة عظمى
 فما فى الدهر من نعمى
 مذ فيها السرى زما
 لها من بينها سقم
 كم أنكى بهم هضم

☆ ☆ ☆

فلما اصبح الصبح
 رأى مارى ترعى البحر
 فنادى اين فرجينى
 فاحنت رأسها مارى
 فلم يملك له قلباً
 و فيه عبث البين
 ولم يلبث سوى أن هام
 فلم يلق لها عيناً
 فلم يهدأ له بال
 فالوى راجعاً ركضاً
 فما لاح على البحر
 غدايرعاه كالحائر
 ومذغاب عن العين
 فجنناه وأنزلناه
 رأيناها و هى روحاً
 و بول كوخه أمّا
 والحزن لها عمّا
 وهل عنانوت عزما
 و لكن عينها تدمى
 به شك السرى سهما
 فلا بقيا ولا رحمى
 للشاطىء مغتما
 على البحر ولا وها
 بل ازداد بها همّا
 ليعلو الجبل الاسمى
 سوى الوهم له رسما
 يرعى النجم فى الظلما
 تولى وجهه لطمسا
 كالمختبيل المغمى
 وبالوجد ذوى جسمسا

فأنحى لائما هيلين
 جنت كفاك بي اثما
 لقد خنت بنا الحب
 و قد كنا اخلاء
 و لم أجن بفرجينى
 ولم ابغ لى التوديع
 أتبعين لى الغيظ
 ثقى انى اصبحت
 ولست اليوم كالامس
 فلا الدار لكم تبقى
 و لكننا اخذناه
 ورضناه على الشغل

و استغربها امما
 و أوسعت الوفا لؤما
 و أوقعت بنا ظلمها
 فلا لوما و لا ذمها
 على طول المدى اثما
 الا الشم و اللثما
 فما اقوى له كظمها
 حليف السهد والجمى
 لكم ذاك الفتى الشهما
 ولا هذا الجمى يحمى
 على سلوانها رغمها
 فابدى همة شمها

☆ ☆ ☆

و بي قد كان ذانس
 فابدى رغبة الطالب
 فوسعت له بالالا
 فكم درس له امليت
 وكم غذيته علماً
 وكم اجرى له ذهننا
 و كم أبصر من علم
 و كم جاد بمنثور
 على عزم به لسورام
 ولم يتعب له نفسا
 الا لتسرى فرجين

و فيه كنت مهتما
 يبغي جهده علمها
 و حاولت له غنمها
 فاستقبله فهمها
 فاوفى مضغه هضمها
 به قد ادرك المرمى
 و قد كان به اعمى
 و معنى زانه نظما
 نجما ادرك النجمها
 و يشر الجهد و الغرما
 منه السيد القرمها

قد امتار من العلم
لترضاه لها بعلا
على نعماه تقضى العمر
ثراء يطرد العدم
و من بين الورى سهما
لا تعرى ولا تظما

اوربا

مصنت عدة اعوام
ولم تبعث بمكتوب
ولم تدر بمالاقت
سوى ما كان يأتيها
بأن البنت فى عز
الى ان جاءها شرح
شكت فيه هياج الشوق
الى الام الى الاحباب
وقالت منذ جد السير
غدا كل غريب الدار
فلى دمة مقروح
برانى فيكم الحب
ارى سكان باريس
على انى لاشكو
مكنتى فى المقاصير
واختالدى الرمان
ولكنى ارى قلبى
غرامى فيكم اربى

على غيبة فرجيني
عن الوضع لهيلين
من العز او الهون
سماعاً غير مضمون
وتأمين وتمكين
كثير العطف واللين
من حين الى حين
من بيض ومن جون
هب الشوق يؤذيني
فى البلوى يواسيني
بقلب فيك محزون
ولمساعة يبريني
لهم عم الهنادونى
سوى معشرها الدونى
ووكرى فى البساتين
والزيتون والتين
على حالة مسجون
على ليلى ومجنون

ولمّا جئت للعمّة
 ابت الأتحيينى
 ومرّت تستبين الحال
 فألفتنى على الفطرة
 فدينى كلّهُ صدق
 كتابى عالم الآفاق
 وان لم اعرف الفن
 وحسنى قام بالطبع
 وما يوماً من الايام
 ولكن عمّتى استأثت
 رأّت انى على جهل
 لانى لم ار الدير
 ولم أقرأ من الفن
 ترى انى اصبحت
 فلا دنياى دنيا الناس
 ودينى عندها دين
 كأنى عندها وحش
 فأعطنى الى الدير
 لأحظى فيه بالعلم
 فلم اتقن سوى الخط
 فان البعد أقصانى
 به اقضى صباباتى
 و لم احفل بغير الخط
 حتّى عاد استاذى

فى بزة مسكين
 بقول فيه تسكينى
 عن وضعى وتكوينى
 فى الدنيا وفى الدين
 وعيشى غير مهنون
 فيه كان تمرينى
 فعلم النفس يكفينى
 بلا صنع وتلوين
 راح الجهل يغيرينى
 وابتدت كل مكنون
 عريق بى مقرون
 وفيه القس يهدينى
 علموما لتربينى
 لنفسى شرّمديون
 فى طرز وتزيين
 جزاف غير موزون
 من الهند اوالصين
 لتحصيلى و تموينى
 وألقى فيه تحصينى
 بتحرير و تدوين
 و خطى صار يدنينى
 اليك و مضامينى
 فى درس و تلقين
 بسوء الفهم يرمينى

و لكنى لم اعبأ
فكم حررت ما يغنيك
و لكن لم يجيء منك
فكان الشوق يصيبنى
حتى انكشف الحال
فكتبى كانت العمرة
وكانت تمنع القصاد
ولا ترضى بما يدريك
ولم اذ كرك بين القوم
بغير (الكونت فرجينى)
على انى (بدى لا تور)
أبى من دون كل الناس
لهيلين فدى النفس

* * *

وقد اصبحت يا امّاه
بلاد كلها عهر
بها جم اذى نفسى
ولا أختار لى داراً
بها صرت وفيها جم
بها اهلى و أحبابى

* * *

ختماً بلغى عنى
لمارى و مر غريت
وللمشيخ الجليل القدر
تحياتى وأشواقى
و دو مينج أبى الباقي
فى نفس و أخلاق

و فيديل الذى طـاب
وأطياري و اشجارى
سلامى و هداياى
باخلاق و أعراق
وأشائى وأعلاقى
الى زمرة عشاقى

☆ ☆ ☆

و كل القوم يبكون
به شوق و تهييج
و لكن أقلق الحضار
يرون الشرح لم يذكر
فهل غالت هوى فرجين
و هل بول جنى ذنبا
و هل يوماً سلت ليلى
رموز ما عرفناها
لما تملوه هيلين
و تذكير و تحزين
سرّ فيه مكنون
لبول فيه مضمون
غول وأحايين
فأنكى فيه توهين
و عاف الحب مجنون
و علم الغيب مخزون

☆ ☆ ☆

و ما اسرع ما لاح
على حاشية الاصل
بها خصت حبيب القلب
فحيته على بعد
وأهدته وراء الشوق
بذوراً غضة الاوراد
ليختار لها حقلا
لتستاف لها طيباً
وقالت يا هوى النفس
تيقن انك الروح
وانى سوف ألقاك
لهيلين و ارعاها
فصول جلّ معناها
بولا فى قضاياها
كما قد كان حياها
من أغلا هداياها
كانت تتمناها
به تنمو و يرعاها
متى عادت لمأواها
و يامنية احشاها
و هل روى أنساها
كما هيلين ألقاها

و احظى بأحبابى و دارى و مزايها



عزم فرجينى على الرجوع : السفينة

والكارثة : موت بول : نهاية الجميع : نهافت الشيخ و فجيعة

و اما حال فرجينى	بياريس مع العمه
فقد رامت لها وضعا	و فرجين أبت هضمه
أرادتها كباقي الغيد	فى الغلطة والنهمه
على المسرح مذترقص	أو فى السينما نجمه
وحضتها على التزويج	ممن صغرت جرمه
تراه وافر النعمة	لكن ليس ذا حرمه
و ليس الفخر بالمال	ولا الرفعة بالنعمة
وما العز سوى المعروف	يوليه اولوا الهمة
و ما الزوج سوى الشهم	قريبن الغادة الشهمه
على هذا ارتقت فرجين	نبلا و سمت عزمه
و فاقت اهل بياريس	و كانت وحدها أمه
فلم ترض لها العمه	خلقا أشعرت و سمه
و عنها زوت الفضل	و اموالا لها جمه
ولم ترع لها يتما	ولا قريبى ولا ذمه
فعادت لأترى بـدا	من العود على حشمه
فقرت تركب البحر	لموريس و من ثمه
ترى موريس كالنور	و أوربة كالظلمه
و ما العيش ببياريس	مع الذل سوى نقمه



يرعى و عد فرجينى
 من حين الى حين
 بوجه منه ميمون
 فى الماء كتنتين
 تنزى نزو مجنون
 كى يحظى بتسكين
 لتز هو فى الدواوين
 و اواراد البساتين
 من علم و تأمين
 لاستطلاع مكنون
 و يأتينا بمضمون
 فى عز و تمكين
 و روح و رياحين
 من الازعاج مأمون
 بشير غير مظنون
 فى طيب و فى لين
 بدا اسم لهيلىين
 لها بالخير مقرون
 لا هليه المساكين
 لتتلهوه بتبسين
 جرى عن قلب مجزون
 من بيض و من جون
 بتطريب و تلحين
 للدينا و للديين

و بول ظل لاينفك
 ويستكشف عنها البحر
 الى أن طلع البحر
 به باخرة تنساب
 فلم يملك له شوقاً
 فأهوى يطلب الشاطيء
 فهل فرجين قد عادت
 كعباق الرياحين
 فلم يظفر بما حاول
 و قالوا صاحب المرفأ
 مضى يستكشف الجبال
 فلم يلبث سوى أن عاد
 و قال القوم فى امن
 غداً يأتون فى طقس
 و هذى كتب القوم
 لكم يعلن ان الكل
 و من بين المكاتب
 على عنوان مكتوب
 به بول مضى عدواً
 فما فضته هيلين
 حتى اسبلت دمعاً
 و واساها جميع الصحب
 و قاموا يتغننون
 افرجين غذاء الروح

و بول لم يطوق مكثاً
 اتى فى وحشة الليل
 يرى استقبـالها حتمـاً
 فعفت النوم اكراماً
 فسرنا و الدجى داج
 و للريح تباريح
 و اذناك سمعنا الموج
 و للمدفع اصوات
 سألنا ما جرى فى الكون
 فقالوا ساء وضع البحر
 و اهل البحر فى حاجة
 الى الصبح ليا تبنى
 بفرجى نى يهنى نى
 و لا يرضى به دونى
 لمن قد جاء يرجونى
 بغيـم فيه مشـجون
 باطراف الـافانين
 يرغو كالـمجانين
 كاصوات البراكين
 من سوء و من هون
 من عصف الطوافين
 تأمين و تموين

☆ ☆ ☆

و لم تمض سويـعات
 و فى صحبته الجند
 لانجاد اسارى البحر
 و لكن المقادير
 فزاد العصف ازعاجاً
 وهب البحر يرميهم
 عن القرب من الشاطى
 و بول صار مجنوناً
 على نجدة فرجيني
 فالقى نفسه فى اليم
 عسى ينقدها مما
 فمنها تارة يدنو
 اتى فى اثرها الحاكم
 و من كان له لازم
 من خطب لهم داهم
 طغت كالثائر الناقم
 له كم قعد القائم
 بموج كالح عارم
 غدا الموج لهم لا طم
 امام الخطر الغاشم
 غدا كالثائر الحائم
 و الموت به جا ثم
 قضاء القدر الحاسم
 بثغر للقا باسم

و أخرى يرتقى عنها
 به كم عبث الموج
 فلم يحظ بفرجيني
 جثى فى شاطئ البحر
 ولما اعصوب الامر
 غذا كل من السفـر
 فخاضوا لبحج البحر
 ولكن احرزوا الارواح
 ولم يبق لفرجيني
 فما انصفها البحر
 ذوت كالقن الغض
 فكملوعة حران
 وكم ناح عليها الناس
 وكم أبنتها الفضل
 وليست وحدها فرجين
 قضى الوادى و من فيه
 وصاح الموت بالكل

☆ ☆ ☆

واما العمّة الرعاء
 بما مر على فرجين
 و ما لاقت هيلين
 وان الكل قد ماتوا
 غدت مكدودة الخاطر
 وان جم لها مال
 لما أوعبت علما
 من نكبتها العظمى
 من سوء الذى عمّا
 بلون يبعث السقمّا
 لا تلتذّ بالنعمة
 فقد لاقت اذى جمّا

بهيلين جنت ذنباً	وفى فرختها جرماً
على لا شىء الا الشح	قد أوعبها لؤماً
ولم تلق من الاحرار	الا اللعن والشمماً
وماتت ميمة البائس	لا بقيا ولا رحمى
وفى اموالها قد عاث	من أوسعها ذمماً
هو اللؤم فكم اخزى	أخا المال كما اعمى

☆ ☆ ☆

وماتم حديث الشيخ	عما مر من خطب
الا أسبلت عيناه	مثل اللؤلؤ الرطب
وجمت فيه أحزان	لمكلموم الحشا تسبى
قست فيه مقادير	على مقدوره تر بى
قضى نجماً فواريناه	محزونين فى الترب
وعدنا و الأسى جم	على الاحشاء و القلب
هى الدنيا وما فيها	سوى الحسرة و الندب
على مجتمع الاحباب	يغدو طعمة النهب
فمن حزن على أهل	و من دمع على صحب
و من زفرة حران	على الهضم به تنبى
فما أضيق دنيانا	وان كانت على رحب

☆ ☆ ☆

ونختم الكتاب بكلمات تلخص البحث عن المبدأ والدين : فنقول .

الدين الفطرى

قال تعالى : فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها : كل انسان اذا انعزل بنفسه آنأما عن تقاليد اهله الذين درج بينهم و بيئته التى اختضنته

والمبلمين نافين ومثبتين ونظر الى ما هو واجد له ولو بالنظر السطحى من قوى ظاهرة وباطنة وما يحيط به من فضاء متسع الارحاء وشموس واقمار ووجار وانهار وسهول وجبال ونباتات مائة لارحاء البسيطشتى الصور والالوان والرائح والخصوصيات من حلومر وقابض وملين ومهلك ومنعش بما لا يدلاى مخلوق فى غرسه وزرعه وسقيه وتنميته وحيوانات تشرع من الذرة والنملة الى الاسود والفيلة وتموزع ما بين الزواحف على بطونها والدارجة على ارجلها والقافزة قفزا والعائمة عوما والطائرة باجنحة الى المأكول منها والآكل الاهلى والوحشى الى غير ذلك من صنوفه وانواعه : فلاشك ولاريب : انه فى نظراته الخاطفة هذه يبقى مبهوراً متحيراً ويرى نفسه من الحقارة وعدم الاهمية امام هذه المجموعة الكونية ما يورثه الخوف والرعب فى مقابل هذا الكون المتلاطم والتيار المزعج و يعتقد اعتقاداً بسيطاً خالياً من كل شوب ان لهذا المحيط الهائل .

- موجداً - هو فوقه فى كل شىء لقدرته على ايجاد المتضادات الفائتة عن حد الاحصاء من حيوان لا تحصى صنوفه والوانه ونبات لا تحصر انواعه واقسامه وجماد متفاوت الهوية من تراب السبخة الى معدن الذهب والفضة وانسان مترامى الاطراف فى سحناته ولهجاته وتصوراته وتفكيراته بل فى كل شىء تجوز نسبته اليه بما لا يأتى عليه حساب ولادفتا كتاب .

-- حياً -- لان نوع هذه الموجودات التى يراها ومن جملتها نفسه واجدة لخصائص النشوء والنماء والحس وهى آثار الحياة فلا بد ان يكون من اوجدها بهذه الخصائص واجد المنبعها وهو الحياة اذ لا يعقل بالعقل الفطرى ان يكون الواهب فاقداً لما يهبه .

- عالماً - لانه يدرك الحكمة فى كثير مما يرى خلقته وحد الاقل خلقته نفسه الواجدة لصنوف القوى القائمة بانواع الاحتياجات اللازمة وهذه حكمة عظيمة تدل فضلاً عن علم موجدها على عظيم دقته و جليل معرفته واحتواءه على كمال عجيب لا يوجد بعض من كماله عند اعظم اختصاصى .

مقتدراً بالقدرة الواسعة - فان خلقه واحد من هذه المخلوقات كافية في اثبات قدرته الواسعة التى يعجز عن اقل قليل من آثارها اعظم عظيم فى الفن و الاكشاف مختاراً تمام الاختيار فى فعله - اذ لا يتصور قاهر فوقه .

مباشراً لخلق كل مخلوق بالمباشرة التامة : حيث لادخاله لغيره فى خلقته حتى الوراثة وحتى التلقيح اما الوراثة فلو كان لها قانون او بعض قانون لما تفاوتت افراد البشر و الحيوانات تفاوتاً عظيماً بحيث ربما لا يوجد اقل تشابه بين الاصل و الفرع فى اقل الاشياء و كذلك الشأن فى النباتات فانه بلغ من كلى تفاوتها انه لا ورقة من غصن تشابه الورقة المعلقة قريباً منها فى تخاطبها وهندستها فضلاً عن الجذور والغصون وهذا من اقوى الادلة الفطرية على ان الخالق باشر وراء خلق الشجرة خلق الورقة وهذا الاصل مما يجعل الحاجة الى الخالق مستمرة فى كل شىء و ان انقطاع مباشرة الخالق عنه موجب لانهار العالم كله : واما التلقيح فانه لو كان بنفسه مجدداً ليجاء من كل تلقيح نتيجة فى حال ان الامر ليس كذلك لكثرة العقم فى الذكران و الاناث ولكانت النتيجة واحدة فى حال أنها ليست كذلك فر بما تكون النتيجة ذكراً مرة وانثى اخرى و توأمين مختلفين ومتفقين واكثر من ذلك و اقل تام الخلق و ناقصها وهذا كالسابق من الادلة الواضحة على اعمال الخالق ارادته المحجوبة السبب علينا فى كل مخلوق مخلوق الفرد والتوأم الذكر والانثى التام والناقص : و ليست هذه النظرة التى شرحنا طرفاً منها فى كل ناظر مما تحتاج الى قراءة درس سابقة على النظر بل هى نظرة وجدانية يجدها الناظر من نفسه لادنى تأمل يكون منه فى محتويات الكون ومن جملتها نفسه مضافاً الى ان الفلسفة بدروسها العالية انما تكونت من هذه النظرات فان معناها البحث عن حقائق الكونيات والبحث بمبدؤ النظر و هذا الامر الوجدانى هو الفطرة التى اشار اليها تعالى بقوله فطرة الله التى فطر الناس عليها : و معنى أقم وجهك للدين حنيفاً انك ايها الانسان يلزم ان تجعل اتجاهك فى كل امورك لهذا المبدأ الذى شخصته بفطرتك وعرفت انه المستولى على كل شىء فى الوجود مباشرة بلا ان يكون لغيره دخالة معه وان لا تميل عنه مقدار شعرة فى كل شأن من

شؤنك فان غيره لا ينفعك اذ ليس به قدرة على نفعك.



-الدين-

يعطى المتدين فائدتين صون حياته في الدنيا من كل مزعج وتأمين حياته في النشأة الثانية وهاتان الفائدتان مفقودتان من نفاة الاديان بالادلة التالية : قال تعالى : من عمل صالحا من ذكر او ائني وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون .

روح الانسان اذا تجردت عن الدين والخضوع له تعود روحاً بهيمية تتضارب فيها الاندفاعات المتناقضة الى حد لا يوصف بل لا يحيط به حتى المجرّد عن الدين نفسه فان روح الانسان المتجرّد عن الدين اذا اتجهت صوب المآكل وتفرزت الى مافى كـل طعام من لذة للذائقة واخدمتها هذا التصور مأخذه من الدماغ اندفعت بكل صلاحية وقاحة حتى الى السرقة بل حتى الى التكدى والتطفل فضلا عما بينهما من مراتب : و اذا اتجهت صوب الملابس و الازياء و اطوارها في شتى انواعها و الوانها و صفاتها و تفرزت احساساتها الظاهرية نحو هذه الجهة كذلك غامت بنفسها الى تهيأة ما اتجهت له كل المغامرة فلا تدع طريقاً لاستحصاله الا وسلكته كائناً ما كان ذلك الطريق واذا اتجهت صوب المساكن والعمارات وتجهيزاتها من فرش ملونة وستائر رقيقة و مناضد ومقاعد ومرافق وتفرز حسه الظاهر لذلك اندفع بحوله وطوله لتأمين ما تسعه هذه القوى من ذلك : واذا اتجهت صوب الشهوات الجنسية وتفرزت حواسه المربوطة لذلك لاتعود تفيدته الزوجة والزوجتان ولا الاكثر من ذلك بل تراه فضلا عن مطاردته لاعراض الناس وما يلاقى في هذا السبيل من محن و كوارث وسقوط و امتهان ومتابعته خطى الفواحش وما يلقى من جرائها من توهين ربما طارد الحيوانات ومع ذلك لاتهدأ فورته ولا تنكسر شهوته بل بنحو عام نقول انه اذا صادف مغنياً مطرباً تمنى ان يكون مغنياً واذا اشتهر اسم لشحاذ و سمعة للص وصيت لمشعوذ تمنى ان يكون شحاذاً

لصاً مشعوذاً و اذانبه اسم لمتمول احب ان يكون متمولاً واذا رأى زعيماً من
 زعماء الدنيا قد حاظته الخيول والالوية احب ان يكون كذلك كما انه اذا رأى
 عالماً كبيراً لآراءه تناقل في المجالس ولشخصه احترام بين الناس احب ان يصير عالماً
 و اذا رأى امام جماعة وقد تراصفت و ترابط و راءه الصفوف احب ان يكون امام
 جماعة واذا رأى خطيباً مصقلاً يهز الجالس والمجالس بخطابه وبيانه احب ان يكون
 خطيباً و اذا رأى ناسكاً مكتفياً من دنياه بقرصيه و من لباسه بطمريه ما نوساً بذلك
 خفيف الحاجة غير مؤاخذ على ما هو عليه احب ان يكون ناسكاً وهلم دوالميك : فهو في
 نزعاته ونفسياته متناقض متضاد موجب منقى قلق مضطرب لاقرار له متقسم بين
 اندفاعاته ونفسياته تقسماً يوجب له جنون الوضع وخفقان الحركات وبؤس الحالة حقاً
 وكل المتجردين عن الدين مرتبكون منزعمون سلاطين كانوا ام مكدين وهؤلاء امع
 كدحهم في دنياهم واصرارهم على التمتع لا تراهم الا قصار الاعمار سعى الاخلاق ناقمين
 على وضعهم يتمنون حياة الرهبان وعيشة الضعاف من المتدينين و يحسدونهم على ما
 هم فيه من الانشراح والرضا بما قسم لهم وقد اطل عبد الملك بن مروان قبل موته على
 قصار وهو يعمل بكل نشاط تظهر عليه سيماء الراضى عن وضعه فتمنى ان يكون قصاراً
 منذ ولدته امه خلاصاً من تبعات الدنيا التي تأسر من القى بنفسه بين احضانها : هذه
 نواحي المتجرد عن الدين من جهة اندفاعاته النفسية : واما انزعاجه من المصائب
 والحوادث والكوارث وتألمه حتى من تصور الفقرا اذا اعطى من ماله لرحم او مستحق
 او ذى حاجة وتخيل عدوى المرض اذا عادرحماً او جاراً او اخأله وتوهم العطب اذا
 سافر الى جهة من الجهات وهزال ولده اذا وبخه وادبه والوقوع في مخالف المنية اذا
 بارز عن عرضه او عن حق من حقوقه والتدهور في الحياة اذا لم يتملق فحدث عنه ولا
 حرج في ارتباكه واضطرابه لا يدري ماذا يصنع في جلب تلك الشهوات لنفسه ودفع
 هذه المخاطر الجارحة عنها ومن يكن بهذه الحالة يرثى له حقاً وان تزوقت ظواهره
 بالترف احياناً : واشد من كل هذا ذاك الوقوعاً وتبريحاً في نفسه انه لا يعرف وراء دنياه
 هذه دنيا تحتضنه قد خلصت من كل هاته الشوائب وجمت من كل اللذائذ: اما المحتضن

للدين المعتقد به السائر ولو على لمعة من نوره المتروح ولو بعبرة من عبره فهو بفضل الدين ورجاله العاملين في كمين وأمن من تيك المزعجات والاضطرابات سواء نشأت من الاندفاعات النفسية الشهوية اممن تصور المحزنات و المزعجات الدنيوية مضافاً الى مايعتقده من حياة ثانية سعيدة غاية السعادة .

اما كونه في كمين وامن من تيك المزعجات الهائلة الدنيوية فهو ان الدين في طرف من تعاليمه التي وجهها للانسان ألزمه بأن يحترم ذاته ومن بعض الشواهد عليه قولهم ربانى فيه

اتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

وليس المراد باحترام الذات هو التكبر والتعطرس والانانية وعجرفة الاخلاق واعتزاز الانسان بمأكوله وملبوسه وحاله وما له وما آباءه وامهاته بل هذه الصفة من اردل صفات النفس لانها تقود الى الضعف والاعتزاز بالتواضع وبمعظام الاباء ورفات الامهات وتصرفها عن الالتفات الى اكتساب الفضل الذى يعود بعد اكتسابه جزء من وجود الانسان لامنقلا عنه كالمال والمنازل وما اليهما -لا- كل ذلك ليس بمراد من الصفة المومأ اليها بل المراد ان الانسان يجب ان يعتنى بنفسه وبعقله وبالملكات الثمينة التى ديفت فى طينة وجوده وذلك بان لا يكذب لان الكذب فضلا عن كونه ربما يوقع المكذوب عليه فى ضرر انه اذا انكشف للناس اسقط صاحبه عن القيمة فلم يعودوا يحترمونه من قلوبهم ولو كان شخصاً ذا مقدرة : وان لا يطارده الشهوات لانها توجب خفته قطعاً ومهما حاول الاتزان : وان لا يخون فانه يفتضح ومهما راوغ : وان لا يسرق فان السرقة تظهر عليه ولو تستر بما شاء ان يتستر : وان لا يعدد فيخلف او يستدين ولا يفي فان كل ذلك حتى لو صدر من سلطان انزل قدره : وأن لا يتملق فان المتملق بطبيعة نهوض عرق التملق فى باطنه يوجب خفضه معنى و ظاهراً فلا تراه الا دائم التقبيل للايدى تجاه منوى تافه فاذا احترم المتدين ذاته فقد ترك كمال تيك الرذائل فلم يزن اذن و لم يغش و لم يدلس و لم يسرق و لم يتملق و لم يكذب و اذا كان بهذه الروح لم تندفع نفسه تلك الاندفاعات التى صدرت وتصدر من المجرى عن الدين

فى سبيل تأمين المأكل والملبس والمنزل والشهوة الجنسية وما إليها كما لا تتحدث بالامنيات المتناقضة المجردة بل تراه يرضى من كل ذلك بالميسور الذى يؤمن قطعاً شهوة الذائقة واللامسة والشامة والسامعة والباصرة وشهوة القوى الباطنية ويستدل فضلاً عن رضاء نفسه بما تهيأ لها بما يراه او يتلقنه من ضرورات التاريخ ان المثاليين من البشر والمهذبين فى بنى آدم اكنفوا من هذه الحياة بما تيسر منها ولم تندفع انفسهم الى قليل من تلك المزعجات ومع قناعتهم التامة بالنسبة الى ما عليه هواة الدنيا المجردون عن الدين او البعيدون عنه فقد كانوا اصح امزجة واعمر ابداناً واقوى صراعاً واشجع قلوباً وابدأ بعد صيتا ووسع شهرة وطول اعماراً من اعظم مترف فى الدنيا يرى ذلك مشاهدة احياناً ويتلقنه عن التاريخ الصحيح احياناً اخرى :

هذا ويزعه دائماً عن ان يعير طرفه للتصورات المزعجة ما تلقنه عن الدين بتواتر وآه فى التجربات كثيراً ان لاعدوى فى كل مرض ولا فقر مع كل عطاء ولا عطب فى كل سفر ولا موت فى كل مبارزة ولا هزال مع كل ضرب مضافاً الى ان مستند ذلك هو ارادة الله الغالبة فما لم يقدره لا يكون وما قدره لا بدوان يحصل: وعلى فرض ان صلته لارحامه وعطفه على المحاويج وبذله فى سبيل الله ربما أفقره وعبادته للمريض ربما عدته وتأديبه لولده ربما أهزله ودفاعه عن عرضه ربما أماته واعتزازه بنفسه ربما ضره فهو انما فعل ذلك انقياداً لاوامر الله الذى وعده وعداً صادقاً لاخلف فيه انه سوف يجزيه عن ذلك فى نشأته الثانية احسن الجزاء ويسعده باحسن سعادة ويعطيه فوق آمال الراغبين فهذه بعض فوائد الدين للفرد .

من فوائد الدين للجامعة

فوائد الدين للجامعة بوصف الاجتماع كثيرة لا تحصى ونحن فى هذا الدرس نتكلم على بعضها - الاول: الاتحاد والائتلاف - وقد قام به الاسلام قولاً وعملاً اما القول فهو فى الكتاب والسنة كثير من بعضه قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً : فقد دعى الله جامعة البشر ان يأتلوا فيه وان يكون هو تعالى نقطة الائتلاف ومحور الاتحاد بينهم ذلك

لانه هو خالقهم ومدبر شؤونهم ومصرف امورهم ولانه بعيد عن التحيز الى جانب دون آخر ولانه يجب خير العموم وسعادة الجميع وليس في العالم على اطلاقه من يكون بهذا الوصف فلا احد اذن اولى منه في كونه مطافاً للجميع ومحوراً يدور عليه الكل: واما العمل فانه الغي العنصرية واللون فلم ير لعنصر على عنصر اقل تفاوت في حال ان الناس انما تميزوا وبقوا لجهلهم متميزين لا اعتزاز كل ذى عنصر بعنصره فالعربي لا يرى الفارسي والرومي والزنجي وما الى ذلك الا دونه ويا بى ان يتزوج منهم ويزوجهم من نفسه وبالعكس وهكذا يترفع الابيض على الاسود وحتى اليوم والاسلام لا يرى رفعة لاحدهما على الاخر الا بالفضل ولا يرب ان هذه الحواجز اذا ارتفعت تقارب الناس الى هدف غير بعيد على الجميع واستدل الله سبحانه على رفع الحواجز العنصرية بأسد دليل وأقربه حيث قال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكروا نثى: فكلكم من عنصر واحد ومن لون واحد ومهما تسلسلت انسابكم وتكثرت الوانكم فانكم بالمال ذائبون في حقيقة واحدة وراجعون الى ابوام متحدين وهذا الدليل وحده كاف في تزييف كل قول يقال في التمايز من حيث العناصر والالوان وان كل ما قيل او يقال في هذا الموضوع فهو جزاف لا وزن له وان سردت فيه القصائد وكرست فيه المقالات والفت فيه الكتب واطال خطبته فيه الخطيب وان كل حرب قامت على هذا الاساس وكل حزب دعى الى تفكيك العناصر وان شمار كل عنصر الى ناحية تبعد عن العنصر الاخر ومهما بلغ من التجدد والتمدن والثقافة فانه باطل وموجب لتفكيك الاواصر وتخریب الاجتماع وملقح للعداوة: والغى الرفعة والوضعة من حيث المقامات الدنيوية فلم يجز لاحد ان يترفع على آخر ولو كان المترفع اميراً او وزيراً او متمولاً او ذا رجال ومنال مستدلاً على كل ذلك بانه اجنبى عن الانسان من حيث ذاته وانما هو عرض زائل وعارية تسترد وتمويه لاحقيقة له والحقيقة صرفاً مقرونة بالكسب المفضيلة والجد في طريق تحصيل الكمال لان هذه الامور المعنوية قائمة بالنفس وتزيد على مرور الزمان نمواً وانتاج نتيجة فهي دخيلة في مقام الذات قريبة من النفس ملكة لاعارية وحقيقة لا تمويه وبما انها لا تحصل عفواً ولا تتأتى جزافاً وتصل بالنفس وترفع صاحبها الى مقامات

عالية في الجوهر كانت الرفعة والوضعة واختلاف المقامات مربوطة بها فقط :
ويستدل على ذلك من المدارك الاسلامية بادلته منها ان اهل تلك المقامات
العرضية الزائلة من زعيم ومتمول وامير ووزير ان اقتصروا في سيرهم كما هو الغالب
على تأمين زعامتهم وزيادة تمويلهم واحراز رياستهم كانوا ذؤباناً ضارية بعيدين عن
الرحمة والانسانية وان اتخذوا هذه الوسائل معبراً لاحقاق الحقوق وتحكيم العدل
والسلام بين الناس وتركيز الرفاه للضعفاء فبطبيعة حالهم لاتراهم مترفعين
لانهم اناس مثاليون يندرجون في اهل الفضائل والكمالات التي بهاتفات الناس
حقاً ويكون فيهم الرفيع والوضع وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : والعصران الانسان لفي
خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات و تواصلوا بالحق و تواصلوا بالصبر: فحكم
تعالى بخسر كل انسان لم يكن مؤمناً بالمبدء الصادق ولا عاملاً للصالحات ولا قائماً
بالحق ولا موصياً بالصبر في طريق ايقطاعة تفرض وعلى اية كارثة تكون : و منها قول
الرسول ﷺ في فتح مكة حيث عظم من اجله مقامه بين اهل الجزيرة لانسان شاهده
بين اصحابه الكثيرين فاضطرب رعباً وخوفاً : لاتخف اني لست بسلطان انما انا ابن
امرء كانت تأكل القديد : وهكذا قوله لاصحابه : انا واحد منكم الا فيما يوحي
الي : وغير ذلك وهو كثير .

وألقى الامتياز الطبقاتي الفاحش من حيث المعاش و الوسائل و الزم الناس
لخطة قريية التفاوت بما هو ضروري في العقول و دحر بخطته الوزينة هذه كلا من خطتي
الاستبداد والاشراك حيث لا يوجد اليوم الا الافراط والتفريط المنعجان و كلاهما
بعيدان عن الحق والمنطق ولوان طريقة الاسلام في هذا البحث أجريت في الناس عملاً
لساد العدل العمومي حقاً.

اما الاستبداديون الذين لهم وجود شائع اليوم في الشرق والغرب وان ادعوا
التنور لانفسهم وازروا على اوضاع العوالم السابقة عليهم فهم اخس الناس وضعاً و
طبعاً دجالون منافقون يقولون بالسننتهم ما ليس في قلوبهم و يأمرون الناس بالبر و
ينسون انفسهم فلاتراهم في داخلاتهم و بين اصحابهم الا لصوصاً و ذئباً يفترسون كلشيء

تنتجيه رغباتهم في كمين من حجاب واسع ضربوه على انفسهم حتى لا تطلع عليهم العامة من الناس نعم قصارى ما عندهم تزويق الظواهر بظاهر التمدن الزائف من تعبيد الشوارع وتعميم الانارة وما الى ذلك.

واما دعاة الشيوعية فهم كهؤلاء الاستبداديين في اعمالهم الداخلية المر بوظة بهم حدوا النعل بالنعل دجالون منافقون يخترنون احسن الاشياء لانفسهم ويعمون بكلماتهم وظاهر مدعياتهم على السذج البسطاء الا ان الكلام في تحليل منطقتهم فان له في ظاهره روعة وطلاوة والعنوان العام لطريقتهم ودعوتهم هو ايجاد المساواة بين الناس جميعاً و تحريرهم اياهم من كل قيد يفرض سوى قيود النظام العام.

جماع ماقاله الاشتراكيون في نقد الوضع الرائج

قالوا ان الحرية مادامت مطلقة للافراد في وضع ايديهم بحق الملكية على ما يختارون من الاراضى والمباني فمن اللازم ان تخضع الامة لناموس المزااحمات و المنافسات وتستحيل الجمعية البشرية الى معمعة قاسية يتنازع فيها الافراد حق الحياة ويتسلط نفوذ الاقوياء على الضعفاء ويفوز المحتالون على المستقيمين الصادقين وتنتهى الحال بأن تكون الثروة بيد افراد يعدون بالاصابع والسواد الاعظم من الشعوب في ايديهم وطوع ارادتهم يسخرونها في معاملهم طول اعمارهم ثم لا ينال الواحد منهم ما يكفيه حاجة اهله فيضطر لتشغيل امرءته واطفاله معه فينهدم بناء الاسرة وتصبح الحياة عبئاً ثقيلاً على الجزء الاعظم من النوع الانسانى وما سبب ذلك الا ترك الحرية للافراد في الملكية فلما بطل هذا النظام المؤدى للفساد وجمعت الثروة العامة الى بيت مال مشترك ووزع على كل فرد منهم من ذلك المال بقدر عمله و كفايته توزيعاً عادلاً مكفولاً بسطوة الرأى العام لبطلت المزااحمات والمنافسات واصبحت الجمعية البشرية سعيدة باخص معانى الكلمة.

فأجاب المشترعون عن هذه المقطة بقولهم قذف بالانسان الى هذا العالم عارى الجسد مجرداً من السلاح فجد واجتهد وحصل قوته بشق الانفس ثم آلمته الآلام

ووخزته المتاعب ففكرو ونظرو وتأمل وتدبر فهدها بارع الى ضروب من الاعمال وانواع من المحاولات فحرث وزرع وبنى وشيد وأسر الحيوانات ودجنها وبذل اقصى مجهوداته في تذليل صعوبات العيش ولم يكن كل افراده على هذا الحال من الهمة بل كان فيهم الكسلان الذى يسهل عليه ان يموت مكانه من ان يكبد لنجاته والمسرف الذى يبذر ما يقع له فى اعقاب شهواته فهل من العدل ان يتقاسم هذان الرجلان الكسلان والمسرف محصول ذلك العامل الذى افنى فيه قواه وانضى له جسمه : هذا الرجل العامل كان يستطيع ان لا يعمل فلا ينتج شيئاً فكيف لا يكون ما أنتجه خالصاً له دون غيره انه لم يؤذ احداً باستثماره كده وقواه بل هو الذى يؤذى لو حكم عليه باشتراك غيره معه فى نتيجة جهاده نعم الانسان لا يخلق شيئاً ولكنه يحول ما يجده بواسطة الصناعة الى شىء له قيمة ومنفعة فيجد حجراً ملقى على الارض لا قيمة له فينحته ويصقله ويبرز منه شكلاً صناعياً بديعاً يساوى قدراً من المال فلا شك ان ذلك المال ثمن عمله لان الحجر كان ملقى لا يلتفت نظر احد فاذا استثمر هذا الانسان وكل من كان على شاكلة كده وجمع منه ما لا صدق فى حقه قطعاً انه ماله وانه مسلط عليه وانه لا يجوز اكله منه بغير رضاه وانه مختار فى جهة بذله الى اى احد شاء ومن جملة موارد تخليفه للوارث او القائه فى البحر فانه لا يجوز لاحد ان يعترض عليه ذلك و ان يدعى فيه حقاً لنفسه نعم يجوز له ان يلومه اذا القاه فى البحر او صرفه فى المفسد والتوافه ، وعلى هذا بنى الاسلام احكامه واعتبر كل ثروة تكون من طريق الغش والتدليس والاحتكار والربا والرشوة والسرقه والشعوذة والغبن والنقوذ والقدرة اكل مال بالباطل كما هو صريح الفقه الاسلامى ومضافاً على كل هذا فقد اوجب فى الاموال الحقنة الزكوة والخمس والكفارات وغيرها ودعى المسلمين بدعوة عامة طالما شاد بها وكررها الى استحباب التصدق ووقوف الاوقاف فى سبيل المصلحة العامة وبناء القناطر والمدارس والاحسان الى الضعفاء والارحام والجيران و اهل العلم والمؤمنين المعوزين وفى سبيل الجهاد وحفظ شعور المسلمين الى ما شاء الله مما لا يعد فى هذه الفرصة ولا يحصى فلا يجوز للطاعن من المتجددين ان يحكم على الاسلام بانه يحمى

عن المتمولين الذين ماجمعو نوع اموالهم الامن طرق الغش والتدليس و التزوير والاحتكار والربا والغبن والنقوذ والافتقار و لامنقذ للمشروع الا فى طرف ضعيف من اموالهم .

ومن فوائد الدين فى الاجتماع انه قاطع لتعديت بعض على بعض اوانه حد الاقل مقلل من ذلك لان الدين لما كان وازعاً من طريق العقيدة نافذاً الى اعماق القلوب كان تأثيره فى نظام الجماعة اكثر بالمائة مائة من تأثير القوى الظاهرية لناحيته (الناحية الاولى) ان البشر اذا لم يراقبوا الا الظواهر وما يحذرونه من ناحيتها وتعلمق مطامعهم واغراضهم الشخصية بما منعوا عنه من طريق القوة تراهم يخترعون الحركات العجيبة لتأمين منوياتهم بالحيلة والشعوذة واذا اتهمتهم المحاكم فى ذلك رأيتهم اقاموا الايمان الكاذبة واقعدوها فى تبرير موقفهم وتذرعوا بالانكار القوى و توسطت الوسائط المؤثرة ونجود ذلك وهانحن نرى باعيننا جهاراً ومباشرة ان الحكومات تنهى عن القتل والسرقه واكل اموال الناس من غير طريق القانون وتناول الا فيون وزرعه وبيعه وشراؤه ومع ذلك نرى وقوع هذه القضايا بكثرة على مرور الساعات فضلا عن الايام والسنين وداعى وقوعها هو التذرع اليها بوسائل مرموزة وكم جدت الحكومات جداً بليغاً فى مقابل تهريب الاجناس او الاشخاص فلم تنجح من مقاومتها الا فى طرف من ذلك : اما الدين فلما كان ارتباطه بالقلوب وتأثيره على القوى الباطنية والظاهرية كانت هيئته على الافراد فى الخلوات والجلوات على حد سواء فترى المتدين فضلا عن أنه لايسرق اذا وجد مالا ضائعاً اخذ يعرف به فى الملاء العام حتى يتعرف بصاحبه ويسلمه اليه و غير المتدين فضلا عن انه يلتهم الضوائع التهاماً لاول مرة يحاول الفرصة حتى يسرق واذا ساعدته الفرص على النهب من يد الانسان المتحذر نهب وترى المتدين ايضا فضلا عن انه لا يهاجم نوايس الناس علناً لا يزاحمها وحتى سراً مع تمكنه من ذلك اما غير المتدين فمزاحمته مع الممكنة فضلا عن كونها خفيفة المؤنة عليه تراه يزاحم حتى فى العلن وان لقي فى سبيل ذلك ما يلقي و ترى المتدين فضلا عن انه لا ياكل اموال الناس بالباطل يفهم حقوقهم ويزيدهم عليها

بالهدايا وحد الأقل برفع الت شكرات تصديقاً لقول نبيه ﷺ المؤمن حسن القضاء والاقتضاء اما غير المتدين ففضلا عن انه لا يفي الناس قروضهم اذا تمكن سرق اموالهم وخانها واكلها بلا خوف ولا حذر ولو بارزته القوى : الناحية الثانية : ان القوى مهمما تفرض فهي محدودة وليس باستطاعتها ان توكل بكل انسان شرطياً وعلى فرض ذلك فان الشرطى نظير غيره اذا لم تكن للدين حكومة ولهذا نرى اليوم اهم الدول المتمدنة فى العالم عاجزة عن ان تصون نظامها صيانة تامة فما اكثر القتل والسرقة والنهب و التعدى فى اعظم مدينة من مدنها مع قدرتها الكافية وما ذلك الا لضعف الدين فيها و-وان الدين فقد منها بالمرّة الواحدة - اى دين فرضناه - لوجدت الولايات فيها بلا حساب ولا كتاب .

ومن فوائد الدين فى الجامعة : حثه للافراد على التعاون واحقاق الحقوق و الرفق والمواساة وان يحب الانسان المتدين لآخيه المتدين ما يحب لنفسه ويكره لهما يكره لهما وان يشاء اذا سافرو يستقبله اذا قدم ويعوده اذا مرض ويقرضه اذا احتاج و يعطيه اذا اعوز ويشاركه فى الافراح والاحزان ويتفقده اذا غاب عن وجهه ويعطف على اهله اذا بعد عنهم وان يحضر جنازته اذ مات ويشيعه حتى يدفن ويعزى اهله ويسلمهم ويكون لهم فى رفع الوحشة عنهم كما كان فقيدهم لهم وفى ذلك من الاثار قضايا واخبار جمّة وآيات مهمة منها قوله : ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى حقه : وقوله تعالى : لاتنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون : وقوله تعالى : وتعاونوا على البرو والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان : الى عشرات سوى ذلك .

وعن ابى جعفر الفزارى (فروع الكافى : كتاب المعيشة) قال دعا ابو عبد الله ع مولى انه يقال له مصادف فاعطاه الف دينار وقال له تجهز حتى تخرج الى مصر فان عيالى قد كثروا قال فتجهز بمتاع وخرج مع التجار الى مصر فلما دنوا من مصر استقبلتهم قافلة خارجة من مصر فسألوهم عن المتاع الذى معهم ما حاله فى المدينة و كان متاع العامة فاخبروهم انه ليس بمصر منه شىء فتجالفوا وتعاقدوا على ان لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار ديناراً فلما قبضوا اموالهم وانصرفوا الى المدينة دخل مصادف على ابى

عبدالله ﷺ ومعه كيسان في كل واحد الفدينار فقال جعلت فداك هذا رأس المال و هذا الاخر ربح فقال ان هذا الربح كثير ولكن ما صنعتم بالمتاع فحدثه كيف صنعوا وكيف تحالفوا فقال سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين الا تبيعوهم الا بربح الدينار ديناراً ثم اخذ احد الكيسين فقال هذا رأس مالي ولا حاجة لنا في هذا الربح ثم قال يا مصادف مجالدة السيوف اهون من طلب الحلال: وفي الكافي عقيب ذلك: عن حماد بن عثمان قال أصاب اهل المدينة غلاء وقحط حتى اقبل الرجل المؤسر يخلط الحنطة بالشعير و يأكله ويشترى ببعض الطعام و كان عند ابي عبدالله طعام جيد قد اشتراه اول السنة فقال لبعض مواليه اشتر لنا شعيراً فاخلطه بهذا الطعام او بعده فانكره ان نأكل جيداً ويا كل الناس ردياً: الى غير ذلك .

ولاريب ان هذه العواطف اذا عملت كما يريد الشرع أصبحت الدنيا هي المدينة الفاضلة التي يتمثل بها الان كل ذى بضاعة لا يعود يحتكرها او يعتز بها فتكثر المدارس على نفقات اهل الخير وهكذا المساجد والتكايا والمستشفيات وتعقد القناطر والجسور وترتفع الشدة من اهلها والفقر من اهل الحاجة كما يرتفع الجهل والمرض والصعوبات ولا يعود الانسان بحاجة: اما لو حولت كل هذه المطالب بعاتق الدول فضلاً عن عجزها عن القيام بكل هذه الواجبات الفردية والاجتماعية مادة ومعنى لقصور دخلها عن كل هذه اللوازم وعدم استطاعتها البحث والتفتيش عن حال الاطراف البعيدة وعن مجارى الافراد المنشعبين الضعفاء والبؤساء انها اذا ارادت ان تتعدى المشروع فتجمع الاموال بالقهر والغلبة ادنى بهاذلك الى مصارعة العواطف من ناحية واتخاذها احياناً من ناحية ثانية وتعدىها في جمع المال اذ لا تعود تفحص الفحص اللازم في كيفية اخذها من تاخذوكم تاخذ وكيف تضبط ما تأخذ من ناحية ثالثة على سوء في السمعة وتنقر القلوب منها حينئذ والذي أعان دول الاسلام على البقاء والاستمرار هو تجرد نفس المسلمين للقيام بمصالحهم من بناء مستشفيات ومدارس ورباطات ومساجد وتكايا وسقايات واحداث سواقى وجداول ومؤسسات خيرية وفضلا عن قيامهم بذلك فقد وقفوا المشاريعهم اوقافاً ضخمة اكملها الفساق الذين لازمة لهم .



نسبة احتياج الانسان الى الدين

الانسان في حياته الضرورية محتاج الى عدة اشياء لازمة لا يتيسر له العيش من دونها وهي الماء والغذاء واللباس والمسكن وما يؤمن الشهوة الجنسية هذامن ناحية الماديات الاولية الى تقوم بهاشخصيته الفردية ومن ناحيته الاجتماعية فهو في حاجة ماسة الى النظام العام وكل ذلك وهذا موقوف على وجود الدين بين الافراد شخصياً ونوعياً وبسوى الدين لا يتيسر الحياة الابمشقة وارتباك هائل.

وتشريع الاحكام العامة للعموم انما يكون من الشرع الذي لا يتحيز لجانب دون جانب ولا يراعى جيلا دون جيل ولا يقع تحت العوامل المؤثرة ولا يكشف الواقع له فهو اقرب الطرق اليه بل ادق الكواشف عنه : ثم الشرع لم يوظف من ناحية الله تعالى لاجل العبادات الفردية الواصلة للمعبود بربه كالصلاة والصوم والحج ونظير ذلك فقط بل ما استهدفه من تحصيل الرفاه للناس مادياً ومعنوياً ونظاماً لضبط حركاتهم وسكناتهم اكثر بكثير مما استهدفه من القيام بواجب العبادات الفردية فالدين اذن هو معنى القانون المدني والجزائي وما يكفل اقتصاد الناس واجتماعهم .

وذلك لان الشرائع العامة بملاحظة وضع الاجيال ومراعاة قابلياتها تضع من القوانين ارقى ما يمكن ان يقرره المشرعون في ذلك الجيل لان المشرع الاعظم بعراة عن كل نخوة وعصية قومية ولونية واحاطته بالمصالح والمفاسد يتمكن ان يصيب بتشريعه محز الواقع في الجميع من دون ان يكون له تحيز لجانب دون جانب بخلاف المشرعين من بنى الانسان فانهم ومهما كانوا كاملين فلا بد ان تنحاز بهم الدوافع النفسية ولومع الغفلة عنها الى جانب دون آخر ومصالحة فريق اكثر من فريق خصوصاً ماراعته الشريعة العامة الاسلامية في اجيالها المترامية على طول الزمان فان الطرح الذي طرحته الشريعة الاسلامية الغراء لسكان المعمور لاحظت فيه كافة المزايا التي تقدر في حياة البشر فعندما اقتضت المصلحة الربانية العامة ارسال محمد ﷺ الى الناس كافة وان نبوته تكون ختام النبوات شرع الله في علمه قانوناً واسعاً

البشرية يكفيها ان تزود منه مادام لها بقاء في الوجود فكانت احكامه على انحاء اربعة.
(الاول) مرحلة الاقتضاء ومعناه ان مقتضيات تشريع الحكم موجودة ولكن
الوضع بحسب ملاسباته وظروفه واحتياجاته يأبى عن اعمال هذه المقتضيات لان الملاسبات
الزمنية لا ترى مجالاً لذلك.

(الثاني) مرحلة الانشاء وهي تكون بعد حصول المقتضى عند مقارنة الوضع
الذي يستشتم منه سئو حرة فرصة الوقوع ومعنى الانشاء هو خروج المقتضى بما اقتضاه الى
منصة الظهور والقرار الخارجى نظير تدوين القانون الذى كان صرف خواطر نفسية وارادات
قلبية لم تخرج من الخاطر والقلب الى عالم الكتابة والتحرير.

(الثالث) مرحلة الفعلية وهي تكون بعد مرحلة الانشاء كمن دون قانوناً فيرسله
الى الوزارات المربوبة لتبثه بين اداراتها التابعة :

(الرابع) مرحلة التنفيذ وهي تكون بعد مرحلة الفعلية كمن ابلغ قانونه لعامة
الادارات فبلغته ايضاً للأفراد بوسيلة الاعلانات وغيرها فهنا تكون المؤاخذة والاثابة
المؤاخذة على التمرد والاثابة على الطاعة

وفى كل آن من آنات الشريعة حسب الملاسبات الوقتية للمراحل الاربعة
الاحكامية وجود فجملة من الاحكام قد تكون لحد الآن فى مرحلة الاقتضاء ولا تبرز
الى منصة الظهور الا بعد تهيأة محققاتها كما كانت جملة من الاحكام فى اوائل البعثة
اقتضائية صرفة لان الملاسبات الوقتية ما كانت تجيز اكثر من الدعوة الى التوحيد
والايمان بالله وطرد عقيدة الالحاد وعبادة الاصنام كما ان جملة منها تبقى انشائية لصد ما
هو اهم منها عن فعليتها وجملة منها فعلية غير منجزة كعدم اتصال الحجة بالمكلف والاخرى
منجزة لبلوغها اليه .

ثم الاحكام العامة التى تشرع للاحوال العامة : ومن لازمها مراعاة النوع
بما هو نوع : تسمى احكاماً اولية كالامر بالوضوء والايقاء بالعقود وتسمى الاحكام
المشرعة للطوارىء احكاماً ثانوية كالخرج والضروما اليهما .

والاحكام الشرعية المحررة ام من ان تكون بالعناوين الاولى او الثانوية

في كافة ارباع الفقه من العبادات والعقود والايقاعات والاحكام تقوم بجميع احتياجات
الجامعة في كافة ادوارها بما لا نقصان معه اصلا .



من هو نبي الاسلام

هو محمد بن عبدالله اباً وابن آمنة بنت وهب امها شمي الاب زهري الام قوى
البنية سـالم الخلقة متزن التركيب برىء من كل عيب جاء هذا العنصر الى وجود
منشعث الجنبات من حيث الروحيات والاخلاق و كل امم عصره فاقدة للمخلق الصحيح
وان تفاوتت في النقص شدة كجزيرة العرب وخفة كالرومان وجامع نقائصها اعتراز كل
قبيل بنسبه و ترفعه على غيره ترفعاً لامقيل له من اقل نسب الصحة فضلا عن اكثرها
وتفاوت الطبقات حتى في العنصر الواحد بل وحتى في التوافه و عدم اعتناؤه بالقانون
امام منوياته ولو شخص سقوطها وانهارها وحسابه للحياة حساباً مادياً صرفاً وفشو الجهل
الواسع في عموم الطبقات واعراض النوع عن المبدء الصحيح واطباقهم نوعاً على عبادة
الاوهام والاصنام جاء هذا العنصر ليحول الطقس البشري الى طقس آخر والى مستوى
لم يعهده معاصروه بالمرّة و كانت الدواعى التي تهيب به الى تحقيق دعوته في المعمور
من الكرة الارضية حينذاك -عدة امور -

(الاول) انه كان شديد الايمان بمبدهه كما نطق القرآن في حقه : آمن الرسول
بما انزل اليه من ربه: والايمان بالمبدء مما يخلق في المؤمن به روح المقاداة والتفاني
في حقه و كما يقدمه في الحياة ولو بعد معاناة الشدائد يقدم دعوته تقديماً محسوساً و
اذا استشهد في طريق مبدءه اتخذ مناراً يستضاء به ويعد أبا الاحرار في نوعه والفعل نوعاً
انما يرافق الكاذب المدلس الذي يستهدف بالدعوة الصالحة في ظاهرها منويات زائفة
واهدافاً مرموزة كما هو إشارة الكثيرين و أقصر الدلائل على توثق النبي من نفسه و
مبدهه ان العالم المحيط به بارزه بانواع المبارزات وقاومه اشد المقاومة على فقدته للناصر
ومع ذلك لم ينثن عن مرامه .

(الثاني) انه كان شجاعاً قوى الارادة والقلب وما كانت الحوادث والخطوب ترعبه وان ازعجته و كان في مكة يمشى وحده ويسافر وحده مع شدة الرقابة في وجهه و كان في حروبه كالجبل الثابت تزول الصفوف عنه وتضايقه الاعداء ولا يزول عن مكانه و كل من يملك مثل هذه الروح يتقدم باذن الله .

(الثالث) الثبات والاستقامة : يوجد في الدعوة الى اى مبدء يفرض حس الثبات والاستقامة ولكن على مرور الزمان ومواجهة الحرمان ببرد هذا الحس ونبي الاسلام طالما أودى وحوصور شر دوواجه من المؤلمات الشيء الكثير ومع ذلك لم يزد الاثباتاً واقداماً حتى ركز دعوته في حال حياته وفرض وجودها على الجزيرة العربية قبل كل شيء ومن بعده التهمت الخافقين .

(الرابع) تحليه بكل الاخلاق الفاضلة من الصدق والامانة والزهد و العبادة والتواضع وحب الخير وفعله مع الناس كافة و كان في كل خلق من هذه الاخلاق المثل البارز بما حير العقول وملك الالباب ويكفيه فخراً انه كان يعيش بين منافقين خارجين عن حدود الاحصاء ومع ذلك كان يوسعهم من نفسه كل البشر و الطلاقة مع قدرته على الايقاع بهم بشتى صور الايقاع لكنه لم يفعل .

(الخامس) ان دعوته كانت خالية من كل عيب وشين لائقة لان تفرض على الجامعة البشرية ولو بالقهر لضمانها السعادة للانسان من جميع نواحيه .



وظائف المسلمين

وهي اربع وظائف : وظيفة المسلم بالنسبة الى ربه : ووظيفته بالنسبة الى الاسلام : ووظيفة بالنسبة الى نفسه : ووظيفة بعضهم مع بعض : اما وظيفة المسلم بالنسبة الى ربه فهو ان يتقى ربه كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته : ومعنى اتقاء لربه ان يكون الله منظوراً له في كل حركته وسكناته وفعاله وتروكه فلا يفعل فعلاً الا وهو مستحضر قبل ان يفعله ان الله ناظر اليه ومطلع عليه ولا يترك تر كماً الا كذلك ولا ريب ان من نتيجة هذه الوظيفة طلوع الانسان باكمل الفضائل وبعده حتى عن احقر

الردائل فلا يعود يفعل الا الخير ولا يترك الا الشر و متى تحققت هذه الوظيفة بين الافراد وجدت الدنيا باحسن ما يمكن ان تكون في كل اشياءها .

واما وظيفته بالنسبة الى الاسلام فهي ان يعتز به اعتمازه بنفسه لانه بعد ان يسبق بنظمه وقوانينه وانه خير ميزان لضبط حياة الاشخاص في قبال الله وفي قبال بعضهم من بعض يجدان وجوده المرفه المأمون من الاخطاء والافات المنزه من الشوائب والادران الواجد لكمال الاستقلال والحرية بل لكل ما يضبط سعادة الفرد من جميع نواحيها موقوف على وجود الاسلام وحياة نظمه وحكومة قوانينه وان الاسـلام اذا تقلص عن افق الجامعة ضربتها الحوادث والمشتبهات ضربات متعاكسة ما بين افراط و تفریط : واما وظيفته بالنسبة الى نفسه فهي ان يرى الانسان نفسه مسؤولا بدينه ومهما كان حقيراً في الجامعة ولا يجوز له ان ينزع هذه العهدة عن نفسه محيلاً بها على اهل المال والرجال و النفوذ والقوة والشخصيات والعلماء قائلاً ومن اناحتي اتكلف بالدين وما قيمتي حتى اكون مسؤولاً به وما نتيجة قيامي حتى اقوم به فان حس المسؤولية اذا ابعده عن نفسه ضعف من حينه ضعفاً فوق ضعفه وصار انسا نامتر دأً تما لعب به الالهواء والحالات المتبادلة فتراه مستسلماً لكل حال القوم محكوماً لكل حال كما وخاضعاً لكل من يريد التسلط اما اذا اعتز بنفسه وبما هو مسؤول به من عهدة دينه لم يصر متردداً ولا يكون مطمئناً لكل طالع ولا اكلة لكل آكل و كما ان حس هذه المسؤولية لا بد منه في الضعفاء لا بد منه ايضا في الاغنيا ، واهل النفوذ والعلماء وايّة شخصية تفرض كلاً بحسب ما يتمكن الغنى ببذل ماله في الخدمات الاجتماعية العامة و النافذ باعمال نفوذه في جلب الخير و طرد الشر والعالم بافشاء علمه و تدريب الجامعة و تهذيبها .

واما وظيفة المسلمين بعضهم مع بعض : فهي الالفة و المحبة و الاتحاد و غض النظر عن صغار الجرائم والتعاون والارفاق وحمل كل انسان اخاه على اصلح الوجوه فقد تواتر في الاثار الاسلامية ان المسلمين بمنزلة جسد واحد اذا تأثر عضومه تأثرت له بقية الاعضاء وانه لا يؤمن المسلم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها ولا يجوز للمسلم ان يهجر اخاه اكثر من ثلاثة ايام ويبتدأ المسلم بالسلام من يعرف ومن

لا يعرف والمسلم من سلم الناس من يده ولسانه وسأل رسول الله ص سائل فقال ما حال المسلمين اذا شهر كل منهم ما سيفه على الاخر فقال ص كلاهما في النار القاتل والمقتول فقال يا رسول الله اما دخول القاتل النار فواضح لكن ما بال المقتول فقال لانه اراد قتل صاحبه وهم به وقال لا تؤمنون حتى تتحابوا الي غير ذلك مما هو كثير وكثير ولم يتدهور المسلمون ويتقهقر دين الاسلام الا لانعدام القيام بهذه الوظائف من المسلمين فلم يتق المسلم ربهم ولم يحتفظ بدينه ونزع مسؤولية الدين عن نفسه ولم يتعاون المسلمون بعضهم مع بعض ولذاك وهذا تصغرت دائرة الاسلام عن بقعتها الوسعة .



في المزايا التي تقدم الاجتماع

ان المزايا التي تقدم المجتمع وتؤهله لان يكون ارقى مجتمع في عالم الانسانية ثلاثة امور (الاول) الايمان بالله ومعنى ذلك ان يعرف الانسان ان مبدعه محض الخيرو الكمال تيار علم بحر فضل ثروة هائلة من الخير لا يعرف الشر وينبى عنه ككل رحمة و لطف وتديبر وقداسة وطهارة ونزاهة وحكمة ومعروف ومعرفة وان هذا المبدع غامر له في كل الانشائية لا يستطيع الانقلاط منه غايته انه في دنياه اذا عرض عنه وتجافى عن التمسك به ضرب بينه وبينه حجاباً يكون حائل عن استمداد فيوضاته ومن هذه الجهة تراه الساقط الجلف واما اذا جعل هذا المبدع الفيض نصب عينيه يستضيء من نوره ويهتدى بهداه و يمشى على طريقته فلا تراه الا الرؤف العطوف الصادق الطاهر الذى لا يأتى منه الا الخير حتى لو أسىء اليه ولا يعرف الشر ولو كان من اسباب ترقيه يبر بالوالدين ويحب على الارحام ويتجنب للاجانب ولا يسرق ولا يخون ولا يزنى ولا يرتكب اى فحشاء ولا يستخف ولا يتملق ولا يخضع للباطل وتتكون فيه همة الشجعان المغاوير لعلمه ان احدى الحسنين نصيبه لامحالة فهو ان توفق في مغاورته امام الباطل فذاك والا فنيصيه من الله جد وفير وبهذه الروح عاش المهاجرون و الانصار في دنياهم سعداء اقوياء اعزاء ايديهم فوق الايدي ومرامهم فوق كل مرام فان من يطالع سيرتهم زمن نبينهم ويراهم بارزين الى بدر بابدان عارية وسلاح ضعيف امام عدوقوى كثير ومع ذلك يدكونه

ويغلبونه يعرف ان الذى دفع بهم بشوق وافرا الى مغامرة تيك الاوضاع الشائكة هو ايمانهم الصادق وهكذا من يطالع سيرة الحسين واصحابه يقف على لب الايمان وانه كيف يدفع بصاحبه الى السعادة دنيا و آخرة ولا ريب ان هذه الروح العالية لما تحللت فى الناس وانكبوا على الاخذ بالسبب الظاهر وان الدنيا بيد النافذين وان مخالفتهم توجب الحرمان جاءتهم الذلة من كل جوانبهم .

(الامر الثانى الامر بالمعروف) المعروف هو الفعل الحسن شرعاً وعقلاً ومما لا شك فيه ان جامعة البشر يستحيل عليها النظام الصحيح اذا فقدت الافعال الحسنة فى جريها فان النظام الصحيح هو الفعل الحسن ليس غير فالابداء والامن تشخيص الفعل الحسن من السىء وذلك موقوف على الاحتكاك بالعقول الصحيحة وتحليل الافعال والتروك على ضوء العلم بما يميز الحسن منها عن السىء فالامر بالمعروف لا يكون من الجهال فهو اذن قبل كل شىء يدعو الى العلم ومن هنا كانت وتكون الجوامع الجاهلة احط مجتمعات الدنيا لاقرار فيها ولاراحة ولا موت بسعادة: كما لا آخرة لها اصلاً ولمحة من النظر الى ما عليه اهل البوادي من الانحطاط الكثير كافية فى التدليل على ان الجهل اعظم من الموت واشد نكايته من القتل فاذا وجب العلم ولزم التنوير والتثقف وتعلم الناس وتثقفوا ارتفع منهم كثير من موجبات الانحطاط نعم سعادة الانسان فى دنياه واخراه غير مر بوطه بأى علم يكون بل ببعض العلوم دون بعض فمثلاً توجه الجامعة الى التعرف بالعلوم الطبيعية واستكناه الطبيعة وما تحتويه من ذخائر لا يعطيها السعادة الواقعية فى الدنيا الامن طرف ضعيف مثلاً خلق لنا استخدام الطبيعة النور والنار والبرق والبخار وما يمت الى ذلك فلم تستفد منها الجامعة الا الخلاعة والاستهتار فى الاعم الاغلب والعلم الذى يناط به صلاح الجامعة ويتكفل سعادتها هو علم الأخلاق الذى يقوم بتطهير القلوب وتهذيب النفوس وتعديل حركات الانسان و وزن افعاله وتروكه بميزان صحيح .

(الامر الثالث النهى عن المنكر) المنكر هو الفعل السىء شرعاً وعقلاً كالكذب والنميمة والغش والتدليس وما الى ذلك وما قدمناه فى الامر بالمعروف آت هنا لان النهى

عن المنكر في قبال الامر بالمعروف من باب الاضداد ثم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس المنظور بهما الوقوف على الوعظ والارشاد لساناً بل الاهم في الباب اعمال ذلك بالعمل فالنافذ امره بالمعروف ونهيه عن المنكر منعه عن المنكرات من طريق نفوذه ورب المنزل امره بالمعروف ونهيه عن المنكر ان لا يخول زوجته وبنته وولده وكل من تحت سيطرته وعيلولته موجبات رغبتهم الفاسدة فلا يبذل لهم المال ولا الوقت ولا غض النظر بما يوجب خلائعهم واستهتارهم وخفتهم وارتكابهم للباطل فانه اذا فعل ذلك صار شريك جرم قطعاً واذا تمرد عليه احد هؤلاء وجب عليه ان يقطع عنه المادة و يقاطعه في المعشرو بما ان النافذ لم يقم بواجبه ورب المنزل لم يؤد وظيفته انتشر الفساد في البر والبحر فكل امة جمعت الخلال الثلاث الايمان بالله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت ارقى امة تفرضو كل امة فقدت ذلك كانت احط امة .

الى هنا تمت الحلقة الاولى من شرحنا على نهج البلاغة

بقلم محمد بن محمد طه بن نصر الله بن الحسين

الحويزي الكرمي

عفى عنه

دليل مطالب الكتاب

الصفحة	العنوان
٣	على في مجارى التاريخ
٤	اللغة العربية وانتشارها من طريق الاسلام
٦	مقدمة الورود فى البحث
٨	الشكوك حول نهج البلاغة
٢٦	نهج البلاغة والتوحيد وتحليل العقائد
٤٠	كون العالم ووجوده
٥٠	صفة خلق آدم
٦٠	ما الداعى الى لزوم عصمة الانبياء
٦٣	لزوم بعثة الرسل لاصلاح الجوامع
٦٨	جزيرة العرب وبعثة النبي محمد ﷺ
٨١	شكوك الماديين فى حكمة الصانع
١٠٥	البراهين فى دحض شبه الماديين
١٦٩	نهج البلاغة وتعريفه للاسلام
١٧٢	كليات اصول الاسلام
١٩٢	قالوا ونقول فى الشبه حول الاسلام ودفعها
٢٠٣	روحانية اليوم وامس وكيف يجب ان تكون غدا
٢١٧	المقارنة بين الاسلام وسائر الاديان
٢٢٤	تعريف امير المؤمنين للاسلام
٢٤٢	حجية ظواهر الكتاب

الصفحة	العنوان
٢٤٨	خدمات على في سبيل الدعوة الاسلامية
٢٧١	علل تقدم الاسلام في اوله وانحطاط المسلمين في آخرهم
٢٧٦	الفضيلة : عرض عام للحياة البسيطة والحياة المركبة
٣١٦	الدين الفطري
٣١٩	الدين
٣٣٠	نسبة احتياج الانسان الى الدين
٣٣٢	من هو نبي الاسلام
٣٣٣	وظائف المسلمين
٣٣٥	المزايا التي تقدم للاجتماع

انتظروا

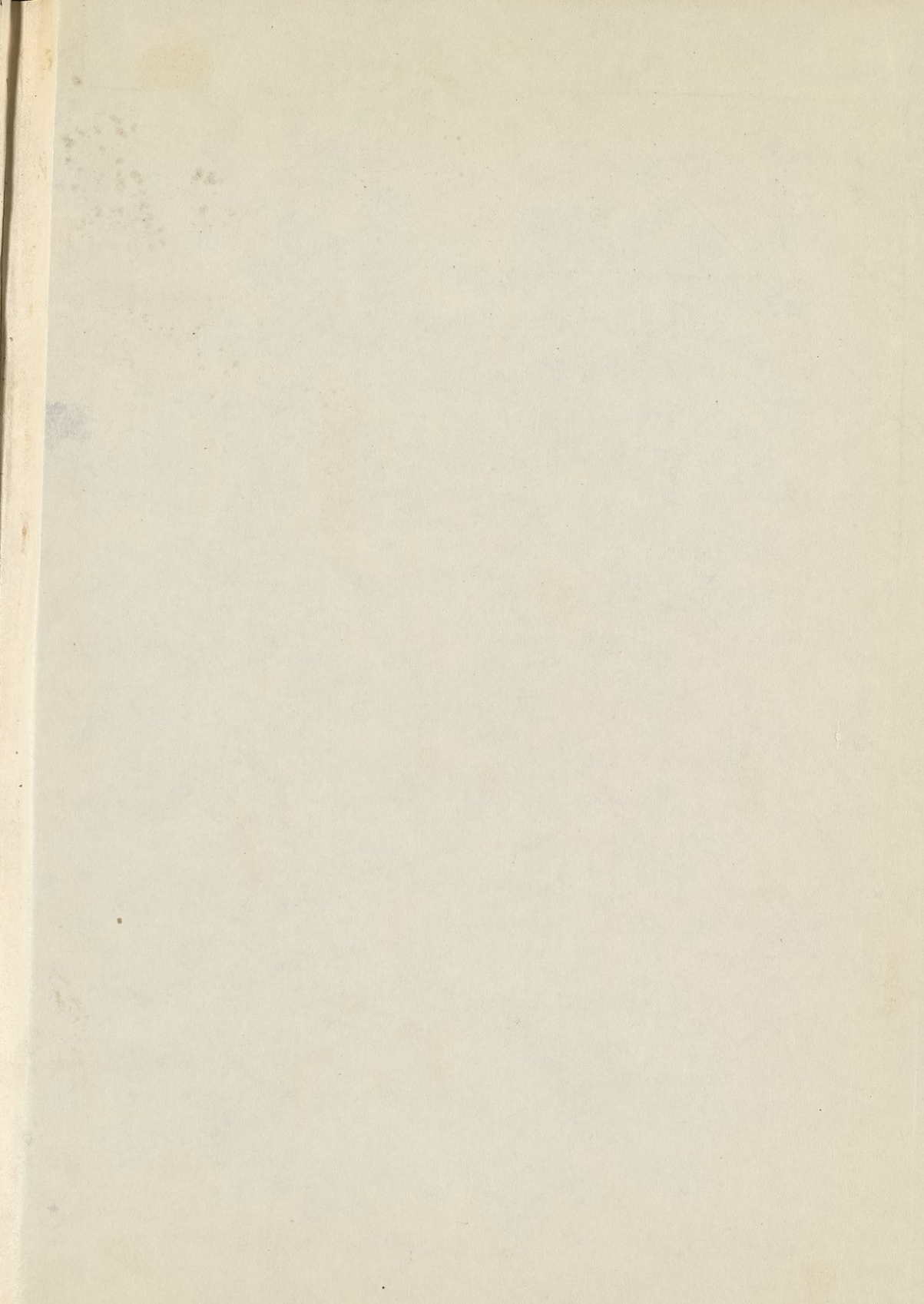
صدور الحلقة الثانية من هذه السلسلة بعنوان

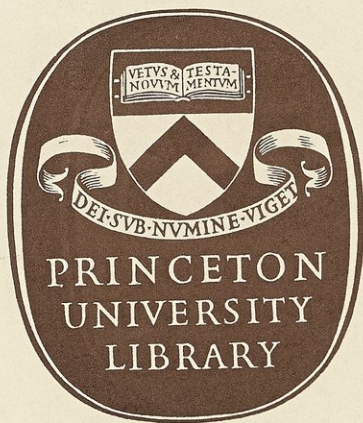
نهج البلاغة في المواعظ والزواجر

وانتظروا

صدور الحلقة الثالثة من هذه السلسلة ايضا بعنوان

نهج البلاغة في العلوم والفنون





Princeton University Library



32101 058324482

